تنوير العقول والأذهان

في

تفسير مفصل القرآن

إعداد

أ.د سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه

بكلية الشريعة وأصول الدين . جامعة القصيم

المجلد الثالث

من سورة النبأ إلى آخر سورة الناس

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

تنوير العقول والأذهان

في

تفسير مفصل القرآن

(٣)

ح دار العاصمة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

اللاحم، سليمان بن إبراهيم بن عبد الله

تنوير العقول والأذهان في تفسير مفصل القرآن. /

سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم - الرياض ، ١٤٢٨هـ

٣مج

ردمك ٨-٣٨-٦٩٢-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-٤١-٦٩٢-٩٩٦٠ (ج٣)

١- القرآن - تفسير أ- العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٢٨/٤٢٣٢

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٤٢٣٢

ردمك: ٨-٣٨-٦٩٢-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-٤١-٦٩٢-٩٩٦٠ (ج٣)

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ

الطَّبعَةُ الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

تنوير العقول والأذهان

في

تفسير مفصل القرآن

إعداد

أ.د سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه

بكلية الشريعة وأصول الدين - جامعة القصيم

المجلد الثالث

من سورة النبأ إلى آخر سورة الناس

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النبأ

هذه السورة أول أوساط المفصل.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾.

قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾.

أرسل الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ وأنزل عليه الكتاب بالحق للدعوة إلى عبادة الله عز وجل، وإثبات البعث والحساب والجزاء على الأعمال فكذبه المشركون إنكاراً لما جاء به واستبعاداً للبعث بعد الموت، وأخذوا يتساءلون فيما بينهم في ذلك وفي هذا نزل قوله ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾.

قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: عن أي شيء يتساءل المشركون، أي: يسأل بعضهم بعضاً. وهذا استفهام أجاب عنه بقوله: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾.

أي: هم يتساءلون عن النبأ العظيم، والنبأ هو الخبر الهام، والمراد به ما دعاهم إليه النبي ﷺ من الإقرار بنبوته، والتصديق بما جاء به من عند الله ـ عزوجل، والإيمان بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء.

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ بين مصدق به ومكذب، ومؤمن به وكافر.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ «كلا» للردع والزجر ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعيد ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تأكيد للردع والزجر والتهديد والوعيد للمكذبين للرسول ﷺ وبالقرآن والمعاد، وأنهم سيعلمون علم اليقين سوء عاقبة كفرهم وتكذيبهم حين ينزل بهم عذاب الله العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقال تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ [الجن: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾ [القمر: ٢٦].

قال أبو العتاهية:

ستعلم في الحساب إذا التقينا غداً عند الإله من الملوم

سينقطع التروح عن أناس من الدنيا وتنقطع الغموم

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾ هذا وما بعده إلى قوله ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾ استدلال على كمال قدرته عز وجل وعظم آياته في الكون، في الأرض والجبال والأنفس والليل والنهار والسموات والشمس والسحاب والنبات وغير ذلك الدال على كمال قدرته عز وجل على البعث، وعلى كل شيء، وتذكير للعباد بنعمه ليشكروه عليها.

قوله: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، أي: قد جعلنا الأرض مهاداً.

وجعل هنا بمعنى «صير» تنصب مفعولين، الأول: «الأرض» والثاني: «مهاداً».

و«الجعل» ينقسم إلى قسمين جعل شرعي، وجعل كوني، وهو المراد هنا.

ومعنى ﴿مِهَٰدٗا﴾ أي: ممهدة مفروشة مبسوطة للخلائق مذللة لهم مستقرة ثابتة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ [طه: ٥٣، الزخرف: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ [نوح: ١٩، ٢٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾ أي: وجعلنا الجبال أوتاداً ثبتنا بها الأرض، وأرسيناها حتى لا تضطرب وتميد بأهلها، كما قال تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [النحل: ١٥، لقمان: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الرعد: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الحجر: ١٩، ق: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾ [المرسلات: ٢٧].

وقد ذكر أهل العلم أن هذه الجبال التي نشاهدها ثلثاها في عمق الأرض وثلثها فقط

فوق الأرض.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافاً ذكوراً وإناثاً ليحصل التزاوج بين الذكر والأنثى، ويسكن كل منهما إلى الآخر ويأنس به ويستمتع، ويحصل بذلك التناسل وعمارة الكون.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١١].

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي: قاطعاً للتعب تحصل به الراحة للجسم من عناء السعي في النهار في طلب المعاش، فإذا تعب الإنسان ثم نام استيقظ وقد زال عنه التعب ورجع إلى حيويته ونشاطه واستقبل يومه بجد كأنه ولد لتوّه قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ﴾ [الروم: ٢٣].

والنوم أخو الموت وهو الموتة الصغرى، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: ساتراً للكون ومغطياً له بظلامه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]، أي: يغشى الكون والخليقة بظلامه فيسكن فيه الناس.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: وقتاً للمعيشة والسعي والتكسب والحركة والعمل، وذلك بطلوع الشمس فيه وإشراقه وإضاءته قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

فمن دلائل كمال قدرة الله عز وجل وعظيم نعمه جعل الليل وقتاً للنوم والنهار وقتاً لطلب المعاش كما قال تعالى مذكراً بذلك ومخوفاً من زواله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١، ٧٢].

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ أي: سبع سموات، كما قال عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿شِدَادًا﴾ أي: قويةً محبوكة محكمة رفيعة البناء واسعة الأرجاء، قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ ، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وسمى سبحانه وتعالى خلق السموات بناء كما قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [غافر: ٦٤]، لأنها سقف الكون، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ أي: وجعلنا سراجاً منيراً وهي الشمس، ﴿وَهَّاجًا﴾ أي: يتوهج ضوؤها فتعم الكون بمنافعها بدفئها وحرارتها وضوئها وغير ذلك، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢].

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ المعصرات: السحاب ينعصر منها المطر ويخرج من خلالها ولا ينصب انصباباً بقوة فيضر ما ينزل عليه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [الروم: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [فاطر: ٩].

﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ أي: منصباً بكثرة وغزارة وتتابع، قال ﷺ: «**أفضل الحج العج والثج**»[1]

---

(١) أخرجه الترمذي في الحج ٨٢٧، وابن ماجه في المناسك ٢٩٢٤ من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

والثج: إراقة وصب دماء الهدي.

وعن حمنة بنت جحش رضي الله عنها في حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ: «أنعت لك الكرسف» يعني أن تحتشي بالقطن، قالت: يا رسول الله، هو أكثر من ذلك إنما أثج ثجاً[1] أي: صباً متتابعاً كثيراً.

ومع إنزاله عز وجل هذا الماء بكثرة وغزارة فهو مقدر كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الزخرف: ١١]، ولهذا سمي ميكائيل بهذا الاسم لأنه يكيل القطر.

وكل ما في باطن الأرض من المياه هو من ماء المطر كما قال تعالى: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢]، أي: نحن الذين خزناه في الأرض، وقال تعالى: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١].

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ اللام للتعليل، أي: لأجل أن نخرج بهذا الماء (حبا) أي: أنواع الحبوب من البر والشعير والذرة وغيرها مما يأكله الناس والأنعام ويدخر، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣].

﴿وَنَبَاتًا﴾ أي: خضراً مما يأكله الناس والأنعام رطباً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: ٩٩].

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ أي: بساتين وحدائق ملتفة بأنواع الأشجار مختلفة الثمار في طعومها وروائحها وأشكالها وألوانها، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ٩ – ١٠]، **وقال تعالى:** ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ

---

(١) اخرجه أبو داود في الطهارة ٢٨٧، والترمذي في أبواب الطهارة ١٢٨، وابن ماجه في الطهارة ٦٢٧، وأحمد ٦/ ٤٣٩.

دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٦ - ٣١].

الفوائد والعبر:

١- تكذيب المشركين لرسول الله ﷺ ولما جاء به من الوحي والإخبار بالبعث واختلافهم في ذلك وتساؤلهم عنه إنكاراً له واستبعاداً.

٢- تعظيم أمر مبعثه ﷺ وما جاء به من الوحي من عند الله عز وجل وتقرير أمر البعث والحساب والجزاء على الأعمال.

٣- الزجر والردع والوعيد والتهديد للمكذبين له ﷺ ولما جاء به من الوحي والإخبار بالمعاد وتأكيد ذلك.

٤- إثبات عظمة الله عز وجل، وقدرته الباهرة بذكر آياته في الكون، في الأرض والجبال والأنفس والليل والنهار والسماء والشمس والسحاب والنبات والاستدلال بذلك على قدرته عز وجل على البعث.

٥- تقرير نعم الله عز وجل العظيمة على العباد بجعل الأرض ممهدة مبسوطة لهم وترسيتها بالجبال، وجعل الناس وسائر الحيوانات أزواجاً ليأنس بعضهم ببعض، وجعل النوم راحة للأبدان والليل وقتاً للسكون والراحة، والنهار وقتاً للمعاش، وخلق السموات السبع الشداد وإنارة الكون بالشمس المتوهجة، وإنزال المطر من السحاب، وإخراج الحب والنبات وأنواع الجنات إلى غير ذلك من النعم العظيمة، وكل واحدة من هذه النعم تستوجب الوقوف عندها والتأمل فيها وشكرها.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

زجر الله عز وجل في الآيات السابقة المكذبين بالبعث وتوعدهم وهددهم، وبين لهم بعض نعمه عليهم وعلى سائر الخلق ودلائل قدرته على بعثهم، ثم أتبع ذلك بتأكيد مجيء هذا اليوم الذي فيه يبعثون ويحاسبون، وتفصيل بعض أحواله وأهواله.

قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾يوم الفصل: يوم القيامة، سمي بذلك لأن فيه الفصل بين العباد، بين الرسل وأممهم، وبين الناس فيما بينهم، وإنصاف المظلوم من الظالم، وإعطاء كل ذي حق حقه حتى إنه ليقتص في ذلك اليوم للشاة الجلحاء من الشاة القرناء[١].

وأخيراً يفصل بين أهل السعادة وأهل الشقاء ففريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ أي: له وقت محدد لا يتقدم عنه ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧، ٣٨، ص: ٨٠، ٨١].

وفي هذا تأكيد مجيئه وأنه آت لا محالة بوقته الذي حدده الله له وفي هذا رد على منكري البعث والمعاد مطلقاً، وعلى من دعا منهم بالعذاب واستعجله، كما قال تعالى عنهم ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي: يوم ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ٢٥٨٢، والترمذي في صفة القيامة ٢٤٢٠، وأحمد ٢/ ٢٣٥ ـ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

وهو «القرن» بأمر الله عز وجل النفخة الثانية لقيام الناس من قبورهم إلى أرض المحشر للحساب والجزاء وهما نفختان الأولى نفخة الفزع والصعق والموت والثانية نفخة البعث والقيام للحساب كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن «القرن»، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين: أربعون»، قالوا: أربعون يوماً؟، قال: «أبيت»، قالوا: أربعون شهراً؟، قال: «أبيت»، قالوا: أربعون سنة؟، قال: «أبيت»، قال: «ثم يُنزلُ الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقلُ، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(٢).

﴿فَتَأْتُونَ﴾ أي: فتحيون، فتأتون لموقف القيامة والحساب والعرض.

﴿أَفْوَاجًا﴾ جمع فوج، والفوج: الجماعة من الناس، أي: فتأتون جماعات جماعات كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨].

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: شققت السماء وفطرت، كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، وقال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي: طرقاً ومسالك لنزول الملائكة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ أي: وسيرت الجبال العظيمة العالية بعد أن كانت راسية ثابتة لا تتحرك، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ

---

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ـ ما جاء في شأن الصور ٢٤٣١ وقال: «حديث حسن». وأخرجه أحمد ٣/ ٧، وأخرجه أيضاً ٤/ ٣٧٤ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في «تفسير سورة عم يتساءلون» ٤٨١٤، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة ٢٩٥٥، وأخرجه مختصراً أبو داود في السنة ٤٧٤٣، والنسائي في الجنائز ٢٠٧٧، وابن ماجه في الزهد ٤٢٦٦.

أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩، ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩، القارعة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣].

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ السراب: ما يخيل للناظر أنه شيء، وليس بشيء، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]، والمعنى: أن الجبال تذهب بالكلية، فلا عين ولا أثر، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ – ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [المزمل: ١٤].

فتسيير الجبال وكونها في الخفة كالعهن المنفوش وفي السرعة كمر السحاب ينتهي بذهابها واضمحلالها، وقد جمع هذين المعنيين، وهما التسيير وذهابها بالكلية قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] فانتهى تسييرها إلى اضمحلالها وذهابها بالكلية وكونها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: ظاهرة لا يحجبها شيء.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ «جهنم» اسم من أسماء النار، سميت به لجهمتها وظلمتها وبعد قعرها وشدة حرها، ومعنى ﴿ مرصاداً ﴾ أي: مرصدة معدة مهيأة.

﴿ للطاغين ﴾ أي: للمتجاوزين حدود الله، بترك ما أمر الله به وارتكاب ما نهى الله عنه، المتجاوزين الإيمان إلى الكفر، والعبادة التي خلقوا من أجلها إلى الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]

﴿ مآبا ﴾ أي: مرجعاً ومصيراً ومأوى ومنقلباً ومنزلاً، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٣٩]، وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾ [ص: ٥٥، ٥٦].

﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ﴾ قرأ حمزة (لبثين) بغير ألف، وقرأ الباقون ﴿ لابثين ﴾ بالألف، والمعنى مقيمين فيها ﴿ أحقاباً ﴾ جمع «حِقَب» والحِقَبُ: جمع «حِقْبَة» والحقبة: الدهر، والمدة الطويلة، وقيل: ثمانون سنة، والمعنى: مقيمين فيها دهوراً ومدداً طويلة لا تنتهي ولا تنقطع، لأن المراد بالطاغين الكفار المكذبون، والصحيح من أقوال أهل العلم وهو ما دل عليه القرآن الكريم في أكثر من آية أن النار لا تفنى ولا يفنى عذاب أهلها [(١)].

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي: لا يجدون في جهنم برداً تبرد به ظواهر أبدانهم.

﴿وَلَا شَرَابًا﴾ يذهب ظمأهم، وتبرد به أجوافهم

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ كقوله في سورة ص: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية: ٥٧]، قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (غسَّاقا) بتشديد السين، وقرأ الباقون بتخفيفها.

﴿ إلا حميماً ﴾ الاستثناء منقطع، أي: لكن يذوقون حميماً وغساقاً والحميم: هو الماء الحار الذي بلغ الغاية في الحرارة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنعام: ٧٠، يونس: ٤].

والغساق: هو صديد أهل النار وعرقهم في غاية النتن والكراهة، أو سائل من الزمهرير في جهنم في غاية البرودة والنتن والكراهة، قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٦].

﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ أي: هذا العذاب الذي صاروا إليه عقوبة لهم وفق أعمالهم السيئة، لأن الجزاء من جنس العمل، وكما يدين المرء يدان قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ لما ذكر ما أعد للطاغين المكذبين من عذاب جهنم وما لهم فيها من أنواع العذاب وفق أعمالهم السيئة ذكر الأعمال

---

(١) انظر تفسير قوله تعالى في سورة الجن ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

التي هي سبب تعذيبهم في هتين الآيتين ليتبين وجه الموافقة بين عذابهم وأعمالهم.

قوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي: لا يؤملون ولا يعتقدون أن هناك معاداً وحساباً، ولا يخافون المجازاة على كفرهم وطغيانهم، لأنهم يكذبون بالبعث بعد الموت وينكرونه، وهذا انحراف في العقيدة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [الفرقان: ٤٠]،

ولهذا قال عز وجل عن المؤمنين ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: وكذبوا بآياتنا الشرعية التي أنزلناها على رسلنا وأعظمها القرآن الكريم المنزل على أفضل الرسل محمد ﷺ وهذا انحراف في القول والعمل.

﴿ كذابا ﴾ مصدر من غير الفعل، أي: تكذيباً عظيماً.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم وأقوالهم وغيرها.

﴿ أحصيناه ﴾ أي: ضبطناه وعددناه عداً دقيقاً ﴿ كتاباً ﴾ أي: كتابة، فعلمنا أعمالهم وأقوالهم كلها وغيرها وضبطناها عدداً وكتابة، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى عن لقمان أنه قال لابنه ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

﴿فَذُوقُوا﴾ وجّه الخطاب إليهم بعد أن كان بضمير الغيبة لتأكيد توبيخهم وتقريعهم وتبكيتهم وإهانتهم، ومواجهتهم بذلك، أي: فذوقوا عذاب جهنم وحميمها وغساقها.

﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي: فلن نزيدكم إلا عذاباً فوق عذابكم، كما قال عز وجل: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص: ٥٧، ٥٨]، فهم في زيادة من العذاب مع أنهم يطمعون بالتخفيف كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝٤٩﴾ [غافر: ٤٩].

وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ وما فيه من توبيخ وتقريع وتبكيت عذاب معنوي ينصب على القلوب لا يقل عن العذاب الحسي، ولهذا رُويَ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: «لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، قال: فهم في مزيد من العذاب أبداً»[(١)].

الفوائد والعبر:

١- إثبات يوم القيامة وأن له وقتاً محدداً لا يتقدم عنه ولا يتأخر.

٢- الفصل بين الخلائق يوم القيامة.

٣- إثبات النفخ في الصور لحياة الخلق وبعثهم وقدومهم على الله عز وجل للحساب.

٤- شدة أهوال يوم القيامة من النفخ في الصور، وفتح السماء وانشقاقها وانفطارها، وتسيير الجبال واضمحلالها وأعظم ذلك وأشده جهنم المرصدة المعدة الآن مآباً للطاغين لا خروج لهم منها لا يذوقون فيها إلا الحميم والغساق.

٥- التحذير من الكفر والطغيان، والوعيد الشديد والتهديد الأكيد للطاغين المكذبين بالآيات والمعاد، والحساب والجزاء على الأعمال.

٦- أن الجزاء من جنس العمل، وكما يدين المرء يدان، ولا يظلم ربك أحداً.

٧- إحصاء الله عز وجل لجميع أعمال العباد وكتابتها عليهم.

٨- الجمع للمكذبين بين العذاب المعنوي للقلوب والعذاب الحسي للأبدان.

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/٣٦.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

بعد ما ذكر الله عز وجل ما أعده للطاغين المكذبين من العذاب المعنوي والحسي أتبع ذلك بذكر ما أعده للمتقين من النعيم المعنوي والحسي لأن القرآن الكريم مثاني فيه الجمع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والشيء وضده، ليجمع الإنسان في سيره إلى الله عز وجل في هذه الحياة بين الخوف والرجاء، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: «ينبغي أن يكون الإنسان في عبادته لربه بين الخوف والرجاء فأيهما غلب هلك صاحبه».

قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ «إن» حرف توكيد ونصب و«المتقين» الذين اتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١].

و«مفازاً» أي: فوزاً ونُكّر للتعظيم، أي: مفازاً عظيماً، والمفاز والفوز: النجاح والفلاح والسلامة من المرهوب والظفر بالمطلوب، النجاة من النار والفوز بالجنة، كما قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦١]، وقال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [الجاثية: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج: ١١].

وقال تعالى عن الكافرين: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨]، أي: فلا تحسبنهم بمنجاة من العذاب. ففي المفاز والفوز نجاة من العذاب، وحصول الثواب من المتنزه والحدائق والأعناب والكواعب الأتراب والكأس الدهاق، والتخلية قبل التحلية.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾

هذا تفسير لقوله: ﴿ مفازاً ﴾ وتفصيل لما أعد الله للمتقين من أنواع النعيم.

﴿ حدائق ﴾ أي: بساتين أشجارها عظيمة وكثيرة متنوعة من النخيل والرمان وغيرها كما قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨].

﴿ وأعناباً ﴾ جمع عنب وخص الأعناب بالذكر لمزيتها وفضل ثمرها من بين الأشجار.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جمع كاعب، أي: ونساء كواعب من الحور العين، أي: نواهد، ثديهن كالرمان مستديرة، بقدر قبضة اليد، ولم يتدلين إلى أسفل.

﴿ أتراباً ﴾ أي: على سن واحدة سن ثلاث وثلاثين كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧].

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي: وكأس خمر مملوءة صافية متتابعة.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: لا يسمعون في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ أي: كلاماً لاغياً باطلاً لا فائدة فيه.

﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ قرأ الكسائي بتخفيف الذال، وقرأ الباقون بتشديدها، أي: لا يسمعون فيها تكذيباً وإثماً، فلا يكذبون، ولا يُكَذِّب بعضُهم بعضاً ولا يُكَذَّب عليهم.

كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: ٦٢].

ولهذا سماها الله عز وجل دار السلام، فقال تعالى: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، أي: دار السلامة من الآفات ومن كل عيب ونقص.

ويحتمل عود الضمير في قوله ﴿ فيها ﴾ إلى كأس الخمر فيكون المعنى: لا يسمعون بسببها ﴿لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ كما في قوله تعالى في سورة الطور ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٦]، أي: لا تغتال العقول فتذهبها.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: هذا المفاز الذي جعله الله للمتقين وما فيه من ألوان النعيم مجازاة وإثابة لهم على تقواهم، وفي قوله ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ إشارة إلى عظم هذا الثواب، وأن الله عز وجل تفضل به عليهم، لا أن ذلك واجب عليه سبحانه، ولهذا قال بعده ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ وذلك أن العمل الصالح سبب للثواب وليس بعوض عنه.

والخطاب للنبي ﷺ وفي إضافة «رب» إلى ضميره ﷺ تشـريف وتكـريم لـه ﷺ، لأن المراد بهذا الربوبية الخاصة برسوله عز وجل وأوليائه.

﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ أي: عطاء كثيراً وافياً كافياً محاسبة لهم على أعمالهم كما قال تعالى: وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ [النساء: ٦].

وأيضاً: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ أي: محسوباً مقدراً كما قال عز وجل ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرعد: ٨].

وينبغي أن يُلحظ الفرق بين قوله في مجازاة الطاغين ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ **وبين قوله هنا** ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ **ففي مجازاة الطاغين يكون الجزاء موافقاً لأعمالهم عدلاً منه عز وجل، وفي مجازاة المتقين يكون الجزاء مضاعفاً لهم وأوفى وأفضل من أعمالهم فضلاً منه عز وجل.**

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ذكر الله عز وجل ربوبيته الخاصة لنبيه محمد ﷺ **في قوله:** ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ تشريفاً وتكريماً له ﷺ، ثم أتبع عز وجل بذكر ربوبيته العامة للسموات والأرض وما بينهما.

قرأ ابن عامر ويعقوب والكوفيون «ربِّ» بخفض الباء، وقرأ الباقون برفعها، أي: خالق ومالك ومدبر السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات والعوالم.

﴿الرحمن﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم بخفض النون، وقرأ الباقون برفعها، وهو صفة لرب على القراءتين فيهما. أي: الذي اسمه الرحمن، وصفته الرحمة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ **[الفرقان: ٥٩]، وقال تعالى:** ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ **[الإسراء: ١١٠].**

و(الرحمن) على وزن (فعلان) يدل على اتصافه عز وجل بالرحمة الواسعة، رحمة ذاتية ثابتة له عز وجل، كما قال عز وجل ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ **[الكهف: ٥٨]، وقال تعالى:** ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ **[الأنعام: ١٣٣]. ورحمة فعلية يوصلها من شاء من خلقه كما قال عز وجل** ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ **[العنكبوت: ٢١]، رحمة خاصة بأوليائه المؤمنين ورحمة عامة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ناطقهم وبهيمهم، بها شمل سبحانه جميع خلقه بنعمه وإحسانه وأمدهم بفضله كما قال عز وجل:** ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ **[الإسراء: ٢٠].**

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي: لعظمته وجلاله لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الفوائد والعبر:

١- أن القرآن الكريم مثاني يجمع فيه بين الترغيب والترهيب.

٢- وعد الله عز وجل المتقين بالفوز العظيم، بالنجاة من النار، ودخول الجنة والتمتع بما فيها من ألوان النعيم.

٣- الجمع لأهل الجنة بين حصول النعيم من البساتين والحدائق والأعناب والكواعب والخمر وغير ذلك، وبين السلامة من الأذى والمنغصات والمكدرات من اللغو والكذب ونحو ذلك.

٤- تشريفه ﷺ وتكريمه بإضافة «رب» إلى ضميره ﷺ في قوله ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾.

٥- عظم جزاء المتقين عند ربهم وأن الله عز وجل هو الذي تفضل به عليهم بسبب تقواهم لقوله ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾.

٦- أن الأعمال إنما هي سبب للفوز بالجنة والنجاة من النار وليست عوضاً عن ذلك.

٧- أن كل عطاء من الله عز وجل، وهو مقدر محسوب لقوله ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾.

٨- إثبات الربوبية لله عز وجل بقسميها الربوبية الخاصة لرسله وأوليائه، والربوبية العامة لجميع الخلق.

٩- إثبات اسم الله عز وجل (الرحمن) وما يدل عليه من إثبات صفة الرحمة الذاتية والفعلية الخاصة والعامة.

١٠- إثبات العظمة والجلال لله عز وجل وأنه لا يقدر أحد على مخاطبته إلا بإذنه عز وجل.

١١- في تقديم قوله (الرحمن) على قوله ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ما يشير إلى أن رحمته عز وجل سبقت غضبه كما جاء في الحديث، وأنه عز وجل إلى العفو أقرب منه إلى الانتقام.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)﴾

قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ الروح: هو جبريل عليه السلام كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [القدر: ٤].

وخص جبريل بالذكر من بين الملائكة لقربه من الله وعظم منزلته وشرفه لأنه الموكل بالوحي، وعطف الملائكة عليه من باب عطف العام على الخاص كما عطفه عليهم في قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] من باب عطف الخاص على العام.

ويحتمل أن المراد بالروح بنو آدم، لأن الله أوجد فيهم الأرواح والأول أظهر ولا مانع من حمل الآية على المعنيين فالملائكة وبنو آدم كلهم سيقومون صفاً بين يديه عز وجل لا يتكلمون.

﴿ صفاً ﴾ أي: صفاً واحداً، أو مصطفين صفوفاً.

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: لا أحد يتكلم منهم تعظيماً لله عز وجل وهيبة منه، كقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، وقوله: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ «إلا» للاستثناء أي: إلا من أذن له الرحمن سبحانه بالكلام فإنه يتكلم، كقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥].

﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: وقال قولاً صواباً، أي: حقاً، قال ﷺ: «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم»(١).

وقال بعض المفسرين ومن ذلك قول: لا إله إ لا الله، ومن ذلك الشفاعة لمن أذن الله له أن يشفع حسب ما أذن فيه تبارك وتعالى.

﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي: المحقق الوقوع، الكائن لا محالة، اليوم الحقيقي الذي يظهر فيه الحق تمام الظهور، ويقوم فيه العدل، والذي يستحق أن يستعد له تمام الاستعداد.

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان ٨٠٦، ومسلم في الإيمان ـ معرفة طريق الرؤية ١٨٢ – من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩]، أي: فمن شاء جعل إلى ربه مرجعاً ومنقلباً وطريقاً يؤدي به إلى مرضاة الله عز وجل، وذلك بسلوك طريق الحق والهدى، المؤدي إلى الله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحجر: ٤١]، وقال هود عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٢٦].

وفي الآية إثبات المشيئة للعبد؛ لكنها مشيئة مقيدة بمشيئة الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

والمراد بالمآب هنا: المآب الخاص، مآب أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين، وإلا فإن الناس في المآب العام كلهم آيبون وراجعون إلى الله عز وجل ومصيرهم إليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ [ق: ٤٣].

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ﴾ أي: حذرناكم وخوفناكم بما أنزلنا من الكتب وعلى ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ وهو عذاب يوم القيامة لأنه آت وكل آت قريب، ولأن عمر الإنسان في هذه الحياة قصير، ومن مات قامت قيامته، ولأن عمر الدنيا كلها لا يساوي شيئاً بالنسبة للآخرة كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: يوم نشر الدواوين وتطاير الصحف، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، فيرى كل امرئ الذي قدمته يداه، أي: جميع أعماله من خير أو شر مما بطشته يداه أو مشت إليه رجلاه أو تكلم به لسانه، أو انطوى عليه جنانه، وكل ما عملته جوارحه الظاهرة والباطنة. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

[الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٦ ـ ٩].

فقدم أخي المسلم خيراً تجده غداً، واحذر من ضد ذلك قال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[(١)]، وهذا ما عناه لبيد بقوله:

وما الناس إلا عاملان فعامل ... يتبر ما يبني وآخر رافع

وقال الآخر:

فلم أجد الإنسان إلا ابن سعيه ... فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

فلم يتأخر من أراد تقدماً ... ولم يتقدم من أراد تأخرا[(٢)]

وقد قيل:

قدم لنفسك توبة مرجوة ... قبل الممات وقبل حبس الألسن[(٣)]

وقال الآخر:

قد رشحوك لأمر إن فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل[(٤)]

وقال الآخر:

الأمر جد وهو غير مزاح ... فاعمل لنفسك صالحاً يا صاح[(٥)]

وقال الآخر:

سوف ترى إذا انجلى الغبار ... أفرس تحتك أم حمار[(٦)]

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ أي: يتمنى الكافر ويود حين ينظر إلى أعماله السيئة، ويرى عذاب الله تعالى وأهوال ذلك اليوم أنه كان في الدنيا تراباً لم يخلق ولم

---

(١) أخرجه مسلم في الطهارة ٢٢٣، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
(٢) هذان البيتان لابن هاني انظر «ديوانه» ص١٤٠.
(٣) البيت لمحمود الوراق.
(٤) البيت للطغرائي.
(٥) البيت لنشوان الحميري.
(٦) البيت لبديع الزمان الهمذاني.

يوجد، أو أنه لم يبعث، وذلك حين يقضى بين البهائم حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء[١] ثم يقول الله لها كوني تراباً فحينئذ يود الكافر أن لو كان تراباً مثلها، ولكن هيهات ذلك.

الفوائد والعبر:

١- عظمة الله تعالى وهيبته وجلاله.

٢- فضل جبريل عليه السلام على سائر الملائكة.

٣- خضوع جميع الخلائق لله عز وجل يوم القيامة، وقيامهم بين يديه صفوفاً.

٤- عدم قدرة أحد في ذلك اليوم على الكلام ـ هيبة من الله عز وجل وتعظيماً له وإجلالا ـ إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً.

٥- أن يوم القيامة محقق الوقوع، كائن لا محالة، به يظهر الحق تمام الظهور، وهو اليوم الذي يستحق أن يستعد له تمام الاستعداد.

٦- الترغيب بسلوك الطريق المؤدي إلى مرضاة الله عز وجل.

٧- إثبات المشيئة للعبد، وأنه ليس مجبوراً على فعله كما تقوله المبتدعة الجبرية لقوله ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾.

٨ ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة لمن تاب وأناب إليه.

٩- إقامة الحجة على الخلق بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم وإنذارهم وتحذيرهم من عذاب الله تعالى.

١٠- قرب القيامة وعذابها.

١١- رؤية الإنسان يوم القيامة لكل ما قدم من خير أو شر، قليلاً كان أو كثيراً ومحاسبته ومجازاته على ذلك.

١٢- تمني الكافر في ذلك اليوم عندما يرى العذاب والأهوال كونه تراباً ليسلم من ذلك وهيهات أن يحصل له ذلك.

١٣ـ الترغيب في عمل الخير، والتحذير من عمل الشر.

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ٢٥٨٢، والترمذي في صفة القيامة ٢٤٢٠، وأحمد ٢/ ٢٣٥ ـ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

تفسير سورة النازعــــات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)
فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا
خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ
خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)﴾.

قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ الواو حرف قسم وجر والنازعات وما عطف عليها مقسم به، أي: أقسم بالنازعات.

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ هي الملائكة تنزع أرواح بني آدم من أجسادهم، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١)﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧].

﴿غَرْقًا﴾ أي: نزعاً بشدة وعنف وهذا بالنسبة لأرواح الكفار، لأنها إذا دعتها الملائكة للخروج تفرقت في الجسد فتُغرق الملائكة في نزعها بشدة وعنف وتُنتزع من الجسد كما يُنتزع السَّفُّود [(١)] من الصوف المبلول، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول»[(٢)].

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ الواو: عاطفة، والناشطات: الملائكة، تنشط أرواح المؤمنين أي: تسلها برفق ولين ويسر وسهولة وسرعة وخفة فتخرج روح المؤمن تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه.

وسميت الملائكة الناشطات أخذاً من الأنشوطة وهي العقدة والربط الذي ينفك بسرعة وسهولة، بمجرد سل أحد طرفيه.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ الملائكة تسبح في الهواء في طريق ممرها إلى ما أمرت به، كما

---

(١) السَّفُّود: بالتشديد حديدة اللحم ذات شعب معقفة معروفة يشوى بها اللحم.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨، ٢٩٦.

تسبح الطير في الهواء، والأفلاك في السماء، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وتسبح بأمر الله عز وجل، أي تسرع فيه كما يسرع السابح في الماء.

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ الفاء: عاطفة، أي: الملائكة تسبق وتسرع إلى فعل ما أمرت به، لا تبطئ عنه، ولا تتأخر كما قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ أي: الملائكة تدبر ما أمر الله بتدبيره من أمور الخلق، فجبريل موكل بالوحي، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور، وميكائيل موكل بالمطر والنبات، وملك الموت موكل بقبض الأرواح، ورضوان موكل بالجنة، ومالك موكل بالنار، ومنهم حملة العرش، وخزنة النار والموكلون بحفظ العباد وكتابة أعمالهم وغير ذلك.

فأقسم عز وجل بالملائكة في أوصافها الخمسة، وهي نزعها لأرواح الكفار، ونشطها لأرواح المؤمنين، وكونها تسبح بالهواء وتسرع بأمر الله وتسبق إلى فعل ما أمرت به، وتدبر ما أمرها الله بتدبيره وفي هذا تعظيم لها ولله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

وحذف جواب القسم لتعظيمه وتفخيمه وتهويله وتقديره: والله لتبعثن. وعلى هذا يدل قوله ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ وما بعده.

قال ابن القيم [1]: «وجواب القسم محذوف يدل عليه السياق وهو البعث المستلزم لصدق الرسول ﷺ، وثبوت القرآن أو أنه من القسم الذي أريد به التنبيه على الدلالة والعبرة بالمقسم به دون أن يراد مقسماً عليه بعينه، وهذا يتضمن الجواب المقسم عليه وإن لم يذكر لفظاً...»

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ «يوم» ظرف متعلق بمحذوف، أي: لتبعثن ونحو ذلك والراجفة: النفخة الأولى في الصور نفخة الصعق ليموت كل مخلوق إلا من شاء الله.

﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ أي: تتبعها النفخة الثانية في الصور المرادفة لها لبعث الناس وقيامهم من قبورهم، وبينهما أربعون عاماً، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]. وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات: ١٣، ١٤].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام،

---

(١) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ١٢٠.

فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»[1].

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ وهي قلوب الكفار والعصاة، ومعنى ﴿ واجفة ﴾ خائفة قلقة مضطربة منزعجة.

﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ أي: أبصارها ذليلة حقيرة لما تشاهده من الأهوال، ولما تترقبه من العذاب والنكال، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

وأضاف الأبصار إلى القلوب لأن القلوب هي لب الأبدان عليها مدار الصلاح والفساد، وعليها مدار النعيم والعذاب وقيل أضيفت إليها للملابسة.

﴿يَقُولُونَ﴾ أي: يقول المشركون المنكرون للبعث والمعاد والحساب ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ الاستفهام للإنكار والاستبعاد والتعجب والاستغراب أي: أئنا لمعادون ومرجوعون أي: لا يمكن أن نرد.

﴿فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي: في الحياة بعد الموت، أي: أئنا لمبعوثون بعد الموت.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا﴾ الاستفهام كسابقه، أي: أئذا متنا وكنا عظاماً (نَّخِرَةً) قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم (ناخرة) بالألف، وقرأ الباقون (نخرة) بغير ألف والمعنى على القراءتين، أي: بالية متفتتة، نخرتها الرمال والرياح، فكيف نرد إلى الحياة بعد ذلك كقوله تعالى عنهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩، ٩٨]، وقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٣٥ ـ ٣٧]، وقوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الصافات: ١٦].

وقال بعض المفسرين: المراد بالحافرة النار، وهذا لا ينافي القول الأول، لأنهم يردون إلى النار بعد إحيائهم وبعثهم.

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: قال المشركون المكذبون المنكرون للبعث تلك، أي: الرجعة للحياة بعد الموت إن كانت حقاً ﴿ إذاً ﴾ أي: حينها (كَرَّةٌ) أي:رجعة. ﴿خاسرة﴾ أي: سنخسر فيها غاية الخسران، وهم بهذه الشهادة على أنفسهم بالخسران

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٤٥٧، وأحمد ٥/ ١٣٦ وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

يؤكدون تكذيبهم وإنكارهم للمعاد، وكأنهم يقولون تمادياً منهم بالإنكار والاستبعاد إنْ بُعِثْنا بعد الموت فنحن نقبل أن نخسر الصفقة ذلك اليوم.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي: فإنما هي أمر من الله عز وجل مرة واحدة لإسرافيل لينفخ في الصور نفخة واحدة هي نفخة البعث كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝﴾ [القمر: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝﴾ [يس: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝﴾ [الحاقة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝﴾ [يس: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ [الإسراء: ٥٢].

﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ الساهرة وجه الأرض وظاهرها، أي: فإذا هم قيام في المحشر على ظهر الأرض بعد أن كانوا في باطنها، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝﴾ [الصافات: ١٩].

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بالملائكة بأوصافهم وأعمالهم المذكورة ولله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لأن إقسامه بها يدل على عظمته هو، لأنه يقسم بما خلق.

٢- إثبات البعث والمعاد لأن الله عز وجل أقسم عليه.

٣- فضل الملائكة وعظم منزلتهم عند الله عز وجل وعظم أعمالهم وما أعطاهم الله عز وجل من القوة والخفة والسرعة والقدرة على تدبير ما يأمرهم الله عز وجل به.

٤- إثبات النفختين، وتتابعهما وهما من أعظم أهوال القيامة النفخة الأولى ليموت من في السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات إلا من شاء الله، والنفخة الثانية لإحياء الخلق وبعثهم وقيامهم بين يدي الله عز وجل.

٥- انزعاج قلوب الكفار العصاة يوم القيامة، وشدة خوفهم وقلقهم واضطرابهم وذل أبصارهم وحقارتها.

٦- إنكار المشركين واستبعادهم للبعث والمعاد بعد الموت.

٧- اعتراف المشركين والمكذبين وإقرارهم بالصفقة الخاسرة يوم القيامة.

٨- أن بعث الخلائق وإعادتهم أمر يسير على الله عز وجل، فبأمره عز وجل مرة واحدة لإسرافيل لينفخ في الصور نفخة واحدة فإذا الخلائق قيام بين يديه عز وجل ينظرون.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

أقسم الله عز وجل في الآيات السابقة على إثبات القيامة رداً على المكذبين بالبعث المنكرين للمعاد وذكر ما ينتظرهم فيها من الأهوال والعقوبات الآجلة في ذلك اليوم.

ثم أتبع ذلك بذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون وتكذيبه له وعصيانه وسعيه ضد الحق، بل وادعائه الربوبية، وما حل به من العقوبة العاجلة والآجلة تسلية للنبي ﷺ وتخويفاً لقومه، وليتعظ بذلك من يخشى الله.

قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ولكل من يتأتى خطابه، أي: هل جاءك خبر موسى، أو هل سمعت بخبره.

وفي هذا الخطاب تشويق للمخاطب والسامع للتأمل في هذه القصة. وموسى هو موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام أفضل أنبياء بني إسرائيل وأحد أولي العزم من الرسل، أنزلت عليه التوراة أفضل الكتب المنزلة بعد القرآن الكريم، وقد ذكر الله عز وجل حديث موسى وقصته في القرآن الكريم أكثر من غيره وأشمل وأوسع لأنه نبي اليهود وهم كثيرون في المدينة وحولها. وهم من أشد الأمم تكذيباً وعناداً.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: حين ناداه ربه عز وجل نداءً سمعه موسى عليه السلام، وكلمه سبحانه تكليماً بلا واسطة، قال تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿بِٱلْوَادِ﴾ الوادي: مجرى السيل بين الجبال والتلال والآكام.

﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾ المطهر المعظم.

﴿طُوًى﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم هنا وفي سورة طه (طوىً) بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين في الموضعين، وهو اسم للوادي الذي نادى الله فيه نبيه موسى عليه السلام وأوحى إليه فيه.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أرسله إلى فرعون بقوله ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: امض إلى فرعون، وهو ملك مصر آنذاك، ثم صار فرعون علماً على كل من ملك مصر كافراً.

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: إنه تجاوز الحد في الكفر والتجبر والتكبر والتمرد والعتو حتى وصل به الأمر إلى أن ادعى الربوبية والألوهية، فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير ويعقوب بتشديد الزاي: (تَزَّكى)، وقرأ الباقون بتخفيفها: (تَزَكى).

﴿فَقُلْ﴾أي: فقل له ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ استفهام للتشويق وتعبير لطيف لاستمالته إلى الحق، وليس هناك ألطف من هذا وألين منه، فلم يقل له: لم لا تزكى؟ ولم يأمره بذلك، فيقول: تزك بل تلطف معه في التعبير وألان له في القول كما قال تعالى لموسى وهارون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٤].

ومعنى قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: هل لك إلى أن تتطهر من الشرك والكفر بالتوحيد والإيمان.

﴿وَأَهْدِيَكَ﴾ أي: أدلك وأرشدك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خالقك ومالكك ومدبرك والمنعم عليك بسائر النعم فتقر له بالربوبية والألوهية وحده.

﴿فَتَخْشَىٰ﴾ أي: فتخاف الله عز وجل وعقابه العاجل والآجل.

فأخرج الكلام مخرج العرض ولم يخرجه مخرج الأمر تلطفاً في الخطاب وتليينا له، وعرض عليه أمراً يقبله كل عاقل، ولا يرده إلا كل أحمق وهو التزكي الذي معناه النماء والطهارة والبركة والزيادة، وأسند التزكي وأضافه إلى المخاطب بينما أضاف الهداية والدلالة إلى نفسه فكأنه يقول: أنا أدلك وأسير بين يديك، وأنت تزكي نفسك وتخشى ربك الذي خلقك ورباك بنعمه العظيمة وفي هذا استعطاف له وتذكير له بنعم الله عليه[1].

وينبغي للدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ والمربين والمصلحين والوالدين في تربية أولادهم وغيرهم استلهام الدروس من هذه التوجيهات الإلهية العظيمة لتتحقق بإذن الله ـ عز وجل ـ الفائدة المرجوة.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي: فأرى موسى عليه السلام فرعون وأظهر له العلامة الكبرى، والحجة العظمى، والدليل الواضح على صدق ما جاء به من عند الله عز وجل، ومن ذلك أن يلقي عصاه في الأرض فتنقلب حية تسعى، ثم يأخذها فتعود إلى حالتها

---

(١) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ١٢١، ١٢٣.

الأولى، ويدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء آية من آيات الله من غير عيب من برص أو غيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝٢٣﴾ [طه: ١٧ ـ ٢٣].

وقد يراد بالآية الكبرى جنس الآيات التي جاء بها موسى كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾ [طه: ٥٦].

وإنما كانت هتان الآيتان من أعظم الآيات التي أرسل الله بها موسى عليه السلام وهما العصا واليد، لأن السحر كان منتشراً شائعاً آنذاك فأعطاه الله عز وجل آيات يبطل بها كيد السحرة الذين تصدوا لموسى عليه السلام ودعوته.

﴿فَكَذَّبَ﴾ أي: كذب وجحد وكفر بقلبه بما جاء به موسى وقال ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝٢٧﴾ [الشعراء: ٢٧].

﴿وَعَصَىٰ﴾ أي: أبى أن ينقاد بجوارحه، فكذب الخبر، وعصى الأمر، وخالف أمر الله وارتكب نهيه، كما قال تعالى عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾ [طه: ٥٦]. وهو مع هذا يعلم أن ما جاء به موسى عليه السلام هو من عند الله كما قال موسى عليه السلام فيما ذكر الله عنه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝١٠٢﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ أي: ثم لم يكتف بالتكذيب والعصيان، بل أدبر وتولى يسعى لرد الحق ومضادته بالباطل فرمى موسى بالسحر وقال: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [طه: ٥٧، ٥٨]، وقال: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١﴾ [الإسراء: ١٠١].

وجمع السحرة لإبطال الحق، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝٧٩﴾ [يونس: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾ [طه: ٦٠].

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ أي: فجمع قومه، فنادى بهم بصوت مرتفع ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ادعى أنه الرب الذي هو الأعلى، الذي لا أحد فوقه، لأن «الأعلى» اسم تفضيل من العلو أي: الذي لا أحد أعلى منه.

كما ادعى الألوهية فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: ٣٨]، وقال أيضاً: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

وبهذا صار فرعون وأتباعه كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١].

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: فعاقبه الله تعالى عقوبة الآخرة في النار وعقوبة الدنيا في الغرق ونكل به فصار نكالاً لغيره كما قال تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٦]، وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الذاريات: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإشارة لأخذه عز وجل لفرعون وتنكيله به بعقوبة الدنيا والآخرة ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي: لعظة وزجراً ﴿لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ أي: لمن يخاف الله عز وجل فيتعظ وينزجر بها بخلاف من لا يخشى الله فلا تؤثر فيه المواعظ والزواجر.

الفوائد والعبر:

١- تسلية النبي ﷺ بذكر حديث موسى عليه السلام حين أرسله الله عز وجل إلى فرعون وما جرى بينهما وتكذيبه، وأخذه عز وجل وعقوبته له، وفي ذلك تهديد وتخويف وتحذير للمكذبين من قومه ﷺ.

٢- إثبات الكلام لله عز وجل على ما يليق بجلاله وأنه عز وجل نادى موسى عليه السلام وكلمه تكليما. وشرفه بذلك، وبربوبيته الخاصة له.

٣- شرف بعض الأمكنة على بعض بتشريف الله لها بجعلها أماكن لرسالاته ونزول وحيه وعبادته، ولهذا شرّف الله عز وجل وادي «طوى» وطهّره، لأنه عزّ وجل نادى فيه نبيه موسى عليه السلام وأرسله.

٤- تجاوز فرعون وتماديه بالكفر والطغيان.

٥- أمر الله عز وجل موسى عليه السلام بالتلطف مع فرعون وتليين القول له لاستمالته للحق لعله يتطهر ويخشى الله.

٦- يجب على الدعاة إلى الله عز وجل التلطف مع من يدعون لأن الله أمر بهذا موسى في دعوته لفرعون الذي بلغ الغاية في الطغيان فغيره من باب أولى وأحرى، وكما قال تعالى

لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه: ٤٤].

٧- إثبات هداية الدلالة والإرشاد وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام هداة إلى الله أي: مرشدون إليه وإلى طريقه المستقيم، وكذا من سلك طريقهم في الدعوة إلى الله عز وجل.

٨- أن الرسل عليهم السلام جاؤوا بالدعوة إلى التزكي والتطهر من الذنوب والمعاصي، وإلى خشية الله عز وجل.

٩- إثبات ربوبية الله - عز وجل - العامة لجميع الخلق.

١٠- إقامة موسى عليه السلام الحجة الواضحة والبرهان القاطع على صدق ما جاء به وأنه رسول من عند الله بما أظهره لفرعون من الآيات الكبرى الدالة على ذلك من انقلاب العصا حية واليد وغير ذلك.

١١- تمادي فرعون بالكفر والطغيان وتكذيبه لموسى عليه السلام وعصيانه له وإدباره وسعيه في الصد عن الحق ومكابرته، وادعائه الربوبية.

١٢- أخذ الله عز وجل لفرعون وعقوبته له في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار والحرق.

١٣- ينبغي أخذ العظة والعبرة مما أحل الله بفرعون من العقوبة والحذر من أخذ الله عز وجل وعقابه.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

بعد ما ذكر الله عز وجل خبر موسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون وتكذيبه له وعصيانه، وسعيه لمضادة الحق بالباطل وادعاءه الربوبية، وأخذ الله عز وجل له بالعقوبة العاجلة والآجلة وفي ذلك تخويف للمكذبين بالبعث أتبع ذلك بالاستدلال على قدرته عز وجل على بعث الناس بخلق السماء والأرض والجبال والليل والنهار، والامتنان عليهم بذلك.

قوله ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والخطاب لعامة الناس ويدخل فيه المشركون المنكرون للبعث دخولاً أولياً، والمعنى: ءأنتم أيها الناس أشد وأعظم خلقاً.

﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ «أم» عاطفة، والسماء معطوف على الضمير «أنتم» أي: أم السماء أشد خلقاً في كيفية خلقها وعظمتها وسعتها، وفي هذا تقرير أمر البعث والمعاد، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٧١].

﴿بَنَاهَا﴾ فسره بقوله ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ أي: رفع سقفها وجرمها وبناءها، وجعلها سقف المخلوقات كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢)﴾ [النبأ: ١٢]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢].

﴿ فسواها ﴾ أي: فجعلها مستوية البناء، محبوكة الخلق، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧)﴾ [الذاريات: ٧]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: وأظلم ليلها وجعله أسود حالكاً.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي: وأظهر نهارها وأناره وجعله مشرقاً مضيئاً، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن

﴿رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢].

فمن أعظم نعم الله عز وجل أن جعل الليل مظلماً ليسكن الناس فيه وينامو ويستريحوا بعد عناء النهار، ومن رحمته أن جعل النهار مشرقاً منيراً ليتصرف فيه الناس لطلب معاشهم قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣].

ولهذا فإن من أعظم أسباب ضياع الأعمار والأعمال والنقص والخلل في أمور الدين والدنيا مخالفة فطرة الله، وسهر الليل أو جعله وقتا للعمل، وجعل النهار وقتا للنوم.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ الإشارة بقوله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ ترجع إلى خلق السماء وبنائها وتسويتها فذلك واقع قبل دحو الأرض فخلق عز وجل الأرض ثم خلق السماء ثم دحا الأرض، كما قال تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

وبهذا جمع ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف بين الآيات في هذا (١).

وقوله ﴿ دحاها ﴾ فسره بقوله ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ أي: أخرج منها الماء والمرعى وأرساها بالجبال وأودع فيها ما أودع من الخيرات من المعادن وغير ذلك وبسطها.

ومعنى قوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ أي: ثبتها في أماكنها، وأرسى الأرض بها لئلا تميد بأهلها كما قال عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]. وقد قال بعض أهل العلم: إن ثلثي هذه الجبال في عمق وباطن الأرض وثلثها فقط على ظاهر الأرض.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ متاعاً: مفعول لأجله، والمتاع ما يتمتع به في الحياة وفي السفر، ثم ينتهي، والحياة كلها سفر.

أي: دحا الأرض وأخرج منها ماءها ومرعاها وأرساها بالجبال لأجل أن تتمتعوا بما

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» ٧/ ١٥٤ – ١٥٥.

أخرج منها من الماء والمرعى، وتستقروا وتعيشوا على ظهرها أنتم وأنعامكم.

الفوائد والعبر:

١- الاستدلال على قدرة الله عز وجل على بعث الناس بعد موتهم بخلق السماء والأرض والجبال والليل والنهار وإخراج الماء والنبات.

٢- أن خلق السماء بعد خلق الأرض ودحو الأرض بعد خلق السماء، أي: أن الله عز وجل خلق الأرض ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض.

٣- الامتنان على العباد ببناء السماء فوقهم، وإظلام ليلها وإظهار نهارها وبما أودع لهم في الأرض من الخيرات وما أخرجه لهم منها من الماء والمرعى وبإرسائها بالجبال ليعيشوا على ظهرها، ويتمتعوا بخيراتها هم وأنعامهم.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ (٣٤) يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (٤١) يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ (٤٤) إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا (٤٥) كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا (٤٦)﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

أقسم الله عز وجل في مطلع هذه السورة على أن القيامة حق، ثم ختمها بذكر بعض أهوالها وأحوال الناس فيها، وأن منتهى علمها إلى الله عز وجل.

قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ الفاء استئنافية و«إذا» ظرفية شرطية و«الطامة الكبرى» هي القيامة، سميت بذلك لأنها تَطُمُّ وتزيد على كل أمر هائل مفظع، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ أي: يوم مجيئها ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ «ما» مصدرية، أو موصولة، أي: يتذكر الإنسان سعيه، أو الذي سعاه، أي: عمله وما قدمه من خير أو شر، عندما يقرأ كتابه، ويقال له ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤].

فيا لها من ذكرى ليست كالذكريات، ذكرى يشيب لهولها الوليد قال تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي (٢٤)﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]، فما أعظم الحسرات آنذاك.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ﴾ أي: وأظهرت الجحيم، وهي النار، سميت بذلك لعظمها وشدة توقدها وحرها وبعد قعرها، وظلمتها.

﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ لكل من يشاهد وينظر، فرآها الناس عياناً، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]، وقد قال ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام بكل زمام سبعون ألف ملك»[2].

فيا ترى ما حال الناس في ذلك الموقف، اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة. والله لو شب

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢١٥ – من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٤٢.

حريق كبير في جانب من البلد لصعق كثير من الناس، وأصيب كثير منهم بالحيرة والذهول والدهشة وهرع الكثير منهم فارين هاربين لا يلوون على أحد، ولو كان أقرب الناس إليهم وأعزهم لديهم، ولربما دهس بعضهم بعضاً من شدة الهروب والتدافع.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ «أما» في الموضعين أداة تفصيل، و«من» في الموضعين موصولة أي: فأما الذي طغى.

ومعنى ﴿طغى﴾ تجاوز حدود الله في التكذيب والكفر والتمرد والعتو والعناد.

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: قدّم الحياة الدنيا الفانية على أمر دينه وما خلق له وعلى الآخرة الباقية كما قال تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، وقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢].

فإيثار الحياة الدنيا والانشغال بها سبب للطغيان، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]، ولهذا قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»(١).

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ أي: فإن الجحيم وهي النار ﴿هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ الذي يأوي ويرجع إليه وينتهي ويصير إليه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥]، ولهذا جاء في الدعاء: «ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا»(٢).

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي: وأما الذي ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي: خاف قيامه غداً بين يدي ربه عز وجل فاستعد لذلك المقام، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١].

وخاف من نظر الله ـ عز وجل ـ إليه واطلاعه عليه فراقبه وخشيه واتقاه كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وهو على هذا من إضافة المصدر إلى الفاعل، قال الشاعر:

---

(١) أخرجه البخاري في الجزية ٣١٥٨، ومسلم في الزهد والرقائق ٢٩٦١، والترمذي في صفة القيامة ٢٤٦٢، وابن ماجه في الفتن ٣٩٩٧ من حديث عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات ٣٥٠٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقال الترمذي «حسن غريب».

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يُخفى لديه يغيب(١)

وكان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين.

وقال الآخر:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى العصيان
فاستَحْيِ من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ أي: ونهى النفس الأمارة بالسوء ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: عن اتباع هواها وما تشتهيه من الشهوات المحرمات والشبهات، وألجمها بلجام التقوى، فإن الهوى مُرْدٍ، ومُهْلِك، والنفس غالباً أمارة بالسوء كما ذكر الله عز وجل عن امرأة العزيز أنها قالت: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف: ٥٣].

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي: فإن الجنة دار المتقين هي مأواه ومصيره ومنقلبه ومستقره كما قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، أي: يسألك الناس ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: عن القيامة.

وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ بالمضارع، ولم يقل: سألوك، وذلك لكثرة هذا السؤال وتكرره منهم في الماضي والحاضر واستمرار وروده منهم، وذلك لعظمتها وشدة أهوالها، ولهذا جاء ذكر السؤال عنها في هذه السورة وسورة الأعراف وهما مكيتان، وفي سورة الأحزاب وهي مدنية، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ﴾ [الآية: ١٨٧]، وقال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ [الآية: ٦٣].

وسميت القيامة ـ والله أعلم – بالساعة – لتحقق وقوعها وقربه، وتحديده في علم الله ـ عز وجل ـ كما سميت بالواقعة والحاقة وغير ذلك.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ أي: متى وقوعها ومجيئها، منهم من يسأل عنها سؤال استعجال واستبعاد وإنكار لها، وهم المشركون المنكرون للبعث كما قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ

---

(١) هذان البيتان لصالح بن عبد القدوس انظر «ديوانه» ص١٣٣.

ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨]، وهؤلاء أكثر الخلق.

ومنهم من يسأل عنها ليستعد لها بالعمل الصالح، كالذي قال لرسول الله ﷺ متى الساعة؟، قال له: «ماذا أعددت لها؟»، قال: ما أعددت لها من كثير صوم ولا صلاة، ولكني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: «المرء مع من أحب»(١).

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي: ليس عندك علمها، ولا فائدة لك بمعرفة ذلك.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي: إلى ربك وحده منتهى علمها؛ متى وقوعها، وكيف وقوعها، لا إلى غيره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف: ٨٥].

ولهذا لما سأل جبريل النبي ﷺ عن الساعة قال ﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»(٢).

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾ قرأ أبو جعفر بتنوين «منذر» وقرأ الباقون بغير تنوين، و«إنما» أداة حصر، والحصر هنا إضافي، لأن الرسول ﷺ منذر ومبشر، ومأمور مكلف كغيره.

والمعنى: إنما أنت في موضوع الساعة مجرد منذر من يخشاها ليس لديك علم وقوعها، وكيف وقوعها ولا فائدة لك ولا للأمة ولا مصلحة لكم بمعرفة ذلك، بل المصلحة في إخفائها عن الخلق.

ومعنى (منذر) أي: مخوف ومحذر.

﴿مَن يَخْشَىٰهَا﴾ أي: الذي يخشاها ويخافها، لما فيها من الأهوال والعذاب والنكال، وهو ﷺ منذر لجميع الناس من يخشى الساعة ومن لا يخشاها، وإنما حصر إنذاره ﷺ فيمن يخشاها، لأن الذي يخشاها هو المنتفع بالإنذار المستفيد منه دون من لا يخشاها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب ٦١٦٨، ومسلم في البر والصلة والآداب ٢٦٤١ – من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان ٥٠، ومسلم في الإيمان ٩، والنسائي في الإيمان وشرائعه ٤٩٩١، وابن ماجه في المقدمة ٦٤، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأيضاً فهو ﷺ منذر ومبشر لقوله ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّـرًا وَنَـذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وهو مكلف بالعبادة كغيره كما سبق.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي: يوم يرون القيامة وأهوالها وشدائدها.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا﴾ في الحياة الدنيا.

﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ العشية آخر النهار من الظهر إلى غروب الشمس والضحى أول النهار من طلوع الشمس إلى منتصف النهار، وقد تحمل العشية على الليل كله، والضحى على النهار كله، كما قال تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩﴾ [النازعات: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: ١، ٢].

فما أقصر الدنيا بالنسبة للآخرة، وما أقصر ما مضى بالنسبة لما بقي، وما أقصر عمر الإنسان فيها، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

ولو سألت معمراً في سن التسعين أو المائة أو ما فوق ذلك عما مضى من عمره لقال لك كأني لم أعش إلا هذه اللحظة.

والإنسان بين ثلاثة أيام: يوم مضى بما فيه، ويوم مستقبل بما فيه لا يدري الإنسان أيدركه أو لا يدركه، ويوم حاضر ينبغي أن يستغله الإنسان بما ينفعه في دينه ودنياه.

الفوائد والعبر:

١- شدة أهوال يوم القيامة وفظاعتها، وأنها أطم وأشد وأدهى من أي شدة.

٢- تذكر الإنسان يوم القيامة ما قدمه من عمل خيراً كان أو شراً.

٣- إظهار الجحيم وإبرازها ليراها الخلائق يوم القيامة.

٤- أن مأوى الناس ومآلهم يوم القيامة حسب أعمالهم فمن طغى وآثر الحياة الدنيا فمأواه الجحيم، ومن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فمأواه جنات النعيم.

٥- التحذير من الطغيان وتجاوز الحد وإيثار الدنيا على الآخرة، والترغيب في مراقبة الله عز وجل وخوف الوقوف بين يديه.

٦- كثرة سؤال الناس للنبي ﷺ عن الساعة متى قيامها تكذيباً بها وإنكاراً لها من أكثر الناس، واستعداداً لها من بعضهم.

٧- تفرده عز وجل بعلم الساعة متى وقوعها وكيف يكون.

٨- أن النبي ﷺ لا يعلم متى الساعة، وإنما هو منذر ومحذر منها.

٩- قصر عمر الدنيا بالنسبة للآخرة وقصر عمر الإنسان فيها.

تفسير سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾﴾.

سبب النزول:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه «في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ قال: جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبيّ بن خلف، فأعرض عنه، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾﴾ فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين، قالت: فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: أترى فيما أقول بأساً؟، فيقول: لا، ففي هذا أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أنزل الله قوله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾﴾ في ابن أم مكتوم»(٣).

قوله: ﴿ عبس ﴾ أي: قطب جبينه، وما بين عينيه.

﴿ وتولى ﴾ أعرض، والمراد بهذا النبي ﷺ وجاء الكلام بضمير الغيبة في قوله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ تلطفاً معه ﷺ في العتاب.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ هو عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه وهو رجل أعمى جاء إلى النبي ﷺ يستقرئه ويطلب منه أن يعلمه مما علمه الله، وكان ﷺ منشغلاً في دعوة من يطمع في إسلامهم من أشراف وعظماء قريش ليُسْلم بإسلامهم خلق كثير فعبس وجهه

---

(١) اخرجه أبو يعلى في «مسنده» فيما ذكر ابن كثير في «تفسيره» ٨/٣٤٣.

(٢) اخرجه الترمذي في «تفسير سورة «عبس» ٣٣٣١، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/١٠٢ وقال الترمذي «حديث حسن غريب».

(٣) اخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/٣٣٩٩.

ﷺ وأعرض عنه طمعاً في إسلام أولئك فعاتبه الله عز وجل على ذلك.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ الواو: عاطفة، و«ما» اسم استفهام، والخطاب للنبي ﷺ و«يزكى» أصلها «يتزكى» فأدغمت التاء بالزاي للتخفيف. أي: وما يعلمك يا محمد لعل هذا الرجل الأعمى يتطهر وتزكو نفسه.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ قرأ عاصم (فتنفعه) بنصب العين، وقرأ الباقون برفعها، أي: أو لعله يتعظ فتنفعه الموعظة.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ «أما» حرف شرط وتفصيل، و«من» موصولة أي: وأما الذي استغنى بماله وقوته وجاهه، فأعرض عن الموعظة، ورأى أنه في غنى عنها كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٨ ـ ١٠].

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير بتشديد الصاد، وقرأ الباقون بتخفيفها.

أي: فأنت تتعرض له وتقبل عليه، وتطلب إقباله طمعاً في هدايته وإسلامه.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي: وما عليك ألا يتطهر هذا المستغني أي: لست ملزماً بهدايته كما قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ أي: وأما الذي جاءك مقبلاً ﴿يسعى﴾ في طلب التطهر والموعظة.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أي: وهو يخاف الله عز وجل بقلبه.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ أي: تتشاغل عنه بغيره.

وفي هذا وما قبله إشارة إلى حرص هذا الرجل الأعمى على التزكي والتذكر وأنه أرجى بالتزكي والتذكر من أولئك الأشراف الذين يرون أنهم في غنى عن ذلك، ولقد كان لهذا الرجل الأعمى شأن عظيم في الإسلام، فهو الذي أنزل الله فيه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥]، لما جاء يشتكي إلى رسول الله ﷺ ضرارته وأنه لا يستطيع الجهاد[1] وهو مؤذن رسول الله ﷺ وروى عنه عدة من الأحاديث رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٢٨٣٢، والنسائي في الجهاد ٣٠٩٩، والترمذي في التفسير ٣٠٣٣، وأحمد ٥/ ١٨٤، ١٩١ ـ من حديث زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ وأخرجه البخاري أيضا ٢٨٣١، ومسلم في الإمارة ١٨٩٨ وغيرهما من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه.

وفي هذه الآيات ما يبين بجلاء قيام هذا الدين الإسلامي على العدل في جميع أحكامه، ومن ذلك المساواة في الدعوة إلى الله بين سائر طبقات الناس، الغني والفقير، والشريف والوضيع، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والكبار والصغار. فلا يجوز تحت أي مبرر كان ترك المساواة في هذا، فمع أنه ﷺ انما تشاغل عن هذا الأعمى بمن يرى أن في إسلامه أثراً في إسلام غيره لمكانته في قومه، وأيضاً فإن هذا الأعمى قد آمن وإنما يريد زيادة الاسترشاد، لكن الله عز وجل عاتبه على ما حصل منه تأكيداً لوجوب المساواة بين الناس في دعوتهم إلى الله عز وجل.

ولقد حاول المكذبون وأعداء الرسل التمييز بين طبقات الناس في الدعوة إلى الله فقال قوم نوح عليه السلام له: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: ٢٧]، وقالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، فقال لهم نوح عليه السلام ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٩، ٣٠].

وهكذا قال المشركون للنبي محمد ﷺ اطرد هؤلاء المستضعفين ونتبعك فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وفي الآية دليل على القاعدة المشهورة أنه «لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة».

وفي هذا أعظم الدلالة على أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل والرد على من يزعمون أن الرسول ﷺ افتراه من عند نفسه إذ كيف يعاتب المرء نفسه.

وفيه أن الرسول ﷺ ليس بمعصوم لا هو ولا غيره من الرسل من الوقوع في الصغائر[1] لكنهم لا يُقَرُّون عليها، ولا يؤخرون التوبة بل سرعان ما يحدثون توبة منها بتوفيق الله لهم، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها.

﴿كَلَّآ﴾ حقاً ﴿إِنَّهَا﴾ أي هذه الموعظة، أو هذه السورة، أو آيات القرآن الكريم ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: موعظة يتعظ بها ويعتبر من وفقه الله كما قال تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طه: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة: ٤٨].

---

(١) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٤/ ٣١٩.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي: فمن شاء ذكر الله عز وجل، وذكر مواعظ القرآن بقلبه ولسانه، وجوارحه الظاهرة والباطنة فاتعظ بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ [المدثر: ٥٤، ٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل: ١٩، الإنسان: ٢٩].

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ أي: آيات القرآن الكريم ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ وصحف وصحائف: جمع صحيفة. ومعنى ﴿ مكرمة ﴾ أي: معظمة عند الله عز وجل.

﴿مَّرْفُوعَةٍ ﴾ عالية القدر والمنزلة عند الله عز وجل.

﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ من الدنس والزيادة والنقص والتحريف والتبديل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ وهم الملائكة، وسفرة: جمع سفير يقال في جمعه: سفرة، وسفراء. وسمي الملائكة سفرة لأنهم كتبة يكتبون الوحي والأعمال ونحو ذلك.

والسِّفر بالكسر الكتاب، والجمع أسفار، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ﴾ [الجمعة: ٥]، أي: كتباً في العلم لا ينتفع بها.

وسمي الملائكة سفرة أيضاً من السفارة وهي الوساطة، لأنهم وسطاء بين الله وبين رسله وخلقه، فجبريل عليه السلام هو السفير والواسطة بين الله عز وجل وبين رسله في تبليغ وحيه عز وجل إليهم، والكتبة الذين يكتبون أعمال بني آدم سفراء بين الله وبين خلقه في ذلك، وكذلك الحفظة للإنسان والموكلون بتدبير أوامر الله في خلقه وغيرهم كل هؤلاء سفراء بين الله وبين خلقه، والسفير هو الواسطة بين الناس وفي حديث أبي رافع رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وكنت السفير بينهما»[1].

قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي ... وما أمشي بغش إن مشيت

﴿كِرَامٍۭ﴾ في أخلاقهم أي: ذوي أخلاق كريمة، وصفات شريفة، خَلْقاً، وخُلُقاً مكرمين

(١) أخرجه مسلم في النكاح - تحريم نكاح المحرم ١٤١١.

عند الله عز وجل، ومكرمين عند خلقه كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات: ٢٤]، أي: حديث ضيوفه المكرمين من الملائكة.

﴿بَرَرَةٍ﴾ في قلوبهم وأعمالهم، أي: بارين مطيعين لله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

وهكذا ينبغي لحامل القرآن وقارئه أن يتدبره فيتخلق بأخلاقه، ويتأدب بآدابه ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران»(١).

الفوائد والعبر:

١- معاتبة الله عز وجل لنبيه ﷺ في عبوسه وإعراضه عن هذا الرجل الأعمى وإقباله على غيره.

٢- أنه ﷺ ليس معصوماً من الوقوع في الصغائر وغيره من الرسل من باب أولى لكنهم لا يُقَرُّون عليها وسرعان ما يتوبون منها بتوفيق الله لهم.

٣- إثبات صدق رسالته ﷺ وما جاء به من عند الله تعالى.

٤- وجوب التسوية في الدعوة إلى الله بين سائر طبقات الناس، والعناية بدعوة وتعليم من جاء مقبلاً يريد التذكر والتطهر، وعدم الانشغال عنه بدعوة المعرضين.

٥- هداية القلوب وتزكيتها بيد الله عز وجل فقد يتزكّى ويتذكر ويهتدي من لا يظن به ذلك، وقد لا يتزكى، ولا يتذكر، ولا يهتدي من طمع في هدايته.

٦- ثناء الله - عز وجل - على الأعمى عبد الله بن أم مكتوم - رضي الله عنه - حيث جاء مقبلاً على الله طالباً الهداية والتذكرة يرجو ثواب الله ويخشى عقابه، وذم المعرض عن ذلك المستغني عن التذكرة وعن ربه.

٧- بلوغ القرآن الغاية في التذكير إقامة للحجة على الخلق لقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ [النساء: ٥٨].

٨- إثبات المشيئة للإنسان لقوله ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾، وفي هذا رد على الجبرية.

٩- عظم منزلة القرآن الكريم وعلو مكانته ورفعته عند الله عز وجل وحفظه من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل والتغيير.

١٠- فضل الملائكة وكرامتهم عند الله عز وجل وطاعتهم له.

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة عبس ٤٩٣٧، ومسلم في الصلاة - فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع به ٧٩٨، وأبو داود في الوتر - ثواب قراءة القرآن ١٤٥٤، والترمذي في فضائل القرآن - فضل قارئ القرآن ٢٩٠٤، وابن ماجه في الأدب - ثواب القرآن ٣٧٧٩، وأحمد ٦/ ٤٨، ٩٤.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

بعد ما بين عز وجل أن آيات القرآن الكريم تذكرة وعظة لمن يتعظ أتبع ذلك بلعن الإنسان الذي كفر بذلك وأنكر البعث، وطرده عن رحمة الله وإهلاكه، وتوبيخه وتذكيره بأصل خلقه وضعفه وحقارته ومراحل حياته، وقدرته عز وجل التامة على ذلك للاستدلال بذلك على قدرته التامة على بعثه بعد الموت كما قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف: ٣٧].

قوله ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: لعن وطرد عن رحمة الله، وأهلك الإنسان الكافر المكذب بالبعث، المنكر له.

﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ «ما» استفهامية، أي: ما الذي حمله على الكفر، وقد تكون «ما» للتعجب، أي: ما أعظم كفره وما أشده، كذّب الرسول ﷺ والقرآن الكريم، وأنكر البعث والمعاد والحساب والجزاء مع قيام الحجة ووضوح الأدلة والبراهين على ذلك.

﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ الاستفهام للتقرير، وكلمة «شيء» نكرة في سياق الاستفهام تفيد التحقير والتقليل أي: من شيء حقير مهين ضعيف خلقه وأوجده.

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ النطفة الماء القليل، أي: من ماء قليل، وهو مني الرجل والمرأة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: ٦٧].

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي: قدر خلقه أطواراً: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة وقدّر أجله ورزقه

وعمله وشقي أو سعيد كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فيكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد»(١).

وقدَّره أيضاً بأن سوى خلقه وأتمَّه وأكمله كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ ثم الطريق للخروج من بطن أمه يسره وسهله، وكذا الطريق لمعرفة الخير والشر يسره وبينه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠]، أي: بينا له طريق الخير والشر.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ﴾ أي: ثم بعد أن أحياه عز وجل ما شاء من العمر أماته بقبض روحه وإخراجها من البدن.

﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ جعله ذا قبر، أي: جعل له قبراً يواري جسده ستراً وإكراماً له وتشريفاً واحتراماً.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي: ثم متى شاء عز وجل بعثه وأحياه بعد موته للحساب والجزاء كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٤٠].

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «اللهم بك أحيا وأموت وإذا أصبح قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يُركَّب»(٣).

فاستدل عز وجل بقدرته على خلق الإنسان من نطفة على قدرته على بعثه من باب أولى وأحرى كما قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ

---

(١) اخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢٠٨، ومسلم في القدر ٢٦٤٣، وأبو داود في السنة ٤٧٠٨، والترمذي في القدر ٢١٣٧، وابن ماجه في المقدمة ٧٦.

(٢) اخرجه البخاري في التوحيد ٧٣٩٤، وأبو داود في الأدب ٥٠٤٩، والترمذي في الدعوات٣٤١٧، وابن ماجه في الدعاء ٣٨٨٠.

(٣) اخرجه البخاري في تفسير سورة الزمر ٤٨١٤، ومسلم في الفتن ـ ما بين النفختين ٢٩٥٥ وأبو داود في السنة ٤٧٤٣، والنسائي في الجنائز ٢٠٧٧، وابن ماجه في الزهد ٤٢٦٦، وأحمد ٢/ ٣١٥.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥].

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ «كلا» للردع والزجر، أي: كلا لما يقض الإنسان ﴿مَا أَمَرَهُ﴾ أي: لم يؤد الذي أمره الله عز وجل به من الفرائض والواجبات.

أو ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ﴾ الله ﴿مَا أَمَرَهُ﴾ أي: ما أمر به كوناً وقدراً، أي: أنه لم يأت ولم يحن وقت أمره بنشر الخلائق وبعثهم وحسابهم، بل له موعد منتظر.

قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾.

استدل عز وجل بالآيات السابقة على قدرته التامة على البعث بخلق الإنسان من النطفة، ثم استدل على ذلك بإحياء الأرض بعد موتها في هذه الآيات وفي هذا وذاك امتنان على الإنسان، وتذكير له بنعم الله عز وجل عليه.

قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ أي: فلينظر الإنسان إلى طعامه ويتأمل فيه، من أين هو، وما هي أسبابه ومراحله، وليعلم أن من وراء ذلك خالقاً عظيماً ومدبراً حكيماً، وأن لذلك أسباباً ومراحل قدرها وأوجدها العليم الخبير كما قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ [الروم: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤)﴾ [الواقعة: ٦٥، ٦٦].

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ قرأ الكوفيون بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها، أي: أنا أنزلنا الماء من السماء والسحاب على الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩)﴾ [الفرقان: ٤٨].

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ أي: ثم شققنا الأرض للنبات ﴿ شقا ﴾ كثيراً فنبت ونما وظهر على وجه الأرض.

﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ أي: فأنبتنا في الأرض أنواع الحبوب كالبر والأرز والذرة والشعير وغير ذلك.

﴿وَعِنَبًا﴾ يأكلونه طرياً وجافاً، وهو من أفضل وأنفع الفواكه، ولهذا خصه بالذكر من

بين الفواكه.

كما امتن الله عز وجل به على أهل الجنة فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٢]، مع الفرق الشاسع والبون الواسع بين عنب الجنة وعنب الدنيا.

﴿وَقَضْبًا﴾ القضب: هو العلف الذي تأكله الدواب من القت وغيره.

﴿وَزَيْتُونًا﴾ الزيتون من أفضل الأشجار وأكثرها بركة يؤكل ثمرها، ويتخذ زيتها أُدْماً، ويدهن ويستشفى به، ويستصبح به، وغير ذلك، أقسم الله تعالى به في قوله ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ [التين: ١]، وامتدح شجرته بقوله: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥].

﴿وَنَخْلًا﴾ يؤكل ثمرها بسراً ورطباً وتمراً، وهي من أفضل وأبرك الأشجار، وثمرها من أفضل الثمار، إن لم يكن أفضلها، ويعد غذاء كاملاً، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ [ق: ١٠].

وقال ﷺ : «إن من الشجر شجرة مثلها مثل المؤمن ـ النخلة»[(١)]

وفي حديث عروة بن الزبير أنه سأل خالته عائشة رضي الله عنها لما أخبرته أنه يمر الشهران ما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قال عروة: فقلت: يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت: «الأسودان: التمر والماء»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله، يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله، أو جاع أهله، قالها مرتين أو ثلاثاً»[(٣)].

ولفضل النخل وثمرها ذكرها الله عز وجل من أشجار الجنة فقال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨] مع الاختلاف الكبير بين نخل الجنة ونخل الدنيا.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ أي: وبساتين ذات أشجار طويلة كبيرة، كثيرة متنوعة

﴿وَفَٰكِهَةً﴾ الفاكهة كل ما يتفكه به من أنواع الثمار ويؤكل طرياً رطباً، أي: وأنبتنا لكم فيها الأشجار المختلفة ذات الفواكه والثمار المتنوعة.

---

(١) أخرجه البخاري في العلم ٦١، ومسلم في صفات المنافقين ٢٨١١ ـ من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في الهبة وفضلها ٢٥٦٧، ومسلم في الزهد والرقائق ٢٩٧٢، والترمذي في صفة القيامة ٢٤٧١، وابن ماجه في الزهد ٤١٤٥.

(٣) أخرجه مسلم في الأشربة ٢٠٤٦، وأبو داود في الأطعمة ٣٨٣١، والترمذي في الأطعمة ١٨١٥، وابن ماجه في الأطعمة ٣٣٢٧.

﴿وَأَبًّا﴾ الأبّ: الكلأ والعشب الذي ترعاه البهائم والأنعام.

وقد رُوِي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: «أي: سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قرأ عمر بن الخطاب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ قال: عرفنا ما الفاكهة، فما الأب؟، فقال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف»[(٢)].

وقد امتن الله عز وجل في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بإنزال الماء وإخراج النبات والزروع والفواكه والثمار، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [النحل: ١٠، ١١].

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ أي: متعة ومعاشاً لكم ولأنعامكم تتمتعون بها في هذا الدار الفانية، وفي إخراج طعام الإنسان من الأرض دليل على إخراجه منها بعد موته، ولهذا أتبعه بقوله ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ الآيات.

الفوائد والعبر:

١- حكم الله عز وجل الكوني على الإنسان الكافر بالإهلاك والطرد من رحمته لقوله (قتل الإنسان ما أكفره) وجواز الدعاء عليه بذلك.

٢- الإنكار على الإنسان الكافر وتوبيخه، والتعجب من إعراضه وكفره وإنكاره البعث مع وضوح الحجة وبيان المحجة وتمام قدرة الله وإنعامه عليه.

---

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام عن إبراهيم التيمي، قال: سئل أبو بكر ـ إلى آخره ـ ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/٣٤٨، وقال: «وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق».

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ١٢٠ وقال ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٣٤٨: «إسناده صحيح».

٣- تذكير الإنسان بضعفه وتقدير أطوار خلقه في بطن أمه ثم ولادته، ثم موته ودفنه، ثم بعثه ونشره إذا شاء عز وجل ذلك، ليستدل بذلك على عظيم قدرة الله عز وجل ويعرف نعمة الله عز وجل عليه فينقاد لأمره.

٤- زجر الإنسان الكافر وردعه في عدم امتثاله لما أمره الله عز وجل به.

٥- إثبات المعاد، وأن نشر الخلائق وبعثهم وحشرهم له موعد ووقت قضاه الله لم يأت بعد، وإذا جاء لا يؤخر.

٦- يجب على الإنسان النظر والتأمل في طعامه، وأسبابه، ومراحل تكوينه من صب الماء من السماء، وشق الأرض وإنبات النبات من الحبوب والعنب والقضب والزيتون والنخل والفاكهة والأب والتي أخرجها الله متعة للناس ولأنعامهم للامتنان عليهم بذلك وليعرفوا تمام قدرة الله تعالى وعظم نعم الله عليهم فيشكروها بطاعته ـ عز وجل.

٧- الإشارة لحقارة الدنيا وفنائها وأنها مجرد متاع ثم تنقضي وتزول.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة من دلائل قدرته على البعث قدرته على خلق الإنسان وعلى إحياء الأرض بعد موتها، ثم ختم عز وجل السورة بذكر أحوال الناس في ذلك اليوم العظيم يوم القيامة كما ختم سورة النازعات قبلها بنحو من هذا.

قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ كقوله في سورة النازعات ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ و«الصاخة» القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الآذان بصيحتها وأهوالها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ أي: يوم مجيء الصاخة والقيامة ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾ أي: يهرب الإنسان من عظم الخطب وشدة الكرب من أعز الناس عليه وأقربهم وأحبهم إليه، مع رؤيته لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠، ١١].

﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ الأخ من شارك الإنسان في أصليه أو في أحدهما، فقد يكون شقيقاً، وقد يكون أخاً لأب، وقد يكون أخاً لأم، وليس الأخ بأقرب، ولا بأحق ممن ذكروا بعده، ولا بأحب منهم غالباً لكنه قُدم عليهم ـ والله أعلم ـ لأن الإخوة غالباً يعتد بعضهم ببعض للنصرة في الدنيا، وبخاصة الإخوة من جهة العصبة والنسب كما قال قائلهم:

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساع إلى الهيجا بدون سلاح[1]

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ أي: ويفر ويهرب من أمه الحنون العطوف، حلوة اللبن، ومن أبيه الذي كان يحوطه ويرعاه، وقد كانا سبب وجوده في هذه الحياة، وأعظم الناس حقاً عليه، قرن الله عز وجل حقهما بحقه في آيات عدة، وقدم عز وجل الأم هنا لعظم حقها كما قال ﷺ للرجل الذي سأله يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟، قال: «أمك»، قال: ثم من؟، قال: «أمك»، قال: ثم من؟، قال: «أمك»، قال في الرابعة: ثم من؟، قال: «أبوك»[2].

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته، أي: ويهرب من زوجته الحبيبة رفيقة عمره، وسكنه الذي يسكن

---

(١) البيت للربيع بن ضبع الفزاري.
(٢) أخرجه البخاري في الأدب ٥٩٧١، ومسلم في البر والصلة والآداب ٢٥٤٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إليه في الدنيا والتي يحفظها ويصونها، ولا يسمح لأعين الآخرين أن تنظر إليها في الدنيا.

﴿وَبَنِيهِ﴾ جمع ابن، أي: ويهرب الإنسان من أبنائه الذين هم فلذة كبده وثمرة فؤاده يتزين بهم في الدنيا ويعتز ويفتخر، وهم أقرب الناس وأحبهم إليه.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: لكل إنسان من هؤلاء يوم القيامة أمر يشغله عن غيره، أي: كل منهم منشغل بطلب الخلاص لنفسه، لا يلوي على شيء سواها، ويخاف أيضاً من حقوق الآخرين عليه، وأن يروا ما ينزل به، ولهذا ولغيره فهو يفر من أقرب الأقربين إليه وأحبهم وأغلاهم لديه.

ولهذا لما قال ﷺ: «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً» قالت عائشة رضي الله عنها: واسوأتاه الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟، قال ﷺ: «الأمر أعظم من أن ينظر بعضهم إلى بعض»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم ونوح وغيرهما من الأنبياء كل منهم يقول: «نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري» حتى تنتهي إلى محمد ﷺ فيشفع لهم إلى ربه عز وجل(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تحشرون حفاة عراة غرلاً، فقالت امرأة، أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: يا فلانه: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، أو ما أشغله عن النظر»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً»، فقالت عائشة: يا رسول الله، فكيف بالعورات؟ وفي رواية أنها قالت يا رسول الله: واسوأتاه الرجال والنساء، قال يا عائشة: «الأمر أعظم من ذلك ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ »(٤).

وعن عكرمة قال: «يلقى الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه، أي: بعل كنت لك؟

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق – الحشر ٦٥٢٧، ومسلم في صفة الجنة – فناء الدنيا ٢٨٥٩ – من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء ٣٣٤٠، ومسلم في الإيمان ١٩٤، والترمذي في صفة القيامة ٢٤٣٤.

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير سورة «عبس» ٣٣٣٢، وقال «حديث حسن صحيح»، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٠٠.

(٤) أخرجه النسائي في الجنائز – باب البعث ٢٠٨٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٠٠، وروي من حديث سودة بمعناه، أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ١٢٥.

فتقول: نعم البعل كنت، وتثني بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلي أنجو مما ترين، فتقول له: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخاف، قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول: يا بني، أيّ والد كنت لك؟ فيثني بخير، فيقول له: يا بني، إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾»[1].

فما أصعب هذا الموقف، وما أشده، وما أعظمه إذ كيف يهرب الإنسان من أعز الناس عليه وأقربهم وأحبهم إليه؛ أخيه وأمه وأبيه وزوجته وبنيه؟ وكيف تذهل فيه المرضعة عما أرضعت كما قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢] إنها شدائد القيامة وكرباتها وأهوالها العظام ـ اللهم ارحمنا برحمتك والطف بنا يا لطيف.

تبرأ الشركاء والأنصار، وفر الأقارب والأصهار، وانقطع الرجاء إلا من الواحد القهار، وانشغل كل بنفسه عن غيره يبغي لها النجاة من النار.

وقد أحسن القائل:

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها ... لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وإذا كان الإنسان سينشغل بنفسه عن أعز الناس لديه وأقربهم وأحبهم إليه في ذلك اليوم، فيا ليت الكثيرين ـ اليوم ـ ممن يرى الواحد منهم القذاة في عين أخيه، ولا يرى الجذع في عينه يتذكرون هذا فينشغلون في هذه الحياة بعيوبهم عن عيوب الآخرين ويا ليت من يتناصرون بينهم من أقارب وغيرهم في الباطل يتذكرون هذا الموقف العصيب فيرتدعون.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ أي: في ذلك اليوم العظيم ينقسم الناس إلى فريقين: فريق وجوههم ﴿مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ وهم المؤمنون – نسأل الله تعالى من فضله – ومعنى ﴿ مسفرة ﴾ أي: **مشرقة مضيئة مستنيرة، كما جاء في** الحديث: «**أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر**»[2].

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٣٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢٤٦، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٣٤، والترمذي في صفة الجنة =

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ أي: ظهر عليها السرور والبشر الدال على سرور القلب وابتهاجه، واستبشرت بالجنة كما قال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: وفريق وجوههم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: عليها غبار.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ تغشاها وتعلوها ظلمة شديدة وسواد.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أي: أولئك الموصوفون بهذه الصفات ﴿هُمُ الْكَفَرَةُ﴾ الذين كفروا بالله بقلوبهم فأنكروا ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته وآياته وشرعه ورسالاته.

﴿الْفَجَرَةُ﴾ الذين ارتكبوا الفجور بجوارحهم وأعمالهم الظاهرة كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٧].

الفوائد والعبر:

١- شدة أهوال القيامة وصيحتها.

٢- انشغال كل إنسان في ذلك اليوم بخلاص نفسه، وفراره من أقرب الناس إليه، أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه.

٣- يجب استحضار هذا المشهد، وأنه في ذلك اليوم لا ينفع أحد أحداً.

٤- انقسام الناس في ذلك اليوم إلى فريقين حسب أعمالهم فريق وجوههم مسفرة مستنيرة ضاحكة مسرورة مستبشرة بما أعد لها من النعيم والكرامة وهم المؤمنون، وفريق وجوههم يعلوها الغبار، وتغشاها الظلمة والسواد وهم الكفرة الفجرة.

٥- الترغيب في الإيمان والعمل الصالح، والترهيب من الكفر والفجور.

=

٢٥٣٧، وابن ماجه في الزهد ٤٣٣٣ - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تفسير سورة التكوير

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾، و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ »[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾.

قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ «إذا» ظرفية شرطية غير جازمة وتكوير الشيء بمعنى لفه. أي: إذا الشمس لفت وذهب بنورها ورمي بها في النار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة»[2].

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه: «الشمس والقمر نوران في النار يوم القيامة»[3].

وفي ذلك إغاظة للذين عبدوها من دون الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾ [الأنبياء: ٩٨].

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي: انتثرت وتساقطت كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: ٢].

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: جعلت تسير تمهيداً لدكها ونسفها كما قال تعالى ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ [الطور: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [النبأ: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤﴾ [الحاقة: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٧، ٣٦، والترمذي في تفسير سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ٣٣٣٣ – وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق – صفة الشمس والقمر بحسبان ٣٢٠٠.

(٣) أخرجه البزار فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٣٥٢.

عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧].

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ العشار: النوق الحوامل في الشهر العاشر، واحدها عُشَراء، وهي خيار الإبل، وأنفس الأموال آنذاك.

﴿عُطِّلَتْ﴾ أي: تخلى عنها أهلها وأهملوها بلا راع ولا حلب وسُيِّبت، وهي من أنفس الأموال، وذلك لظهور علامات القيامة ومقدماتها، وانعقاد أسبابها.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾ الوحوش: جمع وحش، وهو الحيوان المتوحش الذي ينفر من الناس بخلاف الحيوان الإنسي والأهلي، والمراد بالوحوش هنا ـ والله أعلم ـ جميع الحيوانات والبهائم، وإنما خصت الوحوش بالذكر لأنها إذا حشرت مع توحشها فغيرها من باب أولى.

﴿حُشِرَتْ﴾ أي: جمعت في أرض المحشر. والحشر: الجمع، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص: ١٩] فتجمع الوحوش والبهائم ليقتص لبعضها من بعض، كما في الحديث، «حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم يقال لها كوني تراباً»(١).

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِرَتْ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (سُجِرت) بتخفيف الجيم، وقرأ الباقون بتشديدها (سُجِّرت)، أي: وإذا البحار العظيمة التي تمثل نحو ثلاثة أرباع الأرض أو أكثر أشعلت وأوقدت فصارت ناراً تتأجج، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ [الطور: ٦]، أي: المؤجج ناراً.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي: جمع كل شكل إلى نظيره ومثيله وشكله كما قال تعالى: ﴿۞ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، فجمع أهل الخير إلى بعضهم، وجمع أهل الشر إلى بعضهم.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سئل عمر عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ فقال: «يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، فذلك تزويج الأنفس»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) اخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٠٤.

وقيل: «وإذا النفوس زوجت ﴾ أي: زوجت الأرواح بالأجساد، أي: ردت كل روح إلى جسدها.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ الموءودة: هي البنت تدفن وتدس في الأرض وهي حية بعد ولادتها كما كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، فإذا ولد لأحدهم أنثى ساءه ذلك كراهة منهم للبنات مخافة العار والفقر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: ١٧، ١٨].

فيوم القيامة تسأل الموءودة هذا السؤال ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ قرأ أبو جعفر بتشديد التاء «قتّلت»، وقرأ الباقون بتخفيفها أي: بسبب أي ذنب «قتِلت»، وهذا السؤال لتوبيخ قاتلها، وجوابه: أنها قتلت بلا ذنب.

ومن الوأد إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه، أي: بعد مضي مائة وعشرين يوماً عليه، من غير ضرورة، وقد عد ﷺ العزل من ذلك.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سئل عن العزل فقال: «ذلك الوأد الخفي»(١).

وعن سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الوائدة والموءودة في النار، إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها»(٢).

وعن حسناء ابنة معاوية بن الصريمة عن عمها قال: قلت: يا رسول الله، من في الجنة؟ قال: «النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والوئيد في الجنة»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الموءودة هي المدفونة فمن زعم أنها في النار فقد كذب، بل هي في الجنة».

وفي رواية عنه قال: «أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب يقول الله عز

---

(١) أخرجه مسلم في النكاح – جواز الغيلة، وهي: وطء المرضع وكراهة العزل ١٤٤٢، وأبو داود في الطب – باب في الغيل ٣٨٨٢، والنسائي في النكاح – باب الغيلة ٣٣٢٦، والترمذي في أبواب الطب – ما جاء في الغيلة ٢٠٧٢، وابن ماجه في النكاح – باب الغيل ٢٠١١، وأحمد ٦/ ٤٣٤.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٧٨.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٥٨.

وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾، قال ابن عباس: هي المدفونة»[1].

ولو صح قول من قال الموءودة في النار فيما إذا كان أبوها غير مسلم، فإنه لا يصح أن يقال: إنها في النار إذا كان أبوها مسلماً، لأنه لا إشكال أن أطفال المسلمين معهم في الجنة، وفي أولاد المشركين الخلاف هل هم في الجنة أو في النار مع آبائهم، أو يمتحنون في عرصات القيامة وهذا هو الأظهر، وفيه جمع بين الأقوال.

ورُوِيَ عن خليفة بن حصين، قال: «قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية، أو ثلاث عشرة، قال: «أعتق عددهن نسماً» فأعتق عددهن نسماً»[2].

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب وعاصم بتخفيف الشين، وقرأ الباقون بتشديدها (نشِّرت) والصحف جمع صحيفة، وهي ما تكتب فيها الأعمال ومعنى ﴿نُشِرَتْ﴾ أي: أعطي كل إنسان صحيفته وكتاب أعماله بيمينه أو بشماله - مفتوحاً - يوم نشر الدواوين وتطاير الصحف، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، أي: وكل إنسان ألزمناه عمله في عنقه. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧١﴾ [الإسراء: ٧١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾ [الحاقة: ١٨، ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥﴾ [الحاقة: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الإنشقاق: ٧، ١٢].

وهذا مما يوجب على المسلم الإقلاع عن الذنوب والمعاصي ومحاسبة النفس محاسبة دقيقة كمحاسبة الشريك الشحيح لشريكه، بل أشد، والحرص على القيام بحقوق الله وحقوق الخلق.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ أي: كشفت وأزيلت عن مكانها وطويت، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٠٣ - ٣٤٠٤، ٣٤٠٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٠٧.

نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ قرأ نافع وأبو جعفر وابن ذكوان وحفص بتشديد العين (سعّرت)، وقرأ الباقون بتخفيفها.

و(الجحيم) اسم من أسماء النار سميت به لبعد قعرها وظلمتها وشدة حرها ﴿سعرت﴾ أي: أشعلت وأوقدت.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: قربت لأهلها وأدنيت إكراماً لهم.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ هذا هو جواب «إذا» في قوله ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ وما بعدها، أي: إذا وقعت هذه الأهوال وتبدلت الأحوال عند ذلك علمت كل نفس ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ أي: ما قدمت من عمل، من خير أو شر، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠].

الفوائد والعبر:

١- عظم أهوال يوم القيامة وشدتها.

٢- تبدل الأحوال في ذلك اليوم وتغيرها فالشمس تكور، والنجوم تتساقط، والجبال تسير، والبحار تؤجج ناراً، والسماء تزال عن مكانها إلى غير ذلك، وهذا يدل على أن دوام الحال من المحال وأن البقاء للحي القيوم سبحانه وتعالى.

٣- انشغال الناس عند ظهور علامات القيامة وأهوالها عن أنفس أموالهم.

٤- بلاغة القرآن الكريم في مخاطبة الناس بما يعرفون لقوله ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ وقد كانت حين نزول القرآن الكريم هي أنفس الأموال عند العرب.

٥- جمع الوحوش والبهائم يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض ثم يقال لها كوني تراباً.

٦- جمع كل شكل إلى نظيره وقرينه في ذلك اليوم الأخيار مع الأخيار والأشرار مع الأشرار.

٧- سؤال الموءودة عن سبب قتلها وبأي ذنب، توبيخاً وتقريعاً لقاتلها وانتصاراً لها.

٨- تطاير الصحف ونشرها بين الخلائق فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره.

٩- تسعير الجحيم وإيقادها لتعذيب الكافرين والعصاة.

١٠- تقريب الجنة لأهلها المتقين تكريماً لهم.

١١- أن من كرم الضيافة أن يؤتى بالطعام إلى الضيوف ويوضع بين أيديهم، لا أن يهيأ ثم يقومون إليه.

١٢- علم كل نفس بما قدمته من خير أو شر بعد معاينتها لهذه الأهوال، واطلاعها على صحيفة أعمالها.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

عن عمرو بن حريث قال: «صليت خلف النبي ﷺ الصبح، فسمعته يقرأ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾»[(١)].

قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ الفاء: استئنافية. و«لا» للتنبيه وتأكيد القسم.

والتقدير: أقسم بالخنس. ولله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، لأن إقسامه عز وجل بها يدل على عظمته هو ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا بخلاف المخلوق فلا يقسم إلا بالله تعالى.

وخبر الله عز وجل صدق وقوله حق بلا قسم كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، وإنما جاء القسم في القرآن الكريم جرياً على أسلوب العرب في تأكيدهم الكلام بالقسم، وكذلك الحال بالنسبة لخبر الرسول ﷺ ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه «أخبرنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق»[(٢)].

و«الخنس» هي النجوم تخنس أي تختفي بالنهار، بعد ظهورها بالليل. ومنه سمي الشيطان بالخناس، لأنه يخنس ويختفي عند ذكر الله عز وجل.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين لقي النبي ﷺ وهو جنب قال: «فانخنست»[(٣)] أي اختفيت.

﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية يقال في جمعها: جوار، وجاريات أي: أنها تجري، أي: تسير، وليست بثابتة، ومن هنا سميت الكواكب السيارة.

---

(١) اخرجه مسلم في الصلاة – القراءة في الصبح ٤٧٥، وأبو داود في الصلاة ٨١٧، والنسائي في الافتتاح ـ القراءة في الصبح بإذا الشمس كورت ٩٥١، وابن ماجه في إقامة الصلاة ٨١٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣)اخرجه البخاري في الغسل ٢٨٣، وأبو داود في الطهارة ٢٣١، والترمذي في الطهارة ١٢١.

﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ الغُيَّب، أي: اللاتي يغبن بالليل، فهن يظهرن فيه ثم يغبن فأقسم عز وجل بالنجوم في أحوالها كلها، من طلوعها وجريانها وغروبها واختفائها.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أي: إذا أدبر وولى وذهب، ولهذا قال بعده ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: إذا أقبل وانفلق وأضاء وأسفر عقب إدبار الليل كما قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وكما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ [المدثر: ٣٣، ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ [الليل: ٢].

قال الشاعر:

حتـــى إذا الصـــبح لـــه تنفســـا   وانجـاب عنهـا ليلـها وعسعسـا[1]

ويحتمل أن معنى قوله ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أي: إذا أقبل بظلامه فيكون كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ [الليل: ١]، وقولـه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ [الضحى: ١، ٢]، والأول أظهر، وأعظم في الدلالة والعبرة.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا هو المقسم عليه، فأقسم عز وجل بالنجوم والليل إذا أقبل أو أدبر، والصبح إذا انفلق وأضاء على أن القرآن قول رسول كريم.

والضمير في «إنه» يعود إلى القرآن الكريم، وإن لم يسبق له ذكر في السورة لأنه معلوم معهود.

فأقسم عز وجل بهذه الآيات العظيمة وما فيها من الدلائل التامة على عظيم قدرة الله عز و جل ونعمه الجسيمة على أمر عظيم، وهو أن القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي: لتبليغ رسول كريم - وهو جبريل عليه السلام - كما قال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، فأضافه عز وجل إلى جبريل عليه السلام لأنه هو الواسطة بين الله عز وجل وبين الرسول ﷺ، كما أضافه إلى النبي ﷺ في قوله في سورة الحاقة ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الآيتان: ٤٠، ٤١] لأنه ﷺ هو المبلغ عن الله عز وجل، فهو كلام الله عز وجل سمعه جبريل من الله عز وجل، وسمعه محمد ﷺ من جبريل، وكل من جبريل ومحمد ﷺ مبلغ عن الله عز وجل ورسول من عنده.

---

(١) البيت لعلقمة بن قرط. انظر «مجاز القرآن» ٢/ ٢٨٧ - ٢٨٨، «جامع البيان» ٢٤/ ١٦٢.

وقسمه عز وجل في قوله ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤١] أعظم من قسمه في قوله هنا ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ﴾ الآيات لأن المقسم به في قوله ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أعم فهو يعم الإقسام بكل شيء.

وقوله ﴿ رسول ﴾ أي: ملك مرسل من عند الله عز وجل لتبليغ القرآن الكريم للرسول ﷺ، وهو جبريل عليه السلام ونكّره تعظيماً له عليه السلام.

﴿ كريم ﴾ شريف حسن الأخلاق والصفات، جميل المنظر بهي الصورة كثير الخير أجرى الله على يديه نقل رسالاته عز وجل إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، والتي فيها خير الدنيا والآخرة وهو أفضل الملائكة، وأعظمهم وأشرفهم عند الله عز وجل.

﴿ ذي قوة ﴾ أي: ذي قوة وشدة في خلقه، وفي بطشه وفعله كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٥، ٦].

فجبريل ـ عليه السلام بما منحه الله ـ عز وجل من قوة وشدة لا تستطيع الشياطين الدنو منه، ولا التعرض لما يحمله من وحي الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠، ٢١١] وهو بما منحه الله من قوة يوالي الرسول ﷺ ويناصره على من عاداه، وينفّذ بقوته ما أمر الله به، ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط عليهم فأهلكوا بأمر الله عز وجل.

﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي عند الله عز و جل صاحب العرش العظيم، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [غافر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٥، ١٦].

وذو العرش صاحب العرش سبحانه وتعالى الذي استوى على العرش، كما قال تعالى ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥].

﴿مَكِينٍ﴾ أي: له عند الله عز وجل مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، ووجاهة، وهو أقرب الملائكة إلى الله عز وجل.

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ «ثم» بمعنى «هناك» أي: مطاع أمره مسموع قوله في الملأ الأعلى لوجاهته وشرفه بين الملائكة.

﴿أَمِينٍ﴾ أي: ذو أمانة عظيمة على ما اؤتمن عليه من الوحي، فوصف عز وجل

جبريل عليه السلام بخمس صفات عظيمة، وهي كونه: كريماً، قوياً، ذا مكانة عند الله تعالى، مطاعاً في السموات، أميناً.

وكل هذه الصفات تتضمن تزكية سند القرآن الكريم، وأنه سماع محمد ﷺ من جبريل، وسماع جبريل عليه السلام من رب العالمين، وفيه تشريف وتعظيم للقرآن الكريم كما أن فيه مدحاً وتشريفاً لجبريل عليه السلام.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ الواو: عاطفة والجملة معطوفة على جملة جواب القسم، فهي من جملة المقسم عليه، والخطاب لأهل مكة، أي: وما صاحبكم يعنى محمداً ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ أي: بمختل العقل، كما تزعمون، وهم ـ وإن تفوهوا بهذا وزعموه ـ فهم يعلمون أنه ليس بمجنون، وأنهم كاذبون ولهذا قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ أي: الذي تعرفونه وتعرفون صدقه وأمانته وكمال عقله، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم: ٢].

وهذا رد على المشركين في زعمهم الباطل، كما قال الله تعالى عنهم ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر: ٦]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝١٤﴾ [الدخان: ١٤].

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ الواو: عاطفة، واللام للقسم، أي: والله لقد رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام على الصورة التي خلقه الله تعالى عليها، له ستمائة جناح.

﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: بالأفق البين الظاهر العالي، أفق السماء الشرقي وهي الرؤية الأولى التي كانت بالأبطح وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ٥ ـ ١٠].

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء ﴿بظنين﴾ أي: وما محمد على ما أنزل إليه من الوحي بمتهم بالكذب، بل هو صادق أمين، كما كان ﷺ يلقب بين قومه بالأمين وعلى هذا فالرسول الملكي أمين والرسول البشري أمين.

وقرأ الباقون بالضاد ﴿ بضنين ﴾، أي: وما محمد بما أنزل إليه من الوحي ببخيل، يقال: ضنّ، أي: بخل – كما قال الشاعر:

بــلادي وإن جــارت علــيَّ عزيــزة وأهلــي وإن ضــنوا علــيَّ كــرام

أي: وإن بخلوا.

وقال الآخر:

ألا أصبحت أسماء جاذمة الحبل وضنت علينا والضنين من البخل[١]

أي: وبخلت علينا.

والمعنى: وما محمد ﷺ على الوحي ببخيل، بل بذله ﷺ ونشره، وبلغه لكل أحد وأشهد على ذلك أمته، وربه.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي: ما هو مما توحيه شياطين الجن إلى شياطين الإنس من الكهنة ونحوهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢].

والشيطان: كل متمرد، عات، خارج عن طاعة الله عز وجل من الإنس والجن والحيوانات، قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١٢].

و«رجيم» «فعيل» بمعنى «مفعول» أي: مرجوم حساً ومعنى، بالرمي بالشهب وإخراجه من الجنة، وبلعنه وطرده عن رحمة الله عز وجل.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أي: أيّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريق التي بينت لكم؟ كما قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المرسلات: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣٢].

وأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بالقرآن وزعمكم أنه ليس بكلام الله، ورميكم الرسول ﷺ بالجنون، وإعراضكم عن طاعة الله تعالى مع وضوح الحق، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال: «ويحكم أين يُذهب بعقولكم، والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل، أي: من إله»[٢].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ «إن» نافية بمعنى «ما» لأنها جاءت بعدها «إلا»، أي: ما

---

(١) البيت للبعيث انظر «لسان العرب» مادة «ضنن».

(٢) انظر «تفسير ابن كثير» ٨/ ٣٦٢.

هو يعني القرآن الكريم إلا تذكير وموعظة للعالمين من الإنس والجن كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يوسف: ١٠٤]، يذكرهم بربهم وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقوقه على عباده، ويذكرهم بمبدئهم ومعادهم، وما فيه سعادتهم في دينهم ودنياهم وأخراهم.

وإنما يُخص بالتذكرة به المتقون والمؤمنون ونحو ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠] لأنهم هم الذين ينتفعون به، ولهذا قال بعد هذا.

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ هذا بدل من قوله ﴿ للعالمين ﴾ أي: للذي شاء منكم الاستقامة على الطريق المستقيم كقوله ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل: ١٩، الإنسان: ٢٩]. فلا سبيل للاستقامة على هذا الطريق إلا باتباع القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [طه: ٩٩ ـ ١٠١]، وقال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ «ما» نافية أي: وما تشاءون من شيء من استقامة أو غيرها إلا أن يشاء الله ذلك فلا يمكن أن يشاء الخلق إلا ما شاءه الله وأراده.

﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ خالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم و«العالمين» كل ما سوى الله عز وجل من الملائكة والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد، وغير ذلك، فما شاء سبحانه كان وما لم يشأ لم يكن.

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بالنجوم في أحوالها الثلاث حال اختفائها، وحال جريانها وحال غيبتها وبالليل في حال إقباله وإدباره وبالصبح في حال بروزه وظهوره على أن القرآن الكريم قول رسول كريم بلغه عن الله عز وجل وهو جبريل عليه السلام بلغه للنبي محمد ﷺ.

٢- شرف جبريل عليه السلام، وفضله من بين الملائكة حيث خصه الله عز وجل بتبليغ وحيه إلى رسله وامتدحه عز وجل بالكرم والقوة ورفعة منزلته عنده، وطاعته في الملأ الأعلى وأمانته على وحي الله عز وجل.

٣- تعظيم القرآن الكريم، وإثبات قوة سنده حيث إن الواسطة بين الله عز وجل وبين النبي ﷺ هو جبريل عليه السلام الأمين، الموصوف بما ذكر.
٤- الرد على المشركين في رميهم النبي ﷺ بالجنون.
٥- إثبات رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام بالأفق الظاهر الأعلى على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح.
٦- إثبات كرمه ﷺ في تبليغ الوحي وأمانته عليه، ونفي كونه بخيلاً به أو متهماً عليه.
٧- إثبات أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل وليس بقول شيطان رجيم كما زعم المشركون.
٨- انقطاع حجة المكذبين للقرآن الكريم، إذ لا طريق أبين وأوضح من طريق القرآن.
٩- أن القرآن الكريم ذكرى وموعظة للعالمين من الإنس والجن.
١٠- أن من يتذكر بالقرآن ويتعظ به هو من شاء الاستقامة وسلك طريق الحق وتحرى الرشد، وهم المؤمنون المتقون.
١١- إثبات المشيئة للإنسان وأنه ليس مجبوراً على أفعاله كما يقول الجبرية.
١٢- أن الدين الإسلامي وسط بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط لقوله ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾.
١٣ـ إثبات مشيئة الله ـ عز وجل ـ وإرادته الكونية، وإثبات ربوبيته العامة لجميع العالمين.
١٤- أن مشيئة الخلق ليست مستقلة لوحدها، بل هي تابعة لمشيئة الله عز وجل، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وفي هذا رد على القدرية الذين يزعمون أن العبد يستقل بمشيئته ويخلق فعله ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

تفسير سورة الانفطار

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطوّل فقال النبي ﷺ: «يا معاذ أفتّان أنت؟، اقرأ «والشمس وضحاها»، «والضحى»، «والليل إذا يغشى»، «وسبح اسم ربك الأعلى»[(١)].

وفي رواية «أفتّان يا معاذ؟، أفتان يا معاذ؟، «أين كنت عن «سبح اسم ربك الأعلى»، «والضحى»، و «إذا السماء انفطرت»[(٢)].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

قوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ «إذا» ظرفية شرطية غير عاملة.

﴿ٱنفَطَرَتۡ﴾ أي: انشقت كقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾﴾ [الانشقاق: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾﴾ [النبأ: ١٩].

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ أي: تساقطت كقوله ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: ٢].

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ أي: فجر بعضها على بعض فاختلط مالحها بعذبها وصارت بحراً واحداً.

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ أي: قلب ترابها وأخرج ما فيها من الموتى، فقاموا لله عز وجل.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾ أي: إذا وقعت هذه الأهوال والأحوال والعلامات الأربع آنذاك علمت كل نفس الذي قدمته من الأعمال الصالحة، والذي أخرته منها فلم تعمله، أو علمت الذي قدمته من خير أو شر، والذي أخرته من خير أوشر، وذلك بعد

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب ٦١٠٦، ومسلم في الصلاة ـ القراءة في العشاء ٤٦٥.
(٢) أخرجه النسائي في الافتتاح – القراءة في العشاء الآخرة ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ ٩٩٧.

العرض وتطاير الصحف.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ «يا» حرف نداء و«أي» منادى مبني على الضم في محل نصب، و«ها» للتنبيه، والمراد بالإنسان الكافر أو جنس الإنسان لأن الإنسان من حيث هو إنسان ظلوم جهول كفار.

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾ «ما» استفهامية و«غرك» بمعنى: خدعك، أي: أيّ شيء خدعك يا أيها الإنسان بربك، خالقك ومالكك ومدبرك ﴿الْكَرِيمِ﴾ كثير الخير والنوال، وعظيم النعم والأفضال، فكذبت خبره وأنكرت البعث، وعصيته وخالفت أمره، وارتكبت نهيه، كما رُوِيَ في الأثر: «**يقول الله يوم القيامة: ابن آدم ما غرك بي؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين**»[1].

قال جمع من السلف: غرّه والله جهله.

وقال بعضهم: غره كرم الله وحلمه لقوله ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[2].

أي: كيف عصيت ربك وخالفت أمره، وأنكرت نعمه وأفضاله عليك.

فقوله ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ مع دلالته على عظيم فضل الله على الإنسان بربوبيته وخيره المسدى إليه ـ فيه أيضاً تذكير وتنبيه إلى أن الواجب على الإنسان مقابلة نعم الله عليه بالشكر لا بالكفر.

وفي هذا تهديد ووعيد وتحذير للإنسان أن يغره الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، والهوى والدنيا.

قال الشاعر:

إنـي بليـت بـأربع لم يَخْلُقُـوا ... إلا الشـدائد شـقوتي وعنـائي

إبلـيس والـدنيا ونفسـي والهـوى ... كيـف الخـلاص وكلـهم أعـدائي

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٣٦٤.

(٢) انظر «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣٤٠٨.

وعليه أن لا يغتر بستر الله وكرمه وإمهاله فإن الله عز وجل يمهل ولا يهمل، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ أي: أوجدك وأنشأك من العدم ﴿فَسَوَّاكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة متناسب الأعضاء، كما قال تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧)﴾ [الكهف: ٣٧].

﴿فَعَدَلَكَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وعاصم بتخفيف الدال (فعَدَلك)، وقرأ الباقون (فعـدَّلك) بتشديدها أي: جعلك معتدل الخلق منتصب القامة في أحسن الهيئات والأشكال.

عن جبير بن نفير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه، فوضع عليها إصبعه ثم قال: «قال الله عز وجل: ابن آدم، أنى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة»[1].

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ﴾ أي: في أي صورة من الصور، وأي شكل من الأشكال ﴿مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أي: كيفما شاء عز وجل ركب صورتك وشكلك، وقد سوّى خلقتك وعدّل قامتك وحسّن صورتك، بفضله وكرمه عليك، فاشكره ولا تكفره ولو شاء لجعل صورتك قبيحة كصورة قرد أو خنزير أو كلب أو حمار، أو غير ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود؟ قال: «هل لك من أبل»؟ قال: نعم، قال: «فما ألوانها؟» قال: حمر قال: «فهل فيها من أورق؟»، قال: نعم، قال: «فأنى أتاها ذلك؟»، قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: «هذا عسى أن يكون نزعه عرق»[2].

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ قرأ أبو جعفر بالياء (يكذبون) وقرأ الباقون بالتاء (تكذبون).

﴿ كلا ﴾ للردع والزجر والوعيد والتهديد، و«بل» للإضراب الانتقالي، أي: مع هذا الخلق، والإعداد والإمداد ﴿تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ أي: بما جاء به الرسول ﷺ من الوحي والرسالة كما قال المكذبون للرسل ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)﴾

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢١٠، وابن ماجه في الوصايا – النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت ٢٧٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في الطلاق – إذا عرّض بنفي الولد ٥٣٠٥، ومسلم في اللعان ١٥٠٠، وأبو داود في الطلاق ٢٢٦٠، والنسائي في الطلاق ٣٤٧٨، والترمذي في الولاء والهبة ٢١٢٨، وابن ماجه في النكاح ٢٠٠٢.

[يس: ١٥]، وتكذبون بالبعث والحساب والجزاء على الأعمال، كما قالوا ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٧].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ الواو: حالية، أي: والحال إن عليكم لحافظين من الملائكة يحفظونكم ويحصون أعمالكم.

وأكد الجملة بـ «إن» واللام وحذف الموصوف الملائكة واكتفى بالصفة إشارة لشدة حفظهم وضبطهم لأعمال العباد، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ [الطارق: ٤]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨].

﴿كِرَامًا﴾ أي: ذوي أخلاق كريمة وصفات حميدة وعندهم من الكرم والأمانة والصفات الحميدة ما يجعلهم يقومون بما وكلوا به أتم قيام دون زيادة أو نقصان، كراماً عند الله تعالى كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٤﴾ [الذاريات: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ كرام بررة ﴾ [عبس: ١٦].

﴿كَاتِبِينَ﴾ أي: يكتبون جميع أعمالكم وأقوالكم، فاحذروا واستحيوا منهم، وأكرموهم فلا تقابلوهم بالقبائح، وأجِلُّوهم من أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم، فالملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ «ما» موصولة، أو مصدرية، أي: يعلمون الذي تفعلون، أو يعلمون فعلكم.

أي: يعلمون فعلكم بالمشاهدة، وأقوالكم بالسماع، وجميع أحوالكم بما أعلمهم الله عز وجل وأقدرهم عليه حتى أعمال القلوب، ولهذا قال ﷺ: «فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة»[1].

الفوائد والعبر:

١- عظم أهوال يوم القيامة وتبدل الأحوال فيها وتغيرها، فالسماء المحبوكة تنفطر، والكواكب تنتثر وتتساقط، والبحار يفجر بعضها على بعض، والقبور يخرج ما فيها من الأموات.

٢- إثبات البعث والمعاد.

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ـ من هم بحسنة أو بسيئة ٦٤٩١، ومسلم في الإيمان ـ إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب ١٣١ – من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

٣- علم كل نفس في ذلك اليوم بما قدمته من الأعمال وما أخرته، فلم تعمله.
٤- توبيخ الإنسان على جهله واغتراره بربه وكرمه، وتفريطه في حقه عز وجل.
٥- تذكير الإنسان بربوبية الله ـ عز وجل ـ له، وكرمه ـ عز وجل ـ وتمام قدرته، وعظيم نعمه عليه، خلقه فسواه وعدل صورته فجعله في أحسن خلقة وأجمل صورة، ولو شاء لجعله على أقبح صورة مما يوجب عليه شكر نعمة الله عليه وعبادته والانقياد له.
٦- الردع والزجر والتهديد والوعيد للمكذبين بالدين والحساب والجزاء على الأعمال.
٧- وجوب الإيمان بالحفظة الكرام من الملائكة، وكتابتهم لأعمال العباد.
٨- علم الملائكة الحفظة الكرام الكاتبين بأفعال العباد الظاهرة والباطنة، وكتابتهم لها بأمانة دون زيادة أو نقصان.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

بين عز وجل في الآيات السابقة أنه أوكل على الخلق ملائكة حافظين كراماً كاتبين يعلمون أفعال العباد ويكتبونها لمحاسبتهم ومجازاتهم عليها، ثم أتبع ذلك بذكر أن مآل الأبرار إلى النعيم وأن مآل الفجار إلى الجحيم.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ الأبرار: جمع «بَرّ» والبَرّ: كثير الطاعة، كثير الخير والإحسان، محسن في عبادة الله، ومحسن إلى عباد الله.

والبِرّ: حسن الخلق، وما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، كما قال ﷺ[(١)] وهو كلمة جامعة لخصال الخير كلها، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من الإيمان بالله وبجميع أركان الإيمان الستة وبكل ما يجب الإيمان به، وأنواع القربات والطاعات من الإنفاق على المحتاجين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد والصبر في البأساء والضراء وحين البأس، وتقوى الله، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى في وصف الملائكة ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٦]، أي: كرام مطيعين. وجماع ذلك تقوى الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩].

ومنه سمي بر الوالدين وهو طاعتهم والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم: ١٤].

وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنما سماهم الله الأبرار، لأنهم بروا الآباء والأبناء»[(٢)].

---

(١) اخرجه احمد ٤/ ١٩٤، والدارمي في الأضاحي ٢٥٣٣ – من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.
(٢) اخرجه ابن عساكر فيما ذكر ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٣٦٦.

والمراد بالأبرار أصحاب اليمين، وهم المقتصدون كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقد يراد بالأبرار هنا ما يشمل المقربين، السابقين إلى الخيرات بإذن الله، وذلك لأن الله ذكرهم في مقابل الفجار أصحاب الجحيم.

﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ اللام للتوكيد، والنعيم: ما يتنعم ويلتذ به، أي: إنهم في نعيم معنوي، وهو نعيم القلب، ونعيم حسي، وهو نعيم البدن، في جنات النعيم.

وهم أيضاً في نعيم معنوي وقلبي في حياتهم الدنيا لطمأنينتهم ورضاهم بقضاء الله وقدره وذكرهم له كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[1].

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ الفجار: جمع فاجر، وهم أهل الكفر والفجور، ضد الأبرار.

﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ اللام للتوكيد. والجحيم هي النار سميت بذلك لبعد قعرها وظلمتها وشدة حرها، فهم فيها في عذاب معنوي للقلب وعذاب حسي للبدن، كما أنهم في الدنيا في شقاء معنوي للقلب، وشقاء حسي للبدن.

قال ابن القيم[2]: «لا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ مختص بيوم المعاد فقط بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تبارك وتعالى، ومحبته، والعمل على موافقته، وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم..».

وقال في موضع آخر: «وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب، وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة، وتعلقه بغير الله، وانقطاعه عن الله، بكل واد منه شعبة، وكل من تعلق به وأحبه من دون الله، فإنه يسومه سوء العذاب».

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ويغمرون فيها ويقاسون حرها من كل جهة ومن كل جانب.

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: يوم القيامة، وسمي يوم الدين لأن الناس يدانون فيه بأعمالهم، أي:

---

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرقاق ٢٩٩٩ – من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٢) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ١٥٠.

يجازون بها ويحاسبون عليها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ أي: وما هم عن الجحيم بغائبين، أي: أنهم مقيمون فيها إقامة أبدية لا يخرجون عنها أبداً ولو ساعة كما قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٩]، وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر: ٤٩].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ «ما» للاستفهام في الموضعين وهو للتعظيم والتفخيم، أي: وما أعلمك.

﴿مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: ما هو يوم الدين، هو يوم عظيم لا كالأيام، يوم طويل، ثقيل عبوس قمطرير، عسير، شره مستطير، يشيب من هوله الوليد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾ [المطففين: ٤، ٥]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإنسان: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ١٠]، وقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر: ٩، ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٧].

﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ تأكيد لعظمة ذلك اليوم. أي: ثم ما أعلمك ما هو يوم الدين؟

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ تفسير لقوله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ وإيضاح له، أي: يوم الدين، هو ذلك اليوم الذي لا تملك فيه نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ ثم فسره بقوله

﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق: ١- ٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢﴾ ثم فسره بقوله ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ [البلد: ١١ – ١٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾ ثم فسره بقوله: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾ [القارعة: ١ ـ ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠﴾ ثم فسره بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٩ ـ ١١]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥﴾ ثم فسره بقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٤ ـ ٧].

ولهذا قال المفسرون إذا قال ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فإنه يدريه بمعنى يفسر ذلك له، وإذا قال ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فإنه لا يدريه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشورى: ١٧]، وقوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ [عبس: ٣].

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب برفع الميم: (يومُ)، وقرأ الباقون بنصبها.

«شيئاً» نكرة في سياق النفي تعم، أي: يوم لا تملك نفس لنفس أي شيء مهما كان صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً، من جلب نفع أو دفع ضر أو غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧] **فالناس في الدنيا يتناصرون ويدافع بعضهم عن بعض لكن في الآخرة هيهات ذلك.**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما أنزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمّ وخصّ، فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً»[1].

﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ **أي: والأمر في ذلك اليوم كله لله عز وجل وحده بلا منازع،**

---

(١) أخرجه البخاري في الوصايا ٢٧٥٣، ومسلم في الإيمان ٢٠٤، والنسائي في الوصايا ٣٦٤٤، والترمذي في التفسير ٣١٨٥، وأحمد ٢/ ٣٦٠.

كما قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]، وقال تعالى ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الحج: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ [الأنعام: ٧٣].

قال قتادة رحمه الله: «﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ والأمر - والله - اليوم لله، ولكنه يومئذ لا ينازعه أحد»[1].

وإن المسلم لتأخذه الدهشة أن يمر كثير من المسلمين على هذه الآية ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ ولا يستوقفه معناها، وهل كان الأمر في يوم من الأيام لغيره سبحانه؟ كلا، بل له الأمر اليوم وقبله وبعده، وفي ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم: ٤]، وإنما معنى ذلك أنه يظهر للناس جميعاً تمام الظهور في ذلك اليوم كمال ملكه عز وجل، حيث يخضع جميع الخلق لأمره وحكمه، الملوك وما ملكوا بلا منازع، بخلاف الحال في الدنيا فإن الكثير من الناس من الملوك والمملوكين يتقلبون في ملك الله، ويتمتعون بنعمه ويبارزونه بالمعاصي فهذا كله ينتهي وينقطع كما قال تعالى: ﴿۞وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ۝١١١﴾ [طه: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ۝١٠٨﴾ [طه: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [هود: ١٠٥].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟، أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟، أين المتكبرون؟»[2].

الفوائد والعبر:

١- أن مآل الأبرار إلى النعيم في جنات النعيم.
٢- أن مآل الفجار إلى الجحيم والعذاب الأليم.
٣- إصلاء الفجار بالنار وغمرهم فيها يوم القيامة.
٤- خلود الفجار والكفار في النار وعدم خروجهم منها.
٥- عظم يوم القيامة وشدة أهواله وتأكيد ذلك.
٦- يوم القيامة لا يملك أحد لأحد شيئاً لا نصراً ولا دفعاً، ولا منعاً ولا نفعاً.
٧- ظهور انفراده عز وجل بالملك والأمر تمام الظهور يوم القيامة.

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤ / ١٨٤.
(٢) أخرجه مسلم في صفة القيامة ٢٧٨٨، وابن ماجه في المقدمة ١٩٨، وأخرجه البخاري مختصراً في التوحيد ٧٤١٣.

تفسير سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما قدم نبي الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك»[(١)].

ولهذا روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أنه سئل من أحسن الناس هيئة وأوفاه كيلاً؟ أهل مكة أو المدينة؟ قال: حق لهم، أما سمعت الله يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾»[(٢)].

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال له رجل: «يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل، قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل، وقد قال الله عز وجل ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾»[(٣)].

قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ «ويل» كلمة زجر وتهديد ووعيد وخسار وهلاك.

و﴿ المطففين ﴾ جمع مطفف، والتطفيف: البخس والنقص في المكيال والميزان، ولهذا فسره بقوله:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: إذا اكتالوا لأنفسهم وتقاضوا من الناس ﴿يستوفون ﴾ يأخذون حقهم تاماً وافياً.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي: إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي: يبخسون الكيل والوزن وينقصونه ويعطون الناس حقهم ناقصاً، فجمعوا بين الشح في طلب حقهم كاملاً بلا مسامحة، والبخل بمنع ما يجب عليهم من إتمام الكيل والوزن لغيرهم.

وهذا الوعيد والتهديد يوجب على الإنسان العدل فيما له وما عليه في الكيل والوزن

---

(١) أخرجه ابن ماجه في التجارات – التوقي في الكيل والوزن ٢٢٢٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٠٩.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ١٨٥ – ١٨٦.

وغير ذلك كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ [الرحمن: ٩].

وذكر الله عز وجل عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال لهم: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود: ٨٤ ، ٨٥].

وإنما توعد الله عز وجل المطففين بهذا الوعيد الشديد لأن حقوق الخلق مبنية على المشاحّة، ولا بد من أدائها إما في الدنيا وإما في الآخرة، ولهذا قال ﷺ لأصحابه «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم عنده ولا متاع، قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بأعمال مثل الجبال، ثم يأتي وقد شتم هذا ولطم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»(١).

وإذا كان هذا الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لمن يطففون الكيل والوزن الحسي، فيأخذون حقهم وافياً، ويبخسون الناس حقهم في ذلك، فإن بخس الناس حقوقهم في الأمور المعنوية قد يكون أشد من ذلك وأعظم كاحتقار الناس وتنقصهم والتكبر عليهم، وعدم الإنصاف من النفس، وعدم قول الحق عليها بل ولا قبوله.

فالحذر الحذر من بخس حقوق الآخرين حسية كانت أو معنوية من الوالدين والأولاد والأزواج والإخوة وغيرهم من الأقارب والجيران وسائر الناس.

فكم من زوج يقصِّر في حق زوجه ويطالبه بحقه كاملاً، وكم من قريب يبخس حق قريبه ويطالبه بحقه كاملاً.

وكم من إنسان يدعي الدين والتقى والزهد والورع، ويهمهم بالتوبة ويوجه الناس ويدعوهم لكنه لا ينصف من نفسه، ولا يقول الحق عليها، بل ولا يقبله، يرى القذاة في

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ٢٥٨١، والترمذي في صفة القيامة ٢٤١٨ ـ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه، يكيل بمكيالين، ينتقد الآخرين ولا يقبل أن ينتقد، بل لا يقبل أن يُنصح.

ولا شك أن هذا ونحوه يدل على مرض القلب وفساده، فإن المسلم الحق من أنصف من نفسه، وقال الحق وقبله له وعليه وشغلته عيوبه عن عيوب غيره، واعترف بضعفه، واتهم نفسه بالتقصير، وقبل النصح، بل وشكر عليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فما أصعب الإنصاف من النفس، وما أشده على النفوس فكم من إنسان يستطيع قيام الليل وصيام النهار، والقيام بكثير من الطاعات وأعمال البر لكنه يقف دون مرتبة الإنصاف من نفسه، وإن ادعى ذلك فهو كما قيل:

وكل يدعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

عن المعرور بن سويد رضي الله عنه قال: «لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً فعيّرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر أعيرّته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»[(١)].

وفي هذا أروع الأمثلة في الإنصاف فرضي الله عنك يا أبا ذر.

وقد أعجبني موقف لأحد الإخوة رحمه الله جاء يخطب لأحد أبنائه ابنة خال له رحمه الله فقال له خاله يا أبا محمد هل تشير بولدك، يعني هل تنصحني أن أزوجه ابنتي فقال له رحمه الله تعالى: لا والله يا خال ما أشير به، يعني لا أنصحك بتزويجه، وكان رحمه الله لاحظ على ابنه أمراً لا يُؤَثّر على تزويجه. اللهم اغفر له وارحمه جاء يخطب لولده وأشار

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان ٣٠، ومسلم في الأيمان ١٦٦١، وأبو داود في الأدب ٥١٥٧.

على والد البنت ألا يزوجه لما استشاره، ما أصعب هذا وأشده على النفوس. اللهم وفقنا للإنصاف من أنفسنا وقول الحق وقبوله وإن كان علينا.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ﴾ «ألا» الهمزة للاستفهام الإنكاري و«لا» نافية. أي: ألا يتيقن أولئك المطففون، والظن يأتي في القرآن كثيراً بمعنى اليقين كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٦]، أي: يتيقنون ذلك.

﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ أي: أنهم مخرجون من قبورهم أحياء بعد موتهم.

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: ليوم القيامة الذي فيه يحاسبون ويجازون على أعمالهم وهو يوم عظيم، ثقيل عسير عبوس قمطرير شره مستطير، قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١، ٢].

ولهذا نكّر «يوم» ووصفه بأنه عظيم، ولا يقدر عظمته إلا من وصفه بذلك، وهو العظيم سبحانه وتعالى.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: يوم يقوم الناس من قبورهم ويقفون بين يدي الله عز وجل حفاة عراة غرلاً، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١].

ومن هنا سمي يوم القيامة بهذا الاسم لقيام الناس فيه من قبورهم، وقيامهم بين يدي الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، أي: خاف القيام بين يديه عز وجل، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، ولقيام الحساب والجزاء فيه والعدل الحقيقي كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقيام الأشهاد كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]. ولقيام الروح فيه والملائكة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ٤٩٣٨، ومسلم في الجنة - صفة القيامة أعاننا الله على أهوالها =

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، قال سليم – أحد رواة الحديث – ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين، قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً»، قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه»(1).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل: يكبر عشراً، ويحمد عشراً، ويسبح عشراً، ويستغفر عشراً، ويقول: «اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني، أعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة»(2).

ولهذا خوف الله عز وجل المطففين بهذا اليوم العظيم، لأن الإيمان به وبما فيه من الأهوال والحساب والثواب والعقاب من أعظم ما يحمل على العمل وقد رُوي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لولا الإيمان باليوم الآخر لرأيت من الناس غير ما ترى»، أي: لتنكر الناس بعضهم لبعض وتهالكوا في المعاصي والشرور.

الفوائد والعبر:

١- الوعيد والتهديد للمطففين الذين يأخذون حقهم وافياً من الناس ويبخسون حقوق الناس، والإنكار عليهم، وتذكيرهم بالبعث والمعاد والقيام بين يدي الله في ذلك اليوم العظيم.

٢- وجوب الإيمان بالبعث والمعاد والقيام بين يدي رب العباد يوم القيامة وأن ذلك من أعظم الأسباب التي تحمل على تقوى الله ومراقبته وأداء الحقوق، ولهذا خوّف الله المطففين بهذا اليوم العظيم.

٣- وجوب مراقبة الله عز وجل وإيفاء الكيل والوزن، والعدل في التعامل مع الخلق.

٤- لا يجوز أن يكيل الإنسان بمكيالين يأخذ حقه من الناس وافياً وينتقص حقوق الناس، ويجب الإنصاف من النفس وإعطاء كل ذي حق حقه مادياً كان أو معنوياً.

٥ـ عظمة يوم القيامة وشدة أهواله.

٦ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ العامة لجميع الخلق.

=

٢٨٦٢، والترمذي في القيامة ٢٤٢٢، وابن ماجه في الزهد ٤٢٧٨، وأحمد ٢/ ١٣، ١٩.

(1) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها ٢٨٦٤، والترمذي في صفة القيامة ٢٤٢١، وأحمد ٦/ ٣-٤، وأخرجه أحمد ٥/ ٢٥٤ بنحوه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ومن حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ٤/ ١٥٧.

(2) أخرجه أبو داود في الصلاة ـ ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ٧٦٦، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار ١٦١٧.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾.

قوله: ﴿كَلَّآ﴾ في هذا الموضع، وفي الموضعين بعده للردع والزجر والوعيد والتهديد.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ «كتاب» بمعنى مكتوب و(الفجار) جمع فاجر، وهم الكفرة أصحاب الفجور المكذبون بالبعث.

﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ اللام للتوكيد و«سجين» مأخوذ من السَّجن وهو الحبسُ والتضييق، أي: إن مصيرهم ومأواهم مكان ضيق ضنك مظلم موحش، في أسفل النار في الأرض السفلى، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣﴾ [الفرقان: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وفي حديث البراء رضي الله عنه في قبض روح الكافر «**اكتبوا كتابه في سجين**»[(١)].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ **تعظيم وتفخيم لأمره، أي: وما أعلمك ما سجين، سفوله شديد، وضيقه عظيم، وسجنه مقيم، وعذابه أليم.**

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ **توكيد لقوله** ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ أي: توكيد لما كتب لهم من المصير إلى سجين.

ومعنى ﴿مَّرْقُومٌ﴾ أي: مكتوب مختوم مفروغ منه لا يغير ولا يبدل ولا يزاد فيه ولا ينقص منه، وذلك أن هذا من الكتابة والقضاء الكوني الذي لا بد أن يقع قطعاً.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ «ويل» كلمة زجر وتهديد ووعيد وهلاك ودمار وخسار والمعنى: ما أشد عذاب المكذبين في ذلك اليوم ويقال أيضاً: إنه واد في جهنم.

عن معاوية بن حيدة عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك الناس، ويل له، ويل له**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة – المسألة في القبر ٤٦٥٣، وأحمد ٤/ ٢٨٧، والحاكم ١/ ٣٧ – وقال «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب ـ التشديد في الكذب ٤٩٩٠، والترمذي في الزهد ٢٣١٦، وأحمد ٥/ ٥ – ٦، ٧.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ تفسير وبيان ﴿لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ أي: الذين يكذبون بيوم القيامة الذي يدان فيه الناس بأعمالهم، ويعتقدون استحالة وقوعه ولا يصدقون به.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ﴾ أي: وما يكذب بيوم الدين وينكر وقوعه ﴿إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾ «إلا» للحصر، أي: إلا كل متجاوز الحق إلى الباطل، والحلال إلى الحرام في أقواله وأفعاله ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم، أي: كثير الذنوب. وقيل: ﴿معتد﴾ في أفعاله ﴿ أثيم ﴾ في أقواله.

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ أي: إذا تقرأ عليه ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ أي: آياتنا الشرعية، القرآن الكريم.

﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: قال عن آيات الله إذا سمعها هذه ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ «الأساطير» جمع أسطورة، أي: خرافاتهم وحكاياتهم التي تذكر للتسلي، ولا حقيقة لها، ولا أصل، أي: هذا مجموع مما سطره الأولون في كتبهم من أخبار وخرافات وغير ذلك، كما قال تعالى عنهم ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣١﴾ [الأنفال: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ [النحل: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ۝٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ [النمل: ٦٧، ٦٨].

وهكذا كل من لم يصل نور الإيمان إلى قلبه.

﴿كَلَّاۖ﴾ أي: كلا، ليس الأمر كما زعموا أن لا بعث ولا حساب، ولا كما ادعوا أن القرآن أساطير الأولين، فالبعث حق وصدق والقرآن كلام رب العالمين سبحانه وتعالى.

﴿بَلۡۜ﴾ للإضراب الانتقالي.

﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ أي: غلب عليها، وغشيها وغطاها، وحجبها وأعماها عن الحق، والرين: هو الحجاب الكثيف المانع للقلب من رؤية الحق، والانقياد له.

﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ «ما» مصدرية، أو موصولة، أي: كسبهم، أو الذي كانوا يكسبون من الذنوب المتراكم بعضها على بعض، أي: حال بين قلوبهم وبين معرفة الحق والاهتداء إليه ما عملوه من الذنوب والمعاصي المتراكمة فصارت هذه الذنوب حجاباً بينهم وبين قلوبهم، وبينهم وبين ربهم وخالقهم.

كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ

لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝﴾ [البقرة: ٨١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت، حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في قوله** ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝﴾ »[١].

فالمعصية سبب للمعصية بعدها، والمعاصي سبب لانطماس القلوب، وعمى البصائر، وحيرتها ولهذا تجد كثيراً من الناس، بل كثيراً من المسلمين يتخبطون في كثير من أمورهم وأحوالهم، ولا يوفقون فيها للحق والصواب بسبب الذنوب والمعاصي. وما تعيشه الأمة اليوم من أحداث وتفرق وخلافات أدت إلى اختلاف القلوب كل ذلك سببه الذنوب والمعاصي وصدق الله العظيم ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝﴾ [النور: ٤٠].

فلا طريق لمعرفة الحق والاهتداء إليه والخروج من الحيرة والتذبذب أمام كل القضايا والمشكلات، إلا بالرجوع إلى الله عز وجل وسؤاله الرشد والهداية كما قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، **أي: ما تفرقون به بين الحق والباطل والخير والشر، في أمور الدين والدنيا، وقال عز وجل في الحديث القدسي: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»**[٢].

ولهذا كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة[٣].

وكان ﷺ يدعو ويقول: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة المطففين ٣٣٣٤، وابن ماجه في الزهد - ذكر الذنوب ٤٢٤٤، وأحمد ٢/ ٢٩٧، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٢٠٠، وقال الترمذي «حديث صحيح».

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٥٠٢ - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٣١٩، وأحمد ٥/ ٣٨٨ - من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ٧٧٠، وأبو داود في الصلاة ٧٦٧، والنسائي في قيام الليل ١٦٢٥، والترمذي في الدعوات ٣٤٢٠، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١٣٥٧ - من حديث عائشة - رضي الله عنها.

وكان ﷺ يقول: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، واجعل لي نوراً»(١).

والمصيبة أن كثيراً من المسلمين اليوم عدلوا عن هذا المنهج الرباني والذي فيه الضمان بإذن الله تعالى لمعرفة الحق والاهتداء إلى الصواب في كل أمر وصار كثير منهم يبحث عن الدواء من مصدر الداء، ويطلب الحق من مصدر الباطل، والخير من مصدر الشر، وذلك من خلال الرجوع لوسائل الإعلام المختلفة من القنوات الفضائية والإذاعات وشبكة المعلومات والصحف والمجلات التي تزيد الطين بلة، وتؤدي إلى زيادة الحيرة، وجلها أسست لهذا الغرض، فمتى كان الذئب راعياً للغنم، وأصبح كثير من الناس يركض وراء السراب والماء بين يديه، كما قيل:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

فيا أخي المسلم إذا أردت الهداية والتوفيق والسعادة ومعرفة الحق والاهتداء إلى الصواب في كل نازلة، فالزم تقوى الله بأداء الواجبات والبعد عن المنهيات وأداء حقوق الله وحقوق الخلق، وما توليت من أعمال للأمة يمنحك الله بصيرة في أمر دينك ودنياك ولن تضار بإذن الله عز وجل، وأبشر بالخير إن شاء الله.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: عن رؤية ربهم في الآخرة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أي: لممنوعون عقوبة لهم، ومفهوم هذا أن المؤمنين يرون ربهم في ذلك اليوم، وأنهم يتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، لأن رؤيتهم له عز وجل أعظم نعيمهم وأعلاه ولهذا قال ﷺ في الدعاء: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة»(٢). وقد قال عز وجل: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وفسر ﷺ الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم(٣).

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وعلى

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات ٦٣١٦، ومسلم في صلاة المسافرين ٧٦٣، وأبو داود في الصلاة ١٣٥٣، والنسائي في التطبيق ١١٢١، والترمذي في الصلاة ٢٣٢ – من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه النسائي في السهو ١٣٠٥ ـ من حديث عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان ١٨١، والترمذي في صفة الجنة ٢٥٥٢، وابن ماجه في المقدمة ١٨٧ من حديث صهيب رضي الله عنه.

هذا دلت السنة وأجمع الصحابة والأئمة، قال ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب»[(١)].

وفي حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته»[(٢)].

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي: لداخلوها ومغمورون فيها ومقاسون حرها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: ثم يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ والتبكيت والتحقير والتصغير ﴿ هذا ﴾ أي: حرمانكم من رؤية الرب الغفار، وإصلاؤكم الجحيم والنار ﴿ الذي كنتم به ﴾ في الدنيا ﴿ تكذبون ﴾ فتقولون: لا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب. وهذا من العذاب المعنوي المنصب على القلوب، والذي لا يقل عن العذاب الحسي.

الفوائد والعبر:

١- أن كتاب الفجار ومصيرهم ومأواهم في مكان ضيق ضنك في أسفل النار في الأرض السفلى.

٢- تأكيد شدة سوء هذا المكان سفولاً وضيقاً وظلمة ووحشة وتحتم مصير الفجار إليه.

٣- الوعيد والتهديد للمكذبين بالحق وبالبعث والحساب والجزاء على الأعمال.

٤- لا يكذب بالبعث إلا كل متجاوز الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام كثير الإثم والذنوب مكذب للقرآن.

٥- أن الذنوب والمعاصي تغشى القلوب وتعميها عن الحق.

٦- حرمان الفجار من رؤية ربهم عز وجل في الآخرة، وحجبهم عنه، وإثبات ربوبيته ـ عز وجل ـ العامة لجميع الخلق.

٧ - إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة لقوله في الفجار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ومفهوم هذا أن المؤمنين يرونه وعلى هذا دل الكتاب والسنة، وعليه أجمع الصحابة وسلف هذه الأمة.

٨ - إدخال الفجار الجحيم واصلاؤهم وغمرهم فيها وإحاطتها بهم من كل جهة.

٩ - الجمع للفجار بين العذاب الحسي في الجحيم والعذاب المعنوي المنصب على القلوب من التقريع والتوبيخ والتبكيت والتحقير.

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد – قوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ٧٤٤٠، ومسلم في الإيمان ١٨٢، ١٨٣، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ٥٥٤، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ٦٣٣، وأبو داود في السنة ٤٧٢٩، والترمذي في صفة الجنة ٢٥٥١، وابن ماجه في المقدمة ١٧٧، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة مآل الفجار الكفار المكذبين بالبعث والحساب، وتوعدهم بالويل والهلاك والدمار، والحرمان من رؤية الجبار، وإصلائهم بالجحيم والنار ثم أتبع ذلك بذكر مآل الأبرار وما أعد الله لهم في أعالي الجنان من النعيم.

قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ هذا مقابل قوله ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ و«كلا» هنا بمعنى: حقاً، و«كتاب» بمعنى: مكتوب.

و(الأبرار) جمع بر، وهم المؤمنون المتبعون لأوامر الله والمجتنبون لنواهيه كثيرو الخير والإحسان وضدهم الكفار الفجار[1].

﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ اللام للتوكيد، و(عليين) مأخوذ من العلو والارتفاع، أي: إن مصيرهم و مآلهم في مكان عال مرتفع، وهو أعلى الجنة في السماء السابعة.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ تعظيم وتفخيم لأمره، أي: وما أعلمك ما عليون منزل رفيع ومكان وسيع، ومجلس كريم، فيه ألوان النعيم.

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ توكيد لقوله ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ أي: توكيد لما كتب لهم من المصير إلى عليين ﴿مَّرْقُومٌ﴾ أي: مكتوب لا يتغير ولا يتبدل ولا يزاد فيه ولا ينقص منه.

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يحضره المقربون عند الله عز وجل من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين تنويهاً بهذا الكتاب وإشهاراً له، وتعظيماً لشأن الأبرار وإشادة بذكرهم.

والمقربون: جمع «مقرب» وهم الذين تقربوا إلى الله عز وجل بالإيمان والأعمال الصالحة فقربهم إليه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، أي: اطلبوا إليه القربة والزلفى عنده.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ هذا بيان لما كتب لهم في عليين و«النعيم» كل ما تتنعم وتسر به القلوب وكل ما تلذ به وترتاح له النفوس من المآكل والمشارب والأزواج والمساكن

---

(١) انظر: الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣].

والبساتين وغير ذلك من ألوان النعيم المعنوي نعيم القلب والنعيم الحسي نعيم البدن.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ هذا إلى قولـه: ﴿عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ تفصيل للنعيم المذكور في قوله ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾.

و ﴿ الأرائك ﴾ جمع أريكة، وهي السرر المزينة المزخرفة الرفيعة عليها الفرش الناعمة الحسنة البهية وضع عليها مثل الظل.

﴿ ينظرون ﴾ أي: ينظرون إلى ما أعطاهم الله من النعيم والملك الكبير، والذي أعلاه النظر إلى وجه الله الكريم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله في اليوم مرتين»[(١)].

وهذا في مقابل ما أعده الله للفجار من العذاب الأليم، والحرمان من رؤية الرب الرحيم.

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ قرأ أبو جعفر ويعقوب بضم التاء وفتح الراء (تُعرَف) ورفع (نضرةُ)، وقرأ الباقون بفتح التاء وكسر الراء، (تَعرِف)، ونصب (نضرةَ). أي: تعرف وترى في وجوههم إذا نظرت إليها نضارة التنعم وحسنه وبهاءه وبريقه، وبهجة الفرح والسرور لأن أثر ذلك يبدو واضحاً على الوجوه، وفي الحديث: «أنه ﷺ إذا سُر استنار وجهه كأنه قطعة قمر»[(٢)].

﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ أي: يسقون من شراب الرحيق، وهو الخمر، الذي يطوف به عليهم الولدان المخلدون كما قال عز وجل: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ١٩].

﴿مَّخۡتُومٍ﴾ أي: مختوم عليه عن أن يداخله شيء ينقص لذته، أو يفسد طعمه ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ قرأ الكسائي (خاتمه) **وقرأ الباقون (ختامه) أي: آخر شربة منه، برائحة المسك.**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٣، والترمذي في تفسير سورة القيامة ٣٣٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب ٣٥٥٦، ومسلم في التوبة ٢٧٦٩، والترمذي في التفسير ٣١٠٢ – من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

على ظمأ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عري كساه الله من خُضْر الجنة»[1].

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١].

﴿ وفي ذلك ﴾ الإشارة إلى ما أعده الله عز وجل للأبرار من ألوان النعيم السابقة وغيرها، ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ التنافس والمنافسة: المسابقة يقال نافسته أي: سابقته سباقاً بلغ بي النفس.

أي: وفي الحصول على هذا النعيم والعيش الكريم والخير العميم فليتسابق المتسابقون بأعمال البر من فعل الطاعات والقربات والخيرات والأعمال الصالحات والبعد عن المنهيات.

﴿وَمِزَاجُهُ﴾ أي: ما يمزج به ويخلط هذا الرحيق الذي يسقى منه الأبرار ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ أي: من شراب من عين تسمى ﴿ تسنيم ﴾ تنبع من الفردوس في أعلى الجنة، وهو أفضل شراب أهل الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»[2].

ولهذا فسر ذلك بقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: هذا التسنيم. ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ «عينا» مفعول به لفعل محذوف تقديره أعني، أو أمدح، أو يسقون.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً»[3].

ومعنى ﴿يشرب بها﴾ أي: يشربون منها ويرتوون، ولهذا قال ﴿بها﴾ ولم يقل (منها) فضمن «يشرب» معنى «يروى» فعدي بالباء، كما في قول الشاعر:

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٣ – ١٤.
(٢) أخرجه البخاري في التوحيد ـ كان عرش الرحمن على الماء ٧٤٢٣.
(٣) انظر «مجموع الفتاوى» ٦/ ١٢.

شربن بماء البحر ثم ترفعت ... متى لجج خضر لهن نئيج[(١)]

و﴿المقربون﴾ هم المقربون عند الله عز وجل وهم السابقون المذكورون في قوله ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

وهم السابقون بالخيرات كما في قوله ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر: ٣٢].

والمعنى: أن هذه العين المسماة ﴿تَسۡنِيمٍ﴾ والتي نبعها وشرابها أفضل وأعلى شراب أهل الجنة يشرب منها صرفاً بلا خلط المقربون ويرتوون منها بينما تمزج مزجاً للأبرار وهم أصحاب اليمين بالرحيق، كما في قوله هنا ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧﴾ [المطففين: ٢٥ ـ ٢٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ فهذا خليط من الخمر والكافور للأبرار ثم قال: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦﴾ [الإنسان: ٥، ٦]، أي: عين الكافور يشرب منها المقربون خالصة صرفاً، بلا مزج ويرتوون.

والجزاء من جنس العمل فكما خلصت أعمال المقربين كلها خلص شرابهم. وكما مزج الأبرار الطاعات بغيرها مزج لهم شرابهم.

الفوائد والعبر:

١- جمع القرآن الكريم بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد.

٢ـ أن كتاب الأبرار ومصيرهم ومأواهم إلى عليين، وهذا أمر محقق لا مرية فيه.

٣- تعظيم منزلة الأبرار وعلو مكانتهم في الجنة وتأكيد ذلك لهم.

٤- تشريف الأبرار وتكريمهم بشهود المقربين كتابهم المرقوم.

٥- عظم ما أعده الله للأبرار من النعيم، فهم على الأسرة ينظرون إلى ما أعد لهم من الملك العظيم، مع بهجة القلوب ونضارة الوجوه، شرابهم الرحيق المختوم بالمسك الممزوج بالتسنيم.

٦- أن هذا النعيم العظيم الذي أعده الله للأبرار هو الذي يجب أن يتنافس فيه المتنافسون ويتسابق إليه المتسابقون.

٧- أن المقربين يشربون صرفاً من عين التسنيم.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي انظر «ديوان الهذليين» ١/ ٥١، ٥٢.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ (٣٢) وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ (٣٣) فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ (٣٤) عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ (٣٦)﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

بعد ما ذكر الله عز وجل مآل الفجار، وما أُعد لهم من أنواع العذاب، وذكر مآل الأبرار وما أعده لهم من ألوان النعيم، ذكر ما كان يلقاه المؤمنون من المجرمين الفجار في الدنيا من الضحك والاستهزاء بهم ورميهم بالضلال فجعل الله العاقبة للمتقين وجوزي الكفار بما كانوا يفعلون.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ أي: الذين ارتكبوا الجرائم والموبقات.

﴿كَانُواْ﴾ أي في الدنيا ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ أي: يضحكون من المؤمنين استهزاء وسخرية بهم بسبب إيمانهم.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾ أي: إذا مر هؤلاء المجرمون بالمؤمنين يغمز بعضهم بعضا بالإشارة باليد، أو بالعين أو بغير ذلك تنقصاً للمؤمنين واحتقاراً لهم وسخرية منهم.

ويحتمل أن المعنى: وإذا مر الذين آمنوا بهؤلاء المجرمين ﴿ يتغامزون ﴾.

والمعنى متقارب وهو أن هؤلاء المجرمين إذا رأوا المؤمنين يتغامزون احتقاراً لهم وسخرية منهم وقريب من هذا قول المنافقين في غزوة تبوك فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغيره: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء ـ يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ (٦٥) لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ (٦٦)﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦]»[1].

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾ أي: إذا رجع هؤلاء المجرمون إلى أهلهم من أزواج وأولاد وغيرهم ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ قرأ أبو جعفر وحفص (فكهين) بغير ألف وقرأ الباقون

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ١١/ ٥٤٣.

(فاكهين) بالألف، أي: رجعوا حال كونهم متفكهين متلذذين بتنقصهم للمؤمنين واحتقارهم لهم، واستهزائهم بهم وسخريتهم منهم، ومن هنا قيل للغيبة فاكهة المجالس.

ومتفكهين بنعم الله عليهم التي لا تحصى لكنهم لم يشكروها، بل كفروها واشتغلوا بالاستهزاء بالمؤمنين واحتقارهم فجمعوا بين الكفر بالله وبنعمه وأذية عباده المؤمنين.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ أي: إذا رأى هؤلاء المجرمون الذين آمنوا قالوا: إن هؤلاء القوم ﴿ لضالون ﴾ أي: لتائهون عن الحق والصواب وليسوا على هدى.

وهذا دأب المكذبين في كل زمان ومكان كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الذاريات: ٥٢]، وإذا كان هذا يقال للرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - فمن دونهم سيرمى بالضلال ونحو ذلك من باب أولى. فانتبه أخي المسلم لهذا، ولا يفت في عضدك ما دمت على الحق.

﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ أي: وما بعث هؤلاء المجرمون على المؤمنين ﴿حافظين﴾ يرقبونهم ويحفظون أعمالهم ويحصونها ويحكمون عليهم، فلم اشتغلوا بهم وأهملوا أنفسهم، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨ - ١١١].

ولهذا فإن من ضعف العقل وانطماس البصيرة انشغال المرء بعيوب غيره عن عيوب نفسه، يرى القذاة في عين أخيه، ولا يرى الجذع في عينه، وكما قيل:

قبيح من الإنسان ينسى عيوبه ... ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى
ولو كان ذا عقل لما عاب غيره ... وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ الجزاء من جنس العمل وكما يدين المرء يدان فكما ضحك المجرمون والكفار من المؤمنين في الدنيا فإن المؤمنين يضحكون منهم يوم القيامة جزاء وفاقاً.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ الأرائك: جمع أريكة، أي: على الأسرة والفرش الحسنة الناعمة ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم وأعلاه النظر إلى وجه الله الكريم، فتبين بهذا أنهم هم المهتدون حقاً، لا الضالون، كما زعم المجرمون. وأيضاً ينظرون إلى هؤلاء

المجرمين وهم في النار يعذبون.

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾ «هل» للاستفهام التقريري، أي: هل جوزي الكفار ﴿مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ «ما» موصولة، أو مصدرية، أي: الذي كانوا يفعلون، أو فعلهم.

والجواب: نعم جوزي الكفار على فعلهم أوفر الجزاء وأتمه وأكمله حتى إنه قوبل ضحكهم من المؤمنين في الدنيا بضحك المؤمنين منهم في الآخرة والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدا.

الفوائد والعبر:

١- شدة عداوة الكفار والمجرمين وأذيتهم للمؤمنين وضحكهم منهم في الدنيا واستهزاؤهم بهم، وتنقصهم واحتقارهم لهم.

٢- تفكه هؤلاء المجرمين عند رجوعهم إلى أهلهم باستهزائهم بالمؤمنين وباحتقارهم لهم، وتفكههم بنعم الله عز وجل وكفرهم به وبنعمه.

٣- وجوب الحذر من الاستهزاء أو السخرية بأحد من المؤمنين، أو بشيء من الدين أو كفر النعم فهذا دأب الكفار والمجرمين والمنافقين.

٤- جرأة المجرمين والكفرة والمنافقين على رمي المؤمنين بالضلال، واتهامهم لهم بأشد الاتهامات تنفيراً للناس منهم.

٥- الرد على المجرمين في حكمهم على المؤمنين بالضلال، وانشغالهم بهم، وبمالا يعنيهم عن أنفسهم.

٦ – الحذر من انشغال المرء عما يعنيه بما لا يعنيه، وعن عيوب نفسه بعيوب الآخرين.

٧- أن الجزاء من جنس العمل، وكما يدين المرء يدان، فكما ضحك المجرمون من المؤمنين في الدنيا، وتفكهوا في ذلك، ضحك منهم المؤمنون في الآخرة وهم على الأسرة ينظرون إلى ما هم فيه من النعيم، وإلى أولئك المجرمين يعذبون.

٨- مجازاة الكفار بفعلهم.

تفسير سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾.

قوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾ [الرحمن: ٣٧]، أي: إذا السماء انفطرت وتصدعت وانفتحت وانفرجت وذلك يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار: ١]، وقال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩﴾ [النبأ: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ [المرسلات: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: استمعت لربها - خالقها ومالكها والمتصرف فيها -.

ومنه الحديث: «ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن»(١). أي: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن.

ومنه قول الشاعر(٢):

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

فالمعنى: استمعت لربها وأطاعت أمره لها بالانشقاق، كما أطاعته في ابتداء خلقه لها قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾ [فصلت: ١١].

﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وحق لها ووجب عليها أن تسمع وتطيع لأمره، لأن هذا من أمره

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٥٠٢٣، ومسلم في صلاة المسافرين ٧٩٢، وأبو داود في الصلاة ١٤٧٣، والنسائي في الافتتاح ١٠١٧ - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) نسب هذا البيت إلى قعنب بن أم صاحب. انظر «الحماسة» لأبي تمام ٢/ ١٧٠، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة ٣/ ٨٤، و«لسان العرب» مادة «أذن».

الكوني وهو نافذ لا محالة، لأنه عز وجل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ٣٥].

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: دك ما عليها من جبال وبناء وغير ذلك ووسعت، ومدت كما يمد الأديم وبسطت.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي: وألقت ما في باطنها من الأموات وتخلت عنهم، وذلك بعد النفخ في الصور كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١].

وأيضاً ألقت ما فيها من الكنوز وتخلت عن ذلك كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي. ثم يَدَعونه فلا يأخذون منه شيئاً»(١).

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ توكيد لاستماعها لربها وطاعتها له.

وجواب «إذا» في قوله ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ وما بعده محذوف، وهو مفهوم من السياق وتقديره حوسب الإنسان وجوزي ورأى ما قدم من خير أو شر، وعلى هذا يدل قوله بعده ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ الآيات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نداء وخطاب للإنسان جنس الإنسان، من مؤمن، وكافر.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ الكدح: السعي والعمل.

قال الشاعر:

وما الدهر إلا تارتان فمنهما ... أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح(٢)

ومعنى الآية: إنك عامل وساع إلى ربك، أي: حتى تصل إلى ربك وتنتهي إليه، كما قال عز وجل ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

﴿ كدحاً ﴾ مصدر مؤكد، أي: عملاً وسعياً حثيثاً بجد ومشقة، إما خيراً، وإما شراً،

---

(١) اخرجه مسلم في الزكاة – الترغيب في الصدقة ١٠١٣، والترمذي في الفتن ٢٢٠٨.

(٢) البيت للعجير السلولي.

وشتان بين الكادحين.

قال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[(١)].

قال لبيد:

وما الناس إلا عاملان فعامل يُتبِّر ما يبني وآخر رافع

﴿ فملاقيه ﴾ الفاء للترتيب والتعقيب، أي فملاق ربك عن قريب وسيجازيك بما عملت قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥] وكل آت قريب.

والعمر مهما طال في هذه الحياة فهو قصير، قال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢].

والحياة البرزخية مهما طالت أسرع وأقرب من ذلك ولهذا قال الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقال أصحاب الكهف ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، وقد لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً. فما أسرع ملاقاة الإنسان لربه، وما أقرب ذلك.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»[(٢)].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[(٣)].

قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾.

صلة هذه الآيات بما قبلها:

بعد ما بين ـ عز وجل ـ أن كل إنسان كادح في هذه الحياة وساع إلى ربه فملاقيه

---

(١) أخرجه مسلم في الطهارة ٢٢٣ – من حديث أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي – فيما ذكر ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٣٧٨.

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة ـ الصدقة قبل الرد ١٤١٣، ومسلم في الزكاة – الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ١٠١٦، والنسائي في الزكاة ٢٥٥٢، ٤/ ٢٥٦.

فيجازيه بعمله ذكر انقسام الناس في ذلك اليوم إلى فريقين، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، وتفصيل حال كل منهما في ذلك اليوم.

قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الفاء: عاطفة، و«أما» حرف شرط وتفصيل و«من» اسم شرط جازم، أي: فأما من أعطي كتاب عمله بيده اليمنى تكريماً له، وهو المؤمن.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ الفاء: رابطة لجواب الشرط.

أي: فسوف يحاسب حساباً سهلاً خفيفاً، أي: عرضاً بلا مناقشة لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب عذب»، قالت: فقلت: أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ؟ قال: «ليس ذاك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»(١).

وعنها رضي الله عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً» فلما انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟، قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك»(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يدني الله المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه(٣)، ويقرره بذنوبه فيقول أتذكر ذنب كذا وكذا؟ فيقول أي ربي. فيقول الله عز وجل أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»(٤).

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي: ويرجع من موقف الحساب إلى أهله في الجنة من الحور العين، وممن من الله عليهم من أهله في الدنيا بدخول الجنة من الأزواج والأولاد والوالدين وغيرهم بعد الفراق بينهم في الدنيا.

﴿ مسرورا ﴾ أي: قد استنار وجهه وظهرت عليه آثار سرور قلبه وفرحه واغتباطه بإعطائه كتابه بيمينه، وما فيه من الأجر والفضل من الله عز وجل، وبتيسير حسابه وتخفيفه، فيا حسن المنقلب، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء: ٧١]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ ٤٩٣٩، ومسلم في كتاب الجنة - إثبات الحساب ٢٨٧٦، وأبو داود في الجنائز ٣٠٩٣، والترمذي في تفسير سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ ٢٤٢٦، وأحمد ٦/ ٤٧.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٤٨، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٣٧٩: «صحيح على شرط مسلم»، وأخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٢٣٦ - ٢٣٩.

(٣) أي: ستره ورحمته.

(٤) سبق تخريجه.

اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٤].

قال أبو حازم رحمه الله: «أما المحسن فكالغائب يرجع إلى أهله فرحاً مسروراً، وأما المسيء فكالآبق يرجع إلى مولاه خائفاً مذعوراً».

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ الواو: عاطفة، أي: وأما من أعطي كتاب عمله.

﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ أي: بشماله بعد أن تلوى وراء ظهره وهو الكافر كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥].

فأعطي كتابه بشماله إهانة له واحتقاراً وإذلالاً كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

ولويت يده وراء ظهره لأنه نبذ كتاب الله عز وجل وراء ظهره ولم يرفع به رأساً والجزاء من جنس العمل.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ أي: فسوف ينادي بالثبور والهلاك والخسار، واثبوراه واهلاكاه واخساراه، كما قال تعالى عنه في سورة الحاقة: ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الآيات: ٢٥ ـ ٢٧].

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام (ويُصلّى) وقرأ الباقون بفتح الياء وإسكان الصاد وتخفيف اللام (ويَصْلَى).

(سعيرا) أي: ناراً مستعرة متوقدة، وهي «فعيل» بمعنى «مفعول» أي: مسعورة.

والمعنى: ويدخل النار المستعرة ويغمر ويُقلّب فيها ويقاسي حرها.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ أي: إنه كان في الدنيا في أهله، زوجه وأولاده وأقاربه فرحاً مغتبطاً بما هو عليه من الباطل، وذلك لموت قلبه، وعدم تفكيره في العواقب، وعدم خوفه مما أمامه.

وشتان بين هذا السرور الفاني الذي يعقبه الحزن والندم، والسرور في جنات النعيم، ولهذا قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»(١).

وليس في قوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ ما يدل على حظر أن يكون المسلم في أهله

---

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق ٢٩٥٦، والترمذي في الزهد ٢٣٢٤، وابن ماجه في الزهد ٤١١٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مسروراً، أو أنه ينبغي أن يكون محزوناً، أو أن لا يسر بشيء أبداً، بل إن المسلم هو الأولى بالسرور والسعادة حقاً في الدنيا والآخرة، لكن سرور الدنيا وسعادتها مشوب بالكدر، لهذا ينبغي أن لا يطمئن إليها المسلم، وأن يكون منها على وجل.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: إنه اعتقد أنه لن يرجع إلى ربه، فهو لا يؤمن بالبعث، ولا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً. والظن يستعمل كثيراً في القرآن بمعنى اليقين كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، أي: يعتقدون أنهم ملاقو ربهم.

والحَوْرُ: الرجوع، ومنه قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور»(١).

قال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

والمعنى: إنه ظن أن لن يرجع إلى الله، ولن يبعث بعد موته كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨].

﴿بَلَىٰٓ﴾ حرف جواب لإيجاب المنفي، أي: بلى سيرجع إلى ربه ويقف بين يديه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ١٦].

﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ أي: إن ربه عز وجل كان به بصيراً في الدنيا خبيراً بأعماله، محصياً لها، بصيراً به في الآخرة سيحاسبه ويجازيه عليها ولا يمكن أن يتركه سدى بلا تكليف ولا مجازاة.

الفوائد والعبر:

١ - انشقاق السماء يوم القيامة واستماعها لأمر الله لها بذلك وطاعتها له.

٢ - مد الأرض، وإلقاؤها ما في باطنها من الأموات وتخليها عنهم واستماعها لأمر الله لها بذلك وطاعتها له.

٣ - أن أمر الله الكوني نافذ لا محالة لا محيد عنه، ولا مفر منه، لقوله ﴿ وحقت ﴾ أي: وحق لها ووجب عليها أن تطيع.

٤ - سعي الإنسان وكدحه حتى يلقى ربه فيجازيه بعمله خيراً كان أو شراً، ولا محيد له عن ذلك.

٥ - انقسام الناس في ذلك اليوم إلى سعيد يعطى كتابه بيمينه ويحاسب حساباً يسيراً ويرجع إلى أهله في الجنة فرحاً مسروراً، وإلى شقي يعطى كتابه بشماله من وراء ظهره يدعو على نفسه بالويل والثبور ويصلى السعير، لاغتباطه وسروره بين أهله في الدنيا بما هو عليه من الباطل وإنكاره البعث والمعاد.

٦ - إثبات البعث والمعاد والحساب والجزاء على الأعمال.

٧ - أن الله بصير بالعباد في دنياهم وأخراهم مطلع على أعمالهم وسيجازيهم عليها.

٨ ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ العامة لجميع الخلق.

---

(١) أخرجه مسلم في الحج ١٣٤٣، والنسائي في الاستعاذة ٥٤٩٨، والترمذي في الدعوات ٣٤٣٩، وابن ماجه في الدعاء ٣٨٨٨ – من حديث عبد الله بن سرجس ـ رضي الله عنه.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة بعض علامات وأهوال القيامة من انشقاق السماء ومد الأرض وإخراجها ما في باطنها من الأموات، وأن الإنسان ساعٍ إلى ربه فملاقيه فآخذ كتابه بيمينه مخفف حسابه وآخذ كتابه بشماله مثقل حسابه ثم أتبع ذلك بالقسم في هذه الآيات على تأكيد ما سبق وأن الإنسان سينقل من حال إلى حال حتى يصل إلى مأواه الأخير الجنة أو النار.

قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ الفاء: استئنافية، و«لا» للتنبيه وتأكيد القسم، والمعنى: أقسم بالشفق، والشفق: هو الحمرة بعد غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة.

عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: «وقت المغرب ما لم يغب الشفق»[1].

وقال بعض المفسرين: المراد بالشفق النهار كله، لقوله بعده ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ وقال بعضهم: المراد به الشمس لقوله ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ والأشهر والأظهر القول الأول.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ معطوف على ما قبله فهو من جملة المقسم به و«ما» موصولة، أي: والذي وسق، أي: والذي ضم وحوى وجمع من نجم ودواب ووحوش وهوام وظلمة وغير ذلك.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أي: إذا اجتمع نوره، وتم وكمل، واستوى واستدار، وذلك ليالي الإبدار.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾

هذا هو جواب القسم، أقسم عز وجل بثلاثة أشياء متعلقة بالليل، وهي الشفق، والليل وما جمع، والقمر إذا كمل.

---

(١) اخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ٦١٢، وأبو داود في الصلاة ٣٩٦، والنسائي في المواقيت ٥٢٢، وأحمد ٢/ ٢١٠، ٢٢٣.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف (لتَركَبَن) بفتح الباء، خطاباً للمفرد، أي: لتركبن أيها الإنسان أي: لتنقلَن من حال إلى حال.

وقرأ الباقون بضمها (لتركبُن) بضم الباء خطاباً للجمع، أي: لتركبُن أيها الناس حالاً بعد حال، أي: لتنقلُن من حال إلى حال.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾: حالاً بعد حال»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم»(٢).

وعن سهل بن سعد الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم مثلاً بمثل»(٣).

وهذا هو الأظهر في معنى الآية، فدوام الحال من المحال فقد كان الإنسان عدماً لا ذكر له، ثم خلقه الله عز وجل، وانتقل في بطن أمه من حال إلى حال ومن طور إلى طور، ثم ولد، وانتقل من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب ثم إلى الهرم و الشيخوخة وهو في ذلك بين رخاء وشدة، وغنى وفقر، وصحة وسقم، وعز وذل، وسرور وحزن، إلى غير ذلك من الأحوال، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقلبه في ذلك كله إما متعلق بالله عز وجل وطاعته وإما متعلق بالدنيا وزهرتها من الأموال أو النساء والأولاد أو القصور والمراكب ونحو ذلك. وهو في ذلك ينتقل من مكان إلى مكان، ومن دار إلى دار إلى أن يموت فينتهي إلى مصيره ومأواه في دار القرار، فإما إلى الجنة دار المقربين والأبرار وإما إلى النار وبئس القرار.

عن ابن شماسة المهري قال: «حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً، وحوّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أمَا بشرّك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟، قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، إني كنت على أطباق ثلاث: لقد رأيتني وما أجد أشد بغضاً

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٩٤٠

(٢) أخرجه البخاري في الفتن ٧٠٦٨ ، والترمذي في الفتن ٢٢٠٦.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٣٤٠، وأخرجه أيضاً من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه ٥/ ٢١٨، والترمذي في الفتن وقال: «حديث حسن صحيح».

لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إليّ أن أكون قد استمكنت منه، فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «مالك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله» وما كان أحد أحب من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها..» الحديث[(١)].

ولما كان هذا المقسم به وعليه فيه أعظم الأدلة على ربوبيته عز وجل ووحدانيته وكماله وصدق رسله، وعلى المعاد، عقبه بقوله:

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الفاء: عاطفة، و«ما» للاستفهام الإنكاري، أي: فما الذي يمنعهم من الإيمان؛ أو أي شيء يمنعهم من الإيمان مع وضوح البرهان، وتحقق انتقالهم من حال إلى حال إلى أن ينتهوا إلى دار القرار، قال تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝٣٩﴾ [النساء: ٣٩].

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ أي: وما الذي يمنعهم إذا تلي عليهم القرآن أن يخضعوا له وينقادوا لأوامره ويصلوا، ويسجدوا على الأعضاء السبعة عند سجداته تعظيماً له، وشكراً لله عز وجل.

وقد ثبت أن النبي ﷺ سجد في هذه السورة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١﴾ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾»[(٢)].

وعن أبي رافع رضي الله عنه قال: «صليت مع أبي هريرة العتمة، فقرأ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد، فقلت له، قال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ١٢١.

(٢) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ٥٧٨، وأبو داود في الصلاة ١٤٠٧، والنسائي في الافتتاح السجود في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ٩٦٣، والترمذي في الجمعة ٥٧٣، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ١٠٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان ٧٦٦، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ٥٧٨، وأبو داود في الصلاة ١٤٠٨، والنسائي في الافتتاح ٩٦١.

وقد استدل بهذه الآية على وجوب سجود التلاوة بعض أهل العلم واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، والصحيح أنه سنة مؤكدة، وليس بواجب لما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ سورة النمل فلما وصل آية السجدة نزل من المنبر فسجد، ثم قرأها من الجمعة الثانية فمر بها ولم يسجد فقال رضي الله عنه: «إن الله لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء»[١] وكان ذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليه أحد، وقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[٢].

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾ «بل» للإضراب الانتقالي، أي: بل الذين كفروا يكذبون بالحق ولا يصدقون به جحوداً وعناداً، فهذا هو سبب عدم إيمانهم وعدم سجودهم.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ «أعلم» أفعل تفضيل، أي: أنه عز وجل أعلم من كل أحد ﴿بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: بما يجمعون ويضمرون، بل هو ـ عز وجل ـ أعلم بهم من أنفسهم كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٤].

والمعنى: والله أعلم بالذي يجمعون ويضمرون في صدورهم من الكيد للحق والعداوة له ولأهله، وما يجمعون من أعمال باطلة، وأموال هي زادهم إلى النار.

قال عبيد بن الأبرص[٣]:

الخير يبقى وإن طال الزمان به ... والشر أخبث ما أوعيت من زاد

أي: أخبث ما جمعت من زاد.

﴿فَبَشِّرْهُم﴾ الخطاب والأمر للرسول ﷺ ولكل من يصلح خطابه، أي: فبشرهم أيها المبشر، وأخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨﴾ [النساء: ٣٨].

والبشارة في الأصل تستعمل فيما يسر، أخذاً من انبساط البشرة واتساعها عند ورود الخبر السار لها، واستعملت هنا في البشارة بالعذاب الأليم على سبيل التهكم والاستهزاء.

﴿ أليم ﴾ «فعيل» بمعنى «مفعل» أي: مؤلم حساً ومعنى.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ «إلا» أداة استثناء بمعنى «لكن» فالاستثناء منقطع، أي: لكن

(١) أخرجه البخاري في سجود القرآن ـ من رأى أن الله عز وجل لم يوجب السجود ١٠٧٧ – من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة ٤٦٠٧، والترمذي في العلم ٢٦٧٦، وابن ماجه في المقدمة ٤٢ – من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٣) انظر «لسان العرب» مادة «وعى».

﴿الذين آمنوا ﴾.

والإيمان لغة: التصديق كما قال إخوة يوسف ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: ٣١] أي: لن نصدق بهذا القرآن ولا بالذي سبقه من الكتب السماوية.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: وعملوا الأعمال الصالحات بجوارحهم من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وبر للوالدين وصلة للأرحام وأداء لحق الجار، وأمر بمعروف ونهي عن منكر وغير ذلك.

وحذف الأعمال، واكتفى بالصفة، وهي ﴿ الصالحات ﴾ لأن المهم في العمل أن يكون صالحاً، أي: خالصاً لله عز وجل، وفق سنة رسوله ﷺ.

﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ «لهم» جار ومجرور خبر مقدم، و«أجر» مبتدأ مؤخر، أي: لهم خاصة دون غيرهم. ونكّر «أجر» للتعظيم، أي: ثواب عظيم، وسمي الثواب أجراً، تشبيهاً له بأجرة الأجير، لأن الله عز وجل بكرمه وفضله وامتنانه تكفل بهذا الثواب وأوجبه على نفسه.

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، ولا ممنوع، كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وغير ممنون به عليهم، كمنة الخلق بعضهم على بعض، وإلا فإن لله عز وجل المنة والفضل والإنعام على جميع خلقه بنعمة الربوبية العامة وله المنة والفضل والإنعام على أوليائه المتقين وحزبه المفلحين بنعمة الربوبية الخاصة كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١].

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بالشفق، والليل وما جمع، والقمر إذا اكتمل ـ على انتقال الناس من حال إلى حال إلى أن يلقوا ربهم.

٢- أن دوام الحال من المحال والبقاء للحي القيوم ـ سبحانه وتعالى ـ.

٣- لله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لأن إقسامه بها يدل على عظمته هو وعظمة مخلوقاته.

٤- الإنكار على الكافرين في عدم إيمانهم، وعدم خضوعهم وسجودهم عند تلاوة القرآن مع ما فيه من المواعظ والأحكام، وتحقق انتقالهم من حال إلى حال إلى أن يلقوا ربهم.

٥- تكذيب الكفار للرسول ﷺ وللقرآن.

٦- علم الله عز وجل بما يجمع الكفار ويضمرون في صدورهم من الكيد للحق والعداوة له ولأهله، وما يجمعون من الأعمال الباطلة والأموال المحرمة وغير ذلك.

٧- البشارة للكفرة المكذبين بالعذاب الأليم حساً ومعنىً تهكماً بهم وسخرية منهم.

٨- البشارة للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالثواب العظيم غير المقطوع، ولا الممنوع.

تفسير سورة البروج

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق»[١].

وعنه رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء»[٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ الواو: حرف قسم وجر، والسماء مقسم به مجرور.

﴿ ذات البروج ﴾ أي: صاحبة البروج، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: ٦١].

والبروج: جمع برج، مأخوذ من الظهور والعلو والارتفاع، وهي النجوم والكواكب العظام، أو منازل الشمس والقمر، وهي اثنا عشر برجاً، تسير الشمس في كل واحد منها شهراً، ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثا، فذلك ثمان وعشرون منزلة، ويستسر ليلتين.

وهذه البروج الاثنا عشر هي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة، والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة، الموعود وقوعه وبعث الناس فيه، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿ وشاهد ﴾ يوم الجمعة ﴿ ومشهود ﴾ يوم عرفة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: ﴿ واليوم الموعود ﴾ يوم القيامة ﴿ وشاهد ﴾ يوم الجمعة، وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

(٢) أخرجه أحمد ٢ / ٣٢٧.

فيها خيراً إلا أعطاه الله إياه، ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه ﴿ ومشهود ﴾ يوم عرفة»[١].

وقد رواه بعض الأئمة موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه قال: «الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والموعود يوم القيامة»[٢].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، وإن الشاهد يوم الجمعة، وإن المشهود يوم عرفة، ويوم الجمعة ذخره الله لنا[٣] »[٤].

فاليوم الموعود يوم القيامة بلا خلاف، وأكثر المفسرين على أن المراد بقوله ﴿وشاهد﴾ يوم الجمعة ﴿ ومشهود ﴾ يوم عرفة.

وقيل: الشاهد الله لقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

وقيل: الشاهد محمد ﷺ لقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، وكذا أمته شهود، والملائكة والجوارح شهود أيضاً.

وقيل: الشاهد يوم عرفة، وقيل: الشاهد يوم الذبح، وقيل الشاهد الإنسان.

كما قيل: المشهود يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٣].

وقيل: المشهود يوم الجمعة لما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود، تشهده الملائكة»[٥].

قال ابن القيم[٦]: «وأعم المعاني فيه أنه المدرِك والمدرَك، والعالم والمعلوم، والرائي والمرئي، وهذا أليق المعاني، وما عداه من المعاني ذكرت على وجه التمثيل لا على وجه التخصيص».

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ هذا هو جواب القسم والمقسم عليه عند أكثر المفسرين فأقسم عز وجل بالسماء ذات البروج، وبشاهد ومشهود على أنه ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾.

وقال ابن القيم[٧]: «والأحسن أن يكون هذا القسم مستغنياً عن الجواب، لأن القصد

---

(١) أخرجه ابن خزيمة، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث، وأخرجه بأخصر من هذا بإسناده الترمذي في التفسير ٣٣٣٩، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٢٦٢، ٢٦٥، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».
(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٨ – ٢٩٩، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٢٦٢ – ٢٦٤.
(٣) أي: خصنا به وهدانا إليه دون من قبلنا.
(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٢٦٦.
(٥) أخرجه ابن ماجه ١٦٣٧، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٢٧٠.
(٦) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ١٦٩.
(٧) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ١٧١.

التنبيه على المقسم به وأنه من آيات الرب العظيمة ويبعد أن يكون الجواب ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾».

ومعنى ﴿ قتل ﴾ أي: لعن أشد اللعن، وطرد وأبعد عن رحمة الله، أشد الطرد والإبعاد وأُهلك ﴿ أصحاب الأخدود ﴾ الأخدود مفرد وجمعه أخاديد وهي الحفر المستطيلة في الأرض.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ «النار» بدل اشتمال من الأخدود.

﴿ ذات الوقود ﴾ أي: صاحبة الوقود، وهو الحطب الكثير المتأجج ناراً.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ «إذ» ظرف بمعنى «حين» أي: حين هم على جوانب هذه النار جلوس على الأسرة يتفرجون ويتفكهون.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ «ما» موصولة أو مصدرية، أي: وهم على الذي يفعلونه بالمؤمنين، أو على فعلهم بالمؤمنين من فتنتهم لهم في دينهم وطرحهم في النار وتعذيبهم.

﴿شُهُودٌ﴾ أي: يشاهدون وينظرون مغتبطين بهذا الإجرام في حق المؤمنين، مما يدل على قسوة قلوبهم ونزع الرحمة منها وجبروتهم، يقحمون المؤمنين في النار ويرونها تلتهمهم ولا تتحرك مشاعر الرحمة في قلوبهم.

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: وما وجدوا عليهم في شيء إلا من أجل أنهم آمنوا بالله، وكان هذا يوجب إكرامهم ومحبتهم لا أذيتهم وقتلهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة: ٥٩].

﴿ العزيز ﴾ اسم من أسماء الله عز وجل على وزن «فعيل» يدل على اتصافه عز وجل بالعزة التامة بأنواعها الثلاثة: عزة القوة، وعزة القهر والغلبة، وعزة الامتناع فهو عز وجل قوي قاهر غالب ممتنع أن يُنال بسوء.

﴿ الحميد ﴾ اسم من أسماء الله عز وجل أيضاً على وزن «فعيل» يدل على اتصافه عز وجل بالحمد فهو عز و جل حميد في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، له الحمد على ذلك كله، له الحمد في السموات والأرض وعلى الدوام كما قال عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم: ١٨].

وله الحمد في الأولى والآخرة كما قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ

﴿ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ [القصص: ٧٠].

وله عز وجل الحمد على كل حال، ولهذا قال ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما «الحمد لله على كل حال»[(١)].

وهو عز وجل حميد يَحمد من يستحق الحمد من عباده بثنائه عليهم ورضاه عنهم، قال ﷺ: «إن الله يرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها»[(٢)].

ولهذا فإن معنى صلاة الله ـ عز وجل ـ على أنبيائه ورسله وأوليائه هو الثناء عليهم في الملأ الأعلى.

وفي اقتران هذين الاسمين في ختام هذه الآية بعد لعن أصحاب الأخدود إشارة إلى أنه عز وجل ذو العزة التامة لا يضام من لاذ بجنابه، فلو شاء لانتصر للمؤمنين.

الحميد على ما قدر على هؤلاء المؤمنين، ولو شاء لم يقدر ذلك عليهم، لكن له في ذلك كله الحكمة التامة والحجة البالغة، وهو المحمود على كل حال.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ صفة ثالثة له عز وجل. وقدم الخبر «له» لإفادة التخصيص، أي: الذي له وحده ملك السموات والأرض فهو وحده المالك للسموات والأرض وما فيهما وما بينهما.

والخلق كلهم وما يملكون ملك لله عز وجل وملكهم لما يملكون ملك نسبي قاصر، لا يجوز لهم التصرف فيه إلا فيما أباحه الله عز وجل.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي على كل شيء مطلع، لا يغيب عنه شيء، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ومن ذلك ما يفعله هؤلاء الكفار بالمؤمنين من فتنتهم لهم في دينهم وإحراقهم في النار، وسيجازيهم بعملهم.

وقدم متعلق الخبر، وهو قوله ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ على الخبر «شهيد» لتأكيد عموم اطلاعه على كل شيء كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١].

وقد اختلف المفسرون في المراد بأصحاب الأخدود، ومن أصح ما ورد في ذلك ما

---

(١) أخرجه الترمذي في الأدب ٢٧٣٨، وقال: «حديث غريب» وأخرجه ابن ماجه في الأدب – فضل الحامدين ٣٨٠٣، والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء ١/ ٤٤٩، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء ٢٧٣٤، والترمذي في الأطعمة ١٨١٦ – من حديث أنس رضي الله عنه.

جاء في حديث صهيب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قصة الملك والساحر والراهب والغلام، وفي آخره قوله ﷺ: «ثم قال الغلام للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كنانتي ثم قل: باسم الله رب الغلام، فإنه إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه، وإلا فأقحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه فإنك على الحق»[١].

وفي رواية فقال في آخره: «يقول الله عز وجل: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ حتى بلغ: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ »[٢].

وجاء في بعض الآثار أن الملك الذي خد هذا الأخدود هو ذو نواس ملك نجران، وأن الذين وقع عليهم التعذيب هم نصارى نجران وفي ذلك أنزل الله عز وجل ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وقيل: إنهم أهل فارس، وقيل غير ذلك[٣].

والأهم من هذا كله أخذ العبرة، واستلهام الدروس من هذه القصة، وذلك من وجهين:

الأول: جرأة المجرمين والكفار على ارتكاب أبشع الجرائم الوحشية بالمؤمنين من تحريق وقتل وغير ذلك وخلو قلوب كثير منهم من الرحمة، بل ومن الإنسانية مع ما يزعمونه من الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، وما المقابر الجماعية والقتل الجماعي والوحشي في مذابح صبرا وشاتيلا، وفي البوسنة والهرسك وغيرها، وما التعذيب الوحشي في سجن غوانتنامو، وفي سجن أبو غريب وغير ذلك إلا نتاجاً وصوراً لما عليه أعداء الإسلام من الوحشية والهمجية، فأين مناداتهم بالحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، والإنسانية؟! وصدق الله العظيم ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق – قصة أصحاب الأخدود والصاحب والراهب والغلام ٣٠٠٥، والترمذي في تفسير سورة نوح ٣٣٤٠، وأحمد ٦/ ١٦ – ١٨، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٢٧٣ – ٢٧٥.

(٢) جاء هذا في رواية الترمذي.

(٣) انظر «سيرة ابن هشام» ١ / ٣٤ ـ ٣٧، «جامع البيان» ٢٤/ ٢٧٠ – ٢٧٦.

ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ [التوبة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة: ٢].

ولهذا ينبغي ألا يغتر بهم فهم وإن أظهروا الصداقة، فهم في الحقيقة الباطنة أعداء وذئاب ولو لبسوا جلود الضأن، وكما قيل:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها ... عند التقلب في أنيابها العطب

وقال الآخر:

لا تأمنن عدواً لان جانبه ... خشونة الصل عقبى ذلك اللين

والوجه الثاني مما يستلهم من هذه القصة:

صبر هؤلاء المؤمنين على هذا الابتلاء العظيم، وتقديم أرواحهم للنار فداءً لدينهم إذ لا بقاء لشيء بعد الدين، وفي هذا أعظم الدروس والعبر للمؤمنين بعدهم وبخاصة الدعاة إلى الله عز وجل والموجهين والمربين وأهل الحسبة وغيرهم ليعلموا أن طريق الجنة ليس مفروشاً بالورود والرياحين، وإنما هو طريق شاق محفوف بالمكاره كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وقال ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»(١).

وقد أحسن القائل:

فدرب الصاعدين كما علمتم ... به الأشواك تكثر لا الورود(٢)

ومما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين تخلى عن مسؤولياته، لا لشيء إلا أنه لا يريد

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٢٣، والترمذي في صفة الجنة ٢٥٥٩ – من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) البيت للشاعر وليد الأعظمي في كتابه «الزوابع».

أن يتحمل في سبيل دينه أدنى أذى، فأصبح حالهم كما قال عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

بل إن كثيراً من المسلمين أصبح لا يتحمل في سبيل دينه أدنى مشقة فتراه مثلاً يستثقل صلاة الجماعة، ويريد أن يتحلل منها وبخاصة صلاة الفجر، بل باع كثير من المسلمين دينهم بعرض من الدنيا، فتكالبوا على جمع الأموال بالطرق المشتبهة أو المحرمة وهذا مصداق قوله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا»[(١)].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: فتنوهم في محاولتهم صدهم عن دينهم كما قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] أي: الفتنة في الدين والصد عنه وأيضاً فتنوا المؤمنين والمؤمنات بإحراقهم في النار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات: ١٣] أي: يعذبون.

﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ أي: ثم لم يرجعوا إلى الله عز وجل ويقلعوا عما هم عليه من الكفر ويندموا على ما سلف منهم، ويعزموا على عدم العودة إليه، فعرض الجواد الكريم التوبة عليهم مع ما ارتكبوه من الكفر به، والظلم والقتل لعباده المؤمنين ولو تابوا لغفر لهم ولم يعذبهم، وقد قال عز وجل لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون وقد ادعى الربوبية والألوهية: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤].

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ خبر «إن» أي: فلهم مجازاة لهم على فعلهم بالمؤمنين ﴿ عذاب جهنم ﴾ وجهنم: اسم من أسماء النار، سميت به لجهمتها وظلمتها وبعد قعرها وشدة حرها.

﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ فالجزاء من جنس العمل أي: فلهم عذاب الإحراق في النار كما أحرقوا المؤمنين في نار الأخدود.

فانتصر ـ عز وجل ـ وهو الحكيم العليم ـ للمؤمنين بمجازاة أصحاب الأخدود بإحراقهم وتعذيبهم بنار جهنم وهو القوي العزيز.

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بالسماء صاحبة البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود على لعن

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ١١٨، والترمذي في الفتن ٢١٩٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإهلاك أصحاب الأخدود الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات في دينهم وحرقوهم بالنار.

٢- أن لله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته الكونية وآياته وأحكامه الشرعية.

٣ـ التنبيه على عظمة الله ـ عز وجل ـ في خلق السموات وما فيها من البروج، وعظمة يوم القيامة وشدة أهواله، وعظمة شاهد ومشهود.

٤- أن لله عز وجل في تسليط هؤلاء الكفار على المؤمنين حكماً، منها استدراج هؤلاء الكفار من حيث لا يعلمون ومنها رفعة درجات المؤمنين، ولتكون عبرة وعظة لمن بعدهم إذ لا بد من الابتلاء والامتحان.

٥- جرأة المجرمين والكفار على ارتكاب أبشع الجرائم في حق المؤمنين من تحريق وقتل بأبشع الصور، وخلو قلوبهم من الرحمة في الوقت الذي يزعمون فيه احترامهم لحقوق الإنسان والحرية والإنسانية.

٦- أن هؤلاء الكفار فتنوا المؤمنين لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله وهكذا أعداء الرسل وأعداء أتباعهم في كل زمان ومكان يؤذون المؤمنين بغير ما اكتسبوا.

٧- إثبات اسم الله (العزيز) وصفة العزة التامة لله عز وجل عزة القوة، وعزة القهر والغلبة، وعزة الامتناع.

٨- إثبات اسم الله (الحميد) وأن له عز وجل الحمد كله وهو المحمود في كل حال وعلى كل حال.

٩- إثبات أن الله عز وجل له ملك السموات والأرض.

١٠- إثبات اطلاع الله عز وجل على كل شيء، ومن ذلك فتنة هؤلاء الكفار للمؤمنين وفي هذا تبشير وتحذير، ووعد ووعيد.

١١- كرم الله عز وجل حيث عرض التوبة على هؤلاء الكفرة المجرمين مع كفرهم به وفتنتهم لأوليائه المؤمنين.

١٢- الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لهؤلاء الكفرة المجرمين إن لم يتوبوا بعذاب جهنم وعذاب الحريق.

١٣- أن الجزاء من جنس العمل فكما أحرق هؤلاء الكفرة المجرمون أولياء الله المؤمنين بالنار جازاهم الله بعذاب جهنم وعذاب الحريق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

بعد ما بين عز وجل ما أعده للكفرة المجرمين قتلة المؤمنين من عذاب جهنم وعذاب الحريق أتبع ذلك ببيان ما أعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات من الجنات والفوز الكبير، على طريقة القرآن الكريم في الجمع بين الترغيب والترهيب، ثم أتبع ذلك ببيان قدرته عز وجل التامة على تنفيذ هذا الوعد، وذلك الوعيد فقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: صدقوا بقلوبهم ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: وعملوا الأعمال الصالحات بجوارحهم الظاهرة وحذف الموصوف وهو «الأعمال» واكتفى بالصفة ﴿ الصالحات ﴾ لأن المهم أن يكون العمل صالحاً، يتوفر فيه شرطا صلاح العمل، وهما: الإخلاص لله عز وجل، ومتابعة الرسول ﷺ.

﴿لَهُمْ﴾ خاصة عند الله عز وجل ﴿جَنَّٰتٌ﴾ وهي ما أعده الله عز وجل لنزول أوليائه من البساتين ذات الأشجار الكثيرة والثمار المتنوعة والمساكن العالية والغرف الرفيعة وغير ذلك كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

وقال ﷺ: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»(١).

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء فقط»(٢).

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ صفة لـ «جنات» أي: تجري من تحت أشجارها، ومساكنها وغرفها الأنهار، كما قال عز وجل: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق ـ ما جاء في صفة الجنة ٣٢٤٤، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب صفة الجنة ٢٨٢٤ ـ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ١/ ٤١٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٦٦.

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [العنكبوت: ٥٨] والأنهار جمع نهر، وهي كما ذكر الله عز وجل في سورة محمد ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [الآية: ١٥].

وهي تجري بغير أخدود، قال ابن القيم[(١)]:

أنهارها في غير أخدود جرت … سبحان ممسكها عن الفيضان

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الإشارة لما أعده الله عز وجل للذين آمنوا وعملوا الصالحات من الجنات والأنهار.

و«الفوز» هو النجاح والفلاح والظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب، الفوز بالجنة والنجاة من النار.

﴿ الكبير ﴾ الذي لا فوز أكبر منه، ولا نعيم أعظم منه، ويكفي أن العلي الكبير وصف هذا الفوز بالكبير، فلا يقدر قدر كبره، إلا العلي الكبير سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ أي: إن انتقام ربك يا محمد وأخذه للكفرة المجرمين والطغاة الظالمين ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: ذو شدة أي: عظمة وقوة، من حيث كمه وكيفه، لأنه عز وجل القوي العزيز، ذو القوة المتين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: إنه عز وجل من تمام عزته وقوته وكمال قدرته ﴿ يبدئ﴾ أي: يخلق ابتداء ﴿ ويعيد ﴾ أي: يبعث بعد الموت كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ [الروم: ٢٧].

وهو عز وجل الذي يُبدئ كل شيء ويعيد كل شيء له الخلق والأمر كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهو سبحانه الذي يبدئ ويعيد، يقلب الليل والنهار، ويداول الأيام، ويبدل الأحوال من عز إلى ذل ومن ذل إلى عز ومن صحة إلى مرض ومن مرض إلى صحة ومن شدة إلى رخاء ومن رخاء إلى شدة وهكذا، ولهذا لا يجوز الأمن من مكر الله، ولا القنوط

(١) في «النونية» ص٢٢٩.

من رحمته، وكما قيل:

مــا بــين طرفــة عــين وانتباهتهــا يبــدل الله مــن حــال إلى حــال

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ لمن تاب وآمن وعمل الصالحات وهذه الآية بعد قوله ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ كقولـه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

فأخذه للظالمين بعدله أخذ عزيز مقتدر، ومغفرته للتائبين – بفضله – مغفرة متودد إلى عباده يحبهم ويحبونه.

و«الغفور» و«الودود» من أسماء الله عز وجل كل منهما على وزن «فعول» فـ «الغفـور» مشتق من المغفرة، وهي ستر الذنب عن الخلق والتجاوز عن العقوبة كما في حديث ابـن عمـر في المناجاة في تقرير العبد بذنوبه وفيه قوله ﷺ: «يدنى المؤمن من ربه، حتى يضـع عليـه كنفـه، فيقرره بذنوبه، أتعرف ذنب كذا، أتذكر ذنب كذا؟، فيقول: نعم ربي فيقول الله عز وجـل: أنـا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»(١).

و«الودود» مشتق من المودة، وهي خالص المحبة، فهو عز وجل ودود، محب ومحبوب، يحب أولياءه المؤمنين ويحبونه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

فالودود المحب لأوليائه، المتحبب إليهم بنعمه الحبيب إليهم، الذي محبته لهم ومحبتهم له أقوى من كل محبة كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال عن شعيب عليه السلام أنه قال: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: ٩٠].

وفي اقتران اسم «الودود» بالرحيم وبالغفور معنى لطيف وهو أنه عـز وجـل يـرحم عبده، ويغفر له، إذا تاب إليه ويحبه مع ذلك، ولو كـان ممـن أسـرف علـى نفسـه بخـلاف المخلوق فإن الإنسان قد يرحم ويعفو عمن أساء إليه ولكن لا يحبه.

وهو عز وجل يحب الأقوال والأعمال الصالحة، قال ﷺ: «أحب الكلام إلى الله:

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٦٨٥، ومسلم في التوبة ٢٧٦٨، وابن ماجه في المقدمة ١٨٣.

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[(١)].

وقال ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر»[(٢)].

وهو عز وجل يحب الأماكن الفاضلة، قال ﷺ عن مكة: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[(٣)].

وقال ﷺ: «أحب البلاد إلى الله مساجدها»[(٤)].

وفي الحديث: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم»[(٥)].

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ أي: صاحب العرش. وفي إضافته العرش إلى نفسه دلالة على عظمة العرش، فهو سقف المخلوقات وأكبرها وأوسعها.

وفي ذلك دلالة على قربه منه سبحانه غاية القرب واختصاصه به غاية الاختصاص واستوائه عز وجل عليه، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بخفض الدال (المجيدِ) على أنه صفة للعرش، وقرأ الباقون برفع الدال (المجيدُ) على أنه صفة للرب عز وجل كما قال تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝٧٣﴾ [هود: ٧٣] فعلى هذه القراءة يكون معنى (المجيد) أي: الممجَّد المعظَّم ذو العلو والعظمة والكبرياء كما قال عز وجل في الحديث القدسي: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي»[(٦)]. ذو الصفات الكثيرة التي لا تحصى الكاملة الواسعة، وذو الخير الكثير الدائم، المتضمن لسعة العلم والقدرة والملك والغنى والجود والإحسان والكرم.

وعلى قراءة خفض الدال يكون «المجيد» صفة للعرش، والعرش عظيم كريم كبير،

---

(١) أخرجه مسلم في الآداب ٢١٣٧ – من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في الصوم ٢٤٣٨، والترمذي في الصوم ٧٥٧، وابن ماجه ١٧٢٧ – من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب – فضل مكة ٣٩٢٥ـ من حديث عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري ـ رضي الله عنه وقال: «حديث حسن غريب صحيح».

(٤) أخرجه مسلم في المساجد ـ فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ٦٧١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١١/ ٨٤ ـ من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ٢٦٢٠، وأبو داود في اللباس ٤٠٩٠، وابن ماجه في الزهد ٤١٧٤، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

بل هو أكبر المخلوقات وسع السموات والأرض والكرسي.

وفي الحديث في دعاء الكرب: «لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»(١).

ورُويَ عن أبي ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»(٢).

وقد قال الله تعالى عن الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وإذا كان العرش مجيداً فخالقه عز وجل – أحق بالمجد – كما دلت عليه قراءة الرفع، وغيرها.

وخص العرش بالذكر من بين المخلوقات لعظمته، ولاستوائه عز وجل عليه، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه عز وجل.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ «فعّال» أي: أنه عز وجل يفعل بإرادته، ومهما أراد من شيء فعله، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، لا يُسأل عما يفعل، الخلق خلقه، والملك ملكه، والأمر أمره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

رُويَ أنه قيل لأبي بكر رضي الله عنه وهو في مرض الموت: «هل نظر إليك الطبيب؟، قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟قال: قال لي: إني فعّال لما أريد»(٣).

ويؤخذ من الآية أنه يفعل بإرادته عز وجل، وأنه إذا أراد شيئاً فعله فلا يعجزه شيء وأن إرادته وفعله متلازمان، فما أراد أن يفعله فعله، وما فعله فقد أراده، بخلاف المخلوق فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريد، فما ثم فعّال لما يريد إلا الله وحده، وفعله عز وجل كله لحكمة علمناها أو لم نعلمها.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ أي: هل جاءك يا محمد خبر الجنود ممن عصوا الله وكذبوا رسله، وماذا أحل بهم من العقوبات والبأس الشديد، وفي هذا وما بعده تسلية له ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات ٦٣٤٥، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٧٣٠، والترمذي في الدعوات ٣٤٣٥، وابن ماجه في الدعاء ٣٨٨٣ ـ من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات ٦٣٤٥، ومسلم في الذكر والدعاء ٢٧٣٠، والترمذي في الدعوات ٣٤٣٥، وابن ماجه في الدعاء ٣٨٨٣.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٤/ ٥٣٩ وهو منقطع وانظر «فتح المجيد» ص٦١٦.

على تكذيب قومه وتقوية لعزيمته، وفيه تحذير وتهديد للمكذبين من أمته فهذا تقرير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ «فرعون» هو ملك مصر الذي أرسل الله إليه نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام فكابر وعاند وادعى الربوبية والألوهية، وأهلكه الله وجنوده بالغرق، فأجسادهم للغرق وأرواحهم للحرق بالنار كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

﴿ وثمود ﴾ هم قوم نبي الله صالح عليه السلام مساكنهم شمال الجزيرة في العلا،المعروفة الآن بمدائن صالح. كذبوا صالحاً عليه السلام وعقروا الناقة فأهلكهم الله بالصيحة والصاعقة.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾ «بل» للإضراب الانتقالي، أي: بل الذين كفروا وجحدوا ربوبية الله وألوهيته وأسماءه وصفاته وشرعه.

﴿ في تكذيب ﴾ أي: في تكذيب للرسول ﷺ ولما جاء به من الوحي من عند الله عز وجل.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ أي: أنه عز وجل محيط بهم من كل جانب لا يعجزونه ولا يفوتونه محيط بهم بعلمه وقدره وقدرته وسلطانه وعقابه، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: بل ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله من الوحي العظيم المعلوم.

﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: قرآن عظيم كريم، رفيع المنزلة وواسع المعاني عظيمها كثير الخير والعلم، معجز في ألفاظه ومعانيه وأحكامه وأخباره ومواعظه، ووعده ووعيده وغير ذلك لأنه كلام الحميد المجيد.

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ قرأ نافع برفع الظاء، وقرأ الباقون بخفضها.

أي: في لوح كتب الله عز وجل فيه كل شيء قضاه وقدره ﴿ محفوظ ﴾ عند الله عز وجل في الملأ الأعلى من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل والتغيير، وتطاول الشياطين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤] وقال تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

وهو محفوظ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل والتغيير بعد إنزاله كما قال

تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾ [فصلت: ٤٢].

الفوائد والعبر:

١- جمع القرآن الكريم بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد.

٢- أن الإيمان قول وعمل واعتقاد لقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم وفي هذا رد على المرجئة الذين يقولون يكفي مجرد الإيمان بلا عمل.

٣- أن من شرط قبول العمل كونه صالحاً، أي: خالصاً لله عز وجل وعلى سنة رسوله ﷺ.

٤- عظم ما أعده الله عز وجل من الثواب للمؤمنين من الجنات والأنهار والفوز الكبير.

٥- شدة بطشه عز وجل وأخذه للمكذبين الظالمين.

٦ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة له ﷺ ولأتباعه.

٧- قدرته عز وجل التامة على إبداء الخلق وإعادته وعلى تبديل الأحوال وإعادتها.

٨- إثبات اسم الله «الغفور» وما يدل عليه من إثبات صفة المغفرة الواسعة له عز وجل.

٩- إثبات اسم الله «الودود» وما يدل عليه من إثبات صفة المودة والمحبة له عز وجل وأنه يُحِب ويُحَب.

١٠- إثبات استوائه عز وجل على العرش وعظمته وكبريائه وكمال صفاته وكثرة خيره وإفضاله وإنعامه.

١١ – إثبات عظمة العرش وسعته وأنه أكبر المخلوقات.

١٢- إثبات صفة الفعل والإرادة لله عز وجل وأنه يفعل بإرادته، ومهما أراد شيئاً فعله، وفعله لحكمة علمناها أو لم نعلمها.

١٣- التذكير بقصص المكذبين، فرعون وثمود وما أحل الله بهم من العقوبات لما عصوا رسله وخالفوا أمره – تسلية للنبي ﷺ – وتحذيراً للمكذبين من أمته.

١٤- مكابرة الكفرة في تكذيب الرسول ﷺ وما جاء به من الوحي من عند الله عز وجل.

١٥- الوعيد والتهديد للكفرة المكذبين بأن الله محيط بهم ولن يفلتوا من قبضته.

١٦- عظمة القرآن وسعة معانيه وإعجازه، وحفظ الله عز وجل له في اللوح المحفوظ وبعد إنزاله على محمد ﷺ.

تفسير سورة الطارق

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر بـ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ ونحوهما»[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ الواو: حرف قسم وجر، و«السماء» مقسم به مجرور ﴿وَٱلطَّارِقِ﴾ معطوف على السماء.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ تعظيم وتفخيم له، أي: وما أعلمك ما الطارق، ثم فسره بقوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ وسمي النجم طارقاً لأنه لا يرى إلا بالليل، ومن يأتي بالليل يسمى طارقاً. ومنه الحديث: «أنه ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً»[٢]. وقوله في الدعاء: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»[٣].

قال الشاعر:

ألا طرقت من آخر الليل زينب ... عليك سلام هل لما فات مطلب

ومعنى ﴿ الثاقب ﴾ المضيء، الذي يثقب الظلام بنوره.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا هو جواب القسم، قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم «لمَّا» وقرأ الباقون بتخفيفها «لَمَا». وإنْ بمعنى «ما» النافية و«لمَّا» بمعنى «إلا» أي: ما كل نفس إلا عليها حافظ.

فأقسم ـ عز وجل ـ بالسماء، وبالطارق وهو النجم المضيء: أنَّ كل نفس من بني آدم عليها حافظ من الملائكة موكل بحفظها بأمر الله ـ عز وجل ـ كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ

---

(١) أخرجه النسائي في الافتتاح – القراءة في الركعتين الأوليين من صلاة العصر ٩٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في الحج، ١٨٠١، ومسلم في الإمارة – كراهية الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر ٧١٥، والترمذي في الاستئذان والآداب ٢٧١٢ – من حديث جابر – رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٤١٩ – من حديث عبد الله بن خنبش ـ رضي الله عنه.

﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١].ويحفظ أعمالها كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الفاء للتفريع أي: فلينظر الإنسان نظر تأمل وتفكر واعتبار.

﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ أي: من أي شيء خلق، ليعرف أصل خلقه وضعفه، وليعلم عظيم قدرة الله عز وجل، ويعترف بالمعاد، لأن من قدر على الخلق الأول فهو أقدر على إعادته من باب أولى.

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ وهو مني الرجل الذي يندفق بلذة وقوة وهو دافق ومدفوق، ومنه ومن ماء المرأة يتكون أول خلق الإنسان، من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن يكون خلقاً سوياً، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [الإنسان: ٣٧ ـ ٣٩].

﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ أي: يخرج هذا الماء ﴿مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ﴾ وهي عظام ظهر الرجل والترائب وهي عظام صدر المرأة ـ فسبحان العليم الخبير.

ويحتمل أن المراد بالترائب ترائب الرجل أيضاً أي عظام صدره، لأنه قال ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ ولم يقل: يخرج من الصلب والترائب، وهذا كقوله ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾ [النحل: ٦٦]، ولأن الله أخبر أنه خلقه من نطفة والنطفة ماء الرجل، وهو الذي يوصف بالدفق وقيل المراد بالصلب: ظهر كل من الزوجين، والترائب أطرافهما.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ﴾ أي: إنه عز وجل على إعادة الإنسان وبعثه بعد موته وفنائه ﴿لَقَادِرٞ﴾ أي: لذو قدرة تامة على ذلك، لأن من قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿يَوۡمَ﴾ أي: يوم القيامة الذي فيه ﴿تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أي: تمتحن وتختبر القلوب التي عليها مدار الصلاح والفساد، وعلى ما فيها يرتب الثواب والعقاب، فيظهر ما فيها من الأسرار والمكنونات، ويصبح السر علانية كما قال تعالى: ﴿۞أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ٩ ، ١٠]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان»[١].

(١) أخرجه البخاري في الأدب ٦١٧٧، ومسلم في الجهاد والسير ١٧٣٥، وأبو داود في الجهاد ٢٧٥٦، والترمذي في السير ١٥٨١.

﴿فَمَا لَهُۥ﴾ أي: فما للإنسان في ذلك اليوم الذي أعيد فيه خلقاً جديداً، وظهر ما كان يسره ويخفيه فصار علانية ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ أي: فما له من قوة في نفسه يستطيع بها إنكار ما ظهر من قبح سريرته، ويدفع بها عنه عذاب الله.

﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ أي: وما له من ناصر ولا معين من خارج نفسه، يدفع عنه ذلك كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنبياء: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١].

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بالسماء، والطارق أن كل نفس عليها حافظ من الملائكة يحفظها ويحفظ أعمالها.

٢- يجب على الإنسان أن ينظر ويتأمل في أصل خلقه ليرى ضعفه وعظيم قدرة الله تعالى.

٣- أن أصل خلق الإنسان من ماء الرجل والمرأة، وهو نطفة المني الذي يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة.

٤- إثبات البعث لأن الذي قدر على الخلق الأول هو أقدر على الخلق الثاني من باب أولى.

٥- امتحان القلوب يوم القيامة، وإظهار ما انطوت عليه من المكنونات.

٦- الوعيد لمن كذب أمر الله عز وجل يوم القيامة، وأنه لا يستطيع دفع عذاب الله عنه لا بنفسه ولا بغيره.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾ .

قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ الواو: حرف قسم وجر، والسماء مقسم به مجرور والمراد بها العلو.

﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ أي: صاحبة الرجع، وهو المطر، وسمي المطر بالرجع لأنه يرجع ويتكرر، والمطر سبب الرزق، وأيضاً هي ذات الرجع بأقدار الله وأوامره، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢].

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ معطوف على ما قبله فهو من جملة المقسم به، ومعنى ﴿ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ أي: صاحبة الصدع، والصدع: هو الشق للنبات.

﴿ إنه ﴾ أي القرآن الكريم ولم يسبق له ذكر لكنه معلوم معهود.

﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ أي: لقول حق، وحكم عدل، يفصل بين الحق والباطل.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ أي: وما هو باللعب واللغو والعبث، الذي لا جد فيه ولا ثمرة له ولا فائدة منه.

وفي الحديث: «وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أذله الله»[(١)].

فهو جد وأيّ جد، فيه البشارة والوعد الصادق، وفيه النذارة والوعيد الشديد والتهديد الأكيد.

قال الشاعر:

الأمـــر جـــد وهـــو غـــير مـــزاح ... فاعمـل لنفسـك صـالحاً يـا صـاح[(٢)]

وقال الآخر:

قـد رشـحوك لأمـر إن فطنـت لـه ... فاربأ بنفسك أن ترعـى مـع الهمـل[(٣)]

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن – ما جاء في فضل القرآن ٢٩٠٦ – من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٢) البيت لنشوان الحميري.
(٣) البيت للطغرائي.

والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه واضحة فإن الله عز وجل أقسم بالسماء ذات المطر وبالأرض ذات الشق للنبات وفي هذا إشارة إلى حياة الأرض بعد موتها والمقسم عليه القرآن الكريم الذي به حياة القلوب بعد موتها.

﴿ إنهم ﴾ أي: الكفار والمكذبون ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ الكيد: هو المكر والتدبير بخفية، أي: يمكرون مكراً عظيماً لصد الناس عن اتباع الرسول ﷺ وما جاء به من الوحي من عند الله عز وجل.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: وأكيد لهم كيداً، أي: أمكر بهم مكراً أشد وأعظم من مكرهم مقابلة لهم على مكرهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠].

وكيده لهم استدراجهم من حيث لا يعلمون والإملاء لهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

والله عز وجل لا يوصف بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء ونحو ذلك إلا على سبيل المقابلة في حق الكائدين والماكرين والمخادعين والمستهزئين كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل: ٥٠].

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أنظرهم ولا تستعجل لهم الانتقام والعذاب.

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ أي: أنظرهم قليلاً وسترى ما يحل بهم من العقوبات العاجلة والآجلة والعذاب والنكال كما قال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ [المزمل: ١١]، وقال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: ١٢٦].

والرب تعالى هو الذي يمهلهم وإنما خرج الخطاب للرسول ﷺ على جهة التهديد

والوعيد لهم، أو على معنى انتظر بهم قليلاً وفي هذا تسلية له ﷺ وتهديد للمشركين من قومه.

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بالسماء ذات المطر وبالأرض ذات الشق للنبات أن القرآن الكريم قول فصل وحق، جد ليس بالهزل.

٢- تعظيم القرآن الكريم ووجوب اتباعه.

٣- أن الكفار لا يألون جهداً في الكيد للحق وأهله، ولكن الله محيط بهم يكيد لهم ويمكر بهم وهو خير الماكرين.

٤- تقوية قلب النبي ﷺ تجاه أذى الكافرين وتطاولهم على الحق وأنه تعالى يمهلهم ولا يهملهم، وهو عز وجل لهم بالمرصاد.

٥- الوعيد الشديد والتهديد الأكيد للكافرين وأن العذاب لهم على الأبواب

تفسير سورة الأعلى

عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ في سُوَر مثلها»(١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾»(٢).

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال: صلى معاذ بن جبل الأنصاري لأصحابه العشاء فطول عليهم، فانصرف رجل منا فصلى، فأُخبر معاذٌ عنه فقال: إنه منافق، فلما بلغ ذلك الرجل دخل على رسول الله ﷺ فأخبره ما قال معاذ؟ فقال له النبي ﷺ : «أتريد أن تكون فتاناً يا معاذ، إذا أممت الناس، فاقرأ بالشمس وضحاها، و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾»(٣).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما»(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»(٥).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧

---

(١) اخرجه البخاري في تفسير سورة (سبح اسم ربك الأعلى) ٤٩٤١.

(٢) اخرجه أحمد ١/ ٩٦.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب ٦١٠٦، ومسلم في الصلاة - القراءة في العشاء ٤٦٥، وأبو داود في الصلاة ٧٩٠، والنسائي في الافتتاح ٩٨٤، وابن ماجه في إقامة الصلاة ٨٣٦.

(٤) اخرجه مسلم في الجمعة - ما يقرأ في صلاة الجمعة ٨٧٨، وأبو داود في الصلاة ـ ما يقرأ في الجمعة ١١٢٢، والنسائي في الجمعة ١٤٢٤، والترمذي في الجمعة ٥٣٣، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ـ ما جاء في القراءة في صلاة العيدين ١٢٨١، وأحمد ٤/ ٢٧١.

(٥) اخرجه الترمذي في الصلاة ٤٦٢.

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾.

قوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الخطاب للنبي ﷺ ولكل من يصلح له، أي: قل: سبحان ربي الأعلى.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: سبحان ربي الأعلى»(١).

ومعنى تسبيحه عز وجل تنزيهه بالقلب واللسان عن النقائص والعيوب، وعن مشابهة المخلوقين وذكره عز وجل وعبادته ودعاؤه.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم»(٢).

وهذا يدل على وجوب التسبيح في الركوع والسجود.

والرب: هو الخالق المالك المدبر.

و«الأعلى» على وزن «أفعل» التفضيل مثل «الأكرم».

ولهذا قال النبي ﷺ لما قال أبو سفيان: أعل هبل، أعل هبل، فقال النبي ﷺ: «ألا تجيبونه؟»، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: «الله أعلى وأجل»(٣).

فله عز وجل العلو المطلق: علو الذات وعلو الصفات، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، الشورى: ٤]، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠ ، الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وله عز وجل علو القدر، قال عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١، الزمر: ٦٧]، وله عز وجل علو القهر كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة – الدعاء في الصلاة ٨٨٣، وأخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٣١٠ موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة ـ ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ٨٦٩، وابن ماجه في إقامة الصلاة ـ التسبيح في الركوع والسجود ٨٨٧.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي ٤٠٤٣، وأبو داود في الجهاد ٢٦٦٢ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

قال ابن تيمية[١]: «**فتبين أن اسمه (الأعلى) يتضمن اتصافه بجميع صفات الكمال، وتنزيهه عما ينافيها من صفات النقص، وعن أن يكون له مثل، وأنه لا إله إلا هو، ولا رب سواه**».

قال ابن القيم[٢]:

فهـو العلـي بذاتـه سـبحانه	إذ يسـتحيل خـلاف ذا ببيـان
وهـو العلـي فكـل أنـواع العلـو	لـه فثابتـة بـلا نكـران

ولهذا ناسب أن يقول المسلم وهو معفر وجهه بالسجود لله عز وجل «سبحان ربي الأعلى» إعلاناً منه بأن لله عز وجل العلو المطلق سبحانه وتعالى.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي: الذي أوجد جميع المخلوقات ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي: فسوى بين خلقه في الإحكام والإتقان، وسوى خلقه بأن جعله على أحسن خلقة وأتمها؛ الإنسان والحيوان والسموات والأراضين، وسائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ [القيامة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٩]، وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨﴾ [النازعات: ٢٧ ، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩].

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ قرأ الكسائي «قَدَر» بتخفيف الدال وقرأ الباقون بتشديدها «قدَّر»، أي: والذي قدَّر مقادير كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢].

﴿فَهَدَىٰ﴾ أي: فهدى كل مخلوق وأرشده لما خلق له وقُدِّر، وهذه هي الهداية الكونية العامة، قال عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: ٥٠]، ومن ذلك بيان طريق الخير والشر للإنسان كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣].

---

(١) انظر «دقائق التفسير» ٥/ ٥٩.

(٢) انظر «النونية» ص١٤٦.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»(١).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض»(٢).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، فقال: ماذا أكتب؟، فقال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»(٣).

وفي هذا إثبات قدر الله السابق للخلق، وأنه قدر المقادير وكتبها وعلم بها قبل كونها، وهدى كل مخلوق لما قدر له، وفيه إشارة إلى أنه خلق كل مخلوق لحكمة وغاية مقصودة، فلا تتم مصلحته إلا بهدايته لتلك الغاية، من الحيوانات والنباتات والجمادات وسائر المخلوقات.

فسبحان ربنا الأعلى الذي خلق فسوى خلقه في أحسن صورة وأتمها، والذي قدَّر المقادير وهدى كل مخلوق لما قُدِّر له.

سبحان من هدى النحل يصنع العسل المصفى.

سبحان من هدى النمل لا يحفر جحره إلا في مرتفع من الأرض خشية السيول، ويدخر في الصيف قوته للشتاء، سبحان من هداه يقرض أطراف الحبوب حتى لا تنبت إذا جاءها الماء، ويخرجها من الجحر وينشرها لئلا تتعفن فإذا يبست أدخلها.

سبحان من هدى البعير، يضل صاحبه في وسط الصحراء فيهديه إلى الطريق، وإلى مواضع الماء، وسبحان من هداه أن يتحاشى في سيره وطء أي كائن حي مهما صغر حتى النملة فيما قيل.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾ أي: والذي أخرج النبات من الأرض مما ترعاه البهائم وغيرها، فكسا به الأرض وجملها كما قال تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ [الروم: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحج: ٥].

وقد أحسن القائل:

---

(١) أخرجه مسلم في القدر ٢٦٥٣.
(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣١٩٢.
(٣) أخرجه أبو داود في السنة ٤٧٠٠، والترمذي في القدر ٢١٥٥ - وقال «حديث غريب».

تأمـل في نبـات الأرض وانظـر إلى آثـار مـا صـنع المليـك
عيـون مـن لجـين شاخصـات بأحـداق هـي الـذهب السبيك
علـى كثـب الزبرجـد شـاهدات بـأن الله لـيس لـه شـريك

والعطف في قوله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ من عطف الصفات، والعطف يقتضي الاشتراك بين المعطوف والمعطوف عليه، وأن بينهما مغايرة، إما في الذات، وإما في الصفات، فهو عز وجل موصوف بكل صفة من هذه الصفات ممدوح بها مثنى عليه بها، وكل صفة منها مستوجبة لذلك.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ أي: فجعله هشيماً يابساً متكسراً بعد أن كان غضاً رطباً.

﴿أَحْوَىٰ﴾ أي: أسود بعد أن كان أخضر، كما قال تعالى ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠] أي: كالليل الأسود البهيم.

وهذا مثل للحياة الدنيا وزوالها وللعمر وفنائه، وللكافر المغتر بالدنيا وسوء عاقبته ومآله.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ الخطاب للنبي ﷺ أي: سنقرئك يا محمد القرآن فلا تنساه، وهذا وعد منه تعالى وتطمين للنبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧].

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ «إلا» أداة استثناء، أي: إلا ما شاء الله أن ينسيك إياه مما ينسخ، قال تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝﴾ [الرعد: ٣٩].

وأيضاً إلا ما شاء الله أن يقع منك من النسيان فتذكر بعد ذلك كغيرك من البشر ولهذا نسي في صلاته ﷺ وقال: «**إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني**»(١).

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي: يعلم الذي يظهره الخلق ويعلنونه والذي يضمرونه ويسرونه، من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة، أي: يعلم جهرهم وإعلانهم، وإخفاءهم وإسرارهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝﴾

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة ٤٠١، ومسلم في المساجد ٥٧٢، وأبو داود في الصلاة ١٠٢٠، والنسائي في السهو ١٢٤٢، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١٢٠٣ – من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[طه: ٧]، وقال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك: ١٣].

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: نوفقك للطريقة اليسرى في جميع أمورك ونسهل عليك، ونجعل شريعتك سهلة سمحة لا حرج فيها كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥ ـ ٧]، وقال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فأهل السعادة ييسرون لعمل أهل السعادة، وأهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾»[(١)].

﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: عظ الناس وذكرهم بالله وآياته وأيامه ونعمه وشرعه، والخطاب للنبي ﷺ والأمة أسوة به في ذلك.

﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ قال بعض المفسرين «إن» شرطية، أي: إن نفعت الذكرى فذكِّر، وإن لم تنفع فلا تذكِّر.

وقال بعضهم: المعنى ذكر بكل حال فإن الذكرى سوف تنفع.

والأظهر أن معنى الآية ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: حيث نفعت الموعظة بأن تكون الموعظة نافعة مفيدة واقعة موقعها من غير إطالة فيها تجلب الملل، ولا إكثار منها يحدث السأم، وقد كان ﷺ يتخول أصحابه في الموعظة.

فعن أبي وائل قال: كان عبد الله يعني ابن مسعود ـ يذكِّر الناس في كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم قال: «أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخوّلنا مخافة السآمة علينا»[(٢)].

والعبرة بالموعظة بالكيف لا بالكم، وخير الكلام ما قل ودل، وقصير غير مخل، خير من طويل ممل.

وبأن تكون الموعظة مناسبة لمستوى عقول وأفهام المخاطبين بها، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله»[(٣)].

---

(١) سياتي تخريجه في تفسير سورة الليل.
(٢) أخرجه البخاري في العلم ٧٠، ومسلم في صفة القيامة ٢٨٢١، والترمذي في الأدب ٢٨٥٥.
(٣) أخرجه البخاري في العلم ١٢٧.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(١).

وبأن تكون في الوقت والحال المناسبين بحيث تكون الأنفس متهيئة مقبلة فإن للنفوس إقبالاً وإدباراً فلا تكون في وقت حاجة الناس إلى الراحة والنوم، ولهذا كره النبي ﷺ الحديث بعد العشاء الآخرة(٢).

ولا في وقت شدة ألم وغضب، ولا في وقت شدة جوع أو ظمأ، ولا في حر أو برد مزعجين.

ولا في وقت الناس منشغلون فيه بالسلام على بعضهم البعض كما يحصل في بعض المناسبات يتكلم بعضهم ويقرأ القرآن، والناس يتوافدون ويسلم بعضهم على بعض بعد طول غيبة مع كثرة الصخب واللغط، فإذا سلم الناس بعضهم على بعض وانتظم المجلس فلا بأس بذلك بعد إذن صاحب المنزل بذلك.

ولهذا فإن الأولى عدم الموعظة بعد خطبة وصلاة الجمعة لعدة أمور:

أولاً: أن هذا مخالف لقول الله عز وجل ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] فقد أمر الله عز وجل بعد قضاء الصلاة بالانتشار في الأرض والتفرق فيها لابتغاء الرزق من الله.

ثانياً: أن في هذا مخالفة لهديه ﷺ في كونه يتخول أصحابه في الموعظة مخافة السآمة والملل عليهم.

ثالثاً: أن في الموعظة في هذا الوقت حبساً للناس وإحراجاً لهم، ففيهم ذو الحاجة والحاقن، وبخاصة من جاؤوا في الساعات الأولى.

رابعاً: أن الموعظة بعد خطبة الجمعة قد تنسي موضوع وخطبة الجمعة ومضمونها وهو في الغالب أهم.

ويفهم من قوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أنه إذا لم تنفع الذكرى ولم تجد شيئاً ولم تكن واقعة موقعها فلا ينبغي التذكير في هذه الحال.

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة – النهي عن الحديث بكل ما سمع ٥.

(٢) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ٥٦٨، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ٦٤٧، وأبو داود في الصلاة ٣٩٨، والنسائي ٤٩٥ – من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها».

فإذا كان المخاطب بالموعظة في حال غير مناسبة للتذكير فالأولى، بل ينبغي عدم تذكيره في هذه الحال لأنه قد يؤدي التذكير في غير وقته المناسب إلى مفسدة تفوق المصلحة المرجوة من ذلك، ولهذا قيل: «ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر»[١].

ومع وجوب مراعاة أن تكون الذكرى مناسبة في الوقت والحال ونحو ذلك إلا أنه لا يجوز أن يجعل من هذا ذريعة للتساهل في التذكير أو تركه، بحجة أن الذكرى قد لا تنفع فقد قال الله عز وجل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

قال السعدي[٢]: «﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: ما دامت الذكرى مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود، أو بعضه ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر أو ينقص من الخير لم تكن مأموراً بها، بل هي منهي عنها».

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ أي: سيتعظ وينتفع بالذكرى ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ أي: الذي يخاف الله وقيامه بين يديه كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣﴾ [الفرقان: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥﴾ [النازعات: ٤٥].

والخشية أخص من الخوف، لأنها تدل على عظم المخشي وعلم الخاشي كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ أي: ويترك الموعظة جانباً ويعرض عنها بقلبه وبدنه ﴿ الأشقى ﴾ اسم تفضيل، أي: الذي بلغ الغاية في الشقاء، وكتب عليه ذلك وهو الكافر، الذي لا ينتفع بالذكرى، فهذا لا سبيل إلى إسعاده.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد»[٣].

ومن هنا ينبغي للإنسان أن يوطن نفسه في مواضع التذكير فإنه لا يعدم فائدة وأجراً على ذلك، وقد ضعفت أنفس كثير من الناس حتى أصبح لا يستطيع الانتظار لسماع

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٨/ ١٢٦.
(٢) في «تيسير الكريم الرحمن» ٧/ ٦١٢ - ٦١٣.
(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢٠٨، ومسلم في القدر ٢٦٤٣، وأبو داود في السنة ٤٧٠٨ والترمذي في القدر ٢١٣٧، وابن ماجه في المقدمة ٧٦.

حديثين أو ثلاثة يقرأهما الإمام بعد الصلاة، وربما وقف في الشارع طويلاً يتكلم مع الآخرين دون أن يحسب لهذا الوقت حساباً ولا شك أن النفس تحتاج إلى ترويض وتوطين لفعل الخير وسماعه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقد أحسن القائل:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم(١)

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ [الليل: ١٤، ١٥] أي: الذي يدخل النار الكبرى ويغمر فيها ويقاسي حرها، وهي نار الآخرة، وسميت الكبرى لأنها ضوعفت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً كما قال ﷺ: «ناركم التي توقدون عليها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»(٢).

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ أي: ثم لا يموت في النار فيستريح من العذاب.

﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: ولا يحيا حياة طيبة، بل هي حياة شقاء وعذاب، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبُثّوا على أنهار الجنة، ثم قيل يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان في البادية»(٣).

وهذا الحديث يدل على أن المراد بقوله ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أهل النار الذين هم أهلها، وهم الكفرة المخلدون فيها.

(١) البيت لشرف الدين البوصيري.
(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢٦٥، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٤٣، والترمذي في صفة جهنم ٢٥٨٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم في الإيمان – إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ١٨٥، وأحمد ٣/ ٥، ١١، ٢٠.

الفوائد والعبر:

١- وجوب تسبيح الرب سبحانه وتعالى لأمر الله عز وجل نبيه بذلك وهو أمر له ﷺ ولأتباعه.

٢ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة لنبيه ﷺ.

٣- إثبات اسم الله «الأعلى» وصفة العلو المطلق له عز وجل علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر، وعلو القدر.

٤- كمال عظمة الله عز وجل وقدرته فهو الذي خلق الخلق فسواه، وقدر مقادير الخلق وهدى كل مخلوق لما قدر له، وأخرج النبات ثم جعله أسود يابساً.

٥- الرد على القدرية القائلين بأن الله لم يقدر أفعال العباد.

٦- الإشارة إلى أن الحياة الدنيا متاع قليل، وإلى قصر عمر الإنسان فيها، لقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾.

٧- وعد الله عز وجل لرسوله ﷺ بأن يقرئه القرآن فلا ينسى إلا ما شاء الله أن ينسيه إياه مما ينسخه ونحو ذلك.

٨ ـ إثبات المشيئة والإرادة لله ـ عز وجل ـ وأنه ـ عز وجل ـ قد ينسي نبيه ما شاء وينسخ ما شاء.

٩- علم الله عز وجل بما يجهر به الخلق وما يخفونه، وما يُظهر وما يُسر.

١٠- وعد الله عز وجل لرسوله ﷺ بتيسيره لليسرى في شريعته وفي أمور دينه ودنياه.

١١- أمر الله عز وجل لرسوله بالتذكير حيث تنفع الذكرى، وهو أمر له ﷺ ولأمته.

١٢- ينبغي أن يكون التذكير في الوقت المناسب والحال المناسب.

١٣- إنما يتذكر وينتفع بالموعظة من يخشى الله عز وجل ويصرف عنها الأشقى الذي هو من أهل النار.

١٤- أن نار الدنيا صغرى بالنسبة لنار الآخرة، فهي النار الكبرى العظيمة.

١٥- أن المعذب في النار لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة طيبة، بل هو في شقاء أبدي وعذاب سرمدي ـ نسأل الله السلامة والعافية.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ «قد» حرف تحقيق (أفلح) فاز ونجح ونجا من المرهوب وظفر بالمطلوب، زحزح عن النار وأدخل الجنة، كما قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: الذي تطهر، أي: طهر نفسه ظاهراً وباطناً من الشرك والمعاصي، وطهرها بالعمل الصالح ومن ذلك أداء زكاة المال وزكاة الفطر، وغير ذلك.

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ بأنواع الذكر من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

﴿فَصَلَّىٰ﴾ أي: فصلى الصلوات الخمس في أوقاتها، وغيرها من الصلوات كصلاة العيد وغيرها.

وفي عطف قوله ﴿فصلى﴾ على قوله ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ دلالة على عظم منزلة الصلاة بين أنواع الذكر، لأن الصلاة من ذكر الله فهذا من عطف الخاص على العام.

وقد حمل بعض المفسرين قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ على أداء زكاة الفطر، وقوله ﴿فَصَلَّىٰ﴾ على أداء صلاة العيد، والآية أعم من هذا فهي تشمل هذا وغيره.

وفي تقديم قوله ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ على قوله ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ إشارة إلى أن صدقة الفطر تخرج قبل صلاة العيد، كما أن في ذلك إشارة إلى عظم حقوق الخلق، لأن في قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ حثاً على الإحسان إلى عباد الله، كما أن في قوله ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ حثاً على الإحسان في عبادة الله عز وجل وفي ذلك أيضاً إشارة إلى أن التخلية قبل التحلية.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ «بل» للإضراب الانتقالي.

﴿تؤثرون﴾ قرأ أبو عمرو بالياء (يؤثرون) وقرأ الباقون بالتاء (تؤثرون) أي: تقدمون الحياة الدنيا، وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل على الآخرة وسميت هذه الحياة «الدنيا» لقربها فهي قبل الآخرة، ولهذا سميت الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى: ٤]، ولأنها دنيئة حقيرة لا قيمة لها بالنسبة للآخرة.

والمعنى: بل تقدمون الحياة الدنيا الفانية على الآخرة الباقية، فتعملون للدنيا وتتركون العمل للآخرة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه، وقال: «آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا، لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا

الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل»(١).

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أي: والدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى منها كما قال تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] فالدنيا لا تساوي شيئاً بالنسبة للآخرة كما قال تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال ﷺ: «لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»(٣).

وذلك أن الدنيا دار كبد ونكد ونصب، دار الهموم والأحزان والمصائب، والآخرة لمن وفقه الله دار النعيم والثواب والسرور والحبور.

والآخرة أبقى من الدنيا لأن الدنيا تفنى وتزول، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»(٤).

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ الإشارة في قوله ﴿إن هذا﴾ إلى قوله ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾.

رُوِيَ عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: هل عندنا مما في صحف إبراهيم؟، فقال ﷺ: «نعم»، وقرأ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٣٢٢.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٢٠، وابن ماجه في الزهد ٤١١٠ - من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه. وقال الترمذي «حديث صحيح غريب».

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٧١.

(٤) أخرجه أحمد ٦/ ٤١٢.

صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾»[(١)].

ويحتمل رجوعه إلى قوله ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ ويحتمل رجوعه إلى كل آيات السورة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ قال: كلها في صحف إبراهيم وموسى»[(٢)].

والصحف: جمع صحيفة، و«الأولى» بمعنى الصحف السابقة المتقدمة.

وصحف إبراهيم: هي ما أنزله الله عز وجل على نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام – سماها الله «صحفاً» هنا وفي قوله ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٦، ٣٧] ولم يرد تسميتها باسم كتاب معين كالقرآن والزبور والتوراة والإنجيل.

وصحف موسى هي التوراة التي أنزلها الله على موسى بن عمران عليه السلام كما قال الله عز وجل عن القرآن ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦].

ويؤخذ من هذا التوافق بين القرآن الكريم وصحف إبراهيم وموسى وغيرها من الكتب السماوية وبخاصة في أصول الشرائع حيث اشتمل القرآن على كل ما في هذه الكتب من أصول الشرائع والدعوة إلى الخير والتحذير من الشر وبهذا صار مهيمناً عليها كما قال عز وجل ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

الفوائد والعبر:

١- تحقيق الفلاح والفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب لمن زكى نفسه وماله وذكر اسم ربه وصلى له.
٢ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة ـ لمن تطهر وذكر اسم ربه وصلى له.
٣- إيثار كثير من الناس وتقديمهم للحياة الدنيا الحقيرة الفانية على الآخرة العظيمة الباقية.
٤- إثبات اليوم الآخر والدار الآخرة.
٥- الترغيب في الاستعداد للآخرة التي هي خير وأبقى وهي الحياة الحقيقية.
٦- توافق الكتب السماوية في أصول الشرائع.
٧- إثبات صحف إبراهيم وموسى، واشتمالها على ما جاء في هذه السورة أو بعضه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/١٦٦ – ١٦٩ من حديث طويل وقد ذكر الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» قطعة منه في باب الترهيب من الظلم وفي باب الترغيب في الصمت، وقال في آخره: رواه أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد».
(٢) أخرجه النسائي فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٠٥.

تفسير سورة الغاشية

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ و ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ وإن وافق يوم جمعة قرأهما جميعاً»[(١)].

وعن الضحاك بن قيس أنه سأل النعمان بن بشير رضي الله عنه: «بم كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة؟، قال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾»[(٢)].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ الاستفهام للتنبيه والتعظيم، والخطاب للنبي ﷺ ولكل من يصلح له الخطاب. وهذا كقوله ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤﴾ [الذاريات: ٢٤]، وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾ [النازعات: ١٥]، وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨﴾ [البروج: ١٧، ١٨].

أي: هل جاءك نبأ وخبر الغاشية، وهي القيامة، سميت بذلك لأنها تغشى الناس بأهوالها، وتذهلهم بشدتها.

ولهذا ذكر بعد هذا أحوال الناس فيها وانقسامهم إلى فريقين فقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ إلى قوله ﴿وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ﴾

قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ أي: وجوه في ذلك اليوم ذليلة من الخزي والفضيحة، وهي وجوه الكفار والمكذبين، فهم في ذلك اليوم أشد ما يكونون ذلاً وخوفاً كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أي: عاملة في ذلك اليوم عملاً يكون فيه النصب والتعب من جر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في الجمعة – ما يقرأ في صلاة الجمعة ٨٧٨، وأبو داود في الصلاة – ما يقرأ في الجمعة ١١٢٣، والنسائي في الجمعة ١٤٢٣، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها – ما جاء في القراءة في الصلاة يوم الجمعة ١١١٩.

السلاسل والأغلال الثقيلة والخوض في العذاب في نار جهنم.

وقيل: قد عملت في الدنيا عملاً كثيراً، نصبت وتعبت فيه لكنه لم ينفعها، لأنه عمل غير صالح ليس خالصاً لله ولا على سنة رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

عن أبي عمران الجوني قال: «مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدير راهب، قال: فناداه: يا راهب، فأشرف، قال: فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله عز وجل في كتابه ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ فذاك الذي أبكاني»[(1)].

وهذا المعنى وإن كان صحيحاً إلا أن دلالة السياق على المعنى الأول أظهر، لأن السياق في أهوال وأحوال القيامة.

وهذا المعنى الذي أشار إليه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ موجود في بعض المنتسبين إلى الإسلام، كمن يزكي ويصوم ويحج، ويعمل بعض الطاعات لكنه يقع في الرياء والشرك، أو لا يصلي ونحو ذلك، فهذا عمله يذهب هباء منثوراً.

كما أنه قد يفوت على كثير من المسلمين أجر كثير من الأعمال التي يقومون بها في خدمة الأمة والقيام بمسؤولياتها كالتدريس والأعمال الوظيفية في الوظائف الشرعية وغيرها بسبب غياب النية والاحتساب مما يسبب أيضا مع فوات الأجر التبرم من العمل والإحباط وانحطاط المعنويات وانتظار التقاعد المبكر، وما علموا أن العمل في خدمة الأمة ومصالحها جهاد يؤجرون عليه إذا هم أخلصوا النية وأحسنوا العمل. فوا أسفا على أعمار وأعمال تضيع سدى بسبب غياب النية والاحتساب فهذا موظف يشكو من الدوام، وهذا مدرس يشكو من النصاب، وهذا إمام ومؤذن يشكو من الارتباط وهكذا وكل هذا بسبب غياب حسن النية والاحتساب.

---

(١) أخرجه أبو بكر البرقاني – فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٠٦ – ٤٠٧.

فيا أخي الكريم لتربح جميع عمرك أحسن العمل واستحضر النية الصالحة في عملك وفي جلوسك مع أهلك وأولادك وإخوانك، وفي أكلك وشربك ونزهتك وبيعك وشرائك ونومك وجميع أحوالك في أمور دينك ودنياك، ولا تكن من الغافلين. واعلم أن الموفقين عاداتهم عبادات، وأن المخذولين عباداتهم عادات. وانظر أين أنت من هؤلاء وهؤلاء.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم بضم التاء (تُصْلى) وقرأ الباقون بفتحها (تَصلى). أي: تدخل ناراً شديدة الحرارة تغمرها من كل جانب، وتُقلَّب فيها.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أي: تسقى من عين بالغة الغاية في الحرارة، كما قال: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝﴾ [الواقعة: ٥٤، ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۝﴾ [محمد: ١٥]

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ﴾ أي: ليس لهم في النار طعام يأكلونه.

﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ أي: إلا طعاماً من ضريع، وهو شجر في النار خبيث شديد المرارة منتن الرائحة كثير الشوك ينشب في الحلق كما قال تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٦].

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ لا يحصل به سمن الجسم، ولا يدفع الجوع، ولا ينفع الجسم لا ظاهراً ولا باطناً، فمسكنهم النار الحامية، وشرابهم المهل والحميم، وطعامهم الضريع والزقوم فبئس الحال و المآل.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ذكر في الآيات السابقة حال ومصير وعذاب الأشقياء وهم الكفار المكذبون ثم أتبع ذلك بذكر حال ومصير ونعيم السعداء، وهم المؤمنون، فقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ إلى قوله ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أي: تظهر عليها آثار الترف والنعمة، ونضارة النعيم، وبهجة القلوب وسرورها، وهي وجوه المؤمنين.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي: لعملها الذي قدمته في الدنيا ﴿رَّاضِيَةٌ﴾ لأنه كان سبب دخولها الجنة وتنعمها فيها، وسعادتها في دنياها وأخراها.

﴿فِي جَنَّةٍ﴾ الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله لأوليائه المتقين وحزبه المفلحين ﴿عَالِيَةٍ﴾ أي: رفيعة المنزلة فوق السموات في أعلى عليين وسقفها عرش الرحمن، قال تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠] وهي عالية أيضاً أي: عظيمة القدر.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء المضمومة (لا يُسمع) و«لاغيةٌ» بالرفع، وقرأ نافع بالتاء المضمومة (تُسمع)، وقرأ الباقون بالتاء المفتوحة (تَسمع) ونصب (لاغيةً) أي: لا تسمع في الجنة كلمة ساقطة، أو لا معنى لها، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ ﴿عين﴾ اسم جنس، أي: فيها عيون جاريات أي: سارحات، تجري بغير أخدود، يفجرونها، ويشربون منها، ويصرفونها كيف شاؤوا كما قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦].

منها: عين التسنيم، والكافور والسلسبيل، قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٥، ٦]، وقال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٨]، كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال، أو من تحت جبال المسك»(١).

وهذه العيون والأنهار تجري في غير أخدود.

قال ابن القيم(٢):

أنهارها في غير أخدود جرت ... سبحان ممسكها عن الفيضان

﴿فِيهَا سُرُرٌ﴾ السرر: جمع سرير، وهي موضع الجلوس والاضطجاع ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ أي: عالية مرتفعة السمك كثيرة الفرش ناعمة الملمس، عليها الحور العين، فهي مرفوعة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٨/ ٤٠٨.

(٢) انظر «النونية» ص٢٢٩.

مرتفعة حساً ومعنى.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ أقداح معدة للشراب.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ نمارق: جمع نِمرقة - بكسر النون، أي: وسائد ومرافق يتكأ عليها ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ أي: مصفوف بعضها إلى بعض فجمعت بين لذة الاتكاء إليها وجمال الصف، وحسن الترتيب.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ أي: وبسط جميلة فاخرة.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مفرقة مبسوطة في المجالس ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأصحابه: «ألا مشمر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبداً في حبرة ونضرة، في دور عالية سليمة بهية»، قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله، قال: «قولوا إن شاء الله»، ثم ذكر الجهاد وحض عليه»[1].

الفوائد والعبر:

١- إثبات القيامة وأنها تغشى الناس بأهوالها وشدائدها.

٢- تشريف الله - عز وجل - لنبيه ﷺ في خطابه له، وتنبيهه وأمته لعظيم يوم القيامة.

٣- انقسام الناس في ذلك اليوم العصيب إلى فريقين: فريق وجوههم ذليلة مصيرهم النار الحامية وما فيها من ألوان العذاب، وفريق وجوههم ناعمة مصيرهم الجنة وما فيها من أصناف النعيم.

٤- نَصَبُ المعذبين وتعبهم وعملهم بجر السلاسل والخوض في النار.

٥- عمل الكفار وأهل البدع أعمالاً كثيرة ونصبهم فيها، لكنها لا تنفعهم، بل تكون هباء منثورا.

٦- يجمع للمعذبين بين اصطلاء النار الحامية، وشراب الحميم وطعام الضريع المنتن المر الذي ينشب بالحلق، ولا يسمن ولا يغني من جوع.

٧- نعومة وجوه أهل الجنة لعظم ما هم فيه من النعيم المعنوي والحسي.

٨- رضى المنعمين في الجنة عن سعيهم وما أعد لهم وهذا من أعظم النعيم المعنوي.

٩- علو الجنة ومنازلها ورفعة سررها وفرشها.

١٠- سلامة أهل الجنة من المنغصات والمكدرات ومن سماع اللغو لقوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾.

١١- عظم ما أعد لأهل الجنة من ألوان النعيم، فعيون جارية، وسرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ووسائد مصفوفة، وبسط مفرقة مبسوطة في المجالس.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الزهد ٤٣٣٢.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

بعد ما ذكر عز وجل انقسام الناس يوم القيامة إلى أشقياء وسعداء، وذكر حال ومآل كل منهم وما أعد له من الجزاء أتبع ذلك بالأمر بالتأمل والنظر في عظيم مخلوقاته الدالة على كمال قدرته وعظمته واستحقاقه للعبادة وحده وقدرته على بعث الناس وحسابهم.

قوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ والتقريع للمكذبين بالبعث المنكرين للمعاد.

أي: أعموا فلا ينظرون نظر تأمل وتفكر ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ هذه المخلوقات العجيبة التي بين أيديهم يركبونها ويحلبونها ويأكلون لحمها، وينتفعون بأوبارها وجلودها وغير ذلك من منافعها.

﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ أي: كيف خلقت على هذه الكيفية العظيمة من كبر الأجسام وقوتها، وتركيبها الغريب العجيب، ولين انقيادها، وشدة صبرها وتحملها، وكثرة منافعها، تحمل الركاب والأثقال، ويستخرج بها الماء من الآبار، وتشرب ألبانها، وتعد من أنفع وأحسن الأغذية للجسم ويستشفى بها وبأبوالها من الحمى ومن كثير من الأمراض المستعصية والجلدية وغيرها، وتؤكل لحومها، وينتفع بوبرها وجلودها إلى غير ذلك من منافعها العظيمة وفوائدها الكثيرة ولهذا خصها بالذكر من بين سائر بهيمة الأنعام، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس: ٧١-٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل: ٧].

فتحمل الأثقال العظيمة، بل من قوة هذه الإبل أن الأثقال تحمل عليها وهي باركة، ثم تقوم بحملها وهذا من عناية الله عز وجل بالإنسان حيث لا يمكنه الحمل عليها وهي قائمة لارتفاعها فأعطاها الله عز وجل هذه القوة وأقدرها على القيام بحملها، كما أقدرها

على قطع المسافات الطويلة، وتحمل شدة الحر والظمأ وشدة البرد وظروف الحياة الصحراوية القاسية على اختلاف فصول السنة، ويقال أنها تصبر عن الماء وتتحمل العطش نحو عشرة أيام في شدة الحر.

وتدل صاحبها إذا تاه عن الطريق، كما تدله إلى مورد الماء، وتفي لصاحبها إذا أحسن إليها، وتنتقم منه ولو بعد حين إذا أساء إليها، وتتحاشى في سيرها وطء أيّ كائن حي مهما صغر حتى النملة فيما قيل.

وقد ذكر أن رجلاً كان يسير خلف جمله في الصحراء في آخر الليل وكان مجموعة من اللصوص «الحنشل» نائمين في وسط الطريق لعل أحداً يأتي فيأخذوا ما معه، فأبصرهم الجمل وتنحى عنهم جانباً، أما صاحبه فاستمر في طريقه حتى وقع عليهم، فقاموا وأخذوا جمله وما معه.

ويقال: إنها إذا فقدت فصيلها بين الإبل رجعت إلى آخر مكان درّت فيه على ولدها وأرضعته فيه ولا تكاد تخطئ ذلك غالباً، وهو كذلك إذا كان يستطيع المشي، يبحث عنها في آخر مكان رضعها فيه، وتحزن وتصاب بحالة نفسية عندما يؤخذ وليدها، أو يذبح أمامها جمل آخر، وتحس بمصدر الخطر على أهلها إذا أقبل وجهته فتسرع في السير إن كانت في مسير، وتشنف آذانها وتمد عنقها وتضطرب وتنهض إذا كانت باركة إنذاراً لأهلها بالخطر.

وأهل الإبل يعرفون من عجائب أحوالها الشيء الكثير. لكن مما يستغرب من الإبل مع ماذكر عنها عدم ابتعادها عن السيارات في الطرقات العامة بينماكثير من الحيوانات تبتعد عنها. فقد يكون هذا بسبب غرورها وكبريائها واعتدادها بقوتها أو غير ذلك.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾ معطوف على الإبل، أي: أفلا ينظرون إلى السماء كيف رفعها الله عز وجل فوقهم بلا عمد – كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦﴾ [ق: ٦]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [الرعد: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن: ٧].

﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾ أي: كيف جعلت منصوبة قائمة أمام أعينهم راسخة راسية في الأرض لئلا تميد بأهلها في وسط الماء المحيط بها من كل جانب، قال تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [النحل: ١٥، لقمان: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ [الأنبياء: ٣١]، مع ما أودع الله فيها من المنافع من المعادن وغيرها.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن ما نشاهده من الجبال فوق سطح الأرض هو مقدار ثلثها فقط وثلثها راسخة في الأرض.

﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ أي: كيف بسطت ومدت ومهدت وفرشت، فجعلت مسطحة يسهل العيش والبناء عليها وزراعتها والاستفادة من خيراتها مع أنها في الأصل كروية الشكل، قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٩، ٢٠].

فوجه الله عز وجل العرب إلى النظر والتأمل في آيات الله الكونية التي بين أيديهم ويشاهدونها: الإبل التي يركبونها، ويحملون عليها أثقالهم، ويحلبونها ويأكلون لحومها، وينتفعون بأوبارها وجلودها إلى غير ذلك من منافعها، وإلى السماء التي فوقهم، وإلى الجبال المنصوبة أمام أعينهم، وإلى الأرض التي يعيشون عليها ويسيرون، وينتفعون بخيراتها، وهذا أدعى لقبولهم، وأقوى في قيام الحجة عليهم، وكان شريح القاضي رحمه الله يقول لأصحابه: «اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت».

وهذا بخلاف ما لو وجهت أنظارهم لما لم يكن مشاهداً لهم ولا معلوماً مما جد من المخترعات والمصنوعات من السيارات والطائرات وانتقال الأصوات بواسطة الآلات، وغير ذلك مما هو داخل تحت قوله عز وجل ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨].

وعن أبي تميمة عن رجل من قومه أتى النبي ﷺ أو قال شهدت النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: أنت رسول الله؟ أو قال: أنت محمد؟ فقال: «نعم» قال: إلام تدعو؟، قال: «أدعو إلى الله عز وجل وحده، من إذا كان بك ضر دعوته كشفه عنك، ومن إذا أصابك عام سنة دعوته أنبت لك، ومن إذا كنت في أرض قفر، فأضللت فدعوته رد عليك..»(١).

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال له: «من ذا الذي ينبت النبات؟»، قال: الله، قال: «من الذي تدعوه في البحر؟»، قال: الله»

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد، إنه أتانا رسولك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟، قال:

---

(١) اخرجه أحمد ٤/ ٦٥.

«صدق»، قال: فمن خلق السماء؟، قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟، قال: «الله»، قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟، قال: «الله»، قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟، قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟، قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟، قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا؟، قال: «صدق»، قال: ثم ولى، فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة»[(١)].

﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: ذكر الناس يا محمد، وعظهم بما أنزل الله إليك من الكتاب والحكمة كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝﴾ [ق: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الذاريات: ٥٥].

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ ﴿ إنما ﴾ أداة حصر، والحصر هو: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه. أي: ما أنت إلا مذكر فقط، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣، وقال تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقد ذكّر ﷺ وبلّغ البلاغ المبين حتى أتاه من ربه اليقين، وكان يردد ﷺ وهو يجود بنفسه «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم»[(٢)].

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: لست يا محمد على الناس بمتسلط جبار تكرههم على الإيمان كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً في العلم ـ ما جاء في العلم ٦٣، وأخرجه موصولاً مسلم في الإيمان ـ في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين ١٢، والنسائي في الصيام ـ وجوب الصيام ٢٠٩١، والترمذي في أبواب الزكاة – ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك ٦١٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الجنائز ١٦٢٥، وأحمد ٦/ ٢٩٠، ٣١١، والبغوي في «معالم التنزيل» ١/ ٤٢٦ ـ من حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها.

الله عز وجل ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝﴾»[١].

فمهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنهم محمد ﷺ سيدهم وأفضلهم هي التذكير وتبليغ الدعوة فقط، وهكذا مهمة الدعاة إلى الله والمصلحين والمربين، أما هداية القلوب فهي بيد علام الغيوب.

وفي هذا تسلية له ﷺ وهي تسلية للدعاة والمصلحين من أمته، لأنه إذا كان ﷺ تمرد عليه من تمرد من قومه بل من قرابته، وقال الله عز وجل له ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ مع أنه مرسل من عند الله عز وجل مؤيد بالوحي، فتمرد كثير من الناس على الدعاة من بعده من باب أولى وأحرى.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ الاستثناء منقطع، أي: لكن من أعرض عن اتباع الحق والعمل به ببدنه وجوارحه، ﴿ وكفر ﴾ أي: وجحده بقلبه ولسانه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝﴾ [القيامة: ٣١ ـ ٣٢].

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ وهو عذاب الآخرة في النار، كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [القلم: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [الرعد: ٣٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله، و من يأبى؟، قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[٢].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلكلم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله»[٣].

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ في هذا وعد لمن آمن، ووعيد لمن كفر، كما أن فيه تسلية للرسول ﷺ تجاه من تولى وكفر من قومه.

قرأ أبو جعفر بتشديد «الياء» (إِيَّابهم)، وقرأ الباقون بتخفيفها (إيابهم) أي: إلينا رجوعهم ومآبهم ومصيرهم، وعلينا طريقهم ونحن لهم بالمرصاد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝﴾ [الفجر: ١٤].

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٢٩٤٦، ومسلم في الإيمان – الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ٢١، وأبو داود في الجهاد ٢٦٤٠، والنسائي في الجهاد ٣٠٩٠، والترمذي في الإيمان ٢٦٠٦، وابن ماجه في الفتن ٣٩٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة ٧٢٨٠.

(٣) أخرجه أحمد ٥/٢٥٨.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ أي: ثم إن علينا محاسبتهم على أعمالهم ومجازاتهم عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

لكن المؤمنين يحاسبون حساباً يسيراً كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧، ٨].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يدني الله المؤمن يوم القيامة فيقرره بذنوبه، فيقول أتذكر ذنب كذا وكذا؟، فيقول: نعم ربي، فيقول الله عز وجل: أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»[(١)].

وأما الكافرون فيحاسبون حساباً عسيراً كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ إلى قوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٣٢].

فتحصى عليهم أعمالهم ويناقشون عنها أمام الملأ وعلى رؤوس الأشهاد، ويقال: ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: ١٨].

ولهذا قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «من نوقش الحساب هلك»، وفي رواية: «عذب»[(٢)].

الفوائد والعبر:

١- الحث على النظر والتأمل في آيات الله ومخلوقاته العظيمة، والإنكار على من يغفل عن ذلك.

٢- عظم آيات الله عز وجل وتمام قدرته في خلق الإبل ورفع السماء، ونصب الجبال وسطح الأرض.

٣- مخاطبة الناس بما يعرفون فقد وجه الله العرب للنظر فيما بين أيديهم من المخلوقات إقامة للحجة عليهم ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾.

٤- أن مهمة الرسول ﷺ والواجب عليه، وعلى أتباعه التذكير، وهداية الناس بيد الله عز وجل.

٥- أن الرسول ﷺ ليس بمسلط على الناس يلزمهم الهداية.

٦- الوعيد لمن تولى وكفر بالعذاب الأكبر يوم القيامة عذاب النار.

٧- أن مرجع الخلائق كلهم ومصيرهم إلى الله عز وجل وعليه حسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ٤٩٣٩، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها – إثبات الحساب ٢٨٧٦.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٥٣٦، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٧٦، وأبو داود في الجنائز ٣٠٩٣، والترمذي في صفة القيامة ٢٤٢٦ ـ من حديث عائشة ـ رضي الله عنها.

تفسير سورة الفجر

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل فصلى معه فطوّل، فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً، فقال: منافق. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى، فقال: يا رسول الله، جئت أصلي معه فطوّل عليَّ، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد، فعلفت ناضحي، فقال رسول الله ﷺ: «أفتان يا معاذ؟، أين أنت من ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾.

قوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾.

الواو: حرف قسم وجر، و«الفجر» وما عطف عليه وهو قوله ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ كل ذلك مقسم به مجرور، ولله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لما فيها من الدلالة على عظمته هو، أما المخلوق فلا يجوز أن يقسم إلا بالله.

﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ هو الصبح والنور الساطع الذي يكون متصلاً بالأفق الشرقي ويمتد شمالاً وجنوباً، قبل طلوع الشمس بساعة ونصف إلى ساعة وربع تقريباً حسب اختلاف الفصول، وهو الفجر الصادق الذي لا ظلمة بعده، بل يتلوه طلوع الشمس، وهو وقت عظيم لأنه وقت إقبال ضوء النهار وإدبار ظلمة الليل، ووقت صلاة الفجر، التي قال الله عنها: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨]، وهو وقت إمساك الصائم عن المفطرات. وعُرِّف «الفجر» باللام، لأنه معروف لكل أحد.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشر ذي الحجة، والمراد أيامها، أقسم الله عز وجل بها لعظيم فضلها، قال ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام» يعني عشر ذي

---

(١) اخرجه النسائي بهذا اللفظ فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤١٢، وقد سبق تخريجه في تفسير سورة الأعلى، وليس فيه ذكر «والفجر».

الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟، قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء»(١).

وقيل: إن المراد بهذه الليالي العشر الاواخر من رمضان، لقوله: «وليال» ولم يقل (وأيام) فأقسم الله عز وجل بهذه الليالي لشرفها وفضلها لأن فيها ليلة القدر، وكان الرسول ﷺ يقومها ويعتكف فيها ويرغب في ذلك.

﴿وَٱلشَّفۡعِ﴾ يوم النحر ﴿ وَٱلۡوَتۡرِ ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الواو (والوِتر)، وقرأ الباقون (والوَتر) بفتحها ﴿ والوتر ﴾ يوم عرفة.

عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر»(٢).

وقال بعض المفسرين: الشفع الخلق كله، والوتر: الخالق سبحانه كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائةً إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»(٣).

وقال بعضهم: الشفع والوتر: المخلوقات منها شفع ووتر، وكذلك العبادات كلها منها ما هو شفع، ومنها ما هو وتر. أي: في عددها فالصلاة منها ما هو شفع كالثنائية والرباعية، ومنها ما هو وتر كالثلاثية.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر، فقال: «هي الصلاة بعضها شفع، وبعضها وتر»(٤).

قال ابن القيم(٥): «هذه الشعائر المعظمة منها شفع ومنها وتر، في الأمكنة والأزمنة والأعمال، فالصفا والمروة شفع، والبيت وتر، ومنى ومزدلفة شفع، وعرفات وتر، وأما الأعمال فالطواف وتر، وركعتاه شفع، والطواف بين الصفا والمروة وتر، ورمي الجمار

---

(١) أخرجه البخاري في العيدين – فضل العمل في أيام التشريق ٩٦٩، وأبو داود في الصوم ٢٤٣٨، والترمذي في الصوم ٧٥٧، وابن ماجه ١٧٢٧ ـ من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٣٢٧، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٣٤٨. قال ابن كثير في «تفسيره»: «إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة».

(٣) أخرجه البخاري في الشروط ٢٧٣٦، ومسلم في الذكر والدعاء ٢٦٧٧، وابن ماجه في الدعاء ٣٨٦٠.

(٤) أخرجه أحمد ٤/٤٣٧، والترمذي في تفسير سورة الفجر٣٣٤٢، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٣٥٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/٣٤٢٣.

(٥) انظر «بدائع التفسير» ٥/٢٠٦ – ٢٠٧.

وتر، كل ذلك سبع سبع، وهو الأصل فإن الله وتر يحب الوتر، والصلاة منها شفع ومنها وتر، والوتر يوتر الشفع فتكون كلها وتراً، وأما الزمان فإن يوم عرفة وتر، ويوم النحر شفع.. إلى أن قال وذكرت أقوال أخر هذه أصولها، ومدارها كلها على قولين: أحدها أن الشفع والوتر نوعان للمخلوقات والمأمورات، والثاني: أن الوتر الخالق، والشفع المخلوق، وعلى هذا القول فيكون قد جمع في القسم بين الخالق والمخلوق».

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ أي: والليل إذا سار ومضى وذهب وأدبر.

والسُّرى هو السير في الليل، وفي المثل «عند الصباح يحمد القوم السُّرى»

ويحتمل أن المعنى: والليل إذا أقبل بظلامه فيكون عز وجل أقسم بالليل إذا أقبل بظلامه وبالفجر إذا أقبل بضيائه كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير: ١٧، ١٨].

فأقسم عز وجل بالليل في سريه إقبالاً وإدباراً لما فيه من الآيات العظيمة والأوقات الفاضلة من أوقات الصلوات والنزول الإلهي، وغير ذلك.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ «هل» حرف استفهام للتحقيق والتقرير ﴿ في ذلك ﴾ الإشارة للقسم السابق وما أقسم به.

﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾ أي: لصاحب عقل ولب وحجا وبصيرة، وسُمي العقل حجراً لأنه يحجر على صاحبه ويمنعه عما لا يليق به من الأفعال والأقوال.

والمعنى: في هذا القسم الذي أقسم الله به في هذه الآيات أعظم الإقناع والكفاية لمن كان ذا عقل ولب وألقى السمع وهو شهيد.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، أي: ألم تعلم كيف فعل ربك بهم، والخطاب للنبي ﷺ ولكل من يصلح خطابهُ و(عاد إرم) هم أولاد عاد بن إرم ينتهي نسبهم إلى نوح عليه السلام، وهم عاد الأولى أرسل الله إليهم نبيه هوداً عليه السلام ومنازلهم بالأحقاف جنوب الجزيرة في اليمن.

﴿ ذات العماد ﴾ عطف بيان، أي: صاحبة العماد، نسبة إلى الأعمدة الشديدة الطويلة التي ترفع بها بيوت الشعر والخيام التي يسكنونها.

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ أي: القبيلة التي لم يخلق مثلها في جميع البلاد، من حيث كبر وطول أجسامهم وعظم خلقهم وقوة تركيبهم، وشدة قوتهم وبطشهم، حتى إنه رُويَ أن الواحد منهم يحمل الصخرة العظيمة فيلقيها على الحي فيهلكهم، ولهذا ذكّرهم

نبي الله هود عليه السلام بهذه النعمة التي خصهم الله بها من بين أهل بلادهم وزمانهم ليشكروا الله تعالى على ذلك فقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف: ٦٩].

لكنهم لم يزدادوا بهذه النعمة إلا استكباراً في الأرض، وعتواً وتجبراً، وتكذيباً لـ«هود» عليه السلام، وجحوداً لآيات الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فصلت: ١٩].

وحيث كانوا يفتخرون ويتعاظمون بقوتهم أهلكهم بألطف الأشياء وهي الريح العقيم وجعلهم عبرة لمن بعدهم، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: ٦ ـ ٨]، وقال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢].

﴿وَثَمُودَ﴾ هم قوم نبي الله صالح عليه السلام.

﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ﴾ أي: قطعوا الصخر ونحتوها وخرقوها، لما أعطاهم الله من قوة، قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الحجر: ٨٢]، ومنه قوله في الحديث: «مجتابي النمار»[1]. أي: مقطعو النمار[2] ومخرقوها.

﴿بِالْوَادِ﴾ أي: بواد القرى، وادي الحجر شمال الجزيرة.

وقد كذبوا صالحاً عليه السلام وعصوا أمر الله عز وجل، وعقروا الناقة التي أرسلها الله عز وجل لهم آية إجابة لطلبهم، وقد أهلكهم الله عز وجل بالصيحة والصاعقة والرجفة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة شديدة قطعت قلوبهم في أعماق أجوافهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾

---

(١) أخرجه مسلم في الزكاة ١٠١٧ – من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) النمار: هي الأزر والشمال المخططة من صوف.

وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الحجر: ٨٠ ـ ٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[الأعراف: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ [الحاقة: ٥].

ومساكنهم معروفة الآن وهي المسماة الآن «مدائن صالح» في العلا شمال الجزيرة، وقد مر عليها النبي ﷺ في طريقه إلى تبوك وأسرع وقنّع رأسه وقال ﷺ: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم»(١).

﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ فرعون: ملك مصر، الذي أرسل الله إليه نبيه موسى عليه السلام، وهو أعظم الفراعنة جرأة على الله عز وجل حيث ادعى الربوبية والألوهية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] واستذل بني إسرائيل يُقتّل أبناءهم ويستحيي نساءهم.

﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ أي: صاحب الأوتاد، والأوتاد: جمع وتد، أي: صاحب الأوتاد التي يعذب بها الناس يوتدهم ويعلقهم بها، ومنهم امرأته آسية بنت مزاحم رضي الله عنها، فقد رُوي أنه ضرب لها أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت.

وقيل: إن المراد بقوله: ﴿ ذي الأوتاد ﴾ أي: ذي الجنود الذين ثبتوا ملكه، كما تثبت الأرض بالأوتاد.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ «الذين» اسم موصول يعم من ذكر قبل، وهم عاد إرم، وثمود وفرعون.

ومعنى ﴿طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي: تجاوزوا الحد فخالفوا أمر الله وعتوا وتجبروا.

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ أي: أكثروا فيها الفساد المعنوي بالكفر والمعاصي وإضلال

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ٤٧٠٢، ومسلم في الزهد - النهي عن الدخول على أهل الحجر إلا من يدخل باكيا ٢٩٨٠، من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما.

وأذية العباد، المؤذن بفساد وخراب البلاد، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي: أنزل عليهم ربك يا محمد ﴿ سوط عذاب ﴾ أي: رجزاً من العذاب والعقاب العاجل في الدنيا أهلكهم به كل منهم بقدر جرمه وذنبه.

ونكّر «سوط عذاب» إما لتعظيمه، وإما لتقليله، وأنه بيسير من عذابه أهلكهم واستأصلهم جميعاً، مع جبروتهم وطغيانهم.

فأهلك عاداً بالريح العقيم، وأهلك ثمود بالصيحة والصاعقة والرجفة، وأهلك فرعون وقومه بالغرق، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ بعد ما ذكر الله عز وجل ما أنزله من العذاب على عاد وثمود وفرعون أتبع ذلك بأنه عز وجل بالمرصاد لجميع الخلق والخطاب للنبي ﷺ ولكل من يصلح له ، أي:إن ربك يا محمد ﴿ لبالمرصاد ﴾ لجميع خلقه يسمع أقوالهم، ويرى أعمالهم، وطريقهم كلهم عليه ومردهم وإيابهم إليه وحسابهم عليه، فلا يمكن أن يفلت منهم أحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦] فالطريق عليه والمرجع إليه، والطريق إلى غيره مسدودة وفي هذا وعيد شديد وتهديد أكيد للمكذبين.

الفوائد والعبر:

١ـ إقسام الله عز وجل بالفجر، وعشر ذي الحجة، والشفع والوتر والليل إذا يسر تعظيماً لنفسه عز وجل وشرعه وقدرته، وتنبيهاً إلى فضل هذه الأوقات خصوصاً، وإلى أهمية الوقت عموماً.

٢ـ أن في إقسامه عز وجل بما ذكر ما يشفي ويكفي لمن كان ذا لب وعقل.

٣ـ التذكير بما فعل الله عز وجل بعاد إرم وثمود وفرعون مع قوتهم وجبروتهم حيث عذبهم أهلكهم بسبب طغيانهم وفسادهم وفي هذا تسلية له ﷺ تجاه تكذيب قومه، وتخويف وتحذير لهم.

٤ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة لنبيه ﷺ، ولكل مؤمن.

٥ـ أن الله عز وجل بالمرصاد لجميع الخلق، فمرورهم عليه، ومصيرهم إليه، وحسابهم عليه.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الفاء استئنافية، و«أما» حرف شرط وتفصيل، ﴿الإنسان﴾ جنس الإنسان، ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: إذا ما امتحنه ربه واختبره، والابتلاء: الامتحان، ويكون بالخير والشر كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥] فيبتلى الإنسان بالشر أيصبر أم يجزع ويفجر، ويبتلى بالخير أيشكر أم يكفر.

وقد أحسن القائل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ بالأموال والأولاد والصحة وغير ذلك، أي: أكرمه مطلق إكرام، لا الإكرام المطلق.

﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ فبدل أن يشكر نعمة الله عليه ويعترف له بها يظن أن هذا الإكرام والتنعيم الدنيوي إكرام من الله عز وجل له فيغتر بذلك وأنه إنما أوتي ذلك لأنه أهل له، وما علم أن ذلك قد يكون استدراجاً له كما قال تعالى عن قارون أنه قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر بتشديد الدال «فقدّر» وقرأ الباقون بتخفيفها «فقدَر» أي: وأما إ ذا ما امتحنه فضيق عليه رزقه وعطاءه

﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ معترضاً على قضاء الله وقدره، وظاناً أن ما حصل له من تضييق رزقه إهانة من الله عز وجل له، فأعجب بنفسه عند الإكرام، ولم يشكر نعمة الله عليه، وجزع عند تضييق رزقه، واعترض على ربه وهذا حال الإنسان من حيث العموم ظلوم جهول.

﴿كَلَّا﴾ للردع والزجر، أي: ليس الأمر كما زعم واعتقد، فليس في إكرام الله عز وجل وتنعيمه له بشيء من الدنيا إكرام له الإكرام المطلق، وليس في تضييق رزقه إهانة له، بل هذا مقتضى حكمة الله عز وجل وعدله، وليس في الابتلاء بتوسيع الرزق أو تضييقه دلالة على إكرام الله عز وجل للإنسان أو إهانة، أو محبة منه له أو عدمها لأن الله عز وجل يبتلي بالنعم، كما يبتلي بالمصائب والنقم، ويعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب،

ويمنعها عمّن يحب وعمّن لا يحب. ويبتلي عبده بنعمة قد تجلب له نقمة وبنقمة قد تجلب له نعمة.

وإنما الشأن كل الشأن في توفيق الله للعبد لتقواه كما قال عز وجل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وعلى من ابتلي بالمال والغنى أن يشكر ولا يغتر بذلك وعلى من ابتلي بالضيق والفقر أن يصبر، ولا يجزع، والعاقبة للمتقين.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه»[1].

وقال ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»[2].

وقال ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه»[3].

فالحمد لله الذي لم يجعل إعطاء الدنيا دليلاً على الكرامة عنده، بل جعل الأكرم من الخلق أتقاهم له عز وجل، لينال ذلك من وفقه الله من الفقراء والأغنياء، والأصحاء والمرضى، بل جعل الابتلاء بالفقر والمرض والمصائب من دلائل محبته، وأسباب القرب إليه.

ويقوى هذا المعنى ويتأكد عند المؤمن حقاً، ويضعف عند ضعف الإيمان، وينعدم عند عدم الإيمان، فالمؤمن إذا أكرمه الله ونعمه اعترف بفضل الله عليه وشكره، ولم يزعم أن هذا باستحقاقه لذلك، بل يخاف أن يكون ذلك استدراجاً له، وعندما يبتلى بالفقر وضيق الحال يصبر، ويخاف أن يكون ذلك بشؤم ذنوبه، ويعلم أن ما عند الله خير له.

﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ «بل» للاضراب الانتقالي، أي: بل إنكم إذا أكرمكم الله ونعمكم ﴿لَا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٨٧.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٩٦ – من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وقال «حديث حسن غريب».

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٩٨، وابن ماجه في الفتن ٤٠٢٣، والدارمي في الرقاق ٢٧٨٣، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

قرأ أبو عمرو ويعقوب، بالياء في قوله (بل لا يكرمون) وقوله (ولا يحاضون) وقوله (ويأكلون) (ويحبون) وقرأ الباقون بالتاء.

و«اليتيم» من مات أبوه قبل بلوغه، من ذكر أو أنثى، لقوله ﷺ: «لا يتم بعد احتلام»[١]. وسمي يتيماً من الانفراد، لانفراده عن أبيه أو عن أبويه.

ومعنى إكرام اليتيم الإنفاق عليه وتوجيهه والدفاع عنه وعن حقوقه، وتعويضه ما فقد من عطف أبيه أو من عطف أبويه.

وفي الآية ترغيب وحث على إكرام اليتيم وأداء حقوقه وقد عظم الله عز وجل حق اليتيم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝﴾ [النساء: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝﴾ [النساء: ١٠].

ورُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»[٢].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئاً»[٣].

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: ولا يحث بعضكم بعضاً على إطعام المسكين. و«المسكين» هو المحتاج الذي لا يجد كفايته أو لا يجد شيئاً، وهو الفقير، وسمي بـ«المسكين» أخذاً من السكون واللصوق في الأرض وعدم الحركة لأن الفقر أسكنه وأذله نسأل الله العافية. ومن لا يحض غيره على إطعام المسكين، فهو من باب أولى وأحرى لا يطعم المسكين.

ولعل من الحكمة في قوله ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ولم يقل: ولا تطعمون المسكين أن كل إنسان يستطيع الحث على إطعام المسكين، لكن قد يكون هناك الكثير من الناس لا يقدرون على إطعام المسكين بأنفسهم لفقرهم، فاشترك الجميع في

---

(١) اخرجه أبو داود في الوصايا ٢٨٧٣ من حديث علي رضي الله عنه.
(٢) اخرجه ابن ماجه في الأدب – حق اليتيم ٣٦٧٩.
(٣) اخرجه البخاري في الطلاق ٥٣٠٤، والترمذي في البر والصلة ١٩١٨.

أجر الإطعام الحاث عليه والمطعم من ماله، وفيه أيضاً أنه ينبغي للمجتمع المسلم التواصي بهذا، وأن يحض بعضهم بعضاً عليه وأن يكون من يتولى تدبير الطعام من زوجة أو ولد، أو خادم أو غيرهم قد أعطي الإذن في هذا.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي: وتأكلون الميراث ﴿ أكلاً لما ﴾ أي: من أي جهة حصل من حلال أو حرام، أي: أكلا يَلُمُّ ويلف كل شيء من حلال أو حرام، من ميراث الشخص أو ميراث غيره.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: وتحبون المال حباً كثيراً عظيماً شديداً.

قال الشاعر:

إن تغفـــر اللـــهم تغفـــر جمـــا وأي عبـــد لـــك لا ألّمـــا[1]

الفوائد والعبر:

١- جهل الإنسان في ظنه أن ابتلاء ربه له بالنعمة إكرام له، وأن ابتلاءه له بتضييق رزقه إهانة له، والحقيقة غير ذلك.

٢ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ العامة لجميع الخلق.

٣- أن الإكرام للإنسان بتوفيقه لتقوى الله عز وجل، والإهانة في خذلانه وعدم توفيقه لذلك وقد قال عز وجل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٤- أن الله يبتلي بالغنى كما يبتلي بالفقر من يحب ومن لا يحب.

٥- الزجر والوعيد لمن لا يكرمون اليتيم، ولا يتحاضون على طعام المسكين، ويأكلون التراث من حل أو حرام ويتهالكون على حب المال.

٦- وجوب إكرام اليتيم وإطعام المسكين، والإحسان إليهما والعطف عليهما.

٧- عناية الدين الإسلامي باليتامى والمساكين.

---

(١) البيت لأبي خراش الهذلي. انظر «لسان العرب» مادة «جمم».

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ .

قوله ﴿كَلَّآ﴾ للردع والزجر للكافرين المكذبين.

﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾ أي: إذا هدم ما عليها من بناء وسويت جبالها مع سهولها وبسطت، قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤﴾ [الحاقة: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤﴾ [المزمل: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣﴾ [الانشقاق: ٣]، أي مدت كما يمد الأديم، وزيد في سعتها، وقال تعالى عن الجبال ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧].

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: وجاء ربك يا محمد لفصل القضاء بين العباد وهو مجيء يليق بجلاله وعظمته.

﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ «الملك» جنس الملائكة، أي: وجاء الملائكة بين يدي الله عز وجل صفوفاً صفوفاً، وصفاً بعد صف.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ أي: وأتي في ذلك اليوم ﴿ بجهنم ﴾ وهي النار سميت بهذا الاسم لجهمتها وظلمتها وبعد قعرها وشدة حرها.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(١).

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أي: في ذلك اليوم عندما يرى جهنم، وتبدو الحقيقة عياناً، يتذكر الإنسان حاله في الدنيا وتفريطه في عمل الخير والاستزادة منه كما في قوله تعالى ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ [ق: ٢٢].

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي: وأين له الذكرى وقد فات أوانها وذهب زمانها.

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ أي: يقول متمنياً نادماً على تفريطه في جنب الله ﴿يَٰلَيۡتَنِي

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة ـ باب في شدة حر جهنم وقعرها، وما تأخذه من المعذبين ٢٨٤٢، والترمذي في صفة جهنم ـ ما جاء في صفة النار ٢٥٧٣.

﴿قَدَّمْتُ﴾ عملاً صالحاً كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧].

﴿لِحَيَاتِى﴾ الآخرة الباقية الدائمة، والتي هي الحياة الحقيقية كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ولهذا قال ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «ولا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب»(١).

وعن محمد بن أبي عميرة رضي الله عنه وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرماً في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولود أنه يرد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب»(٢).

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ قرأ يعقوب والكسائي «لا يعذَّب» بفتح الذال مع تشديدها، (ولا يوثَق وثاقه أحد) بفتح الثاء، أي: ففي ذلك اليوم لا يعذَّب مثل عذاب هذا المكذب أحد ولا يوثق ويقيَّد مثل تقييده أحد فهو أشق الناس عذاباً وأشدهم وثاقاً وتقييداً لكفره وتكذيبه.

وقرأ الباقون (لا يعذِّب) بكسر الذال مع تشديدها، (ولا يوثِق) بكسر الثاء أي: ففي ذلك اليوم لا يعذب عذاب الله أحد، ولا يوثِق وثاقه أحد، بل عذابه أشق، ووثاقه وتقييده أشد، لمن كفر به وكذب رسله وشرعه.

وفي هذا أشد التهديد والوعيد للكفرة والمجرمين والعصاة.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بعد ما ذكر شدة عذابه عز وجل ووثاقه لمن كفر به وكذب رسله، أتبع ذلك بذكر ما أعده للنفس المؤمنة من الرضا والكرامة في الجنة فقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآيات، أي: يا أيتها النفس المؤمنة الآمنة الساكنة الثابتة التي رضيت بقضاء الله وقدره، واطمأنت إلى ذكره وأيقنت بوعده وثوابه وأمنت من عذابه كما قال عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «قل اللهم إني أسألك

---

(١) أخرجه البخاري في المرضى ٥٦٧٣.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٨٥ ورواه عتبة بن عبد عن رسول الله ﷺ ٤/ ١٨٥.

نفساً بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك»[١].

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: ارجعي وعودي إلى جوار ربك وجنته، وما فيها من ألوان النعيم، الذي أعلاه النظر إلى وجهه الكريم، كما قال مؤمن آل فرعون فيما ذكر الله عز وجل عنه ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

﴿رَاضِيَةً﴾ في نفسها عن ربها وعما أعد لها من النعيم.

﴿مَّرْضِيَّةً﴾ أي: قد رضي الله عنها بسبب إيمانها وعملها الصالح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل قوله ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب، فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا...»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا حُضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون اخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح، وريحان، ورب غير غضبان..»[٣].

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أي: في عدادهم وفي جملتهم كما قال ﷺ: «اللهم الرفيق الأعلى»[٤].

وفي إضافتهم إليه عز وجل تشريف وتكريم لهم لأنهم أهل العبودية الخاصة.

---

(١) رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي عن أبيها فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٢٣.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨، ٢٩٦.

(٣) أخرجه النسائي في الجنائز ١٨٣٣.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي ٤٤٣٧، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٤٤٤، والترمذي في الدعوات ٣٤٩٦ من حديث عائشة رضي الله عنها.

﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ أي: وادخلي جنتي التي أعددتها لعبادي الصالحين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وفي إضافتها إليه عز وجل تشريف وتعظيم لها.

وهـذا النـداء وهـذا الخطاب الذي يبهج القلـوب ويشرح الصـدور، يقـال لها عند لقـاء الله عز وجل يوم احتضارها، وعند لقاء الله عز وجل يوم قيام الناس لرب العالمين كما تبشرهم الملائكة بذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣١ ـ ٣٢].

وفي ندائه عز وجل للنفس المطمئنة، ووصفها بهذا الوصف، وأمرها بالرجوع إليه عز وجل، وإضافة ضميرها إلى اسمه عز وجل «الرب» وجعلها ضمن أهل ربوبيته الخاصة بأوليائه وإرضائها والرضا عنها، وأمرها بالدخول ضمن أهل عبوديته الخاصة، وفي جنته كل هذا تشريف وتكريم لها نسأل الله ـ تعالى ـ من فضله.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ قال: نزلت وأبو بكر جالس، فقال يا رسول الله، ما أحسن هذا فقال: «أما إنه سيقال لك هذا»[1].

ولا شك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أول من يدخل تحت هذه الآية من الأمة، لأنه أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ.

وفي الأثر: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر».

الفوائد والعبر:

١- التهديد والوعيد بالقيامة وأهوالها من اندكاك الأرض، والإتيان بجهنم على أهل الموقف.
٢- مجيء الرب عز وجل للفصل بين عباده، والملائكة بين يديه صفوفاً.
٣ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة لنبيه ﷺ، ولكل نفس مؤمنة مطمئنة.
٤- تذكر الإنسان في ذلك اليوم عندما يشاهد أهوال القيامة لكن لا تنفعه الذكرى.
٥- ندم الكافر على تفريطه، وتمنيه أنه آمن وقدم عملاً صالحاً في الدنيا لحياته الأخرى، ولكن هيهات.
٦- تعذيبه عز وجل في ذلك اليوم للكفرة المجرمين عذاباً لا يعذبه أحد وإيثاقه لهم وثاقاً لا يوثقه أحد وفي هذا من الوعيد والتهديد ما فيه الكفاية.
٧- البشارة والتهنئة للنفس المؤمنة المطمئنة برجوعها إلى ربها راضية مرضية، ودخولها ضمن عباد الله المخلصين المكرمين، وفي جنته، وهذا غاية التكريم.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٢٩ – ٣٤٣٠.

تفسير سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾.

قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ «لا» للاستفتاح والتنبيه وتوكيد القسم، وليست نافية والمعنى: أقسم بهذا البلد، والمراد بـ (البلد) مكة أم القرى، أقسم الله عز وجل بها لشرفها وعظمها، فهي أحب أرض الله إلى الله عز وجل كما قال ﷺ: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[(١)].

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ الواو: حالية والخطاب للنبي ﷺ.

والتقدير: أقسم بهذا البلد حال كونك يا محمد ﴿حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي: يحل لك أن تقاتل فيه، وذلك ساعة من نهار، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد، ولا يختلى خلاه، وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب» وفي لفظ: «فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم»[(٢)].

ويحتمل أن المعنى ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي: حال كونك حالاً فيه، أي: ساكناً محلاً غير محرم لأن حلول النبي ﷺ بهذا البلد يزيده شرفاً إلى شرفه ولأن أمن هذا البلد إنما تظهر به النعمة حال الحل من الإحرام، والحرمة هنا للمكان، وفي حال الإحرام للفعل، وأيضاً فإنه إذا أقسم به وفيه الحلال، فإذا كان فيه الحرام فهو أولى بالتعظيم والأمن.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ الواو: عاطفة أي: وأقسم بالوالد، وهو آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: ومن ولد وهم ذريته، فأقسم عز وجل بأصل المكان ومرجعه وهي مكة (أم القرى) وبأصل السكان

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب ـ فضل مكة ٣٩٢٥ ـ من حديث عبد الله بن عدي الزهري ـ رضي الله عنه وقال: «حديث حسن غريب صحيح»

(٢) أخرجه البخاري في الحج ١٨٣٤، ومسلم في الحج ـ تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام ١٣٥٣، وأبو داود في المناسك ٢٠١٧، والنسائي في مناسك الحج ٢٨٩٢، والترمذي في السير ١٥٩٠، وابن ماجه في الجهاد ٢٧٧٣.

ومرجعهم، وهو آدم عليه السلام.

وقيل: المراد كل والد من بني آدم وما ولد، أو كل والد من الحيوانات مطلقاً وما ولد.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ هذا هو المقسم عليه، فأقسم عز وجل بالبلد الحرام حال كون النبي ﷺ حلاً فيه، وأقسم عز وجل بالوالد وما ولد على أنه عز وجل خلق الإنسان في كبد.

واللام في قولـه ﴿ لقد ﴾ واقعة في وجوب القسم و«قد» للتحقيق والتوكيد فأكّد عز وجل هذه الجملة بثلاث مؤكدات: القسم، واللام، و«قد» ومعنى قوله ﴿ في كبد ﴾، أي: منتصباً مستوياً مستقيماً، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار: ٦، ٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: ٤] وهذا مما يوجب عليه شكر هذه النعمة العظيمة، لا أن يتجبر وتبطره النعمة.

ويحتمل أن المعنى: في نصب، في جميع أطوار حياته يكابد متاعب الدنيا ومصائبها، وأشد ذلك مجاهدة النفس والشيطان والهوى والدنيا، والمجاهدة في الصبر على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره المؤلمة إلى أن يدخل الجنة إن كان من المقبولين، وإلا استمر على ذلك بل ازداد شقاء إلى شقاء إن كان من أصحاب الجحيم.

وكلا المعنيين صحيح، ولا مانع من حمل الآية عليهما معاً.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ.

أي: أيظن الإنسان ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أي: أنه قد يغتر بعنفوان شبابه وكبريائه وقوته فيظن هذا الظن وأنه متروك سدى فيقول أنا أعمل ما شئت بنفسي ومالي كما قال تعالى عن عاد ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، فرد الله عليهم بقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ قرأ أبو جعفر بتشديد الباء (لبّدا) وقرأ الباقون بتخفيفها (لبَدا).

أي: أنفقت وأفنيت مالاً كثيراً يُلبّد بعضه على بعض، فهو يفتخر في إفنائه المال الكثير في شهواته وفي غير وجهه، ولو أنفقه في وجهه لم يكن ذلك إهلاكاً له، بل إبقاءً له،

كما قال ﷺ: «يقول ابن آدم مالي مالي قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت» وفي رواية «فأبقيت»[١].

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ وهذا أيضاً إنكار عليه، أي: أيظن الإنسان أن الله عز وجل لم يطلع عليه فيما أهلك من ماله، وفي جميع أحواله فيحصي عليه ما عمل من خير وشر وفي هذا وعيد وتهديد لمن يغتر بقوته وماله.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، أي: ألم نصيِّر له عينين يبصر بهما الأشياء، وهما من أعظم نعم الله عز وجل عليه ينظر بهما في آيات الله الشرعية والكونية ويبصر بهما الطريق، وينظر بهما إلى ما يريد، وهما الحبيبتان، كما قال عز وجل في الحديث القدسي: «ما لعبدي المؤمن جزاء إذا أخذت حبيبتيه فصبر إلا الجنة»[٢].

﴿وَلِسَانًا﴾ ينطق به ويتكلم، ويعبر به عما في نفسه، ويفصح به عما في ضميره، فتميز بذلك عن سائر الحيوانات وعمن ابتلي بالبكم فأصبح لا يستطيع الإفصاح عما في نفسه إلا بلغة الإشارات القاصرة.

﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما في الكلام وأكل الطعام وهما جمال لوجهه وفمه.

وخص هذه الأعضاء الثلاثة: العينين، واللسان، والشفتين، لأنها أكثر الأعضاء حركة وأكثرها كسباً للأعمال، إما للإنسان بالتأمل في آيات الله الكونية والشرعية، وفي ذكره وشكره والدعوة إليه وتعليم العلم ونحو ذلك، وإما على الإنسان بالنظر إلى ما حرم الله، وفي الكلام في الباطل والزور والغيبة والنميمة ونحو ذلك.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: ودللناه وبينا له طريق الخير والشر، والهدى والضلال والرشد والغي كما قال عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝﴾ [الإنسان: ٢، ٣].

فذكَّر عز وجل الإنسان وقرره بأعظم نعم الله عليه ليستدل بها على عظيم فضل الله عز وجل عليه وعلى إثبات الخالق وصفات كماله، وصدق رسله، ووعده ووعيده كما

---

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق ٢٩٥٨، والنسائي في الوصايا ٣٦١٣، والترمذي في الزهد ٢٣٤٢ من حديث مطرف عن أبيه رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في المرضى – فضل من ذهب بصره ٥٦٥٣، والترمذي في الزهد – ما جاء في ذهاب البصر ٢٤٠٠، وأحمد ٣/ ٢٨٣ – من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرجه أحمد أيضاً ٢/ ٢٦٥ – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال عز وجل: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١] وليشكر الله عليها ويقوم بحقوقه، لا أن يكفر به ويستعين بنعمه على معاصيه، كما هو واقع كثير من الناس وصدق الله العظيم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بالبلد الحرام مكة حال كونه ﷺ حلاً بها، وبالوالد وما ولد على أنه خلق الإنسان في كبد.

٢- تعظيم الله عز وجل للبلد الحرام، وتشريفه لرسوله محمد ﷺ، وتكريمه للإنسان.

٣- نعمة الله عز وجل وفضله على الإنسان حيث سوى خلقه وجعله معتدل الخلقة، متناسب الأعضاء.

٤- أن الله عز وجل خلق الإنسان في كبد في هذه الحياة يعاني متاعب الدنيا ومصائبها وشدائد الآخرة.

٥- خطأ الإنسان وجهله في ظنه أن الله لن يقدر عليه، ولن يراه.

٦- أن ما أنفقه الإنسان من المال في غير مرضاة الله عز وجل فهو خسارة وسيحاسب عليه.

٧- تقرير الإنسان بنعم الله عز وجل عليه من العينين واللسان والشفتين وهدايته النجدين.

٨- إقامة الحجة على الإنسان ببيان طريق الخير وطريق الشر له بإرسال الرسل وإنزال الكتب إعذاراً وإنذاراً.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

أقسم الله عز وجل بالبلد الحرام وبآدم وولده على أنه عز وجل خلق الإنسان في كبد مستوي الخلق يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، وبين أنه قادر عليه ومطلع، وذكَّره بما أنعم عليه به من العينين واللسان والشفتين وبيان طريق الخير والشر له، وهذا كله يشير إلى الأمانة التي حملها الإنسان، وعظم الهدف الذي خلق من أجله، ولهذا قال بعده ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾.

قوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ الفاء عاطفة، و«لا» نافية أي: فلا هو اقتحم العقبة، كقوله ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، ويحتمل أن تكون (فلا) للتحضيض أي: فهلا اقتحم العقبة.

ومعنى ﴿ اقتحم ﴾ أي: تجاوز، والاقتحام: التجاوز بمشقة، و ﴿ العقبة ﴾ في الأصل: الطريق الوعر في الجبل، وتطلق على الأمر الشديد الصعب الشاق، وهي هنا مَثَلٌ ضربه الله عز وجل لمجاهدة النفس والشيطان في فعل الطاعات والبعد عن المنهيات.

وقيل: المراد بالعقبة الصراط الذي يضرب على متن جهنم وفي الحديث: «إن العقبة كؤود لا يجوزها المثقلون»(١)

فهذه العقبة شديدة حسية كانت أو معنوية، لا يجتازها إلا المُضْمِرون المُخِفّون المشمرون، ويهلك دونها المنقطعون، وهم أكثر الخلق.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ «ما» اسم استفهام، والجملة اعتراضية بين العقبة وتفسيرها، والمراد بها تعظيم أمر العقبة وتفخيم شأنها، والتشويق لها، أي: وما أعلمك ما العقبة.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾.

هذا بيان لقوله ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، أي: بيان لكيفية اقتحام العقبة، وبماذا تقتحم.

قوله ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (فكَ) بالفتح و ﴿رقبةً﴾

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٤/ ٦١٨. وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

بالنصب، وقرأ الباقون برفع (فكُ) وخفض (رقبةٍ) أي: عتق رقبة وتحريرها وتخليصها من الرق، أو من القتل، أو الأسر.

وفي تقديمها في الذكر تعظيم لعتق الرقاب، كما في حديث سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إربٍ منها إرباً منه من النار، حتى إنه ليعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج»[1].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: علمني عملاً يدخلني الجنة، فقال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفك الرقبة»، فقال يا رسول الله، أو ليستا بواحدة؟، قال: «لا، إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها، والمنحة الوكوف[2] والفيء على ذي الرحم الظالم، قال: فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير»[3].

وعن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له كعدل رقبة، ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار، ومن أنفق زوجين في سبيل الله، فإن للجنة ثمانية أبواب، يدخله الله من أي باب شاء منها»[4].

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار»[5].

﴿أَوۡ إِطۡعَـٰمٌ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (أو أَطْعَمتم) وقرأ الباقون (أو إطعام)

---

(١) أخرجه البخاري في الكفارات ـ قول الله تعالى: ﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ٦٧١٥، ومسلم في العتق ـ فضل العتق ١٥٠٩، والترمذي في النذور ـ ثواب من أعتق رقبة ١٥٤١، واحمد ٢/ ٤٢٢.

(٢) أي: المنيحة كثيرة اللبن.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٢٩٩.

(٤) أخرجه احمد ٤/ ١١٣، ٣٨٤، ٣٨٦، وابو داود في العتق ـ أي الرقاب أفضل ٣٩٦٥، ٣٩٦٦، والنسائي في الجهاد ٣١٤٣، ٣١٤٤، ٣١٤٥. وابن ماجه في الجهاد ٢٨١٢، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٤٢٢، وقال ابن كثير عن أسانيد هذا الحديث عند أحمد «وهذه أسانيد جيدة قوية» «تفسير ابن كثير» ٨/ ٤٢٩.

(٥) أخرجه أحمد ٤/ ١٤٧، ١٥٠.

﴿ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ أي: في يوم ذي مجاعة شديدة، والسغب: الجوع الشديد.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ اليتيم: من فقد أباه دون البلوغ لقوله ﷺ: «لا يتم بعد احتلام»[(١)].

﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: ذا قرابة لمن أطعمه، لأن الصدقة على القريب أفضل كما قال ﷺ: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة»[(٢)].

والمعنى: أو أطعم في يوم ذي مجاعة شديدة يتيماً من أقاربه، جمع بين الصفتين اليتم والقرابة.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: أو أطعم ﴿ مسكيناً ﴾ و«المسكين» هو الفقير المحتاج الذي لا شيء عنده.

﴿ ذا متربة ﴾ أي: لاصقاً بالتراب، يلتحف الثرى والتراب من شدة الفقر والحاجة، ومن هنا سمي المسكين مسكيناً للصوقه إلى الأرض وسكونه فهو ساكن لا يتحرك كالملقى على الأرض، ساكتٌ لا يتكلم لأنه إن تكلم لم يسمع وإن سُمع لم يصدق، أذله الفقر – الذي يذل أعناق الرجال، قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر»[(٣)].

وقد عظم الله عز وجل حق اليتيم والمسكين، لأن اليتيم فقد من ينفق عليه ويعوله ويدافع عنه وعن حقوقه، ولأن المسكين أذله الفقر والمسكنة ويعظم حق اليتيم والمسكين ويزداد عندما تطغى الأنانية والشح وتضعف الرحمة أو تنعدم عند كثير من الناس فيضيع اليتيم والمسكين في خضم الحياة، وبين الفواتح والخواتم والله المستعان.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ «ثم» عاطفة، وهي للتراخي في الفضل والرتبة، فالإيمان مؤخر في اللفظ مقدم في الفضيلة والرتبة، وفي تقديم فك الرقبة وإطعام الجائع يتيماً ذا قرابة أو مسكيناً ذا فاقة شديدة على الإيمان دليل على عظم هذه الأعمال.

أي: ثم هو مع هذا الإحسان العظيم إلى عباد الله بعتق الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين في وقت المجاعة من الذين آمنوا، أي: صدقوا بقلوبهم وانقادوا بجوارحهم،

---

(١) أخرجه أبو داود في الوصايا ٢٨٧٣ من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في الزكاة – الصدقة على الأقارب ٢٥٨٢، والترمذي في الزكاة ـ الصدقة على ذي القرابة ٦٥٣، وابن ماجه في الزكاة ١٨٤٤، وأحمد ٤/ ٢١٤ ـ من حديث سلمان بن عامر الضبي ـ رضي الله عنه. قال ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٣٠ «وهذا إسناد صحيح».

(٣) أخرجه النسائي في السهو ١٣٤٧ – من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

فجمعوا بين الإحسان إلى عباد الله والإحسان في عبادة الله عز وجل، وبين العمل والإخلاص لله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝﴾ [الإسراء: ١٩].

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر، وهو من صَبَرَ، إذا حبس ومنع، والصبر: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عما حرم الله من لطم الخدود وشق الجيوب وغير ذلك، وهو أنواع ثلاثة: صبر على طاعة الله تعالى، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة.

والصبر منزلة عظيمة فهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝﴾ [الزمر: ١٠]، وقال ﷺ: «وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»[(١)].

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي: وأوصى بعضهم بعضاً بالرحمة للخلق التي هي من أنبل وأعظم الصفات وأحبها إلى الله عز وجل، قال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شُجْنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله»[(٢)].

وقال ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم»[(٣)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا»[(٤)].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ أي: أصحاب اليمين، أي: المتصفون بهذه الصفات، والذين جمعوا بين الإحسان في عبادة الله عز وجل، والإحسان إلى عباد الله، هم الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم ويكونون عن يمين الرحمن ويؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وقد أشار إليهم بإشارة البعيد ﴿ أولئك ﴾ تعظيماً لشأنهم.

---

(١) أخرجه البخاري في الزكاة ١٤٦٩، ومسلم في الزكاة ١٠٥٣، وأبو داود في الزكاة ١٦٤٤، والنسائي في الزكاة ٢٥٨٨، والترمذي في البر والصلة ٢٠٢٤ ـ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب – باب في الرحمة ٤٩٤١، والترمذي في البر ـ ما جاء في رحمة الناس ١٩٢٤ – من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب ٥٩٩٧، ومسلم في الفضائل ٢٣١٨، وأبو داود في الأدب ٥٢١٨، والترمذي في البر والصلة ١٩١١ – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب – باب في الرحمة ٤٩٤٣، والترمذي في البر والصلة ١٩١٩ وقال: «حديث غريب».

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بعد ما ذكر صفات المؤمنين ومآلهم أتبع ذلك بذكر الكافرين ومآلهم.

أي: والذين كفروا بآياتنا الكونية والشرعية وجحدوها وكذبوا بها.

﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي: هم أصحاب الشؤم، وأصحاب الشمال، الذين يعطون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار.

وقد أكد هذا الوصف فيهم بثلاث مؤكدات: كون الجملة اسمية، ومعرفة الطرفين، وضمير الفصل «هم».

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ أي: مطبقة مغلقة الأبواب، لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها، كما قال تعالى في سورة الهمزة ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الآيتان: ٨، ٩].

الفوائد والعبر:

١- عظم الأمانة التي حملها الإنسان، وأن أمامه عقبة كؤوداً لا يجتازها إلا المشمرون.

٢- حضّ الإنسان وحثه على اجتياز العقبة بعتق الرقاب، وإطعام اليتامى والمساكين، مع الإيمان والتواصي بالصبر والرحمة.

٣- أن الصدقة على اليتيم القريب صدقة وصلة، وأنه كلما اشتدت الحاجة كانت الصدقة أفضل.

٤- رعاية الإسلام لليتامى والمساكين.

٥- أن الإيمان شرط لقبول الأعمال من العتق والإطعام وغير ذلك.

٦- الإشارة إلى عظم عتق الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين، لتقديمهما على شرط الإيمان.

٧- الترغيب في الصبر والرحمة، والتواصي بهما.

٨- أن من جمع بين الإيمان والعمل الصالح فهو من أصحاب اليمين.

٩- سوء حال ومآل الذين كفروا بآيات الله عز وجل فهم أصحاب الشؤم السالكون ذات الشمال إلى النار المؤصدة المطبقة عليهم.

تفسير سورة الشمس

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلا صليت بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝﴾»[(١)].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾.

قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ﴾ الواو حرف قسم وجر، و«الشمس» مقسم به مجرور ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ معطوف على الشمس، والمراد به ضوؤها، وهو النهار كله، كما في قوله تعالى ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝﴾ [النازعات: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝﴾ [الضحى: ١، ٢]، وإنما أضاف الضحى إليها، لأن الشمس هي سبب النهار، وهي آية النهار المبصرة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ۝﴾ [الإسراء: ١٢].

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ الواو: عاطفة هنا وفي المواضع بعدها إلى قوله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ وكل هذا داخل في جملة المقسم به.

أي: وأقسم بالقمر إذا تلا الشمس، أي: إذا تبعها في المنازل والنور.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ أي: والنهار حين يجلي الشمس ويظهرها، وإن كان ظهورها هو سبب النهار، أو حين يجلي ظلمة الليل ويزيلها، أو يجلي الأرض والخليقة ويبينها ويظهرها ويضيئها بنوره كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝﴾ [الليل: ٢].

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ أي: والليل حين يغشى الشمس ويسترها وإن كان مغيبها هو سبب الليل، أو حين يغطي الأرض والخليقة ويسترها بظلامه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ أي: والسماء، والذي بناها، وهو الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا

(١) سبق تخريجه.

شِدَادًا ﴿١٢﴾ [النبأ: ١٢]. فأقسم عز وجل بالسماء، وبنفسه الكريمة وتكون «ما» هنا موصولة، بمعنى «من» التي تطلق على العالم.

وقيل إن «ما» مصدرية، أي: والسماء وبنيانها العظيم وهكذا في قوله ﴿ وما طحاها﴾ ﴿ وما سواها ﴾.

ومعنى ﴿ بناها ﴾: خلقها ورفعها وجعلها سقفاً محفوظاً، كما قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ ثم فسر ذلك فقال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ أي: والأرض، والذي طحاها، أي: بسطها وفرشها ومهدها، وهو الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات: ٤٧].

وهتان الآيتان كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق: ٦، ٧].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ أي: ونفس والذي سواها، وهو الله عز وجل، وقوله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ عام في كل نفس، أو خاص بنفس الإنسان المكلف بدليل ما بعده.

ومعنى ﴿ سواها ﴾ خلقها وجعلها مستوية الخلق، مستقيمة على الفطرة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»[١].

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز ١٣٥٨، ومسلم في القدر ٢٦٥٨، وأبو داود في السنة ٤٧١٤ – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»[١].

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي: جعلها محلاً للفجور والتقوى، وبيّن لها الفجور ونهاها عنه وحذرها منه، وأرشدها إلى التقوى وأمرها بها ورغبها فيها، وهداها ويسرها لما قدره لها كما جاء في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قُضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟، فقال: «لا، بل شيء قُضي عليهم، ومضى عليهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ »[٢].

وقال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أ هل السعادة، فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة، فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦﴾ الآية»[٣].

وفي هذه الآية رد على القدرية الذين ينفون تقدير الله وخلقه لأفعال العباد.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ هذا هو جواب القسم، فأقسم الله عز وجل بالشمس وضوئها والقمر إذا تبعها والنهار إذا جلى الظلمة، والليل إذا غطى البسيطة بظلامه، وبالسماء والذي بناها، وبالأرض والذي بسطها ومهدها، والنفس والذي سواها على أنه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾.

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ «قد» للتحقيق في الموضعين وحذفت منه اللام لطول الكلام و«أفلح» بمعنى فاز وأنجح وسعد ونجا من المرهوب وحصل على المطلوب، وزحزح عن النار، وأدخل الجنة كما قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿مَن زَكَّاهَا﴾ أي: الذي زكا نفسه، أي: طهرها بالإيمان والعمل الصالح من الشرك والمعاصي والرذائل والأحداث، وسائر النجاسات الحسية والمعنوية – كما قال تعالى: ﴿قَدْ

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٦٥ – من حديث طويل.

(٢) أخرجه مسلم في القدر ٢٦٥٠، وأحمد ٤/٤٣٨، والطبري في «جامع البيان»٢٤/ ٤٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير ٤٩٤٩، ومسلم في القدر ٢٦٤٧، وأبو داود في السنة ٤٦٩٤، والترمذي ٢١٣٦، وابن ماجه في المقدمة ٧٨ – من حديث علي – رضي الله عنه.

أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٥، ١٦].

وفي هاتين الآيتين إثبات فعل العبد وكسبه، وتعليق فوزه وعدمه على ذلك، وفي هذا رد على الجبرية الذين يقولون: إن العبد مجبور على فعله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ وقف ثم قال: «اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وخير من زكاها»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ قال: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها﴾»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها، فوقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول: «رب أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»[٣].

وعن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكسل وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم، إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»[٤].

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: وقد خسر من أخفاها وأخملها، وأرداها، وأوبقها بالمعاصي وأهانها ودنسها كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

فشتان بين من طهر نفسه وأكرمها بطاعة الله تعالى، والبعد عن معصيته، ووضعها موضعها اللائق بها، فأفلح وسعد في دنياه وأخراه، وبين من أخملها وأخفاها، وأهانها وأذلها، فظلمها وبخسها حقها، وقد كرمها الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا

---

(١) أخرجه الطبراني فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٣٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٣٦.

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٢٠٩.

(٤) أخرجه مسلم في الذكر – التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٢٧٢٢، والنسائي في الاستعاذة ٥٤٥٨، وأحمد ٤/ ٣٧١.

تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ [الإسراء: ٧].

قال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[١].

وقد حكى هذا المعنى الشاعر بقوله:

وما الناس إلا عاملان فعامل ... يُتَبِّر ما يبني وآخر رافع[٢]

قال ابن القيم[٣]: «والفاجر أبداً خفي المكان زمن المروءة، غامض الشخص، ناكس الرأس، فكأن المتصف بارتكاب الفواحش دس نفسه وقمعها، ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفعها، وكانت أجواد العرب تنزل الربى ويفاع الأرض لتشهر نفسها للمعتفين، وتوقد النيران في الليل للطارقين، وكانت اللئام تنزل الأولاج والأطراف والأهضام، لتخفي أماكنها على الطالبين، فأولئك أعلوا أنفسهم وزكوها، وأولئك أخفوا أنفسهم ودسوها. وأنشد:

وبَوَّأت بَيْتَك في مَعْلَم ... رحيبِ المباءةِ والمسرحِ

كفيتَ العفاةَ طلابَ القِرى ... ونبحَ الكلابِ لِمُسْتَنْبِحِ»

وقد أحسن القائل:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها ... هوانا بها كانت على الناس أهونا

وقال الآخر:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... فكن طالباً في الناس أعلى المراتب[٤]

وقال الآخر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم[٥]

وقال الآخر:

ومن يتهيب صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر[١]

(١) أخرجه مسلم في الطهارة ٢٢٣ – من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
(٢) البيت للبيد.
(٣) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ٢٢٦ – ٢٢٧.
(٤) البيت لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه.
(٢) البيت للمتنبي.

فانتبه أخي الكريم لهذه المعاني وضع نفسك موضعها اللائق بها، واحملها على ما فيه سعادتها في دينها ودنياها، وخذ نصيبك من ربك، ولا تأت يوم القيامة من المفلسين.

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بعدد من آياته الكونية، بالشمس والقمر، والنهار والليل، والسماء والأرض، وبالنفس الإنسانية، وبنفسه عز وجل للدلالة على عظمته، وكمال قدرته، والتأمل في آياته وشكره على نعمه وآلائه.

٢- إقسام الله عز وجل على فلاح من زكى نفسه بطاعة الله وخيبة من أخفاها ودنسها بمعصية الله.

٣- وجوب تزكية النفس وتطهيرها بالإيمان والعمل الصالح، والحذر من تدنيسها وإهانتها بالمعاصي.

٤- إثبات القدر وأن الله خالق أفعال العباد، والرد على القدرية، وإثبات فعل العبد، والرد على الجبرية لقوله ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

=

(٣) البيت لأبي القاسم الشابي.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

أقسم الله عز وجل في الآيات السابقة على فلاح من زكى نفسه وخيبة من دساها ثم أتبع ذلك بذكر قصة تكذيب ثمود وطغيانهم وعقرهم الناقة، وردهم الحق بعد ما عرفوه، وعقوبة الله عز وجل لهم، وفي هذا تهديد ووعيد للمكذبين من هذه الأمة.

قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ أي: كذبت قبيلة ثمود نبيهم صالحاً عليه السلام فيما جاءهم به من الحق من عند الله عز وجل.

﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي: بسبب طغيانها ومجاوزتها الحد في الكفر وتجبرها وتكبرها. والطغيان: مجاوزة الحد كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].

فحملهم الطغيان ومجاوزه الحد في الكفر والمعاصي على التكذيب بالحق بقلوبهم، لأن عقوبة المعصية معصية بعدها كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ تفسير لتكذيبهم وطغيانهم، أي: إذ انطلق مسرعاً لعقر الناقة ﴿ أشقاها ﴾ أي: أشقى ثمود، أي: أعظمها شقاء، وهو أحيمر ثمود، واسمه: قدار بن سالف، وكان رجلاً شريراً صعب المرام.

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «ألا أحدثك بأشقى الناس»؟، قال: بلى، قال: «رجلان: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا – يعني قرنه – حتى تبتل منه هذه، يعني لحيته»[(١)].

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ يعني: قدار بن سالف، وكان رجلاً شديداً عزيزاً منيعاً فيهم.

عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها، فقال: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾: «انبعث لها رجل عارم[(٢)] عزيز منيع في رهطه،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٣٨.
(٢) أي: صعب على من يرومه، كثير الشر.

مثل أبي زمعة»[١].

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح عليه السلام، ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: ذروا ناقة الله، أو لا تمسوا ناقة الله بسوء، وهي الناقة التي طلبوها آية لهم فأخرجها الله لهم من صخرة صماء، وجعلها آية وحجة عليهم قال تعالى عن صالح عليه السلام أنه قال لهم ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال أيضاً: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [هود: ٦٤]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦].

﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ شربها، أي: ولا تعتدوا على شربها يوم وردها قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: فكذبوا رسول الله صالحاً عليه السلام فيما جاءهم به، وما حذرهم منه من الاعتداء على الناقة وشربها، وما توعدهم عليه من العذاب.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عقروا الناقة، أي: قتلوها، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [هود: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الشعراء: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ [القمر: ٢٩].

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: أطبق عليهم ربهم العذاب بسبب ذنبهم.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: جعلهم في العقوبة سواء، لأنهم اتفقوا وأجمعوا على عقر الناقة، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود: ٦٧]،

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ٤٩٤٢، ومسلم في صفة الجنة ونعيمها – النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢٨٥٥، والترمذي في تفسير سورة ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ٣٣٤٣، وأحمد ٤/١٧.

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ [القمر: ٣١]، وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[**فصلت**: ١٧].

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر بالفاء (فلا يخاف) وقرأ الباقون بالواو (ولا يخاف) أي: ولا يخاف عز وجل عاقبتها وتبعتها، أي: لا يخاف تبعة إهلاكه لهم وإطباقه العذاب عليهم وجعلهم في العقوبة سواء، لأنه عز وجل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فالخلق خلقه، والملك ملكه، والأمر أمره، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥]، وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»(١).

الفوائد والعبر:

١- تكذيب ثمود رسول الله إليهم صالحاً عليه السلام بسبب طغيانهم وإقدامهم على عقر الناقة التي طلبوها، وجعلها الله لهم آية، بعد تحذيره ـ عليه الصلاة والسلام لهم.

٢- أن الطغيان سبب للتكذيب والكفر، وأن المعصية تجر إلى المعصية بعدها.

٣- إهلاك الله عز وجل لثمود، وإطباق العذاب عليهم على السواء بسبب ذنبهم.

٤ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ العامة لجميع الخلق.

٥- أن الله عز وجل لا يخاف عاقبة ما أوقعه بهم من العذاب، لأنه القوي العزيز، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ٢٥٧٧ من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

تفسير سورة الليل

تقدم في حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له لما ذكر له أنه أطال في صلاة العشاء: «هلا صليت بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ ، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ و ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ »[١].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾.

قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ﴾ الواو: حرف قسم وجر، و«الليل» مقسم به.

﴿إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي: حين يغطي الأرض والخليقة بظلامه.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ الواو: عاطفة في هذا الموضع والذي بعده، أي: وأقسم بالنهار إذا ظهر وبان، وأشرق وأضاء البسيطة بطلوع الشمس.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ «ما» موصولة. أي: وأقسم بالذي خلق الذكر والأنثى من الإنس والجن وسائر الحيوانات والنباتات وهو الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿ وخلقناكم أزواجاً ﴾ [النبأ: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات: ٤٩].

وقال بعضهم: إن «ما» مصدرية، والمعنى: وخَلْقُ الذكر والأنثى.

عن إبراهيم النخعي، قال: قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء، فطلبهم فوجدهم فقال: «أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قالوا: كلنا، قال: أيكم أحفظ؟، فأشاروا إلى علقمة، فقال: كيف سمعته يقرأ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ؟، قال علقمة: ﴿والذكر والأنثى﴾، قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدوني أن أقرأ ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ والله لا أتابعهم»[٢].

وفي لفظ عن إبراهيم عن علقمة: أنه قدم الشام، فدخل مسجد دمشق، فصلى فيه ركعتين، وقال: «اللهم ارزقني جليساً صالحاً، قال: فجلس إلى أبي الدرداء، فقال له أبو

---

(١) سبق تخريجه في مطلع تفسير سورة الأعلى.

(٢) أخرجه البخاري ـ تفسير سورة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ٤٩٤٤، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها ٨٢٤، والترمذي في القراءات ٢٩٣٩.

الدرداء: ممن أنت؟، قال: من أهل الكوفة، قال: كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝﴾ قال علقمة: ﴿وَٱلذَّكَرِ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ ، فقال أبو الدرداء: لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككوني، ثم قال: ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر، الذي لا يعلمه أحد غيره[1]، والذي أجير من الشيطان على لسان النبي ﷺ، صاحب الوساد: ابن مسعود، وصاحب السر: حذيفة، والذي أجير من الشيطان: عمار»[2].

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ جواب القسم.

والسعي: هو العمل الذي يهتم به صاحبه ويجتهد فيه حسب الإمكان، ﴿لشتى﴾ أي: لمختلف متفرق.

فأقسم عز وجل بالليل إذا غشي الخليقة بظلامه، وبالنهار إذا بان وظهر وأضاء البسيطة بنوره، وبنفسه عز وجل وهو الذي خلق الذكر والأنثى ـ أقسم على أن سعي العباد وأعمالهم واهتماماتهم وجهودهم مختلفة، متنوعة متفرقة، فعامل خيراً، وعامل شراً، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

وقال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[3].

فشتان بين من يعمل لخلاص نفسه ونجاتها وسعادتها في الدنيا والآخرة، وبين من يعمل لهلاكها وشقائها في الدنيا والآخرة.

شتان بين الحالتين فإن ترد ... جمعاً فما الضدان يجتمعان[4]

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

رُويَ أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان يعتق الأرقاء من المساكين ابتغاء وجه الله تعالى[5].

قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ الفاء: استئنافية، و«أما» حرف شرط

---

(١) الوساد: المخدة، وفي رواية للبخاري: «صاحب السواك، أو صاحب السرار». وصاحب السر: أي صاحب سر رسول الله ﷺ، وهو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وقد أسر إليه النبي ﷺ بأسماء المنافقين.

(٢) أخرجه أحمد ٦/٤٤٩.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) البيت لابن القيم ضمن القصيدة «النونية» ص١١.

(٥) انظر «جامع البيان» ٢٤/٤٦٦.

وتفصيل في الموضعين و«من» موصولة في الموضعين.

أي: فأما الذي أعطى، أي: أخرج ما أمر به من النفقات الواجبة والمستحبة كالزكاة والإنفاق على الأهل والأولاد، وسائر الصدقات، وقام بفعل المأمورات من الواجبات كالصلاة والصيام والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام وغيرها، ومن المستحبات كنوافل العبادات وغيرها.

﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ أي: واتقى الله بالبعد عن المنهيات.

وفي تقديم قوله ﴿أَعۡطَىٰ﴾ إشارة إلى أهمية أداء حقوق الخلق، وأهمية النفع المتعدي إلى الخلق، وأهمية فعل المأمورات من الواجبات والمستحبات.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: صدق بلا إله إلا الله وما يستوجبه الإيمان بها من الإيمان بجميع أصول الدين وفروعه كما جاءت في الكتاب والسنة، وصدق بالمثوبة الحسنى على ذلك من الله عز وجل بالخلف في الدنيا وبالجنة في الآخرة، قال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦].

رُويَ عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى، قال: «الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم»[(١)].

وهذه هي المراتب الثلاث التي يدور عليها الدين: فعل المأمور، وترك المحظور، وتصديق الخبر.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ الفاء: رابطة لجواب الشرط، والسين للتحقيق، أي: فسنيسره لليسرى في أموره كلها، في أمور دينه ودنياه، ونوفقه لعمل الخير ونهيء له أسبابه، لأن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝﴾ [الطلاق: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ الواو: عاطفة، أي: وأما الذي بخل بما آتاه الله من المال فمنع حق الله فيه، ولم يقم بما أمره الله بالقيام به.

﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ أي: واستغنى بنفسه وماله عن ربه ورحمته وتقواه.

وقابل قوله ﴿ اتقى ﴾ بقوله ﴿ استغنى ﴾ تبشيعاً لحال تارك التقوى ومبالغة في ذمه وأنه بهذا المسلك فعل فعل المستغني عن ربه مع أن كل مخلوق لا غنى له عن ربه طرفة عين.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: وكذب بلا إله إلا الله، وبالمثوبة الحسنى والمجازاة على العمل في

---

(١) اخرجه الطبري في «جامع البيان» ١٢/ ١٦٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٩٤٥.

الدنيا والآخرة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أي: فسنيسره في أموره كلها للعسرى، ونهيء له الشر وأسبابه، لأن من جزاء السيئة السيئة بعدها، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

ولا يُغتر بما عليه الكفار من النعم الظاهرة فهم في شقاء وضيق نفسي قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وهو أيضاً استدراج لهم كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنَكَّس[١] فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، وما من نفس منفوسة[٢] إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة»، قال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟، فقال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾»[٣].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم إلاالثقلين: اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً»، وأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ

---

(١) المخصرة: ما أخذه الإنسان بيده من عصا أو عكازة أو مقرعة أو قضيب، وقد يتكئ عليه وقوله «فنَكَّس» أي: خفض رأسه وطأطاه على هيئة المهموم.

(٢) منفوسة أي: مخلوقة ومولودة.

(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ٤٩٤٧، ٤٩٤٨، ومسلم في القدر ٢٦٤٧، وأبو داود في السنة ٤٦٩٤، والترمذي في القدر ـ ما جاء في الشقاء والسعادة ٢١٣٦، وابن ماجه في المقدمة ـ باب القدر ٧٨، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٤٦٩ – ٤٧١.

لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾»[1].

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ «ما» استفهامية، أي: وأي شيء يغني عنه ماله إذا بخل به.

﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ أي: إذا هلك وألقي في النار.

والجواب: لا ينفعه هذا المال ولا يدفع عنه شيئاً.

ويحتمل أن تكون «ما» نافية، أي: وما ينفعه ماله، ولا يدفع عنه، إذا هلك وألقي في النار.

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بالليل إذا غشي الخليقة بظلامه، وبالنهار إذا تجلى وظهر، وبنفسه الشريفة وهو الذي خلق الذكر والأنثى أن سعي الناس مختلف، فساع في خلاص نفسه وفكاكها، وساع في إهلاكها وإيباقها.

٢- أن لله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وأن يقسم بنفسه لما في ذلك كله من الدلالة على كمال عظمته وتمام قدرته.

٣- الترغيب في التأمل في آيات الله عز وجل الكونية، الليل والنهار، وفي خلق الذكر والأنثى من الإنسان والحيوان والنبات، وشكره عز وجل على هذه النعم.

٤- شتان بين من يسعى في فكاك نفسه وإعتاقها، وبين من يسعى في هلاكها وإيباقها.

٥- البشارة لمن أعطى من ماله وقام بفعل ما أمر به، واتقى بترك ما نهي عنه، وصدق بالمثوبة الحسنى على ذلك بتوفيقه للخير، وتيسير أموره.

٦- وجوب دفع الإنسان ما عليه من حقوق مالية وغيرها كالزكاة والنفقة على الأهل، واستحباب السخاء والبذل مما أعطاه الله من مال وغيره، ووجوب تقوى الله وتصديق شرعه، والثقة بوعده.

٧- أن الأعمال الصالحة يأخذ بعضها برقاب بعض، والحسنة سبب للحسنة بعدها كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٨- التحذير من البخل بما على الإنسان من حقوق في نفسه وماله، والاستغناء عما عند الله عز وجل والتكذيب بشرعه وجزائه، والوعيد لمن فعل ذلك بتيسيره للشر.

٩- أن الأعمال السيئة يجر بعضها بعضاً، والسيئة سبب للسيئة بعدها.

١٠- أن المال لا ينفع صاحبه ولا يدفع عنه إذا بخل به واستغنى به عن ربه عز وجل ولا ينقذه من عذاب النار إذا هلك وتردى فيها.

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٤٦٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٤١.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

صلة الآيات بما قبلها:

أقسم عز وجل في مطلع السورة أن سعي الناس مختلف، وبيَّن انقسامهم إلى فريقين وحال ومآل كل منهما، ثم أتبع ذلك بأنه سبحانه قد أقام الحجة على الخلق وبيَّن لهم طريق الهدى، وأن الدنيا والآخرة ملك له وحذر من النار، وبين صفة من يصلاها ومن يجنبها.

قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي: إن علينا إرشادهم وبيان طريق الهدى لهم وطريق الضلال، وبيان الحق من الباطل، والحلال من الحرام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠].

وأيضاً فإن طريق الهدى عليه عز وجل وموصل إليه كما قال عز وجل ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]، وقال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحجر: ٤١].

وقد بين عز وجل للناس الهدى أتم بيان وأقام الحجة على الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وأكمل الدين وأتم النعمة ببعثة محمد ﷺ فلم يلحق بربه حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك[(١)].

قال أبو ذر رضي الله عنه: «لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً»[(٢)].

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: «لقد علَّمنا نبينا ﷺ حتى الخراءة»[(٣)]. أي:

(١) أخرجه أبو داود في السنة ٤٦٠٧، والترمذي في العلم ٢٦٧٦، وابن ماجه في المقدمة ٤٤ ـ من حديث العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه.
(٢) أخرجه احمد ٥/ ١٥٣.
(٣) أخرجه مسلم في الطهارة – الاستطابة ٢٦٢.

علمنا حتى آداب الخلاء وقضاء الحاجة.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: وإن لنا ملك الآخرة والدنيا والتصرف فيهما، كما قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥]، فالخلق خلقه والملك ملكه والأمر أمره كما قال عز وجل ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقدم الآخرة مع أنها متأخرة من حيث الزمن لأهميتها، فهي الدار الحقيقية كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقدمها أيضاً لأن فيها يظهر تمام ملك الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].مع ما في ذلك من مراعاة الفواصل.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ أي: فحذرتكم وخوفتكم ناراً تتوهج وتستعر وتشتعل وهي نار الآخرة.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار»، حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا. قال: حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه»[(١)].

وعنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه»[(٢)].

وفي رواية: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً»[(٣)].

﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ أي: لا يدخلها ويغمر فيها ويقاسي حرها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ أي: إلا الذي كتب عليه الشقاء، وبلغ فيه غايته كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦].

﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ تفسير للأشقى، أي: الذي كذب بقلبه ما أخبر الله به ورسوله ﴿ وتولى ﴾ بجوارحه عن العمل بما أمر الله به ورسوله، فخالف الأمر وارتكب النهي وكفر ظاهراً وباطناً.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٢.
(٢) أخرجه البخاري في الرقاق – صفة الجنة والنار ٦٥٦١، ومسلم في الإيمان ـ أهون أهل النار عذاباً ٢١٣، والترمذي في صفة الجنة ٢٦٠٤، وأحمد ٤/ ٢٧٤.
(٣) أخرجه مسلم في الإيمان – أهون أهل النار عذاباً ٢١٣، وأخرجه البخاري مختصراً في الرقاق ٦٥٦٢.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا شقي»، قيل: ومن الشقي؟، قال: «الذي لا يعمل بطاعة الله ولا يترك لله معصية»[١].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟، قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[٢].

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

قال ابن كثير[٣]: «وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها».

قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ أي: وسيبعد عنها جانباً، ويزحزح عنها ﴿الأتقى﴾ أي: التقي وكلما كان الإنسان لله أتقى كان عن النار أبعد.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ تفسير لقوله ﴿ الأتقى ﴾ أي: الذي يعطي ماله أي: يخرج وينفق ماله ويصرفه في سبيل الله وطاعته.

﴿ يتزكى ﴾ أي: ليطهر نفسه وماله، فتزكو نفسه وتطهر من الشح والبخل ونحو ذلك ويزكو ماله وينمو ويزيد ويسلم من الآفات بإذن الله عز وجل.

قال السعدي[٤]: «فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب كدين ونفقة ونحوهما فإنه غير مشروع بل تكون عطية مردودة عند كثير من العلماء، لأنه يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب».

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ﴾ أي: وليس لأحد ممن يعطيهم هذا المزكي لنفسه وماله ﴿عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ أي: ليس إعطاؤه لهم مكافأة لهم على سابق نعمة منهم إليه أو منة منهم عليه.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إلا إخلاصاً لله عز وجل وتحقيقاً لرضاه وطلباً لرؤية وجهه الكريم في جنات النعيم.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٤٩.
(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام – الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٧٢٨٠، وأحمد ٢/ ٣٦١.
(٣) في «تفسيره» ٨/ ٤٤٤.
(٤) في «تيسير الكريم الرحمن» ٧/ ٦٣٩.

﴿ الأعلى ﴾ أي: الأعلى على خلقه الذي استوى على عرشه سبحانه وتعالى الذي له العلو المطلق: علو الذات وعلو الصفات، وعلو القهر، وعلو القدر.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ الواو: استئنافية واللام موطئة للقسم أي: والله لسوف يرضى بنيله ما كان يرجو من رؤية الله عز وجل والنعيم المقيم، والنجاة من نار الجحيم.

وسياق الآيات يدل على أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كما ذكر هذا كثير من المفسرين، بل ذكر بعضهم الإجماع عليه، فإنها اشتملت على صفات عظيمة هي من صفات خواص المؤمنين، بل من صفات خواص الصديقين ورتب عليها وعد بالرضى من المولى العظيم ولا شك أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أول من يدخل في عمومها، فلقد كانت له رضي الله عنه الأيادي الكريمة والمواقف العظيمة في بذل نفسه وماله في سبيل الله، والدفاع عن رسول الله ﷺ فقد كان صاحبه في الهجرة، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله»(١).

وفي رواية، قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر، فبكى أبو بكر، وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: «رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمنّ الناس

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب ٣٦٦١ وقال «حديث حسن غريب».
(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ٩٤ – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري في المناقب ٣٦٧٨.

عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر»[(١)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر، فسلم، وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك، يا أبا بكر، ثلاثاً، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: ثَمَّ أبو بكر؟، فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم فجعل وجه النبي ﷺ يتمعّر حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين، فما أوذي بعدها»[(٢)].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته، فقلت: «أي الناس أحب إليك؟، قال: عائشة، فقلت من الرجال؟، فقال: أبوها، قلت: ثم من؟، قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالاً»[(٣)].

وقد أعتق أبو بكر رضي الله عنه من ماله كثيراً من الأرقاء والمستضعفين من المسلمين من أيدي المشركين وتعذيبهم، منهم بلال بن رباح وسلمان الفارسي رضي الله عنهما وغيرهما. وكانت له أياد بيضاء على كثير من الناس حتى على بعض سادات العرب، ولهذا قال عروة بن مسعود الثقفي يوم صلح الحديبية لما قال له أبو بكر رضي الله عنه: «امصص ببظر اللات أنحن نفرّ وندعه؟ يعني رسول الله ﷺ. فقال له عروة: أما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان»، فقال أبو بكر

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة ٤٦٦، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٣٨٢، والترمذي في المناقب ٣٦٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب ٣٦٦١.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب ٣٦٦٢، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٣٨٤، والترمذي في المناقب ٣٨٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في الشروط ـ الشروط في الجهاد ٢٧٣١، ٢٧٣٢ ـ من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ـ رضي الله عنهما.

الصّديق: يا رسول الله، ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟، قال رسول الله ﷺ: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟، قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟، قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: فمن أطعم اليوم مسكيناً؟، قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟، قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالاً، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟»، قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟»، قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله، لا أسبقه إلى شيء أبداً»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر»(٤).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، و أبو عبيدة بن الجراح في الجنة»(٥).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟، كأنها تقول الموت. قال ﷺ: «إن لم تجديني فائتي أبا بكر»(٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة، فأذن، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» الحديث(٧).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما طلعت الشمس ولا

---

(١) اخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢١٦، ومسلم في الزكاة ١٠٢٧، والنسائي في الزكاة ٢٤٣٩، والترمذي في المناقب ٣٦٧٤.
(٢) اخرجه مسلم في الزكاة ١٠٢٨.
(٣) اخرجه أبو داود في الزكاة ١٦٧٨، والترمذي في المناقب ٣٦٧٥.
(٤) اخرجه الترمذي في المناقب ٣٧٩٠، وابن ماجه في المقدمة ١٥٥.
(٥) اخرجه الترمذي في المناقب ٣٧٤٧.
(٦) اخرجه البخاري في المناقب ٣٦٥٩، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٣٨٦، والترمذي في المناقب ٣٦٧٦.
(٧) اخرجه البخاري في الأذان ٦٦٤، ومسلم في الصلاة ٤١٨، والترمذي في المناقب ٣٦٧٢، وابن ماجه في إقامة السنة ١٢٣٢.

غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما توفي رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»، فقال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق»[(٢)].

وعن عمر رضي الله عنه قال: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة كلها لرجح بهم إيمان أبي بكر»[(٣)].

وقال بكر بن عبد الله المزني رحمه الله: «ما سبق أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه»[(٤)].

الفوائد والعبر:

١- تكفل الله عز وجل ببيان الهدى والرشاد إقامة للحجة على العباد.

٢- أن لله عز وجل ملك الآخرة والدنيا.

٣- التحذير والإنذار من نار شديدة اللظى واللهب لا يدخلها إلا الأشقى المكذب بالحق المعرض عنه.

٤- وعد الله عز وجل الذي لا يخلف الميعاد بإبعاد الأتقى عن النار الذي ينفق ماله ليطهر نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى لا مجازاة لأحد على نعمة ووعده تعالى بأن يرضيه.

٥- الترغيب في الإنفاق ابتغاء وجه الله والإخلاص لله في ذلك.

٦- إثبات الوجه لله عز وجل. وإثبات ربوبيته ـ عز وجل ـ الخاصة لأوليائه.

٧- فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) اخرجه عبد الرحمن بن حميد في مسنده، وأبو نعيم في الحلية، وله شواهد عند الطبراني من حديث جابر وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما انظر «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام ٧٢٨٥، ومسلم في الإيمان ٢٠، وأبو داود في الزكاة ١٥٥٦، والنسائي في الزكاة ٢٤٤٣، والترمذي في الإيمان ٢٦٠٧.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح، وروي مرفوعاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما من طرق لا يخلو شيء منها من مقال، انظر «المقاصد الحسنة» ص٣٤٩ حديث ٩٠٨.

(٤) انظر «المقاصد الحسنة» ص٣٦٩ حديث ٩٧٠.

تفسير سورة الضحى

هذه السورة أول قصار المفصل

عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: «اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة[١]، فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾»[٢].

وفي رواية عن جندب، قال: «أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقال المشركون: وُدِّعَ محمد، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾»[٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾.

قوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ الواو: للقسم، و«الضحى» مقسم به، وهو صدر النهار أو النهار كله لمقابلته بالليل في قوله ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: والضحى إذا أشرق وأضاء الأرض بنوره كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس: ١]، وقوله: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ٢].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: إذا غشى وغطى الأرض والخليقة بظلامه وسكن وادلهم كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الليل: ١]، وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ [الشمس: ٤]، يقال ليلة ساجية، أي: ساكنة الريح والأصوات.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ هذا هو جواب القسم.

فأقسم الله عز وجل بالضحى وضيائه، والليل وظلامه وهما من المتضادات الدالة على عظيم قدرة الله عز وجل، أقسم على أنه عز وجل ما ودع نبيه ﷺ وما قلاه، وأن

---

(١) قيل: إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة ﴿والضحى﴾ ٤٩٥٠، ومسلم في الجهاد ـ ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ١٧٩٧، وأحمد ٤/ ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٣) أخرجها البخاري في الجمعة ١١٢٥، ومسلم في الجهاد والسير ١٧٩٧، والترمذي في التفسير ٣٣٤٥.

الآخرة خير له من الدنيا وأن الله سيعطيه حتى يرضى.

قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ أي: ما تركك ربك وما أهملك منذ اعتنى بك ورباك.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: وما قلاك ربك وما أبغضك منذ أحبك.

وهذا في معرض الرد على قول المشركين لما أبطأ عنه ﷺ جبريل عليه السلام قالوا: «ودعه ربه وقلاه»، فنفى عز وجل أن يكون ترك نبيه ﷺ وأبغضه ومفهوم هذا أنه عز وجل معتنٍ به ﷺ، محبٌ له كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أقسم عز وجل على نفي ما ادعاه المشركون من تركه عز وجل لنبيه ﷺ وبغضه له، ثم أتبع ذلك ببيان ما أعده له من الكرامة في الآخرة، وما سيمتنّ به عليه من النعم في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ الواو: عاطفة، واللام للابتداء، أي: ووالله للآخرة خير لك ﴿مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: من الدنيا، وسميت الآخرة بهذا الاسم لأنها متأخرة في الزمن بعد الدنيا، وإلا فهي الدار الحقيقية كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ولهذا لما زار أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أم أيمن رضي الله عنها بكت، فقالا لها: «ما يبكيك؟، ما عند الله خير لرسوله ﷺ؟ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها»(١).

كما سميت الدنيا بهذا الاسم لأنها متقدمة على الآخرة من حيث الزمن، ولأنها دنيئة حقيرة، وقد تمثل ﷺ هذه الحقيقة المسَلَّمة في سيرته العطرة، فكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأشدهم طلباً للآخرة.

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «اضطجع رسول الله ﷺ على حصير، فأثّر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه، وقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً؟، فقال رسول الله ﷺ: «مالي وللدنيا؟! ما أنا

---

(١) اخرجه مسلم في فضائل الصحابة ٢٤٥٤ وأخرجه ابن ماجه مختصراً في الجنائز ١٦٣٥ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

والدنيا؟! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[(٢)].

ولهذا لما خيَّر الله عز وجل نبيه ﷺ بين أن يؤتيه زهرة الحياة الدنيا وبين ما عنده اختار ما عند الله عز وجل[(٣)].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم»[(٥)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[(٦)].

فالدنيا لا تساوي شيئاً بالنسبة للآخرة كما قال تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨﴾ [التوبة: ٣٨].

والآخرة خير من الدنيا له ﷺ خاصة وللمؤمنين عامة كما قال تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ [الأعلى: ١٧].

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ الواو: عاطفة، واللام للقسم، أي: ووالله لسوف يعطيك ربك فترضى و«سوف» لتحقيق الشيء في المستقبل فهذا وعد له ﷺ من ربه عز وجل بأن يعطيه من الخير في الدنيا والآخرة حتى يرضى، وقد أعطاه عز وجل من

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٤٨٣، وابن ماجه في الزهد ـ مثل الدنيا ٤١٠٩، وأحمد ١/ ٣٩١، وقال الترمذي: «حسن صحيح».
(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤١٦، وأخرجه مختصراً الترمذي في الزهد ٢٣٢٣، وابن ماجه في الزهد ٤١١٤.
(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار – هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ٣٩٠٤، ومسلم في فضائل الصحابة – فضائل أبي بكر الصديق ٢٣٨٢ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٤) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٢٠، وابن ماجه في الزهد ٤١١٠.
(٥) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٢٢، وابن ماجه في الزهد ٤١١٢، وقال الترمذي: «حسن غريب».
(٦) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق ٢٩٥٦، والترمذي في الزهد ٢٤٢٤، وابن ماجه في الزهد ٤١١٣.

الخير العاجل: التمكين لدينه، والتأييد له ونصره على أعدائه، وظهور الحق، وزهوق الباطل، ودخول الناس في دين الله أفواجاً إلى غير ذلك.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً وبعثت إلى الناس عامة»(١).

وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُويَ لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها»(٢).

وأعطاه الله عز وجل من الخير الآجل ما لا يخطر على بال من الشفاعة الكبرى والمقام المحمود والحوض المورود، وجنات الخلود وشهادته هو وأمته على الأمم وغير ذلك.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً، فسر بذلك، فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ »(٤).

وقال ﷺ لأصحابه: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، قالوا: فكبرنا، قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، فكبرنا، قال: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا»(٥).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة ٤٣٨، ومسلم في المساجد ٥٢١، والنسائي في الغسل والتيمم ٤٣٢.

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة ٢٨٨٩، وأبو داود في الفتن والملاحم ٤٢٥٢، والترمذي في الفتن ٢١٧٦، وابن ماجه في الفتن ٣٩٥٢.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٤٨٨ - قال ابن كثير في «تفسيره» ٨/٤٤٨: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/٤٤٨.

(٥) أخرجه البخاري في الأنبياء ٣٣٤٨، ومسلم في الإيمان ٢٢٢ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وعد الله عز وجل في الآية السابقة نبيه ﷺ بأنه سوف يعطيه فيرضى، ثم ذكَّره عز وجل بما أسبغ عليه من عظيم النعم ليشكره عليها ويحدث بها ويتيقن أن ما عند الله له في الآخرة خير من الدنيا، وأن ربه سوف يعطيه حتى يرضى.

قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ الهمزة للاستفهام، ومعناه التقرير. أي: ألم تكن يتيماً فآواك، وذلك أن أباه توفي وهو في بطن أمه، وتوفيت أمه آمنة بنت وهب، وعمره ست سنوات، فاجتمع عليه ﷺ مع اليتم بفقد الأب فقد الأم.

﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ أي: فآواك، بأن سخر الله لك من يؤيك ويكفلك وينصرك حيث كفله جده عبد المطلب إلى أن توفي وعمره ﷺ ثمان سنوات، ثم كفله عمه أبو طالب، فأحاطه بعظيم عنايته ورعايته في صغره، ولما ابتعثه الله على رأس الأربعين سنة من عمره ناصره أشد المناصرة، ووقف سداً منيعاً دون أذى قومه أن يصل إليه، فلم يستطيعوا النيل منه ﷺ حتى توفي أبو طالب قبيل الهجرة.

وفي هذا يقول أبو طالب:

ولما رأيت القوم لاودّ فيهمُ ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وقد حالفوا قوماً علينا أظنةً ... يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل

إلى أن قال:

كذبتم وبيت الله[1] نُبْزى[2] محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع دونه ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

إلى أن قال:

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ... وإخوته دأب المحب المواصل

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها ... وزيناً لمن والاه رب المشاكل

فمن مثله في الناس أيّ مُؤمَّل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل

(١) هذا قسم بالبيت والقسم بغير الله لا يجوز ولكن ليس بعد الشرك ذنب فابو طالب مشرك كافر.

(٢)أي: نسلبه ونغلب عليه.

حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلهاً ليس عنه بغافل

فوالله لولا أن أجيء بسبة ... تُجرّ على أشياخنا في المحافل

لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جداً غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكذَّب ... لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تُقصِّر عنه سَورة المتطاول

حَدِبتُ بنفسي دونه وحَمَيته ... ودافعت عنه بالذُّرى والكلاكل

فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقُّه غيرُ باطل

رجال كرام غير ميلٍ نَماهُم ... إلى الخير آباءٌ كرام المحاصل

فإن تك كعب من لؤيّ صُقَيْبة[1] ... فلا بد يوماً مرَّة مِن تزايُل[2]

فسبحان من سخّر أبا طالب ـ وهو مشرك ـ يحوط النبي ﷺ ويدافع ويذود عنه، وينافح من أجله وصدق ﷺ إذ يقول: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»[3].

ولما توفي عمه أبو طالب استطال عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة إلى المدينة، فرحب به الأنصار رضي الله عنهم وآووه هو وأصحابه المهاجرين كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ [الحشر: ٩].

واستقبلوه فرحين مستبشرين يرددون:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة ... مرحباً يا خير داع

---

(١) يعني: قريبة.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٢٩١ ـ ٢٩٩.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد ٣٠٦٢، ومسلم في الإيمان ١١١، وأحمد ٢/ ٣٠٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فأحاطه الله عز وجل بعنايته منذ كان في بطن أمه، وبعد ولادته، وسخر له من يؤويه، وأيده بمن يناصره ويدافع عنه بعد مبعثه ﷺ حتى ظهر دينه على الأديان كلها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأصبح كل واحد من المؤمنين ـ وهم ولله الحمد لا يحصون كثرة ـ يفديه بنفسه وأهله وماله وكل هذا من إيواء الله عز وجل ونصره له ﷺ.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ أي: وكنت ضالاً عن هذا الدين والشرع القويم أي: لم تهد إليه بعد ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي: فهداك الله إليه بما أنزل عليك من الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وليس معنى كونه ﴿ ضالاً ﴾ أنه على دين قومه الشرك، بل كان ﷺ على الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام وكان يتعبد في غار حراء ابتعاداً عما عليه قومه من الشرك.

ومثل هذا قوله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة»[(١)]. أي: أنهم لم يهتدوا إلى هذا اليوم فهدانا الله إليه.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ أي: وكنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله، بما أعطاك من مال خديجة رضي الله عنها، وبما أفاء عليك من الغنائم، ولهذا قال ﷺ: «وجعل رزقي تحت ظل رمحي»[(٢)].

وأعظم من ذلك وأهم ما رزقه الله عز وجل من غنى النفس والقناعة، التي هي كنز لا يفنى.

فجمع الله ـ عز وجل ـ له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر مع ما كان عليه ﷺ من ضيق الحال وقلة ذات اليد، وقد عرضت عليه الدنيا فلم يلتفت إليها، وآثر ﷺ أن ينام على الحصير.

---

(١) اخرجه مسلم في الجمعة ٨٥٦، والنسائي في الجمعة ١٣٦٨ – من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما.
(٢) اخرجه احمد ٢/ ٥٠ ـ من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما وذكره البخاري معلقاً في الجهاد ـ ما قيل في الرماح.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً»، أو نحو هذا: «فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإن شبعت شكرتك وحمدتك»[(١)].

وكان يمر على بيوته ﷺ الهلالان والثلاثة لا يوقد فيها نار فقيل لعائشة رضي الله عنها فما طعامكم حينئذ؟، قالت: «الأسودان التمر والماء»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر، أو خبز بر ثلاث ليال تباعاً»[(٣)].

وشكا إليه أزواجه ﷺ ضيق الحال وطالبنه بزيادة النفقة، فخيرهن بين الحياة الدنيا وزينتها ومفارقتهن، وبين الله ورسوله والدار الآخرة والبقاء في عصمته ﷺ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

وخرج ﷺ ذات يوم هائماً على وجهه من شدة الجوع، فلقيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فسألهما «ما الذي أخرجكما في هذه الساعة؟»، فقالا: يا رسول الله أخرجنا الجوع، فقال ﷺ: «وأنا والله الذي أخرجني الجوع» الحديث[(٤)]..

واستضافه ﷺ رجل، فدخل على أزواجه ﷺ فسألهن هل عندكن من شيء فقلن: لا، فخرج إلى أصحابه يسألهم: «من يضيف ضيف رسول الله ﷺ وله الجنة؟»، فقال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أنا. وفيه وفي زوجته نزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ » [الحشر: ٩]»[(٥)].

واستمر به الحال ﷺ هكذا إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، فتوفي ﷺ بأبي هو وأمي، ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير[(٦)]، ولو أراد ﷺ الدنيا لأتته من كل حدب وصوب، ولكنه ﷺ آثر ما يبقى على ما يفنى وعرف حقارة الدنيا، وأنها متاع غرور، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

فهي متاع حائل، وظل زائل ولهذا كان ﷺ يقول: «مالي وللدنيا إنما أنا كراكب

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٤٧ وقال «حديث حسن» وأحمد ٥/ ٢٥٤.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه مسلم في الزهد والرقاق ٢٩٧٠.
(٤) سيأتي تخريجه في تفسير سورة التكاثر.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٢٩١٦ – من حديث عائشة رضي الله عنها.

استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[١].

ويقول ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس»[٢].

ويقول ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنّعه الله بما آتاه»[٣].

وكان من أشد ما خاف ﷺ على أمته انفتاح الدنيا عليهم، قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»[٤].

ولهذا جاء في الأثر أن الله عز وجل يدرأ الدنيا عمن يحب، ويحوطه عنها، وذلك لأنها مزلة قدم، فكم من أناس غرقوا في وحلها فخسروا دينهم ودنياهم وآخرتهم، حيث انشغلوا بها عن طاعة الله عز وجل وعن الاستعداد لما أمامهم، وخرجت بهم من الحلال إلى الحرام فصار الحلال ما حل بأيديهم ولو كان من طريق المعاملات المحرمة، قال ﷺ: «لو أن ابن آدم أعطي وادياً من ذهب لابتغى ثانياً، ولو أعطي ثانياً لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ا بن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[٥].

قال ابن الإمام أحمد كانت نفقتنا سبعة عشر درهماً فقلت لأبي يا أبتي زد في النفقة فقال: «يا بني أيام قلائل، طعام دون طعام، ولباس دون لباس حتى نلقى الله».

وقال ابنه أيضاً: «مكثت نعلا أبي في رجليه ثمان عشرة سنة كلما انخرمت رقعها».

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

لما ذكر عز وجل ما امتن به على نبيه ﷺ من النعم الدينية والدنيوية أتبع ذلك بالأمر بأداء حقوق هذه النعم.

قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي: كما كنت يتيماً فآواك الله فلا تقهر اليتيم وهذا خطاب له ﷺ ولكل فرد من أفراد أمته، أي: فأما اليتيم فلا تذله وتهنه وتعتد عليه وعلى

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٤٦، ومسلم في الزكاة ١٠٥١، والترمذي في الزهد ٢٣٧٣، وابن ماجه في الزهد ٤١٣٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في الزكاة ١٠٥٤، والترمذي في الزهد ٢٣٤٨، وابن ماجه في الزهد ٤١٣٨ – من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري في الجزية ٣١٥٨، ومسلم في الزهد والرقائق ٢٩٦١، والترمذي في صفة القيامة ٢٤٦٢، وابن ماجه في الفتن ٣٩٩٧ – من حديث عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٣٨ من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وأخرجه الترمذي في المناقب ٣٧٩٣ من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

ماله وحقوقه، بل أحسن إليه وتلطف به ودافع عنه وعن حقوقه، وخص اليتيم لصغره وضعفه فهو عرضة لكل طامع ممن لا يخافون الله، ولهذا عظم الله عز وجل حق اليتيم في كتابه الكريم، وعظمه رسوله المصطفى الكريم في سنته المطهرة.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي: وكما كنت ضالاً فهداك الله فلا تنهر السائل المسترشد الطالب للعلم والهدى ولا تزجره وترده، بل عامله باللطف واللين، وأرشده إلى الحق وبينه له.

وأيضاً فكما كنت عائلاً فأغناك الله فلا تنهر المسكين ذا الحاجة إذا جاء يطلب العون والمساعدة، بل ساعده ما أمكن أو اعتذر منه بلطف، قال ﷺ: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس»[١].

وقال ﷺ: «ردوا السائل ولو بظلف محرق»[٢].

ولهذا كان ﷺ لا يرد سائلاً، ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ويعطي حتى ينفد ما عنده، وكان ﷺ كما وصفه القائل:

تعود بسط الكف حتى لو انه ... ثناها لقبض لم تطعه أنامله

تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله[٣]

وكان ﷺ أسوة في التواضع للوفود وطالبي الحاجات والسائلين والمسترشدين، فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه، فقال له ﷺ: «هوِّن عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد»[٤].

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (نعمة) مفرد مضاف فتعم كل نعم الله عليه من إيوائه بعد اليتم وهدايته من الضلالة، وإغنائه من العيلة، وغير ذلك، ولكن أعظم هذه النعم وأهمها نعمة النبوة والرسالة.

والمعنى: وأما بنعمة ربك عليك بالنبوة فحدث وبلغ الناس. وقد بلغ ﷺ البلاغ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ – في كتاب الجامع – مرسلاً من حديث زيد بن أسلم ١٨٧٦.
(٢) أخرجه أبو داود في الزكاة – حق السائل ١٦٦٧، والنسائي في الزكاة ـ تفسير المسكين – رد السائل ٢٥٦٥، والترمذي في الزكاة – ما جاء في حق السائل ٦٦٥، وأحمد ٥/ ٣٨١ – من حديث بجيد الأنصاري عن جدته رضي الله عنها.
(٣) الأبيات لأبي بكر الشلبي.
(٤) أخرجه ابن ماجه في الأطعمة ٣٣١٢.

المبين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها ونهارها سواء، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك.

وأيضاً فحدث بنعمة الله عليك بإيوائك بعد أن كنت يتيماً وتذكر ذلك فلا تنهر اليتيم، وحدث بنعمة الله عليك بالغنى بعد أن كنت فقيراً فلا تنهر السائل، وتحدث بسائر نعم الله عليك بذكرها وشكرها، ولهذا كان ﷺ أشكر الناس لربه، قام ﷺ الليل حتى تفطرت قدماه، فقالت له عائشة رضي الله عنها: لم تفعل ذلك يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»(١).

وكان ﷺ يقول في الدعاء: «اللهم اجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك، قابليها، وأتمها علينا»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»(٣).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أُبلي بلاءً فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره»(٤).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»(٥).

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بالضحى والليل إذا سجا، لما فيهما من دلائل قدرته وعظمته، وتنبيهاً على أهمية الوقت.

٢- عناية الله عز وجل بنبيه ﷺ وتثبيته له وطمأنته في الإقسام له على أنه ما ودعه وما قلاه رداً على ما زعمه المشركون المرجفون.

٣- إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة لنبيه ﷺ وتشريفه بها وتكريمه.

---

(١) أخرجه البخاري في الجمعة ١١٣٠، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار ٢٨١٩، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار ١٦٤٤، والترمذي في الصلاة ٤١٢، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١٤١٩ – من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة – التشهد ٩٦٨ – من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب – شكر المعروف ٤٨١١، والترمذي في البر – الشكر لمن أحسن إليك ١٩٥٤، وقال: «حسن صحيح».

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب – شكر المعروف ٤٨١٤.

(٥) أخرجه الترمذي في الأدب ٢٨٢٠ – وقال «حديث حسن» ورُويَ بمعناه من حديث أبي الأحوص عن أبيه رضي الله عنه – أخرجه أبو داود في اللباس ٤٠٦٣، والنسائي ٤٨١٩.

٤ـ أن ما عند الله عز وجل في الآخرة خير له ﷺ من الدنيا وما فيها، وكذلك لأتباعه.

٥- وعد الله عز وجل الذي لا يتخلف أنه سيعطي نبيه ﷺ من الخير في نفسه وأمته في الدنيا والآخرة حتى يرضى، وقد أعطاه من ذلك الكثير، وما ادخره له عنده عز وجل أجل وأعظم.

٦- امتنان الله عز وجل على نبيه ﷺ بإيوائه له بعد اليتم، وهدايته له بعد الضلالة، وإغنائه له بعد العيلة تذكيراً له بذلك، وتدليلاً على أنه سيعطيه من الخير العاجل والآجل حتى يرضى.

٧- النهي له ﷺ عن قهر اليتيم وإذلاله وفي هذا تذكير له ﷺ بنعمة الله عز وجل عليه بإيوائه بعد اليتم وهو نهي له ﷺ ولأمته.

٨- النهي له ﷺ عن نهر السائل وزجره وفي هذا تذكير له ﷺ بنعمة الله عز وجل عليه بإغنائه بعد العيلة وهو نهي له ﷺ ولأمته.

٩- تعظيم الإسلام لحق اليتيم والمسكين نظراً لشدة حاجتهما إلى العناية والرعاية، ولا عجب فهو دين التكافل الاجتماعي.

١٠- أمر الله عز وجل لنبيه ﷺ بالتحدث بنعمة الله عليه بالنبوة وغيرها وقد حدث ﷺ وبلغ البلاغ المبين وقام شكراً لله حتى تفطرت قدماه، وأخبر بما من الله به عليه من سائر النعم.

١١- ينبغي للمؤمن أن يشكر نعم الله عز وجل عليه، ويتحدث بها، ويظهر أثرها اعترافاً لله عز وجل بها.

تفسير سورة الانشراح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾.

قوله ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي: أما شرحنا لك صدرك، والاستفهام إذا دخل على النفي كان معناه التقرير أي: قد شرحنا لك صدرك.

والمعنى: شرحنا صدرك للإسلام ونورناه بنور الإيمان والنبوة، فأصبح واسعاً رحباً في تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله تعالى، وامتثال أوامر الله ـ عز وجل ـ واجتناب نواهيه، والصبر على ذلك، وعلى أقدار الله كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الآية إلى قوله ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

كما شرح الله صدره وشقه حسياً كما في حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به، قال: «بينما أنا في الحطيم، أو قال في الحجر مضطجعاً إذ أتاني آت، فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة قال: فأتى فقدَّ، أو فشق ما بين هذه إلى هذه» يعني من ثغرة نحره إلى شعرته، قال: «فاستخرج قلبي، قال: فأتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حشي، ثم أعيد» الحديث(١).

وكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في سماعه ﷺ وهو ابن عشر سنين وأشهر بكلام فوق رأسه، وإذا رجل يقول لرجل: أهو هو قال: نعم، إلىأن قال ﷺ: «فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئاً كهيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة، ثم هز إبهام رجلي اليمنى، فقال: اغد، واسلم، فرجعت بها

---

(١) اخرجه البخاري في المناقب ٣٨٨٧، ومسلم في الإيمان ١٦٤، والنسائي في الصلاة ٤٤٨، والترمذي في التفسير ٣٣٤٦.

أغدو، رقة على الصغير، ورحمة للكبير»[١].

ولهذا كان ﷺ كما وصفه الله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: طرحنا وأنزلنا عنك ذنبك وغفرنا لك، كما قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وكان ﷺ يقوم الليل حتى تفطرت قدماه فقالت له عائشة رضي الله عنها لم تفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[٢].

وهو صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء معصومون عن الوقوع في الكبائر، وعن الوقوع في الخطأ فيما يتعلق بتبليغ الرسالة، لكنهم غير معصومين عن الصغائر، لكن لا يُقَرُّون عليها وسريعاً ما يتوبون منها[٣].

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: الذي أثقل ظهرك وآلمه، فامتن الله عز وجل على رسوله ﷺ بهذا، لأن ثقل الظهر يمنع من قطع مسافة السفر، فكيف بالسفر الطويل، فالأوزار تمنع القلب من السير إلى الله عز وجل وتمنع الجوارح من النهوض في طاعته.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: أعلينا لك ذكرك، فجعلنا ذكرك عالياً بين الأنبياء وبين سائر الناس من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة، فهو أفضل الأنبياء وسيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل، فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعت ذكرك؟، قال: الله أعلم. قال: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي»[٤].

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض قلت: يارب إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته، جعلت إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي؟، قال: أوليس أعطيتك أفضل من ذلك كله، أني لا أذكر إلا ذكرت معي وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرؤون القرآن ظاهراً، ولم أعطها أمة،

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ١٣٩.
(٢) سبق تخريجه قريباً.
(٣) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٤/ ٣١٩.
(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٤٩٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٤٥.

وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[١].

فذكره ﷺ مرتبط بذكر الله عز وجل في الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله، وهما الركن الأول من أركان الإسلام، وهما متلازمتان لا تصح إحداهما دون الأخرى، فمن شهد أن لا إله إلا الله ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينفعه ذلك وكذا العكس.

ولهذا قُرن بينهما في الأذان وهو من أعظم شعائر الإسلام.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه[٢]:

أَغَـــرُّ عليـــه للنبـــوة خـــاتم ... مــن الله مــن نــور يلــوح ويشــهد

وضـم الإلـه اسـم الـنبي إلى اسمـه ... إذا قـال في الخمـس المـؤذن أشـهد

وشـــق لـــه مـــن اسمـــه ليجلَّـــه ... فـذو العـرش محمـود وهـذا محمـد

وقُرن بينهما بالتشهد في الصلاة: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»[٣].

ورفع ذكره بأن أوجب تقديم محبته وطاعته على محبة كل مخلوق وطاعته، وجعل اتباعه شرطاً في صحة كل عبادة.

وكما شرح عز وجل صدر رسوله ﷺ ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، فإن لأتباعه المؤمنين حظاً من ذلك بقدر صدق متابعتهم له ﷺ فهم أشرح الناس صدوراً، وأوضعهم أوزاراً، وأرفعهم ذكراً.

وأبعد الناس عن الله عز وجل أضيقهم صدوراً، وأثقلهم أوزاراً، لأنهم يبحثون عن سعة الصدر والسعادة في ارتكاب الذنوب والأوزار، وهم أخمل الناس ذكراً وأقلهم قدراً.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذه هي النعمة الرابعة التي أنعم الله بها على نبيه محمد ﷺ وهي له ولأمته، وهو جعله مع العسر يسراً وتأكيد ذلك، وفي هذا بشارة له ﷺ أن ما هو فيه من عسر وضيق من قومه سيعقبه اليسر بإذن الله عز وجل

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٥٢.

(٢) انظر «ديوان حسان» ص٣٣٨ تحقيق أ.د سيد حسنين، د/ حسن العيد ـ القاهرة ١٩٤٧ م.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان ٨٣١، ومسلم في الصلاة ٤٠٢، وأبو داود في الصلاة ٩٦٨، والنسائي في التطبيق ١١٦٢، والترمذي في الصلاة ٢٨٩، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ٨٩٩ ـ من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه.

وهكذا حصل له ﷺ.

والعسر: الضيق والشدة، واليسر: السعة والفرج، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝﴾ [الطلاق: ٧].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ جالساً وحياله جحر، فقال: «لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾»(١).

وقال ﷺ: «وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسر»(٢).

﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ توكيد لما قبله، وفيه دلالة على أنه لن يغلب عسر يسرين أي: إن مع كل عسر يسرين من الله عز وجل، كما روي عن الحسن مرسلاً قال: «خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك، وهو يقول: «لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين، إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً »»(٣).

ولهذا قال بعض أهل العلم: إن العسر لما ذكر معرفاً في الموضعين بأل التي للعهد دل ذلك على أن الثاني هو الأول فهو مفرد، وإن اليسر لما ذكر منكراً في الموضعين دل على أن الثاني غير الأول فهما اثنان فكل عسر معه من الله يسران ولن يغلب عسر يسرين.

وهذا وعد من الله عز وجل لا يتخلف، لأنه عز وجل لا يخلف الميعاد، وخبره أصدق الأخبار.

ولهذا فإن من قواعد الشريعة أن المشقة تجلب التيسير فعندما يشق على الإنسان الوضوء يتيمم، وعندما تشق عليه الصلاة قائماً يصلي قاعداً، وعندما يشق عليه الصوم يفطر، ويقضي، أو يطعم، وهكذا.

وهذا من فضل الله عز وجل ورحمته أن جعل العسر يعقبه يسران، وجعل الكرب يعقبه الفرج، وجعل النصر مع الصبر، ولقد أحسن القائل:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعاً وعند الله منها المخرج

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/٣٤٤٦، والبزار في مسنده فيما ذكر ابن كثير في «تفسيره» ٨/٤٥٣.

(٢) أخرجه أحمد ١/٣٠٧، والترمذي في صفة القيامة ٢٥١٦ - من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقال «حسن صحيح».

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٤٩٥ - ٤٩٦.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج[١]

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب

وقال أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بأن المرء غير مخلد

واصبر كما صبر الكرام فإنها نوب تنوب الآن تفرج من غد

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ أي: فإذا فرغت من مشاغلك في أمور الأمة والدعوة، وأمور الدنيا وارتاح بالك.

﴿ فانصب ﴾ أي: فانصب في العبادة وقيام الليل.

وذلك أن حضور القلب إنما يكون بعد الفراغ من مشاغل الدنيا، ولهذا قال ﷺ: «لا صلاة بحضرة طعام، ولا هو يدافعه الأخبثان»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤوا بالعشاء»[٣].

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ قدم المتعلق لإفادة الحصر، أي: ارغب إلى ربك لا إلى غيره، أي أقبل على ربك، وأخلص له النية وتقرب إليه وثق به تمام الثقة في جميع أمورك. وكثير من الناس يؤتون بسبب الضعف في هذا الجانب.

وقيل: إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب في الدعاء وارغب إلى ربك بسؤال مطالبك، واستدل على هذا بمشروعية الدعاء والذكر بعد الصلوات المكتوبة، وهذا المعنى وإن كان صحيحاً فإن حمل الآية عليه فيه بعد، والأظهر القول الأول.

الفوائد والعبر:

١- امتنان الله عز وجل على رسوله ﷺ بشرح صدره بالنبوة والإيمان والإسلام وهذه أعظم منة وأكبر نعمة.

---

(١) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي.

(٢) أخرجه مسلم في المساجد – كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال ٥٦٠، وأبو داود في الطهارة - أيصلي الرجل وهو حاقن ٨٩، وأحمد ٦/ ٤٣، ٥٤ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري في الأطعمة ٥٤٦٥، ومسلم في المساجد ـ كراهة الصلاة بحضرة الطعام ٥٥٨، وابن ماجه في الإقامة ـ إذا حضرت الصلاة ووضع العشاء ٩٣٥.

٢- فضل الله عز وجل عليه ﷺ بوضع وزره ومغفرة ذنبه.

٣- أن الأوزار والذنوب ثقل وعناء في الدنيا والآخرة تستلزم التوبة وطلب المغفرة من الله عز وجل.

٤- إعلاء الله عز وجل شأن نبيه محمد ﷺ ورفع ذكره بين الأنبياء والخلائق في الدنيا والآخرة.

٥- تكفل الله عز وجل ووعده بأن مع كل عسر يسرين من الله عز وجل وأنه لن يغلب عسر يسرين فلله الحمد والفضل والمنة.

٦- أمر الله عز وجل لرسوله ﷺ إذا فرغ من مشاغله في أمور الأمة والدعوة، وأمور الدنيا، وارتاح باله بالعبادة وقيام الليل والرغبة إلى الله عز وجل. وللأمة فيه ﷺ الأسوة في هذا الأمر كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] أي: ابتغوا إليه القربة وارغبوا إليه بالأعمال الصالحة.

٧ـ تشريفه ﷺ بربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة له وتكريمه.

تفسير سورة التين

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾ في العشاء، وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة»[١].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾.

قوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ الواو: للقسم و(التين والزيتون) مقسم بهما وهما الشجرتان المعروفتان اللتان هما من أفضل الأشجار وأكثرها فوائد، وأعظمها منافع، وأطيبها ثمرة، مَنْبِتُهما أرض بيت المقدس، فإنه أكثر البقاع زيتوناً وتيناً، وهي الأرض التي بارك الله فيها، وبعث فيها كثيراً من أنبيائه عليهم السلام.

فأقسم الله عز وجل بهذا الشجر ذي الثمر الطيب والفوائد الكثيرة والمنافع العظيمة، ومنابته المباركة أرض بيت المقدس، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وأضيف «طور» وهو الجبل، إلى «سينين» وهي البقعة، يقال: سينين، ويقال: سيناء.

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وهو مكة، وإشار إليه بإشارة القريب لقربه، أقسم الله به لأنه أشرف البقاع وأحبها إلى الله، البلد الحرام الذي يأمن من دخله كما قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وقال ﷺ: **«إن هذا البلد حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»**[٢].

فأقسم عز وجل بهذه الأماكن الثلاثة العظيمة، التي بعث الله بها أنبيائه ورسله،

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان، ـ القراءة في العشاء ٧٦٩، ومسلم في الصلاة ـ القراءة في العشاء ٤٦٤، وأبو داود في الصلاة ١٢٢١، والنسائي في الافتتاح ١٠٠٠، والترمذي في الصلاة ٣١٠، وابن ماجه في الصلاة ٨٣٥، وأحمد ٢٩٨/٤، ٣٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في الجزية ٣١٨٩، ومسلم في الحج ١٣٥٣، وأبو داود في المناسك ٢٠١٧، والنسائي في مناسك الحج ٢٨٧٥ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أصحاب الشرائع العظام، والأمم العظيمة، عيسى بن مريم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام تعظيماً لهذه الرسالات العظيمة وتشريفاً لهذه الأماكن، وبدأ بالأشرف، ثم الأشرف منه ثم الأشرف منهما.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ جواب القسم، فأقسم عز وجل بالمواضع الثلاثة على خلقه الإنسان في أحسن تقويم، واللام في قوله ﴿ لقد ﴾ واقعة في جواب القسم، و«قد» للتحقيق.

أي: والله لقد أوجدنا الإنسان في أحسن صورة، وأجمل هيئة، منتصب القائمة، متناسب الأعضاء، سوي الخلقة، وميزناه بالعقل، ولهذا خصصناه بالتكليف، كما قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [القيامة: ٣٧، ٣٨] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾ [الأعلى: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [الملك: ٢٣].

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ هذا من جملة جواب القسم، فأقسم عز وجل على بداية الإنسان ونهايته، أي: ثم أرجعناه بعد هذا الحسن والخلقة السوية والتميز بالعقل إن لم يؤمن بالله ويعمل صالحاً إلى الدرك الأسفل من النار في الأرض السفلى كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف: ٢٦].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ «إلا» أداة استثناء، فاستثنى عز وجل من الرد إلى أسفل سافلين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فهم في أعلى عليين، كما قال تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ [المطففين: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

واستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من قوله ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ يدل على أن المراد بذلك رده إلى أسفل سافلين في النار بسبب كفره، لا أن المراد رده إلى الهرم كما

قال بعضهم.

قال ابن تيمية[1]: «فإنه سبحانه أقسم على ذلك بأقسام عظيمة بالتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين، وهي المواضع التي جاء منها محمد والمسيح وموسى، وأرسل الله بها هؤلاء الرسل مبشرين ومنذرين وهذا الإقسام لا يكون على مجرد الهرم الذي يعرفه كل أحد، بل على الأمور الغائبة، التي تؤكد بالأقسام، فإن إقسام الله هو على أنباء الغيب. وفي نفس المقسم به ـ وهو إرسال هؤلاء الرسل ـ تحقيق للمقسم عليه وهو الثواب والعقاب بعد الموت».

ومعنى الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بقلوبهم وألسنتهم ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ أي: وعملوا الأعمال الصالحات بجوارحهم واكتفى بالصفة وهو كون الأعمال صالحات، لأن المهم في العمل وشرط قبوله أن يكون صالحاً، أي: خالصاً لله عز وجل وفق سنة نبيه محمد ﷺ.

وجمع بين الإيمان وعمل الصالحات لأن من اكتفى بأحدهما فليس بمؤمن.

﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي: فلهم عند الله عز وجل ثواب عظيم وجزاء كبير، وسمى عز وجل ثوابهم أجراً، لأنه سبحانه تكفل به والتزم به لهم تفضلاً وكرماً.

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، وغير ممنون به عليهم كما يمن المخلوق بما أعطى، لأن الله عز وجل أكرم الأكرمين يعطي العطاء الجزيل بغير حساب، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾ [النور: ٣٨] وله سبحانه وتعالى المنة الكبرى والنعمة العظمى على جميع خلقه، ومنته على عبده فيها تمام النعمة ولذتها وطيبها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: ٥].

والمراد بهذا الأجر نعيم الجنة والخلود الأبدي فيها، نسأل الله تعالى من فضله.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ لم يقل «فمن» لأن «ما» يراد به الصفات دون الأعيان، كأنه قال: فما المكذب لك بعد بالدين، أي: بالجزاء على الأعمال بعد الإخبار به وذكر دلائله، أي: لا يكذبك به إلا جاهل ظالم لنفسه.

وعلى هذا فالخطاب في قوله ﴿ فما يكذبك ﴾ للنبي ﷺ.

ويحتمل أن الخطاب للإنسان المكذب بالدين وتكون «ما» للاستفهام الإنكاري، أو

---

(١) انظر «دقائق التفسير» ٥/ ١٥٦.

للتعجب والتحقير لمن شأنه هكذا.

أي: فما الذي يحملك يا ابن آدم على التكذيب بالجزاء على الأعمال في الدنيا والبرزخ والمعاد، وقد عرفت أن الله هو الذي خلقك من العدم، وجعل خلقك في أحسن تقويم، وهو قادر على إعادتك وبعثك من باب أولى.

وسمي الجزاء على الأعمال بـ «الدين» لأن المرء فيه يجازى ويدان بما عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولهذا يقال كما تدين تدان، أي: كما تعمل تجازى

وسمى الله عز وجل نفسه «الديّان» أي: المجازي لعباده بما عملوا كما في الحديث «أنا الملك أنا الديان»(١).

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، أي: بلى سبحانه هو أحكم الحاكمين. و«أحكم» اسم تفضيل.

أي: هو ـ سبحانه ـ أحكم وأعدل الحاكمين في أحكامه الشرعية والكونية والجزائية، له كمال الحكم في أحكامه الثلاثة: الحكم الكوني، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وله كمال الحكمة بقسميها: الحكمة الغائية والحكمة الصورية وحكمته عز وجل تقتضي أن لا يترك الخلق سدى، بلا أمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فانتهى إلى آخرها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»(٢).

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله عز وجل بالمواضع الثلاثة المباركة التي بعث الله بها محمداً وموسى وعيسى ابن مريم عليهم الصلاة والسلام تعظيماً لها.

٢- أن لله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لما في ذلك من الدلالة على عظمته وقدرته، أما المخلوق فلا يقسم إلا بالله.

٣- وجوب تأمين من دخل الحرم فلا يعتدى عليه ما لم يعتد أو يرتكب جرماً فإن الحرم لا يجير محدثاً.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٩٥ – من حديث جابر رضي الله عنه عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ. وذكره البخاري بقوله: «ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان» كتاب التوحيد – باب ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

(٢) سبق تخريجه في آخر تفسير سورة القيامة.

٤- إقسامه عز وجل أنه خلق الإنسان في أحسن صورة وأعدل خلقة امتناناً عليه بهذه النعمة العظيمة، وتذكيراً له بها ليشكر الله عليها.

٥- أن من تنكب الجادة وخرج عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها وكفر بالله فمرده النار أسفل سافلين، ولا كرامة.

٦- أن الله عز وجل قدر الكفر كوناً، وإن لم يرضه شرعاً، لقوله ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾.

٧- ثناء الله ـ عز وجل ـ على المؤمنين، وأنه لا بد من الجمع بين الإيمان والعمل الصالح، لقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٨- لا بد لصحة العمل وقبوله من كونه صالحاً يتوفر فيه شرطان: الإخلاص لله تعالى، ومتابعة الرسول ﷺ.

٩- أن الله عز وجل أعد للذين آمنوا وعملوا الصالحات أجراً عظيماً في الجنة غير مقطوع عنهم، ولا ممنون به عليهم منة الخلق.

١٠- إثبات البعث والحساب والجزاء على الأعمال، والإنكار على من يكذب به لقوله ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾.

١١- تقرير أن الله عز وجل أحكم وأعدل الحاكمين، له كمال الحكم بأنواعه الثلاثة: الحكم الكوني، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وله تمام الحكمة بقسميها: الحكمة الغائية، والحكمة الصورية.

١٢- أن ما قضاه الله وحكم به من بعث الرسل، وإنزال الكتب وخلق الإنسان وجعله محلاً للتكليف، وتقدير الكفر والإيمان، والبعث والحساب والجزاء هو الحكم العدل، والحكمة التامة.

تفسير سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾.

عن عائشة رضي الله عنه قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو: التعبد الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ[1]، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣)﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني» فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع» الحديث[2].

فهذه السورة العظيمة هي أول سورة نزلت، وهذه الآيات المباركات ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ **أول ما بدئ به من أمر النبوة والوحي إلى رسول الله ﷺ وهي تباشير النعمة المهداة والرحمة المسداة للعالمين بإنزال القرآن الكريم ومبعث سيد المرسلين نبينا محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم.**

قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اقرأ ما ينزل وما يتلى عليك من القرآن مبتدئاً ومستعيناً ومتبركاً ومتيمناً باسم ربك، خالقك ومالكك ومدبرك، ولم يقل باسم الله، لأن المقام مقام خلق وتصرف وتدبير، ولإشعاره ﷺ بربوبية الله عز وجل له، الربوبية الخاصة.

فأول آية نزلت من القرآن تأمر بالقراءة تعظيماً للعلم وبياناً لشرفه وفضله، وإشارة إلى أن هذا الدين دين القراءة والعلم كما قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل

---

(١) قوله: «ما أنا بقارئ» أي: إنني لست من ذوي القراءة.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الوحي ٤، ومسلم في الإيمان - بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١٦٠، والترمذي في المناقب ٣٦٣٢، وأحمد ٦/ ٢٣٢ - ٢٣٣.

مسلم»[(١)].

كما تأمر أيضاً بالتسمية في ابتداء القراءة وهي مشروعة في ابتداء السورة، لأنها آية مستقلة من القرآن تنزل مع كل سورة.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي: الذي خلق الخلق وأوجده ولم يذكر مفعول «خلق» ليعم كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ٢]، وهذا تذكير بعظمته عز وجل إذ لا خالق غيره، ولا رب سواه.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ تخصيص بعد تعميم، لشرف الإنسان من بين سائر المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝﴾ [الإسراء: ٧٠]، فكرمه الله عز وجل بالعقل والعلم والمعرفة وخصه بالتكليف والجزاء.

و(علق) جمع: علقة، وجُمع لأن المراد بالإنسان في قوله ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ الجنس، أي: جنس الإنسان، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝﴾.

ومعنى ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أي: أوجد الإنسان وأنشأه من علقة تعلق في جدار الرحم، فهو ينتقل في أطوار خلقه من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى أن يصير بشراً سوياً، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٣٩].

﴿ٱقْرَأْ﴾ تأكيد للأمر الأول، أو تأسيس، لأن الأمر الأول قرن بما يتعلق بالربوبية والخلق والقدر، والثاني قرن بما يتعلق بالعلم والشرع.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ «الأكرم» اسم تفضيل أي: الذي هو أكرم الأكرمين، والكرم كثرة الخير، والخير كله منه عز وجل كما قال ﷺ: «والخير كله بيديك»[(٢)].

ومن كرمه العظيم وجوده العميم أن أنزل القرآن الكريم، وبعث محمداً ﷺ نعمة على العباد، ورحمة للعالمين، وعلم الإنسان، وشرفه بالعلم على سائر المخلوقات، من الملائكة وغيرهم، وأضاف ضميره ﷺ إلى اسمه عز وجل «الرب» تشريفاً له وتكريماً.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ أي: علّم الكتابة بالقلم، لأن العلم يكون في الأذهان، ويكون في اللسان، ويكون بالكتابة، وهي أعظم وسيلة لحفظ العلم والحقوق والوصايا وضبط

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ٢٢٤ – من حديث أنس – رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء ٣٣٤٨، ومسلم في الإيمان ٢٢٢ – من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الشهادات، وتقييد ونقل مذاهب السلف وأخبارهم للخلف.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»[1].

وقد أحسن القائل:

العلم صيد والكتابة قيده ... قيّد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... وتتركها بين الخلائق طالقة

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم، فعلمه القرآن والحكمة والكتابة بالقلم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ٢ ـ ٤].

الفوائد والعبر:

١- أن أول القرآن نزولاً على النبي ﷺ قوله ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إلى قوله ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

٢- وجوب القراءة والتعلم وتأكيد ذلك.

٣- مشروعية البسملة عند قراءة بداية كل سورة.

٤- إثبات الربوبية الخاصة لله عز وجل.

٥- تشريف النبي ﷺ وتكريمه بإضافة ضميره إلى اسم الرب عز وجل وإدخاله تحت أهل ربوبيته الخاصة.

٦- تعظيم اسم الله عز وجل، وأنه سبحانه الخالق العظيم الأكرم.

٧ ـ بيان أصل خلق الإنسان وضعفه وأنه خلق من علقة.

٨- فضل الله عز وجل على الإنسان، خلقه وشرفه على سائر المخلوقات، وعلمه الكتابة بالقلم، وعلمه ما لم يكن يعلم.

٩- الترغيب في تعلم الكتابة بالقلم.

---

(١) أخرجه أبو داود في العلم ٣٦٤٦.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩
عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ
يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧
سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾.

قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ «كلا» كلمة ردع وزجر، وقيل: بمعنى حقاً.

﴿إن الإنسان﴾ أي: جنس الإنسان، وبخاصة الكافر.

﴿ليطغى﴾ أي: يتجاوز الحد في الفرح والأشر والبطر، ويتجاوز الحلال إلى الحرام والحق إلى الباطل، والإيمان إلى الكفر.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ أي: أن رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله، وأنه في غنى عن الله عز وجل ورحمته كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الليل: ٨].

وهذا إنما يكون من الإنسان الكافر، لأن من اعتقد بأنه في غنى عن الله عز وجل وعن رحمته فهو كافر، وإن ادعى الإيمان، لكن كثيراً من ضعاف الإيمان قد يغتر بالمال والغنى وهذا أمر مشاهد مما يوجب الحذر من ذلك.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «منهومان لا يشبعان: صاحب العلم، وصاحب الدنيا، ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، ثم قرأ عبد الله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ وقال للآخر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]»[(١)].

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ويحتمل كونه للإنسان عموماً، أو لمن طغى واستغنى بماله، أي: إن إلى ربك المرجع والمآل والمصير فيجازي كلاً بما عمل، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ هذه الآية إلى آخر السورة نزلت في أبي جهل لعنه الله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة»[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٥٠.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ٤٩٥٨، والترمذي في تفسير سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ ٣٣٤٨، وأحمد ١/ ٢٤٨.

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام، فمر به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد، ألم أنهك عن هذا؟، وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بأي شيء تهددني؟، أما والله، إني لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته قال: فما فَجِئَهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه. قال: فقيل له مالك؟، فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: فأنزل الله عز وجل – لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ إلى آخر السورة»(٢).

قوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ الاستفهام للتعجب. والخطاب للنبي ﷺ أو لكل من يصلح له.

والناهي هنا هو أبو جهل ـ لعنه الله ـ كما دل عليه سبب النزول أي: أخبرني عن حال هذا الرجل وتعجب من حاله.

وقوله: ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ المراد به نبينا محمد ﷺ، فأبو جهل ينهى الرسول ﷺ عن الصلاة عند الكعبة، وأطلق عز وجل عليه ﷺ اسم العبودية، لأنها أفضل ما يوصف به البشر، وصفه الله عز وجل بها في أعلى المقامات حال قربه منه في الصلاة والقراءة والدعاء فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾ [الجن: ١٩]، وحال قربه منه ليلة الإسراء، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

ولو كان هناك وصف أفضل من وصف العبودية لوصفه به في هذين المقامين.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ الاستفهام للإنكار، والخطاب لأبي جهل ـ لعنه الله ـ أي: أخبرني إن كان هذا الذي تنهاه عن الصلاة وهو محمد ﷺ ﴿ على الهدى ﴾ أي: على الحق والسداد والرشاد في فعله.

---

(١) أخرجه الترمذي في الموضع السابق ٣٣٤٩، وأحمد ١/ ٣٢٩، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٥٣٧، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار ـ قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ ٢٧٩٧، وأحمد ٢/ ٣٧٠، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٥٣٨.

﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ «أو» عاطفة بمعنى الواو، أي: وأمر بالتقوى بقوله، أي: و أمر بتقوى الله، بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، وهو ﷺ كذلك في فعله وقوله، فلِمَ تنهاه وتتوعده على ذلك.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ الاستفهام والخطاب للنبي ﷺ أي: أرأيت يا محمد ﴿ إن كذب ﴾ هذا الناهي بالحق بقلبه، ﴿ وتولى ﴾ أي: أعرض عن الحق ببدنه، أي: استمر على التكذيب والتولي.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ، والتهديد والوعيد أي: ألم يعلم هذا الناهي عن الصلاة المكذب للحق المتولي عنه أن الله عز وجل مطلع عليه وعلى غيره يرى أفعاله، ويسمع كلامه وسيجازيه بما عمل.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ «كلا» أداة زجر وتهديد ووعيد، أي: كلا لئن لم يرجع أبو جهل عما هو عليه من التكذيب بالحق والإعراض والصد عنه.

﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ اللام واقعة في جواب القسم، أي: والله لئن لم ينته ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ والسفع: القبض على الشيء وجذبه بشدةً، والناصية: مقدمة شعر الرأس، أي: لنقبضن على ناصيته ونأخذه ونجذبه بها بشدة وقوة وعنف، وال في «الناصية» للعهد الذهني أي: ناصيته المعهودة كأنه اشتهر بها وقد أُخذ وجر بناصيته في الدنيا يوم بدر، ويؤخذ بناصيته ويجر بها في الآخرة في النار، وتوسم بالسواد، كما قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١﴾ [الرحمن: ٤١].

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ «ناصية» بدل من ناصية الأولى، ﴿ كاذبة ﴾ في مقالها ﴿خاطئة﴾ متعمدة الخطأ في فعالها، يقال: خاطئ، ومخطئ، فالخاطئ من ارتكب الذنب عمداً، والمخطئ من ارتكبه جهلاً ونسياناً فهذا معذور والأول مأزور غير معذور، فهذا الناهي كاذبة أقواله، خاطئة أفعاله، وليس بعد الكفر والتكذيب بالحق ذنب.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، واللام لام الأمر، وفيها معنى التحدي و(ناديه) أي: أهل ناديه، والنادي في الأصل المجلس الذي ينتدي فيه القوم، أي: يجتمعون للتخاطب والتشاور والاستئناس، وكان أبو جهل معظماً في قريش، وله ناد يجتمع إليه الناس فيه، من قومه وعشيرته، وكان يفتخر فيهم.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ الزبانية، جمع: زبنية، مأخوذ من «الزبن» وهو الدفع، والمراد بهم ملائكة العذاب وخزنة جهنم الغلاظ الشداد، أي: سندعوهم إلى أخذه، وحينها يعلم غروره بافتخاره بكثرة أهل ناديه وعشيرته، وأنهم لن يجدوا عنه شيئاً.

﴿كَلَّا﴾ كلمة ردع وزجر لأبي جهل ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ أي: لا تطعه يا محمد فيما ينهاك عنه من الصلاة والعبادة عند الكعبة وأينما كنت، واثبت على ما أنت عليه كما قال تعالى:

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝﴾ [القلم: ٨].

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩﴾ أي: صل واقترب إلى ربك بالعبادة والركوع والسجود، واستمر على ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] أي اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة.

وعبر عن الصلاة بالسجود لأنه من أفضل حالاتها ومن أعظم أركانها، قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء»[(١)].

ويشرع السجود عند تلاوة هذه الآية، لما روي أن رسول الله ﷺ كان يسجد في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝﴾ و ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾ [(٢)].

الفوائد والعبر:

١- الردع والزجر والتهديد والوعيد لمن أطغاه الغنى.

٢- أن من طبيعة الإنسان أن يطغيه الغنى ويبطره إلا من رحم الله فثبته وحفظه، ولهذا يجب أن يكون المسلم من هذا على حذر.

٣ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة لنبيه ﷺ ولأوليائه، وربوبيته العامة لجميع الخلق.

٤- إثبات المعاد وأن المرجع والمصير إلى الله عز وجل.

٥- التعجب من حال أبي جهل ـ لعنه الله ـ والإنكار عليه في نهيه للنبي ﷺ عن الصلاة وفي تكذيبه للحق وإعراضه عنه.

٦- إثبات وتقرير أنه ﷺ على الهدى في عبادته لله عز وجل وصلاته وفيما يأمر به من تقوى الله عز وجل.

٧- تقرير رؤية الله عز وجل لأبي جهل وأذاه لرسول الله ﷺ، واطّلاعه التام على جميع الخلق وأعمالهم.

٨- الزجر والتهديد لأبي جهل إن لم ينته عما هو عليه من الأذى لرسول الله ﷺ والصد عن الحق بأخذه بناصيته الكاذبة الخاطئة وتأكيد زجره وتهديده.

٩- جهل أبي جهل بعظمة الله عز وجل وقوته وقدرته ولهذا تحداه الله عز وجل بدعوة أهل ناديه ليدافعوا عنه ويمنعوه من زبانية جهنم.

١٠- إثبات خزنة جهنم.

١١ـ نهيه ـ عز وجل ـ له ﷺ عن طاعة أبي جهل وأمره عز وجل له ﷺ بالصلاة والسجود والتقرب إليه والاستمرار على ذلك.

(١) أخرجه مسلم في الصلاة – ما يقال في الركوع والسجود ٤٨٢، وأبو داود في الصلاة ٨٧٥، والنسائي في التطبيق ١١٣٧ – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

تفسير سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أي: إنا أنزلنا القرآن ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وقد تكلم عز وجل عن نفسه بضمير العظمة لأنه هو العظيم سبحانه وتعالى.

وضمير الهاء في قوله ﴿ أنزلناه ﴾ يعود إلى القرآن الكريم، ولم يسبق له ذكر في السورة لكنه معلوم، أي: أنزلنا القرآن العظيم المعلوم المعروف المعهود، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢].

وفي قوله ﴿ أنزلناه ﴾: إثبات علو الله عز وجل على خلقه، لأن الإنزال يكون من أعلى إلى أسفل.

كما أن فيه أن القرآن الكريم منزل غير مخلوق كما هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافاً للمعتزلة.

﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ الليلة: ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر. و«القدر»: هو الشرف والعظمة، والمعنى: في الليلة العظيمة ذات القدر والشرف العظيم، والتي تقدر فيها الأعمال وهي الليلة المباركة، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٣، ٤] وهي في شهر رمضان المبارك، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومعنى إنزال القرآن فيها بدء نزوله فيها، ثم تتابع نزوله بعد ذلك على رسول الله ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة.

وقيل: معنى إنزاله فيها: أنه أنزل فيها جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً حسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ تعظيم لأمرها، وتفخيم لشأنها، أي: وما أعلمك ﴿مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ هي ليلة عظيمة القدر رفيعة الشرف كثيرة الخير والبركة.

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ هذا وما بعده تفسير لقوله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾.

ومعنى ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أن العمل الصالح فيها خير وأفضل من

العمل في ألف شهر خالية منها، أي: خير من العمل بما مقداره ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، ليس فيها هذه الليلة، وهذا كما قال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل»(١).

وقال ﷺ «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما حضر رمضان، قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»(٣).

ولهذا قال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(٤).

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: تتنزل الملائكة إلى الأرض شيئاً فشيئاً، والملائكة: جمع مَلَك.

﴿ وَٱلرُّوحُ ﴾ هو جبريل عليه السلام عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام لمكانته بينهم، لأنه الأمين على الوحي كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

﴿فِيهَا﴾ أي: في هذه الليلة العظيمة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي: بأمره عز وجل الكوني، وذلك لكثرة بركتها وخيرها، وتنزل الرحمة فيها، قال ﷺ: «وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»(٥).

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: بكل أمر مما يأمرهم الله تعالى به، ومن أجل كل أمر قضاه الله وقدره في تلك السنة من الآجال والأرزاق وغير ذلك كما قال عز وجل: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٤].

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ قرأ الكسائي وخلف بكسر اللام «مطلِع»، وقرأ الباقون بفتحها «مطلَع» أي: هي سلام أي: ما يقدر فيها إلا السلامة والخير، ويكثر فيها سلام

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٦٢، ٦٥ – من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٢٨٩٢، ومسلم في الإمارة ١٨٨١، والنسائي في الجهاد ٣١١٨، والترمذي في فضائل الجهاد ١٦٤٨، وابن ماجه في الجهاد ٢٧٥٦ – من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في الصوم ١٨٩٨، ١٨٩٩، ومسلم في الصيام ١٠٧٩، والنسائي في الصيام ٢٠٩٧، والترمذي في الصوم ٢٨٢، وأحمد ٢/ ٢٣٠.

(٤) أخرجه البخاري في الصوم ١٩٠١، ومسلم في صلاة المسافرين ٧٦٠، وأبو داود في الصلاة ١٣٧٢، والنسائي في الصيام ٢٢٠٢، والترمذي في الصوم ٦٨٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) سيأتي تخريجه.

الملائكة على المؤمنين، والسلامة من الذنوب ومغفرة الآثام.

﴿هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: وقتها إلى مطلع الفجر الثاني.

وقد أخفى الله عز وجل هذه الليلة ليجتهد الناس في العبادة تحرياً لها، وهي في رمضان، وفي العشر الأواخر منه على الصحيح، وهي في أوتار العشر آكد، وأكدها ليلة سبع وعشرين(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط، واعتكفنا معه، فأتاه جبريل، فقال: الذي تطلب أمامك، ثم قام النبي ﷺ صبيحة عشرين من رمضان، فقال: «من كان اعتكف معي فليرجع، فإني رأيت ليلة القدر، وإني أنسيتها، وإنها في العشر الأواخر، في وتر، وإني رأيت كأني أسجد في ماء وطين» وكان سقف المسجد جريداً من النخل، وما نرى في السماء شيئاً، فجاءت قزعة فمطرنا، فصلى بنا النبي ﷺ حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه» وفي رواية: «في صبح إحدى وعشرين»(٢).

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ قال: «أُريت ليلة القدر ثم أُنسيتها، وأراني صبحها أسجد في ماء وطين، قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله ﷺ فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه، قال: وكان عبد الله بن أنيس يقول: ثلاث وعشرين»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين»(٤).

وعن بلال رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين»(٥).

وعن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت صحف

---

(١) هناك أقوال أخرى ضعيفة لا دليل عليها، فقيل إنها في السنة كلها، وقيل في رمضان كله، وقيل أول ليلة منه، وقيل ليلة سبع عشرة، وقيل ليلة تسع عشرة وقيل غير ذلك.

(٢) أخرجه البخاري في صلاة التراويح ٢٠٦٦، ومسلم في الصيام – فضل ليلة القدر ١١٦٧، وأبو داود في الصلاة ٨٩٤.

(٣) أخرجه مسلم في الباب السابق ١١٦٨.

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي انظر «منحة المعبود» ١/ ٢٠١ قال ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٦٨: «إسناده رجاله ثقات».

(٥) أخرجه أحمد ٦/ ١٢ قال ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٦٨ «ابن لهيعة ضعيف. وقد خالفه ما رواه البخاري عن بلال: «أنها أول السبع من العشر الأواخر» قال ابن كثير: فهذا الموقوف أصح».

إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[١].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى»[٢].

وقد فسره أكثر أهل العلم بليالي الأوتار، وهو الأظهر، وحمله بعضهم على الأشفاع.

وقوله «في تاسعة تبقى» في حال نقصان الشهر تكون ليلة تاسعة تبقى ليلة إحدى وعشرين، وفي حال تمامه تكون ليلة اثنتين وعشرين.

وقوله: «في سابعة تبقى» تحتمل ليلة ثلاث وعشرين وذلك في حال نقصان الشهر، وتحتمل ليل أربع وعشرين في حال تمامه.

وقوله: «في خامسة تبقى» تحتمل ليلة خمس وعشرين في حال نقصان الشهر، وتحتمل ليلة ست وعشرين في حال تمام الشهر.

وعن زر قال: سألت أبي بن كعب رضي الله عنه، فقلت: «إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر، فقال: رحمه الله، أراد أن لا يتكل الناس، أما إنه قد علم أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين، فقلت: بأي شيء تقول ذلك، يا أبا المنذر؟، قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها»[٣].

قال ابن كثير[٤]: «وفي الباب عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم، عن رسول الله ﷺ: أنها ليلة سبع وعشرين».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر، قال ابن عباس: فقلت لعمر: إني لأعلم أو: إني لأظن، أي ليلة القدر هي، فقال عمر: أي ليلة هي؟ قال: سابعة تمضي – أو سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟، قال ابن عباس، فقلت: خلق الله سبع سموات، وسبع أرضين، وسبع أيام، وإن الشهر يدور على سبع،

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في صلاة التراويح ٢٠٢١، وأبو داود في الصلاة ١٣٨١.

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ٧٦٢، والترمذي في الصوم ٧٩٢، وأحمد ٥/ ١٣٠.

(٤) في «تفسيره» ٨/ ٤٦٩.

وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع، لأشياء ذكرها، فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له، وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله: ويأكل من سبع، قال: هو قول الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾﴾ [عبس: ٢٧ ـ ٣١]»(١).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان، فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»(٢).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ: «في رمضان، فالتمسوها في العشر الأواخر، فإنها في وتر إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو آخر ليلة»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»(٤).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «في تسع يبقين، أو سبع يبقين، أو خمس يبقين، أو ثلاث، أو آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر»(٥).

لهذه الأحاديث وغيرها بلغت الأقوال في تحديدها إلى عشرة أقوال عدد ليالي العشر حال تمام الشهر ولا إشكال في أنها في العشر الأواخر من رمضان لاتفاق الأحاديث الصحيحة على ذلك، وأوتارها آكد، وآكدها ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وسبع وعشرين، وآكد هذه الثلاث ليلة سبع وعشرين.

ومع صحة الأحاديث في تحديدها في أكثر من ليلة فالأولى التماسها وتحريها في جميع ليالي هذه العشر، إضافة إلى أن من أهل العلم من قال: إن ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر.

---

(١) أخرجه الطبراني فيما ذكر ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٦٩ قال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد قوي، وغريب جداً، والله أعلم».

(٢) أخرجه البخاري في صلاة التراويح ٢٠٢٣.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٣٢٠.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ٥١٩ وأبو داود الطيالسي، انظر «منحة المعبود» ١/ ٢٠٠، قال ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٧٠: «تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به».

(٥) أخرجه الترمذي في الصوم ـ ما جاء في ليلة القدر ٧٩٤، قال الترمذي «حديث حسن صحيح».

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»(١).

وهكذا جاء في حديث عبادة المتقدم: «التمسوها في العشر الأواخر».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان، فقال رسول الله ﷺ «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: أخبرني عن ليلة القدر، أفي رمضان هي أو في غيره؟، قال: «بل هي في رمضان»، قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت(٣)؟، أم هي إلى يوم القيامة؟، قال: «بل هي إلى يوم القيامة»، قلت: في أي رمضان هي؟، قال: «التمسوها في العشر الأول، والعشر الأواخر»، ثم حدّث رسول الله ﷺ وحدّث، ثم اهتبلت غفلته قلت: في أي العشرين هي؟، قال: «ابتغوها في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها»، ثم حدّث رسول الله ﷺ ثم اهتبلت غفلته فقلت: يا رسول الله، أقسمت عليك، بحقي عليك لما أخبرتني في أي العشر هي؟، فغضب عليّ غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته، وقال: «التمسوها في السبع الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها»(٤).

ولهذا كان رسول الله ﷺ يجتهد في هذه الليالي العشر ما لا يجتهد في غيرها.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله»(٥).

وفي رواية عنها: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره»(٦).

وعنها رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده»(٧).

---

(١) أخرجه البخاري في صلاة التراويح ٢٠١٧، ومسلم في الصيام – فضل ليلة القدر ١١٦٩، والترمذي في الصوم ٧٩٢.

(٢) أخرجه البخاري في الباب السابق ٢٠١٥، ومسلم في الباب السابق ١١٦٥.

(٣) أخذ من هذا بعض أهل العلم أن ليلة القدر كانت في الأمم الماضية وجمهور أهل العلم، بل حكي عليه الإجماع أنها من خصائص هذه الأمة، وروي في هذا أن النبي ﷺ أُري أعمال أمته، فكأنه تقاصر أعمارهم أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمل، فأعطاه الله ليلة القدر، خيراً من ألف شهر»، انظر «تفسير ابن كثير» ٨/ ٤٦٦.

(٤) أخرجه أحمد ٥/ ١٧١.

(٥) أخرجه البخاري في الباب السابق ٢٠٢٤، ومسلم في الاعتكاف – الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان ١١٧٤، وأبو داود في الصلاة ١٣٧٦، والترمذي في الصوم ٧٩٦، وابن ماجه في الصيام ١٧٦٨، وأحمد ٦/ ٦٦.

(٦) أخرجها مسلم في الموضع السابق ١١٧٥، والترمذي في الموضع السابق ٧٩٦، وابن ماجه في الموضع السابق.

(٧) أخرجه البخاري في الصوم ـ الاعتكاف في العشر الأواخر ٢٠٢٦، ومسلم في الاعتكاف – اعتكاف العشر الأواخر =

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان»[١].

وينبغي الحرص على تحري هذه الليلة وقيامها والإكثار فيها من الصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء، والاستغفار والصدقة والبر والصلة وغير ذلك من أعمال الخير.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»[٢].

الفوائد والعبر:

١- إثبات العظمة لله عز وجل لقوله ﴿ إنا أنزلناه ﴾.

٢- إثبات العلو لله عز وجل لقوله ﴿ أنزلناه ﴾ لأن الإنزال يكون من علو إلى أسفل.

٣- تعظيم القرآن الكريم وأنه معلوم معهود لقوله ﴿ أنزلناه ﴾.

٤- أن القرآن الكريم منزل غير مخلوق لقوله ﴿ أنزلناه ﴾ وهذا ما عليه سلف الأمة وأهل السنة، خلافاً للمعتزلة القائلين بخلق القرآن.

٥- أن ابتداء نزول القرآن في ليلة القدر، في شهر رمضان لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝﴾ وقوله في سورة البقرة ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الآية: ١٨٥].

٦- فضل ليلة القدر وعظم شأنها ومكانتها.

٧- الترغيب في قيام هذه الليلة والإكثار من الأعمال الصالحة فيها وأنها خير من ألف شهر، وأنها سلام حتى مطلع الفجر.

٨- تنزل الملائكة والروح في هذه الليلة بإذن ربهم وأمره، وكثرتهم في الأرض، وفضل جبريل عليه السلام وشرفه عليهم.

٩ـ إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة للملائكة عليهم السلام.

١٠- فضل الله عز وجل على هذه الأمة بإعطائهم هذه الليلة المباركة العظيمة التي تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، أي عبادة ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر خالية من هذه الليلة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والمحروم من حرم خير هذه الليلة.

١١- أن هذه الليلة سلام، يقدر فيها الخير والسلامة من الشرور، ومغفرة الذنوب والآثام، وكثرة السلام على المؤمنين من الملائكة ومن بعضهم على بعض.

١٢- أن ليلة القدر تبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني.

=

من رمضان ١١٧٢، وأبو داود في الصوم ٢٤٦٢.

(١) أخرجه البخاري في الباب السابق ٢٠٢٥، ومسلم في الباب السابق ١١٧١، وأبو داود في الصوم ٢٤٦٥، وابن ماجه في الصيام ١٧٧٣.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات ٣٥١٣، وابن ماجه في الدعاء – الدعاء بالعفو والعافية ٣٨٥٠، وأحمد ٦/ ١٨٢.

تفسير سورة البينة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ لأبيّ بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: وسماني لك؟، قال: «نعم»، فبكى»[1].

وعن مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري قال: «لما نزلت: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى آخرها، قال جبريل: يا رسول الله، إن ربك يأمرك أن تقرئها أُبياً، فقال النبي ﷺ لأبيّ: «إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة»، قال أبيّ: وقد ذكرت ثَمَّ يا رسول الله؟، قال: «نعم»، قال: فبكى أبيّ»[2].

وفي رواية عن أبيّ رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال: فقرأ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: فقرأ فيها ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال، فأعطيه، لسأل ثانياً، ولو سأل ثانياً، فأعطيه لسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذلك الدين عند الله الحنيفية، غير المشركة، ولا اليهودية، ولا النصرانية، ومن يفعل خيراً فلن يكفره»[3].

والمراد بقوله ﷺ: «أن أقرأ عليك»، أي: قراءة تبليغ وإسماع وتلقين لأبي بن كعب رضي الله عنه، وليس المراد به أن النبي ﷺ يقرأ ليصحح له أبي بن كعب قراءته كما قيل، وقالوا هذا من باب تواضعه ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾.

قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: لم يكن الذين كفروا بالله، أي: جحدوا ربوبيته

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب ٣٨٠٩، ومسلم في فضائل الصحابة ـ من فضائل أبي بن كعب ٧٩٩، والترمذي في المناقب – فضل أبي بن كعب رضي الله عنه ٣٧٩٢، وأحمد ٣/ ١٣٠.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٨٩.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ١٢٣، ١٣١ – ١٣٢، والترمذي في المناقب ٣٧٩٣، وقال «حديث حسن».

وألوهيته وأسماءه وصفاته وشرعه وما أمر الله يالإيمان به أو شيئاً من ذلك.

﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ «من» بيانية فيها بيان لاسم الموصول «الذين»، فكل من أهل الكتاب والمشركين كفار، لأنهم كذبوا الرسول ﷺ وما جاءهم به من عند الله، بل إن أهل الكتاب كذبوا رسلهم الذين بشروا به ﷺ.

و ﴿ أهل الكتاب ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿ والمشركين ﴾ هم عبدة الأوثان والأصنام.

وكل من أهل الكتاب وعبدة الأوثان والأصنام مشركون، لأن اليهود قالوا: عزير ابن الله، وقال النصارى: المسيح ابن الله، كما قال عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

وإنما أفرد أهل الكتاب بالذكر عن المشركين لأنهم أوتوا الكتاب، فإذا ذكر المشركون بالإفراد دخل معهم أهل الكتاب وعبدة الأوثان عموماً، لأن الكل مشركون، وإذا قرن بينهما بالذكر فالمراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى خاصة، والمراد بالمشركين عبدة الأوثان والأصنام.

﴿مُنفَكِّينَ﴾ أي: تاركين ما هم عليه من الكفر والشرك، منتهين عن غيهم وضلالهم، ولم يكونوا أيضاً متفرقين في أمر النبي ﷺ، أو لم يكونوا متروكين على ما هم عليه بلا نذر، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: إلا بعد مجيء البينة، أو حتى إقامة الحجة عليهم بإيتائهم البينة التي فيها بيان الحق من الباطل، كما قال تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ بدل من البينة وتفسير لها، فالبينة: رسول مرسل من عند الله عز وجل وهو محمد ﷺ.

وفي تنكير «رسول» تعظيم له ﷺ فهو ﷺ أفضل الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو سيد ولد آدم ولا فخر، من غير غلو ولا إطراء.

﴿يَتْلُوا۟﴾ أي: يقرأ ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ كقوله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾ [عبس: ١٣، ١٤] وصحف: جمع صحيفة، وهي الورق والألواح التي فيها القرآن الكريم.

ومعنى ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ أي: مطهرة من الزيادة والنقص والتبديل والتغيير والباطل كما قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي: في هذه الصحف المطهرة مكتوبات وأحكام ﴿ قيمة ﴾ فأخبارها صادقة وأحكامها مستقيمة عادلة، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١].

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ كان المؤمل في أهل الكتاب والمشركين أن يتركوا ما هم عليه من الكفر والشرك بعد إتيان البينة إليهم ببعثة محمد ﷺ ونزول القرآن الكريم لكن أهل الكتاب لما جاءتهم البينة تفرقوا فآمن بعض منهم وكفر أكثرهم حسداً منهم وبغياً.

وكانوا يقولون للمشركين من عبدة الأصنام قبل مبعثه ﷺ: لا ننفك عما نحن عليه من ديننا حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل، فلما بعث الله محمداً ﷺ من العرب كفروا به وتفرقوا حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ﴾ [يونس: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الشورى: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم

مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وفي الحديث: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قالوا: من هم يا رسول الله؟، قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[1].

ونص على أهل الكتاب بالتفرق دون المشركين، لأن أهل الكتاب عندهم علم به لوجوده في كتبهم فتفرقهم عن عناد واستكبار وحسد فالحجة عليهم أقوم وتفرقهم وتكذيبهم أعظم.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ أي: وما أمر أهل الكتاب في التوراة والإنجيل، وما أمروا هم وجميع الناس في القرآن الكريم ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: إلا بعبادة الله عز وجل.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: حال كونهم في عبادتهم لله مخلصين له العبادة وحده ﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: على الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام أي: مائلين عن الشرك معتدلين على التوحيد والإخلاص لله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

وهذا ما دعا إليه الرسل كلهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والعبادة لغة: الذل والخضوع، وشرعاً: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وتشمل فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، وكذا فعل المباحات من الأكل والشرب والنوم والترويح عن النفس ونحو ذلك بقصد المحافظة على صحة البدن، والتقوي بذلك على طاعة الله تعالى، فالموفقون ـ كما قال أهل العلم:

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة ٤٥٩٦، والترمذي في الإيمان ـ افتراق هذه الأمة ٢٦٤٠، وابن ماجه في الفتن – افتراق الأمة ٣٩٩١ – ٣٩٩٣، وأحمد ٢/ ٣٣٢ – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه أحمد أيضاً من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه ٣/ ١٢٠، ١٤٥.

عاداتهم عبادات، والمخذولون عباداتهم عادات. فانتبه لهذا رعاك الله.

﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معطوف على قوله ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من باب عطف الخاص على العام لأن الصلاة أعظم العبادات البدنية، والزكاة أعظم العبادات المالية، وفي الصلاة الإحسان في عبادة الله، وفي الزكاة الإحسان إلى عباد الله.

أي: ويقيموا الصلاة إقامة تامة بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها.

والصلاة لغة: الدعاء، كما في قوله تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي: ادع لهم.

وشرعاً: التعبد لله عز وجل بأقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم.

﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: ويعطوا الزكاة لمستحقيها من الفقراء والمساكين وغيرهم والتي هي حق الله عز وجل في المال.

والزكاة: لغة النماء والزيادة، سميت بذلك لأنها تزكي المال وتزيده، وتزكي نفس الغني من رذيلة البخل والشح، وتزكي نفس الفقير من الحقد والحسد لإخوانه الأغنياء، وتحميه بإذن الله عز وجل عن البحث عن المال من طرق الحرام كالسرقة ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

والزكاة: شرعاً: نصيب مقدر شرعاً في مال معين، يصرف لطائفة مخصوصة.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ الإشارة إلى ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن الكريم والأمر بعبادة الله، والإخلاص له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وأشار إليه بإشارة البعيد تعظيماً له.

والمعنى: وذلك دين الملة الحنيفية المستقيمة ملة إبراهيم كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦].

ودين الأمة المعتدلة الوسط أمة محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾

بعد ما ذكر كفر أهل الكتاب والمشركين وتفرق أهل الكتاب بعد بيان الحق لهم في كتاب الله تعالى، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ ذم الفريقين، وبين أن مصيرهم ومآلهم نار جهنم، وسميت نار جهنم لجهمتها وظلمتها وسوادها وبعد قعرها وشدة حرها أعاذنا الله وجميع المسلمين منها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ أي مقيمين فيها إقامة أبدية، لأن الصحيح الذي دل عليه القرآن الكريم أن النار لا تفنى، ولا يفنى أهلها، ولا ينتهي عذابهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ قرأ نافع بالهمز (البريئة) وقرأ الباقون بلا همز (البرية) وأشار إليهم بإشارة البعيد تحقيراً لهم، أي: أولئك هم شر الخليقة التي ذرأها وبرأها الباري سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال: ٥٥].

الفوائد والعبر:

١- إخبار القرآن الكريم بأن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين لم يكونوا منفكين عما هم عليه من الكفر والشرك ومتفرقين حتى تأتيهم البينة.

٢- أن أهل الكتاب كفار، لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وما جاء به، بل لم يؤمنوا برسلهم الذين بشروا به ﷺ كما أنهم مشركون.

٣- ببعثته ﷺ ظهر الحق، وبان الصبح لذي عينين.

٤- عظم منزلة الرسول ﷺ، وما جاء به من الوحي والشرع القويم لقوله: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴿٣﴾﴾.

٥- أن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى بعث النبي ﷺ فآمن بعضهم وكفر أكثرهم حسداً منهم وبغياً.

٦- لم يؤمر أهل الكتاب في التوراة والإنجيل ولا في القرآن هم وغيرهم من الناس إلا بعبادة الله وحده وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة – فأصول الشرائع كلها متفقة.

٧- وجوب إخلاص العبادة لله عز وجل وحده بلا شريك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن ذلك هو الدين القيم.

٨- عظم منزلة التوحيد، وأنه أساس الإيمان، وعظم منزلة الصلاة فهي أهم العبادات البدنية، وعظم منزلة الزكاة فهي أهم العبادات المالية.

٩- الوعيد الشديد للذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، وأن مآلهم نار جهنم خالدين فيها.

١٠- أن النار لا تفنى ولا يفنى عذاب أهلها.

١١- ذم الكفرة من أهل الكتاب والمشركين وأنهم شر الخليقة وكفى بهذا ذما.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

صلة الآيتين بما قبلهما:

بعد ما ذم ـ عز وجل ـ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، وبين أن مصيرهم نار جهنم امتدح الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وبين ما أعد لهم من عظيم الجزاء في جنات عدن.

وهم طبقات أربع كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: صدقوا بقلوبهم وألسنتهم وعملوا الأعمال الصالحات بجوارحهم وحذف الموصوف وهو الأعمال، واكتفى بالصفة، وهي «الصالحات» لأن المهم في العمل كونه «صالحاً» يتوفر فيه: الإخلاص لله عز وجل، ومتابعة الرسول ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أي: أولئك هم خير الخليقة، وأشار إليهم بإشارة البعيد تعظيماً لهم ورفعة لشأنهم، وقد أكد خيريّتهم بعدة مؤكدات: إن، وكون الجملة اسمية، معرفة الطرفين، وضمير الفصل «هم».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير البرية»؟، قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: «رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هيعة[1] استوى عليه، ألا أخبركم بالذي يليه»؟، قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: «رجل في ثلة من غنمه، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ألا أخبركم بشر البرية»؟ قالوا: بلى، قال: «الذي يَسأل بالله فلا يُعطى به»[2].

وقد استدل بهذه الآية من قال بتفضيل المؤمنين على الملائكة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «تعجبون من منزلة الملائكة من الله، والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك، واقرؤوا إن

---

(١) هيعة: أي صوت مفزع ومخيف.
(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٩٦.

شئتم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾»[1].

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ثوابهم وأجرهم عند ربهم يوم القيامة.

وفي قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ إشارة لتكفله عز وجل لهم بذلك، وعظمة جزائهم، لأنه من الرب العظيم الخالق المالك المدبر الجواد الكريم سبحانه وتعالى.

وفي إضافة ضميرهم إلى «الرب» عز وجل تشريف وتكريم لهم، لأن المراد بهذا الربوبية الخاصة.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ أي: جنات إقامة أبدية، والجنات هي المساكن العظيمة والمنازل العالية، التي أعدها الله لأوليائه المتقين، والتي تجن وتستر من فيها لكثرة بساتينها، وأشجارها وثمارها وغرفها.

﴿ عدن ﴾ العدن: الإقامة في المكان وعدم النزوح عنه، ومن نعيم أهل الجنة أن كلاً منهم لا يريد التحول عن مكانه وعما هو عليه، لأنه لا يرى أن أحداً أكمل منه، ولا أن هناك مكاناً أو نعيماً أفضل مما هو فيه، لأن الله عز وجل أذهب عنهم الحزن، وأذهب عن قلوبهم الغل، فلا يظعنون منها ولا يرتحلون، ولا يطلبون غاية فوقها، كما قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٨]، وقد ضمن الله عز وجل لهم ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ [طه: ٧٦].

وهذا بخلاف حال أهل الدنيا فإن الإنسان لا يكاد يكمل بناء بيته إلا ويرى أنه لو وضع كذا مكان كذا لكان أولى وهكذا، ولا يكاد يستقر في منزل، إلا ويرى أن هناك أحسن منه، سواء رآه من تلقاء نفسه أو زهده فيه أولاده وأهله أو الجار، أو أهل الحي أو غير ذلك لأن الله كتب النقص على الدنيا وأهلها فاقنع فيها بما تيسر، واستعد لما أمامك.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: تجري وتسير من تحت أشجارها وقصورها وغرفها الأنهار، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾ [يونس: ٩].

وهي كما ذكر الله عز وجل ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

يشربون منها ويتمتعون برؤيتها ويصرفونها حيث شاؤوا بلا أخدود، قال ابن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٥٤.

القيم(١):

أنهارها في غير أخدود جرت ... سبحان ممسكها عن الفيضان

من تحتهم تجري كما شاؤوا مفـ ... ـجرة وما للنهر من نقصان

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي: مقيمين فيها إقامة أبدية لا تحول ولا تزول، لا يموتون ولا يمرضون ولا ييأسون، ولا يحزنون، قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥].

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بسبب إيمانهم، وأعمالهم الصالحة، ولهذا جازاهم خير الجزاء وأعلى ذلك وأعظمه رضاه عنهم ورؤيتهم لوجهه الكريم.

﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بما أثنى به عليهم من الخيرية بين البرية، وبما أعده لهم من الجزاء العظيم في جنات النعيم، فلا تسأل عن حالهم وقد نزلوا ضيوفاً على أكرم الأكرمين.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟، فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يارب، وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول: أحل لكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»(٢).

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ الإشارة للثناء العظيم، والجزاء بجنات النعيم الذي أعده الله لهم، وأشار إليه بإشارة البعيد تعظيماً له، أي: ذلك الثناء العظيم، والجزاء بجنات النعيم للذي خاف ربه مع هيبة وإجلال وتعظيم له، فاتقاه وآمن وعمل صالحاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، فانتبه أخي لهذا وخذ نصيبك من ربك.

---

(١) انظر «النونية» ص٢٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٥٤٩، ومسلم في الإيمان ١٨٣، والترمذي في صفة الجنة ٢٥٥٥.

الفوائد والعبر:

١- جمع القرآن بين الترغيب والترهيب.

٢- إثبات أن الإيمان قول وعمل واعتقاد والرد على أهل الإرجاء.

٣- أن من شرط قبول العمل كونه صالحاً، أي: خالصاً لله عز وجل، تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ.

٤- ثناء الله عز وجل وامتداحه للذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم خير الخليقة، وكفى بهذا شرفاً وفخراً لهم.

٥- عظم ما أعده الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات عنده في جنات عدن من الأنهار وألوان النعيم مع الخلود الأبدي فيها، ورضى الله عنهم ورضاهم عنه.

٦- إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة للمؤمنين أهل خشيته ـ عز وجل .

٧- الترغيب في خشية الله عز وجل وأن هذا الأجر العظيم لكل من خشي ربه.

تفسير سورة الزلزلة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝﴾ حتى إذا فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح الرويجل، أفلح الرويجل»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان؟»، قال: لا، والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: «أليس معك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ ؟» قال: بلى، قال: «ثلث القرآن»، قال: «أليس معك ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝﴾ ؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن»، قال: «أليس معك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾ ؟»، قال: بلى، قال: «ربع القرآن»، قال: «أليس معك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ ؟»، قال: بلى، قال: «ربع القرآن تزوج»[2].

وفي رواية عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿ إذا زلزلت ﴾ عُدلت له بنصف القرآن ومن قرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾ عُدلت له بربع القرآن، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ عُدلت له بثلث القرآن»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿ إذا زلزلت ﴾ تعدل نصف القرآن و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ تعدل ثلث القرآن و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾ تعدل ربع القرآن»[4].

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٣٩٩، وأحمد ٢/ ١٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن ـ ما جاء في سورة الإخلاص ٢٨٩٥، وقال «حديث حسن».

(٣) أخرجه الترمذي في الباب السابق ٢٨٩٣ – وقال «حديث غريب».

(٤) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن – ما جاء في سورة الإخلاص، وفي سورة ﴿ إذا زلزلت﴾ ٢٨٩٤، وقال «حديث غريب».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

قوله: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ «إذا» ظرفية شرطية غير عاملة، أي: إذا حركت الأرض واضطربت وارتجفت وارتجت.

﴿ زلزالها ﴾ أي: تحريكها واضطرابها الشديد العظيم، فاندك ما عليها من بناء وجبال حتى صارت قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾ [الحج: ١].

﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ أي: أخرجت الأرض ما فيها من الموتى ودفائن الكنوز والأموال، كما قال تعالى: ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤﴾ [الانشقاق: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع، فيقول: في هذا قَطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعت يدي، ثم يدعونه، فلا يأخذون منه شيئاً»[(١)].

﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر المنكر للبعث مستنكراً مستغرباً، أو جنس الإنسان يريد دوام الحال ودوام الحال من المحال.

﴿مَا لَهَا﴾ أي: ما الذي حدث لها تزلزلت واضطربت بعد ما كانت ساكنة مستقرة ثابتة، وأخرجت ما في باطنها، كما قال تعالى عن منكري البعث: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢﴾ [يس: ٥٢].

﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ أي: في ذلك اليوم تخبر الأرض بما عمل الناس على ظهرها من خير أو شر، وتشهد عليهم.

---

(١) أخرجه مسلم في الزكاة – الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ١٠١٣، والترمذي في الفتن ٢٢٠٨.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها»[(١)].

وعن ربيعة الجرشي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تحفظوا من الأرض، فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به»[(٢)].

ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝٢٩﴾ [الدخان: ٢٩].

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة سمعته من رسول الله ﷺ»[(٣)].

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: بأن ربك يا محمد أمرها بأن تتزلزل، وتخرج أثقالها، وتخبر بما عمل عليها من خير أو شر.

وفي إضافة ضميره ﷺ إلى اسم «الرب» تشريف وتكريم له ﷺ، لأن المراد بهذا الربوبية الخاصة لأوليائه عز وجل.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ أي: يصدرون ويرجعون من موقف الحساب.

﴿أَشْتَاتًا﴾ حال، أي: مختلفين ومتفرقين تفرقاً لا لقاء بعده، ما بين سعيد سالك ذات اليمين إلى الجنة نسأل الله تعالى من فضله، وشقي سالك ذات الشمال إلى النار نسأل الله تعالى السلامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: ٧].

﴿لِّيُرَوْا﴾ بضم الياء، أي: ليريهم الله أعمالهم، ويجازوا عليها، خيرها وشرها.

وقرأ بعضهم (لِيَروا) بفتح الياء، أي: ليشاهدوا أعمالهم ويجازوا عليها وذلك بأن

---

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٤٢٩، وأحمد ٢/ ٣٧٤، وقال الترمذي «حديث حسن غريب».

(٢) أخرجه الطبراني فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٤٨١.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان – رفع الصوت بالنداء ٦٠٩، والنسائي في الأذان ٦٤٤، وابن ماجه في الأذان والسنة فيه ٧٢٣.

يعطى كل منهم كتاب عمله، فمنهم من يعطى كتابه بيمينه، ومنهم من يعطى كتابه بشماله بعد أن تلوى وراء ظهره، فيقرأ كل منهم كتابه، فيرى أعماله، ويحاسب عليها، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ الفاء: عاطفة، و«من» شرطية أي: فمن يعمل زنة ذرة من خير، والذرة هي النملة الصغيرة، أو ما يرى في شعاع الشمس من الهباء.

﴿ يره ﴾ جواب الشرط أي: ير عمله وثوابه فيجازى بما عمل من خير مهما قل أو كثر.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ أي: ير عمله وعقابه، فيجازى بما عمل من شر مهما قل أو كثر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ﴾ [النساء: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩]. وهذا لعمر الله منتهى العدل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر ..» الحديث ـ وفيه: «وسئل رسول الله ﷺ عن الحمر، فقال: «ما أنزل عليّ فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾»[(١)].

وعن صعصعة بن معاوية رضي الله عنه عم الفرزدق: «أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٢٨٦٠، ومسلم في الزكاة ـ إثم مانع الزكاة ٩٨٧، والنسائي في الخيل ٣٥٦٣، والترمذي في فضائل الجهاد ١٦٣٦، وابن ماجه في الجهاد ٢٧٨٨.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٥٩.

وهذا في مقام العدل، وأما في مقام الفضل فإن الله يضاعف لمن يشاء ممن عملوا الخير، ويعفو عمّن يشاء ممن عملوا الشر إذا كان ذلك دون الشرك بالله.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ ترغيب في عمل الخير وإن كان قليلاً، ولهذا قال ﷺ فيما رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرسِن شاة»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان»(٤).

كما أن في قوله ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ تحذيراً من عمل الشر وإن كان قليلاً.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً»(٥).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه» وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها»(٦).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: «لما نزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال: يبكيني هذه السورة. فقال له رسول الله ﷺ: «لولا

---

(١) أخرجه البخاري في الزكاة ـ اتقوا النار ولو بشق تمرة ١٤١٧، ومسلم في الزكاة ١٠١٦، والنسائي في الزكاة ٢٥٥٢.
(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ٢٦٢٦، والترمذي في الأطعمة ١٦٣٣.
(٣) أخرجه البخاري في الهبة ٢٥٦٦، ومسلم في الزكاة - الحث على الصدقة ولو بالقليل ١٠٣، والترمذي في الولاء والهبة ٢١٣٠.
(٤) أخرجه أحمد ٦/ ٧٩.
(٥) أخرجه ابن ماجه في الزهد – ذكر الذنوب ٤٢٤٣، وأحمد ٦/ ١٥١، والدارمي في الرقاق ٢٧٢٦.
(٦) أخرجه أحمد ١/ ٤٠٢ – ٤٠٣.

أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم».

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفّاه يوم القيامة»[١].

الفوائد والعبر:

١- شدة أهوال القيامة ففيها تتزلزل الأرض وتضطرب وتخرج أثقالها.

٢- استنكار الإنسان واستغرابه ما حصل للأرض من التزلزل بعد الثبات والاستقرار، وإخراج أثقالها يريد دوام الحال ودوام الحال من المحال.

٣- إخبار الأرض آنذاك بأن الله أوحى لها بالتزلزل وإخراج ما فيها، والإخبار بما عمل عليها من خير أو شر.

٤- تشريف الرسول ﷺ وتكريمه بإضافة ضميره إلى اسم «الرب» عز وجل، لأن المراد بهذا الربوبية الخاصة.

٥- صدور الناس من موقف الحساب متفرقين ليروا أعمالهم وجزاءها فسالك ذات اليمين، وسالك ذات الشمال.

٦- محاسبة الخلائق بالعدل الحقيقي والوزن الدقيق على أعمالهم، من غير زيادة ولا نقصان وهذا في مقام العدل، وأما في مقام الفضل فإن الله يضاعف لمن يشاء ممن عملوا الخير، ويعفو عن من يشاء ممن عملوا الشر، إذا كان ذلك دون الشرك.

٧- إثبات الوزن لأعمال العباد.

٨- وجوب محاسبة النفس محاسبة دقيقة في أداء حقوق الله، وحقوق الخلق وفي القيام فيما يتولى الإنسان من مصالح الأمة، لأن الحساب دقيق والناقد بصير.

٩- الحرص على فعل الخير مهما قل والبعد عن الشر مهما قل.

---

(١) أخرجهما الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٥٦٤.

تفسير سورة العاديات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١﴾.

قوله ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾ الواو: حرف قسم وجر، و«العاديات» مقسم به، والمراد بها الخيل تعدو في سبيل الله، والعدو: هو الجري السريع الشديد وقيل: المراد بالعاديات الإبل.

﴿ ضبحاً ﴾ منصوب على المصدرية، أي: يضبحن ضبحاً، أو على الحال، أي: ضابحات.

والضبح: هو صوت نفس الفرس في صدرها يسمع حين تعدو بشدة وقوة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حكاه «أحْ، أحْ»[1]، قال عنترة:

والخيـــل تكـــدح حـــين تضـــ ـــبح في حيـــاض المـــوت ضـــبحاً

﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا﴾ أي: الخيل توري النار عند قرع حوافرها على الأرض الصخرية حين تعدو في سبيل الله لصلابة حوافرها.

﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾ أي: الخيل تغير على الأعداء وقت الصباح كما كان رسول الله ﷺ يغير كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم، قال: فخرجنا إلى خيبر فانتهينا إليهم ليلاً، فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب..»[2].

﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ﴾ أي: حرّكن وهيجن في وقت إغارتهن وفي معترك الخيول ووسط المعركة.

﴿ نَقۡعٗا﴾ أي: غباراً من شدة العدو والكر والفر.

﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا﴾ أي: توسطن جميعهن بمن عليهن أرض المعركة وجموع الأعداء.

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٥٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان ـ ما يحقن الأذان من الدماء ٦١٠.

وفي إقسامه عز وجل بالخيل وهي تعدو في سبيل الله، وتضبح أصواتها وتوري النار بقدح حوافرها، وتغير على الأعداء وقت الصباح فتثير الغبار وتتوسط الجموع، في هذا دلالة على أهمية الجهاد في سبيل الله، وعظم مكانته في الإسلام، وعلى أن الخيل من أعظم وسائل الجهاد كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل لثلاثة، لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طِيَلها(٢) في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفاً أو شرفين(٣) كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه، ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له، وهي لذلك الرجل أجر، ورجل ربطها تغنياً وتعففاً، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر، ورجل ربطها فخراً ورئاءً ونواءً(٤) فهي على ذلك وزر» فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر فقال: «ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾»(٥).

والناظر في أحوال الناس اليوم يرى أن كثيراً ممن يقتنون الخيول يقتنونها للرياء والمفاخرة.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾

هذا هو المقسم عليه فأقسم الله عز وجل بالخيل حين تعدو وتغير في سبيل الله على ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أي: إن الإنسان ﴿ لربه ﴾ خالقه ومالكه ومدبره «لكنود» أي: لجحود كفور، والمراد بالإنسان جنس الإنسان من حيث هو، ومعنى الآية يحتمل الجحود والكفر المخرج من الملة، ويحتمل كفر النعم، التي قل من يشكرها كما قال

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٢٨٥٠، ومسلم في الإمارة ١٨٧٣، والنسائي في الخيل ٣٥٧٥، والترمذي في الجهاد ١٦٩٤، وابن ماجه في التجارات ٢٣٠٥ - من حديث عروة بن الجعد رضي الله عنه.

(٢) الطِيَل: رباط الفرس، أي: جعل رباطها طويلاً بحيث تدور وترعى فيما حولها.

(٣) قال في «النهاية» مادة «سنن»: «استن شرفاً أو شرفين»: استن الفرس يستن إستناناً، أي: عدا لمرحه ونشاطه شوطاً أو شوطين، ولا راكب عليه».

(٤) أي: مناوأة ومعاداة.

(٥) أخرجه البخاري في المساقاة ٢٣٧١، ومسلم في الزكاة ٩٨٧، والنسائي في الخيل ٣٥٦٣، والترمذي في فضائل الجهاد ١٦٣٦، وابن ماجه في الجهاد ٢٧٨٨.

تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: وإن الله عز وجل ﴿ على ذلك ﴾ أي: على ما يحصل من الإنسان من الكفر والجحود لنعم الله ﴿ لشهيد ﴾ أي: شاهد مطلع لأنه عز وجل لا تخفى عليه خافية من أعمال العباد كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يونس: ٤٦].

ويحتمل عود الضمير في قوله ﴿ وإنه ﴾ إلى الإنسان، أي: وإن الإنسان على كفره وجحوده لشهيد يشهد على نفسه بلسان حاله، لظهور ذلك عليه في أقواله وأفعاله وعلى جوارحه، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ هذا يقوي أن الضمير في قوله ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ يعود إلى الإنسان.

﴿ وإنه ﴾ أي الإنسان ﴿ لحب الخير ﴾ أي: لحب المال، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠]، أي: إن ترك مالاً.

﴿ لشديد ﴾ أي: شديد المحبة للمال، حريص عليه، بخيل به ممسك له.

قال طرفة:

أرى الموت يعتام الكرام ويعتلي ... عقيلــة مــال الفــاحش المتشــدد

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ الهمزة للاستفهام، ومعناه التحضيض.

أي: أفلا يعلم الإنسان ﴿ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: بعث الذي في القبور من الأموات ونشر للحساب والجزاء.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: مُيِّز وجمع الذي في الصدور من الأسرار والمكنونات، وأبرز وأظهر، خيراً كان أو شراً، فصار السر علانية والباطن ظاهراً كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٩].

فصار الجسم بارزاً على الأرض والسر بادياً على الوجه كما قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١]، وقال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٦].

فياخيبة قلوب حصيلتها الكفر والتكذيب والنفاق، ووأسفا على قلوب مليئة بالضغائن والأحقاد وسوء الظن والحسد للعباد.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ الخبير: المطلع على بواطن الأمور ودقائقها، وخفياتها، وهو عز وجل مطلع من باب أولى على ظواهر الأمور وجلائلها وجلياتها.

وفي إضافة اسم «الرب» - عز وجل - إلى ضميرهم في قوله ﴿ إن ربهم ﴾ إشارة إلى كمال وتمام خبرته عز وجل بهم، لأنه ﴿ ربهم ﴾ خالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

وهو سبحانه وتعالى خبير بالعباد في جميع الأوقات والأماكن والأحوال في الدنيا والآخرة، لا تخفى عليه منهم خافية، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

وإنما قال عز وجل في الآية ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ فخص خبره بهم في ذلك اليوم مع أنه خبير بهم في كل وقت لظهور تمام وكمال خبرته عز وجل في ذلك اليوم عندما تعرض على الخلق أعمالهم كمثاقيل الذر لمجازاتهم عليها كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي قوله ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ وعد ووعيد، وعد لمن آمن وعمل صالحاً، ووعيد لمن كفر بالله وجحد نعمه.

الفوائد والعبر:

١- إقسام الله - عز وجل - بالخيل حال عدوها في سبيل الله، وضبحها وقدح حوافرها، وإغارتها صباحاً، وإثارتها للغبار وسط المعركة - ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

٢- عظم مكانة الجهاد في الإسلام، وفضل الخيل وأهميتها في الجهاد.

٣- استحباب الإغارة على الأعداء في الجهاد صباحاً.

٤- إثبات ربوبية الله - عز وجل - العامة لجميع الخلق.

٥- جحود الإنسان وكفره بربه وبنعمه.

٦- وجوب الإيمان بالله، والاعتراف بنعمه - عز وجل - وشكرها والحذر من جحودها وكفرها.

٧- أن الإنسان شهيد بلسان مقاله أو حاله على كفره بربه وجحوده لنعمه، والله مطلع عليه وهو خير الشاهدين.

٨- أن الإنسان مجبول على حب المال فينبغي الحذر من الانسياق وراءه ونسيان الآخرة.

٩- إثبات البعث والحساب وإخراج ما في القبور من الأموات والكنوز، وما في الصدور من المكنونات.

١٠- وجوب العمل على إصلاح القلوب وسلامة الصدور قبل أن تفتضح بإظهار ما فيها من الفساد وسوء الاعتقاد، والضغائن.

١١- ظهور كمال علم الله عز وجل ودقيق خبرته للخلائق إذا أخرج ما في القبور من الأموات والدفائن، وجمع وأظهر ما في الصدور من المعتقدات والمكنونات والضغائن.

تفسير سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

قوله ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي: القيامة، وسميت القيامة بالقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها، وتفزع الناس وتزعجهم بشدائدها كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾ [النمل: ٨٧].

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ «ما» للاستفهام ومعناه التعظيم والتفخيم لأمرها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تعظيم لأمرها بعد تعظيم، أي: وما أعلمك ما القارعة، أمرها عظيم، وهولها جسيم، وعذابها شديد، وخبرها أكيد.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ هذا وما بعده تفسير للقارعة، فيه بيان شيء من أهوالها وأحوالها، أي: يوم يكون الناس من شدة الهول والفزع والتفرق والانتشار والحيرة والذهول ﴿كَٱلْفَرَاشِ﴾ الفراش: جمع فراشة، وهي الحيوانات الصغيرة الطائرة، التي يموج بعضها في بعض لا تدري أين تذهب، وتتهافت في الليل على الأنوار والمصابيح وعلى النار لضعف إدراكها، وسميت بالفراش، لافتراشها وانتشارها.

﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾ المتفرق المنتشر، والذي يتطاير هنا وهناك، كما قال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ٧].

فتأمل أخي المسلم حال الناس وضعفهم في ذلك الموقف وحيرتهم وذهولهم، وهم أهل العقول والأذهان وتأمل حالك بينهم.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ أي: وتكون الجبال الصم الصلاب الراسيات كالصوف المنفوش المبعثر الذي لخفته وتمزقه تطير به أدنى ريح، فالجبال في ذلك اليوم في سرعة سيرها وخفتها وتفتتها، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٥، ٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧].

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ الآيات. بعد أن ذكر

عز وجل بعض أهوال القيامة، وحال الناس فيها، ذكر انقسام الناس فيها إلى قسمين حسب أعمالهم:

قوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ﴾ الفاء: استئنافية، و«أما» حرف شرط وتفصيل و«من» موصولة.

أي: فأما الذي ثقلت موازين أعماله الصالحة ورجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: في عيشة كريمة في الجنة يرضاها لنفسه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ﴾ فرجحت سيئاته على حسناته، بأن طاشت موازين أعماله الصالحة، فرجحت سيئاته على حسناته أو لم تكن له حسنات أصلاً كالكافر.

﴿فَأُمُّهُۥ﴾ أي: فمرجعه ومصيره ومأواه الذي يأوي إليه لا مأوى له سواه.

﴿هَاوِيَةٌ﴾ أي: نار عمقها شديد، وقعرها بعيد، يهوي المعذب فيها على أم رأسه في دركاتها لا يكاد يدرك قعرها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ: «تدرون ما هذا»؟، قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار، الآن حتى انتهى إلى قعرها»[1].

وقال ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»[2].

وفي رواية: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى أن تبلغ ما بلغت يهوي بها سبعين خريفاً في النار»[3].

وعن الأشعث بن عبد الله الأعمى، قال: «إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوِّحوا أخاكم، فإنه كان في غم الدنيا، قال: ويسألونه، ما فعل فلان؟، فيقول: مات، أوما جاءكم؟، فيقولون: ذهبوا به إلى أمه الهاوية»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٤٤.
(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٧٧، ومسلم في الزهد والرقائق ٢٩٨٨ – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣١٤، وابن ماجه في الفتن ٣٩٧٠، وأحمد ٢/ ٢٩٧، ٣٣٤، ٣٥٥ – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي «حسن غريب».
(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٥٩٦.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ تعظيم لأمرها وهولها وخطرها. أي: وما أعلمك ما هي (والهاء) للسكت.

﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ أي: هي نار شديدة الحرارة لقوة لهبها وسعيرها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ناركم التي توقدون عليها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية؟، فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرها»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فائذن لي بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها»[٢].

الفوائد والعبر:

١- شدة أهوال القيامة وأنها تقرع القلوب بأهوالها، وأن أمرها عظيم وخطبها جسيم.

٢- اضطراب الناس في ذلك اليوم وتفرقهم وحيرتهم لما يشاهدون من أهوال القيامة، وخوفاً من عذاب الله تعالى.

٣- تغير أحوال الجبال الراسيات مع عظمتها من أهوال ذلك اليوم وكونها في الخفة كالصوف المنفوش تمهيداً لدكها ونسفها.

٤- انقسام الناس في ذلك اليوم إلى فريقين: فريق ثقلت موازين حسناتهم فهم في عيشة راضية في الجنة، وفريق خفت موازين حسناتهم فمآلهم النار الحامية.

٥- إثبات وزن الأعمال، والعدل بين الناس في حسابهم ومجازاتهم على قدر أعمالهم.

٦- الترغيب في الاستزادة من الحسنات، والترهيب من كثرة السيئات.

---

(١) اخرجه البخاري في بدء الخلق ـ صفة النار وأنها مخلوقة ٣٢٦٥، ومسلم في الجنة ـ شدة حر نار جهنم ٢٨٤٣، والترمذي في صفة الجنة ٢٥٨٩، واحمد ٢/ ٢٤٤، ٤٦٧.

(٢) اخرجه البخاري في الباب السابق ٣٢٦٠، ومسلم في المساجد ٦١٧، وأبو داود في الصلاة ٤٠٢، والترمذي في صفة جهنم ٢٥٩٢، وابن ماجه في الصلاة ٦٧٨.

تفسير سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

قال ابن القيم[1]: «أخلصت هذه السورة الموعد والوعيد والتهديد، وكفى بها موعظة لمن عقلها».

قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف من جميع الناس فكل من ألهاه التكاثر من المسلمين وغيرهم فهو داخل تحت هذا الخطاب.

أي: شغلكم وأذهلكم التكاثر عن طاعة الله عز وجل وعبادته، وعن المقصود من خلقكم، وهو عبادة الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والتكاثر: تفاعل من الكثرة، أي: ألهاكم مكاثرة بعضكم لبعض، أي: طلب كل واحد منكم أن يكون أكثر من الآخر بالمال والولد وغير ذلك كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وحذف متعلق التكاثر ليشمل كل ما يتكاثر به سوى طاعة الله تعالى من الأموال والأولاد والأنصار والجنود والعدد والعدة والعتاد وغير ذلك، كما قال تعالى عن صاحب الجنة أنه قال لصاحبه ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤].

قال ابن القيم[1]: «فالتكاثر في كل شيء من مال أو جاه أو رياسة أو نسوة أو حديث أو علم ولاسيما إذا لم يحتج إليه، والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها، والتكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره، وهذا مذموم إلا فيما يقرب إلى الله، فالتكاثر فيه منافسة في الخيرات ومنافسة إليها».

---

(١) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ٣٠٧ – ٣٠٨.

وإذا كانت المكاثرة فيما يتقرب به إلى الله تعالى كالعلم ونحوه لأجل المكاثرة نفسها والرياء والسمعة والمفاخرة فإن هذا أشد خطراً وأعظم ضرراً.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: إلى غاية أن متم ودفنتم في المقابر، وكلما شاب الإنسان ازداد حبه للمال والمكاثرة به.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يزوره، فقال: «لا بأس طهور إن شاء الله»، فقال: قلت: طهور؟، بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تزيره القبور، قال: «فنعم إذاً»[١].

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾» يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فاقتنى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يشيب ابن آدم وتبقى معه اثنتان حب الدنيا وطول الأمل»[٤].

وفي حديث أنس «ويبقى معه اثنتان حب المال وطول العمر»[٥].

وفي رواية: «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان: الحرص والأمل»[٦].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[٧].

وعن أنس بن مالك عن أبي بن كعب رضي الله عنهما قال: «كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن «لو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ٧٤٧٠، وأحمد ٣/ ٢٥٠.
(٢) أخرجه مسلم في الزهد ٢٩٥٨، والترمذي في تفسير سورة ألهاكم التكاثر ٣٣٥٤، وأحمد ٤/ ٢٤.
(٣) أخرجه مسلم في الزهد ٢٩٥٩، وأحمد ٢/ ٣٦٨، ٤١٢.
(٤) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٢٠.
(٥) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٢١، ومسلم في الزكاة ١٠٤٧، والترمذي في الزهد ٢٣٣٩، وابن ماجه في الزهد ٤٢٣٤.
(٦) أخرجها أحمد ٣/ ١١٥.
(٧) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٥١٤، ومسلم في الزهد ٢٩٦٠.

التراب، ويتوب الله على من تاب» حتى نزلت هذه السورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ إلى آخرها»[١].

عن ميمون بن مهران قال: «كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فلبث هنيهة، فقال: يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله، أي: من جنة أو نار».

ورُويَ أن بعض الأعراب سمع رجلاً يتلو هذه الآية ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فقال: «بعث القوم ورب الكعبة، أي: أن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره»[٢].

فالمكث في القبور وإن طال هو مجرد زيارة، والمصير والمآل إلى دار القرار، إما في الجنة، وإما في النار.

وبهذا يعلم خطأ ما يكتب في الصحف والجرائد والمجلات وغيرها عن المتوفى من قولهم «انتقل إلى مثواه الأخير» فإن المكث في القبور مجرد زيارة وإنما المثوى الأخير في الآخرة إما في الجنة وإما في النار.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ردع وزجر ووعيد وتهديد وإنذار وتخويف، أي: كلا سوف تعلمون في المستقبل.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ توكيد للردع والوعيد، كقوله تعالى في سورة النبأ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝﴾ [الآيتان: ٤، ٥]

أي: سوف تعلمون عاقبة أمركم وأن التكاثر لا ينفعكم.

وقيل: ليس هذا من التأكيد، بل العلم الأول في القبر، والثاني في الآخرة.

وقيل: العلم الأول عند المعاينة والثاني عند البعث، وقيل: العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر واستدل ابن القيم لصحة هذا القول من عدة أوجه قال[٣]: «أحدها: أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل وقد أمكن اعتباره مع فخامة المعنى وجلالته، وعدم الإخلال بالفصاحة، الثاني: توسط «ثم» بين العِلمين، وهي مؤذنة بتراخي ما بين المرتبتين، زماناً وخطراً، الثالث: أن هذا القول مطابق للواقع، فإن المحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه، ثم يعلم في القبر وما بعده ذلك علماً يقيناً هو فوق

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٤٠، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٥٩٩.
(٢) انظر «تفسير ابن أبي حاتم» ١٠/ ٣٤٥٩ – ٣٥٦٠.
(٣) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ٣٠٩ – ٣١٢.

العلم الأول، الرابع: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من السلف فهموا من الآية عذاب القبر، الخامس: أن هذا مطابق لما بعده، من قوله ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين: إطلاق الأولى، وتقييد الثانية بعين اليقين وتقدم الأولى وتراخي الثانية عنها».

والآية محتملة كل ما ذكر والله أعلم.

﴿كَلَّا﴾ كما سبق للردع والزجر والتهديد.

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: لو تعلمون علم اليقين في الحال.

أي: العلم اليقيني الذي يحملكم على العمل، ولا يتخلف موجبه غالباً، فلو علمتم ذلك علماً يقينياً لما ألهاكم شيء عن موجبه وهو تقديم طاعة الله تعالى على كل شيء، ومن هذا قول حسان بن ثابت رضي الله عنه في أهل بدر:

سرنا وساروا إلى بدر لحتفهم ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ اللام واقعة في جواب قسم مقدر، أي: والله «لترون الجحيم» قرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء، وقرأ الباقون بفتحها.

وهذا تفسير للوعيد المتقدم في قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وأبهم المتوعد به أولاً وكرره، ثم أظهره هنا تفخيماً وتعظيماً للأمر، وتغليظاً في التهديد والوعيد، وزيادة في التهويل.

واللام في قوله ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ لام قسم محذوف لتوكيد الوعيد، والتقدير: والله لترون الجحيم، أي: لتشاهدنها بأبصاركم.

قال ابن تيمية[1] : «والخبر محذوف، أي: لكان الأمر فوق الوصف، ولعلمتم أمراً عظيماً، ولألهاكم عن التهائكم، فإن الالتهاء بالتكاثر إنما وقع من الغفلة وعدم اليقين كما قال تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦].

ومثل قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[2].

وحذف جواب «لو» كثير في القرآن تعظيماً وتفخيماً، فإنه أعظم من أن يوصف أو يتصور بسماع لفظ، إذ المخبر ليس كالمعاين».

---

(١) انظر «دقائق التفسير» ٦/ ٣٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير ٤٦٢١، ومسلم في الفضائل ٢٣٥٩، من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: نفس اليقين، معاينة بعيونكم ومشاهدة بأبصاركم، كما قال تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالنار يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام بكل زمام سبعون ألف ملك يجرونها...» الحديث[(١)]

وليس الخبر كالمعاينة ـ كما قال ﷺ[(٢)]، ولهذا قال إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وهو عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام عنده العلم اليقيني بقدرة الله عز وجل على إحياء الموتى لكنه أراد زيادة اليقين والاطمئنان القلبي باجتماع عين اليقين إلى علم اليقين، ولهذا قال نبينا ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»[(٣)] يعني أن إبراهيم عليه السلام لم يشك ولو شك لكنا أولى بالشك منه.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ ثم: عاطفة، واللام موطئة للقسم، والتقدير: ثم والله لتسألن.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة بعد زيارتكم المقابر، والخطاب لجميع الناس فالمؤمن يسأل سؤال تذكير، والكافر يسأل سؤال توبيخ وتقريع.

﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: عن كل ما أنعم الله به عليكم، مما تتنعمون به في هذه الدنيا من اللذات ورغد وطيب العيش ولينه، من المآكل والمشارب والمساكن والمراكب والفرش والملابس، ومن الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان، كما قال ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[(٤)].

يُسألون عن كل ما هم فيه من النعيم، من أين اكتسبوه، وفيم صرفوه وبذلوه، وهل شكروا الله تعالى عليه، واستعانوا به على طاعته أم جحدوه وكفروه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول

---

(١) اخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٤٢، والترمذي في صفة الجنة ٢٥٧٣.
(٢) اخرجه أحمد ١ / ٢١٥، ٢٧١ ـ من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما.
(٣) اخرجه البخاري في الأنبياء ٣٣٧٢، ومسلم في الإيمان ١٥١ ـ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.
(٤) اخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٤٦، وابن ماجه في الزهد ٤١٤١ – من حديث سلمة بن عبد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه وقال الترمذي «حسن غريب».

الله، قال: «والذي نفسي بيده لا أخرجني إلا الذي أخرجكما، قوموا»، فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان»؟، قالت: ذهب يستعذب لنا ماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله ما أجد اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية، فقال رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب» فذبح لهم فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»[(١)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[(٣)].

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: «لما نزلت ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، فأي النعيم نسأل عنه، وإنما هو الأسودان: التمر والماء؟، قال أما إنه سيكون»[(٤)].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه، وقال: «إنما هو الأسودان، وسيوفنا على عواتقنا، فقال: «إن ذلك سيكون»[(٥)].

أي: إن النعيم سيكون ويحدث لكم، أو إن السؤال يقع على ذلك وإن كان تمراً وماءً فإنه من النعيم.

فتأمل أخي الكريم هذه النصوص واعلم أن الله عز وجل لم يكلفنا شططا، بل أمرنا بالتوسط في جميع أحوالنا وأمورنا، كما قال الله عز وجل ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ

---

(١) أخرجه مسلم في الأشربة ٢٠٣٨ وابن ماجه في الذبائح ٣١٨١.
(٢) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٤١٦. وأخرج الترمذي أيضاً نحوه من حديث أبي برزة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤١٢، وابن ماجه في الزهد ٤١٧٠، وأحمد ١/ ٢٥٨، ٣٤٤.
(٤) أخرجه الترمذي في التفسير ٣٣٥٦ وقال «حديث غريب».
(٥) أخرجه الترمذي في التفسير ٣٣٥٧.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير سرف ولا مخيلة»(١).

واعلم أيضاً أن الدنيا والآخرة أشبه بالضرتين فمن مال إلى إحداهما أضر بالأخرى لا محالة وقد قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»(٢).

والمراد بالهلاك في قوله ﷺ: «فتهلككم» الهلاك الحقيقي، وهو نسيان لقاء الله والدار الآخرة، وهو الخسارة الكبرى والمصيبة العظمى، وذلك لعظم فتنة المال، فهو سبب للإخلال بالواجبات، والتي من أعظمها الصلاة فيحمل على الانشغال عنها وتأخيرها ونسيانها، وعدم حضور القلب، فيها كما يحمل صاحبه على التكبر والطغيان كما قال عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧].

وقد يحمل صاحبه على الجرأة على التعامل المحرم، ومنع الواجب إضافة إلى ما يسببه من صدمات وأمراض نفسية وبدنية وفقدان للسعادة، فإن صاحب المال في تعب في النهار، وقلق وتفكير في الليل، حتى إنه وجد من نسي أولاده وأهله وأقاربه بسبب ذلك، فالانهماك في طلب المال والدنيا سبب للتقصير في حقوق الخالق وفي حقوق الخلق، والشقاء في الدنيا والآخرة، بل وصل سوء الحال ببعض من فتنوا بالدنيا وجمع المال أن يتمنى أولادهم موتهم في حياتهم ليتقاسموا ذلك المال فبئس الحال والمآل.

واعلم أن للتكاثر صوراً كثيرة منها بل من أعظمها وأظهرها أن يسعى الإنسان جاهداً ليكون أكثر من غيره وأفضل في ماله وولده ومنصبه وجاهه ومسكنه ومركبه وغير ذلك من أمور الدنيا مباهاة ومفاخرة، ومنافسة في زخرف الدنيا وحطامها الفاني.

ومنها أن يكون هم الإنسان وشغله الشاغل وتفكيره في يقظته ومنامه زيادة رصيده في البنك، فتراه يلهث طول يومه لتحقيق ذلك بشتى الوسائل، وربما وقع في المتشابه أو

---

(١) أخرجه ابن ماجه في اللباس ٣٦٠٥، وأحمد ٢/ ١٨١ - من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه، وذكره البخاري معلقاً في اللباس - باب قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ انظر «فتح الباري» ١٠/ ٢٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في الجزية ٣١٥٨، ومسلم في الزهد ٢٩٦١، والترمذي في صفة القيامة والرقائق ٢٤٦٢، وابن ماجه في الفتن ٣٩٩٧، من حديث عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه.

المحرم من أجل ذلك ومن تأمل أحوال الناس رأى هذا عياناً.

ومنها أن يكون همّ الإنسان التمتع بأكبر قدر من متع الدنيا ولذائذها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمراكب وغير ذلك ـ كأنه خلق لهذا ـ فتجده يسعى جاهداً في اختيار أنواع الأكلات، والتفنن في أشكال الطبخات والمشويات ونحو ذلك، نظرية من يعيش ليأكل، لا من يأكل ليعيش، وقد قال ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»[١].

قال أبو الفتح البستي:

يا خادم الجسـم كم تسعى لخدمتـه   لتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وتجد من هذا همه ومبلغ علمه يسعى جاهداً في تشييد المباني وزخرفتها وبناء الاستراحات والمنتزهات في هذا العمر الزهيد، وكأنه سيخلد في الدنيا أو سيعمر فيها عمر نوح عليه السلام.

وقد كان الناس في الأمس القريب يسكنون بيوتاً شعبية متواضعة صغيرة جداً من الطين ثم انتقلوا إلى بيوت من الحجر أكبر منها، ثم انتقلوا إلى الفلل والعمائر ذات الأدوار، ثم جاء عصر الاستراحات وما أدري ماذا سيكون بعد ذلك، وقد قال ﷺ: «يؤجر الرجل في نفقته كلها إلا في التراب والبناء»[٢].

ويعلم الله كم خسرنا في هذا من الأموال، بل وكم أضعنا فيها من الأوقات وكم فرطنا بسببها في الواجبات وكل ذلك على حساب ديننا والله المستعان.

وإن العاقل اللبيب المنصف الذي يقدر قيمة الحياة ومكانة الآخرة ويعرف حقارة الدنيا يدرك الفرق بين صلاة يؤديها مع الإمام وجماعته في مسجد الحي الذي يقيم فيه أو في غيره من المساجد من حيث إقامتها بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، والأذكار والسنن قبلها وبعدها، وبين صلاة يؤديها في الاستراحة إما منفرداً أو مع واحد أو اثنين أو أكثر لا يقيم كثيراً مما شرع فيها أو قبلها أو بعدها كما هو الواقع، ولا جدال في هذا.

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٨٠، وابن ماجه في الأطعمة ٣٣٤٩ – من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٤٨٣ – من حديث حارثة بن مضرِّب ـ رضي الله عنه ـ وقال: «حديث حسن صحيح».

فكم قصرنا في حق الله عز وجل، وفي حق الوالدين والأزواج والأولاد والأقارب والجيران، بسبب تضييع كثير من الأوقات في هذه الاستراحات والمنتزهات إضافة إلى ما يحصل في هذه التجمعات في هذه الاستراحات من القيل والقال والغيبة والنميمة وتزجية الأوقات التي هي حياة الإنسان، وهي أغلى وأهم وأوجب ما ينبغي حفظه واستغلاله بما فيه السعادة حقاً في الدنيا والآخرة كما قال الشاعر:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

وتجد أيضاً من كان همه التمتع بأكبر قدر من متع الدنيا يسعى دائماً لتأمين الكماليات ومتابعة الموديلات والموضات في السيارات والملابس والأثاث وغير ذلك.

وقد نام ﷺ على حصير فأثر في جنبه صلوات الله وسلامه عليه فقال له أصحابه رضي الله عنهم: لو اتخذنا لك وطاءً فقال ﷺ: «ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[(١)].

وتجد أيضاً من كان هذا همه مشغوفاً بالأسفار والتنقلات هنا وهناك بل ربما سافر إلى بلاد الكفار، ترويحاً عن النفس كما يقولون وبحثاً عن السعادة كما يزعمون.

فإهدار للأموال وتضييع للأعمار، وتعرض للأخطار، واقتراف للأوزار نسأل الله تعالى إصلاح الأحوال.

فكن أخي الكريم من الدنيا على وجل، واعبرها ولا تعمرها عمارة المقيم، واستعد لما أمامك، ولا تنس نصيبك من الدنيا، قال الله عز وجل ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

واعلم بارك الله فيك أنك لا تلام على كفاف، كما قال ﷺ[(٢)].

فخذ نصيبك من الدنيا زاداً وبلغة، وكن خائفاً من فتنتها أشد من خوفك من الفقر، عسى أن تسلم من فتنتها وما إخالك سالما.

واحرص على شكر نعم الله عز وجل باستعمالها في طاعته ومرضاته والاعتراف له بها ظاهراً وباطناً، وعدم الإسراف والمباهاة والمفاخرة فيها، فإن الفضل لله عز وجل ولا

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٧٧، وابن ماجه في الزهد ٤١٠٩ ـ من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة ١٠٣٦ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

يجوز تقليد الآخرين، ومجاراتهم في البذخ والإسراف في الولائم، بل ولا في الحياة اليومية إرضاءً للسفهاء، فإن من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس كما جاء في الحديث[١].

والعجيب أن بعض الناس إذا قدّم الطعام لضيوفه قال لهم معتذراً: هذا ليس حقكم، أو ليس قدركم، ونحو ذلك، بمعنى: أن حقكم علينا أكبر من هذا، وهذا لا يجوز لما فيه من ازدراء النعمة وانتقاصها، بل ينبغي أن يقدم لهم ما تيسر، ويحمد الله على ذلك.

واحذر أخي الكريم من إهانة النعم، واقتصد فيها، واعلم أن هناك الملايين من المسلمين يموتون جوعاً، وهم في أمس الحاجة إلى الطعام وغيره من متطلبات الحياة، فتصدق عليهم بما زاد عندك، وخذ نفسك وأهلك بالمحاسبة، ومعرفة قدر نعم الله عليك، واعلم أن الفخر كل الفخر، والكرم كل الكرم بتقوى الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

واحرص على الحفاظ على ما يتبقى من فضول الطعام وغيره واحترامه بإعطائه المحتاجين أو الجهات الخيرية التي توصله إليهم، فإن كان باقي الطعام لا يصلح للإنسان أكله فليعط للحيوانات والطيور، فإن لم يمكن ذلك، فليوضع في مكان نظيف تأكله السباع والهوام وغيرها.

ولنحذر جميعاً من وضعه في صناديق الزبالة مع القذر والأذى، فإن ذلك سبب للعقوبة العاجلة والآجلة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فالنعم صيد والشكر قيد، والنعم إذا شكرت قرّت، وإذا كفرت فرّت، قال علي رضي الله عنه[٢]:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وحافظ عليها بتقوى الإله ... فإن الإله سريع النقم

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٤١٤ - من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر «ديوانه» ص١٧٥ - ١٧٦ جمع نعيم زرزوره.

الفوائد والعبر:

١- التحذير من التكاثر والمباهاة والمفاخرة بالأموال والأولاد وغير ذلك، والانشغال بذلك عن طاعة الله تعالى وعن الاستعداد للدار الآخرة.

٢- أن من حصلت عنده الكثرة من غير مكاثرة واستعان بها على طاعة الله تعالى فليس داخلاً في الذم لقوله ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ثم رتب عليه ما رتب من الوعيد.

وقد كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم من أكثر الناس مالاً، وما ضرهم ذلك لما جعلوا المال مطية للآخرة، فقد جهز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، حتى قال النبي ﷺ فيه: «ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم»[(١)].

وقد قال ﷺ لعمرو بن العاص ـ رضي الله عنه: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[(٢)].

٣- الإشارة إلى حقارة الدنيا وما فيها من الملذات على اختلاف أشكالها، وأن الاشتغال بالمكاثرة بذلك من اللهو واللعب كما قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠].

٤- الإشارة إلى أن الاقتصاد والتوسط في الأمور والأحوال الدنيوية هو الأصل وهو الأولى لأن الخروج عن ذلك قد يؤدي بالإنسان إلى ما لا ينبغي من المكاثرة ونحو ذلك.

٥- أن المكاثرة بما يعود على الإنسان بالنفع في دينه وآخرته ليست من التكاثر المذموم بل من المسابقة والمسارعة إلى الخيرات والمنافسة فيها كما قال عز وجل ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨، المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقد تسابق أبو بكر الصديق والفاروق ـ رضي الله عنهما لما دعا النبي ﷺ إلى

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب ٣٧٠١ – من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٩٧، ٢٠٢.

الصدقة، فجاء عمر بنصف ماله وظن أنه يسبق أبا بكر، وإذا أبو بكر قد جاء بكل ماله ـ رضي الله عنهما، فقال عمر: «والله لا أسبقه إلى شيء أبداً»[١].

٦- إعجاز القرآن الغيبي حيث أخبر بهذا الخطاب العام للناس بأنه ألهاهم التكاثر وهذا هو الواقع فعلاً في السابق واللاحق إلا من رحم الله وفي هذا الإشارة إلى عدم الاغترار بما عليه كثير من الناس من التكاثر وغيره كما قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

٧- إثبات القبر وعذابه لقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ .

٨- إثبات البعث بعد الموت والقيامة وما فيها من الأهوال ورؤية النار لقوله ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ فهذا يدل على أن الإقامة في البرزخ وفي المقابر زيارة فقط ثم يبعث الناس ويردون إلى الدار الآخرة دار القرار.

٩- الزجر والردع والوعيد الشديد، والتهديد الأكيد لمن ألهاه التكاثر عن طاعة الله تعالى.

١٠- العلم اليقيني برؤية النار يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [مريم: ٧١].

١١- أن من ألهاه التكاثر عن طاعة الله وما خلق له فعلمه اليقيني برؤية النار ضعيف إذ لو اكتمل عنده علم اليقين برؤيتها ما ألهاه التكاثر عما خلق له.

١٢- اجتماع عين اليقين إلى علم اليقين في رؤية النار في الآخرة فعلم اليقين بأن رؤيتها حاصلة بل وورودها دل عليه القرآن والسنة، وفي عرصات القيامة ترى عياناً.

١٣- إثبات الحساب والسؤال عن النعم التي أنعم الله بها على العبد في الدنيا.

١٤- وجوب أخذ النعم من طرق حلال وصرفها في وجوهها في الطرق الحلال.

١٥- وجوب شكر نعم الله تعالى في استعمالها في طاعته والبعد عن معصيته، وأداء حق الله فيها واحترامها وعدم إهانتها وعدم الإسراف فيها.

---

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة ١٦٧٨، والترمذي في المناقب ٣٦٧٥، والدارمي في الزكاة ١٦٦٠ ـ من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه.

تفسير سورة العصر[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾.

قال ابن كثير[(٢)]: «ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب، وذلك بعدما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يسلم عمرو، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة؟ قال: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وماهي؟ فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال: وقد أنزل عليّ مثلها، فقال له عمرو: وما هو؟ فقال: «يا وبر يا وبر إنما أنت أذنان وصدر وسائرك حقر نقر» ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب»[(٣)].

وقال الشافعي رحمه الله: «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم»[(٤)].

قوله: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ الواو: حرف قسم وجر، و﴿العصر﴾ مقسم به. والعصر: هو الزمان والدهر،وهو الأيام والليالي، كما قيل:

ولن يلبث العصران يوم وليلة   إذا طلبا أن يدركا ما تيمما[(٥)]

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ جواب القسم «والعصر» والمراد بالإنسان جنس الإنسان.

والخسر: ضد الربح، أي: إن الإنسان جنس الإنسان من حيث هو لفي خسران ونقصان وهلاك.

قال ابن القيم[(٦)]: «الإنسان من حيث هو إنسان خاسر، إلا من رحمه الله فهداه، ووفقه للإيمان والعمل الصالح في نفسه وأمر غيره به».

---

(١) قد أفردت هذه السورة برسالة خاصة بعنوان: «ربح أيام العمر في تدبر سورة العصر» وقد ضمنت جلها في هذا التفسير.

(٢) في «تفسيره» ٨ / ٤٩٩.

(٣) قال ابن كثير بعد ذكر هذا الخبر: «والوبر: دويبة تشبه الهر، أعظم شيء فيه أذناه وصدره وباقيه دميم. فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان».

(٤) انظر «مفتاح دار السعادة» ص٦١، «تفسير ابن كثير» ٨/ ٤٩٩.

(٥) البيت لحميد بن ثور الهلالي وهو في ديوانه ص ٨.

(٦) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ٣٢٩.

وقال أيضاً: «فأقسم بالعصر الذي هو زمان أفعال الإنسان ومحلها على عاقبة تلك الأفعال وجزائها، ونبه بالمبدأ وهو خلق الزمان والفاعلين وأفعالهم على المعاد، وأن قدرته كما لم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعاد، وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان وخلق الفاعلين وأفعالهم».

وإقسامه عز وجل بالزمن بقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ وكذا في مواضع عدة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾ [الشمس: ١ ـ ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١ ـ ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٢]، كل ذلك للدلالة على أهمية الوقت، لأنه عمر الإنسان، ووقت العمل الصالح الذي به النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

وهو الذي سيحاسَب عنه العبد ويسأل عنه يوم القيامة، كما قال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»(١).

وهو مما أقام الله به الحجة على الخلق كما قال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] وفي الحديث: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة»(٢).

وهو أغلى وأنفس ما أعطاه الله للعبد وأمره بحفظه.

قال الشاعر:

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع(٣)

وقال الآخر:

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٤١٧ ـ من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه وقال: «حديث حسن صحيح» وأخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٢٤١٦.
(٢) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤١٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) البيت للوزير الصاحبي يحيى بن هبيرة. انظر (الذيل لطبقات الحنابلة) ٤/ ٢٣٦.
(٤) البيت للشاعر أحمد شوقي، وهو ضمن قصيدته في رثاء مصطفى كامل باشا، وهو في ديوانه «الشوقيات» ٣/ ١٥٨.

وهو عمر الإنسان الذي بذهابه ذهاب المرء كما قيل:

يسر المرء ما ذهب الليالي ... وكان ذهابهن له ذهابا

وكما قيل:

المرء يفرح بالأيام يقطعها ... وكل يوم يُدَنِّيه إلى الأجل

وإقسامه عز وجل بالعصر على أن الإنسان لفي خسر إلا من اتصف بالصفات المذكورة يعد إشارة إلى أن الخسارة الحقيقية هي الخسارة في الدين، فهي المصيبة العظمى والطامة الكبرى، والجرح الذي لا يندمل، والكسر الذي لا يجبر، كما قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

فالمصيبة العظمى والخسار الذي لا خسار بعده أن يصاب الإنسان في دينه، فيموت على الكفر أو على المعاصي، كما قال تعالى عن أبي لهب ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] أي خسرت يداه وخسر فعلاً. نسأل الله السلامة ـ فليست المصيبة ـ أن يصاب الإنسان بالخسارة في ماله أو في نفسه أو في أهله أو ولده، أو قريبه أو صديقه سواء بمرض أو موت أو غير ذلك، وهذا ـ وإن كان كله يسمى مصيبة ـ لكن المصيبة العظمى هي المصيبة في الدين وكما قيل:

وكل كسر فإن الله يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران

وهي التهلكة والهلاك فإن الأنصار رضي الله عنهم لما أعز الله الإسلام قال بعضهم لبعض: لو رجعنا لإصلاح أموالنا ومزارعنا، كأنهم أرادوا ترك الجهاد، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥](١).

وقد فهم هذا المعنى سلف هذه الأمة من صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم من ذوي البصيرة في الدين، فنأوا بأنفسهم عن المعاصي، وها هو سلمة بن صخر البياضي رضي الله عنه يأتي فزعاً مرعوباً إلى رسول الله ﷺ قائلاً: «يا رسول الله هلكت وأهلكت». قال له رسول الله: «ما أهلكك؟» قال: يا رسول وقعت على امرأتي وأنا

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد ـ قوله ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، ٢٥١٢، والترمذي في التفسير ٢٩٧٢، وابن ماجه ٤٧١١، والحاكم ٢/ ٨٤، ٢٧٥ ـ من حديث أبي أيوب. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

صائم..» الحديث[1].

فقد أحسّ رضي الله عنه بعظم المعصية وسوء عاقبتها وجاء تائباً يسأل عن المخرج منها.

قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثنى عز وجل من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم.

والإيمان لغة التصديق، قال تعالى عن إخوة يوسف أنهم قالوا لأبيهم ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمصدق.

وقال ابن تيمية معناه الإقرار فلا يكفي مجرد التصديق[2].

وشرعاً: قول باللسان واعتقاد بالجنان ـ وهو القلب، وعمل بالأركان ـ وهي الجوارح.

والإيمان بمعناه اللغوي والشرعي يندرج تحته كل ما يجب الإيمان به من أركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما يجب الإيمان به من الغيوب الماضية والمستقبلة. وضده الكفر.

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: الأعمال الصالحات، وحذف الموصوف وهي الأعمال واكتفى بالصفة وهي «الصالحات» لأن المهم في العمل كونه صالحاً. والعمل لا يكون صالحاً إلا إذا توفر فيه شرطان: الإخلاص لله تعالى، ومتابعة الرسول ﷺ، يدل على هذين الشرطين أدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

فمما يدل على وجوب الإخلاص لله تعالى من الكتاب قوله ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

ومن السنة قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»[3].

ومما يدل على وجوب متابعة الرسول ﷺ من الكتاب، قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ

---

(١) أخرجه البخاري في الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر ١٩٣٦، ومسلم في الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ١١١١، وأبوداود في الصوم ٢٣٩٠، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٧/ ٦٣٨.

(٣) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق ٢٩٨٥، وابن ماجه في الزهد ٤٢٠٢ ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ﵟالرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْﵞ [الحشر: ٧]، ومن السنة قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(١).

ويجمع الدلالة على الشرطين مثل قوله تعالى: ﵟوَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًاﵞ [النساء: ١٢٥] أي أخلص العمل لله وهو متبع الرسول ﷺ. وقوله ﵟبَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌﵞ [البقرة: ١١٢] وقوله تعالى: ﵟفَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًاﵞ [الكهف: ١١٠].

ﵟوَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِﵞ قال ابن القيم(٢) «إرشاد إلى منصب الإمامة في قوة الدين، كقوله تعالى: ﵟوَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَﵞ [السجدة: ٢٣٢]. فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين».

ﵟوَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّﵞ «الحق» هو الأمر الثابت الذي لا يسوغ انكاره مما جاء في الكتاب والسنة والمعنى: أوصى بعضهم بعضاً بلزوم الحق والتمسك به، قولاً وفعلاً واعتقاداً، فعلاً للطاعات وتركاً للمنهيات.

ﵟوَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِﵞ أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر، وهو لغة: الحبس والمنع، وشرعاً: حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عما حرم الله» وهو أنواع:- صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة.

وأعلاها الصبر على طاعة الله، ثم الصبر عن معصية الله، ومنه صبر نبي الله يوسف ـ عليه السلام عن الفاحشة. ثم الصبر على أقدار الله ـ ومنه صبر نبينا محمد ﷺ على أذى قومه، وصبر يوسف عليه السلام على فعل إخوته به.

قال ابن القيم(٣): «والصبر نوعان: نوع على المقدور كالمصائب، ونوع على المشروع، وهذا النوع أيضاً نوعان: صبر على الأوامر، وصبر عن النواهي، فذاك صبر على الإرادة والفعل، وهذا صبر عن الإرادة والفعل. فأما النوع الأول من الصبر فمشترك بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، ولا يثاب عليه لمجرده إن لم يقترن به إيمان واختيار، قال النبي ﷺ

---

(١) اخرجه البخاري في الصلح ٢٦٩٧، ومسلم في الأقضية ١٧١٨، وأبوداود في السنة ٤٦٠٦، وابن ماجه في المقدمة ١٤ ـ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ٣٣٠.

(٣) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ٣٣٠ ـ ٣٣١.

في حق ابنته «مرها فلتصبر ولتحتسب»[(١)]، وعلى حسب اليقين بالمشروع يكون الصبر على المقدور، وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]. فمن قل يقينه قل صبره، ومن قل صبره خفّ واستخف، فالمؤمن الصابر رزين،لأنه ذو لب وعقل، ومن لا يقين لـه ولا صبر عنده خفيف طائش، تلعب به الأهواء والشهوات، كما تلعب الريح بالشيء الخفيف، والله المستعان».

وقال ابن القيم أيضاً[(٢)] بعد ما ذكر قول الشافعي: «لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم» قال: «وبيان ذلك أن المراتب أربع باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله: إحداها: معرفة الحق، الثانية: عمله به، الثالثة: تعليمه من لا يحسنه، الرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

فذكر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة، وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة أخرى، وتواصوا بالحق، ووصى بعضهم بعضاً بالصبر عليه والثبات، فهذه مرتبة رابعة، وهذه نهاية الكمال؛ فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكملاً لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه العلمية والعملية، فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره بتعليمه إياه، وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل. فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره. والحمد لله الذي جعل كتابه كافياً عن كل ما سواه، شافياً من كل داء، هادياً إلى كل خير».

الفوائد والعبر:

١ـ أن لله عز وجل أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لقوله ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ وذلك لأن إقسامه عز وجل بما خلق يدل على عظمته هو، فكأنه عز وجل يقول: أقسم بما خلقت. أما المخلوق فلا يجوز أن يقسم بغير الله لأن القسم تعظيم للمقسم به، ولا يجوز ذلك إلا

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز ١٢٨٤، ومسلم في الجنائز ٩٢٣ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ٣٢٥.

لله. قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[١]. وقال ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[٢].

٢ ـ الإشارة إلى ما في العصر وهو الوقت من العبرة والآية، فإن مرور الليالي والأيام والشهور والأعوام وجريان الأفلاك وتعاقب الفصول من أعظم الآيات الكونية، كما أن في ذلك دلالة على أهمية العصر وهو الوقت في حياة الإنسان، لأن الله عز وجل أقسم به للدلالة والتنبيه على أهميته، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

٣ ـ أن كل إنسان خاسر إلا من اتصف بالصفات الأربع المذكورة في السورة لأن الله أقسم بالعصر، أن الإنسان لفي خسر، واستثنى من ذلك من اتصف بالصفات المذكورة.

٤ ـ أن حقيقة الخسران أن يصاب الإنسان في دينه لأن الصفات الأربع المذكورة كلها مما يتعلق بالدين.

٥ ـ أن حقيقة الربح والفوز أن يسلم للإنسان دينه، فكل خسارة أو مصيبة دون ذلك تهون.

٦ ـ وجوب الإيمان والعمل الصالح لقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٧ ـ أنه لا يكفي مجرد الإيمان دون العمل الصالح، لقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، **فالإيمان قول وعمل واعتقاد** وفي هذا رد على المرجئة الذين يقولون يكفي مجرد الإيمان.

٨ ـ أن من شرط قبول العمل أن يكون صالحاً أي: يتوفر فيه الشرطان: الإخلاص لله تعالى، ومتابعة الرسول ﷺ.

٩ ـ وجوب التواصي بلزوم الحق والأخذ به، والتعاون والتناصح في ذلك، لقوله ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾.

١٠ ـ أنه لا يكفي مجرد الإيمان والعمل الصالح بالنفس فقط دون وصية الآخرين به

---

(١) أخرجه أبوداود في الأيمان والنذور ٣٢٥١، والترمذي في النذور والأيمان ١٥٣٥ ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان ٦/ ٢٧٨، والحاكم ١/ ١٨، ٤/ ٢٩٧ ووافقه الذهبي، وانظر «تيسير العزيز الحميد» ص٥٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في الشهادات ٢٦٧٩، ومسلم في الإيمان ١٦٤٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم ١٦٤٨ من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

وحثهم عليه، والتناصح في ذلك والدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون في ذلك.

١١ ـ وجوب الصبر، والتواصي به؛ صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، لقوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾.

١٢ ـ أن من لازم الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق: التواصي بالصبر. فلا يتم الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق إلا بالتواصي بالصبر بأنواعه الثلاثة، فلا يستقيم دين الإنسان إلا بالصبر قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له»[(١)].

وهو نصف الإيمان[(٢)]. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال ﷺ: «ما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»[(٣)].

قال ابن القيم[(٤)] «فالحق هو الإيمان والعمل، ولا يتمان إلا بالصبر عليهما والتواصي بهما. كان حقيقاً بالإنسان أن ينفق ساعات عمره، بل أنفاسه فيما ينال به المطالب العالية ويخلص به من الخسران المبين، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره واستخراج كنوزه وآثاره ودفائنه، وصرف العناية إليه، والعكوف بالهمة عليه، فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد، والموصل إلى سبيل الرشاد».

١٣ـ أن الرابحين حقاً من جمعوا بين الصفات الأربع المذكورة، وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، لقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ فكل إنسان خاسر إلا من اتصف بهذه الصفات.

قال ابن القيم[(٥)]: «وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان وخلق الفاعلين وأفعالهم، وجعلها قسمين خيراً وشراً تأبى أن يسوي بينهم، وأن لا يجازي المحسن بإحسانه والمسيء

---

(١) انظر «تيسير العزيز الحميد» ص٥١٢.

(٢) أخرج أبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «شعب الإيمان»: «أن الصبر نصف الإيمان» انظر «تيسير العزيز الحميد» ص٥١٢.

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٧٠، ومسلم في الزكاة ١٠٥٣ ـ من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه.

(٤) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ٣٢٧.

(٥) انظر «بدائع التفسير» ٥/ ٣٢٩.

بإساءته وأن يجعل النوعين رابحين أو خاسرين، بل الإنسان من حيث هو إنسان خاسر، إلا من رحمه الله فهداه ووفقه للإيمان والعمل الصالح في نفسه، وأمره غيره به، وهذا نظير رده الإنسان إلى أسفل سافلين واستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المردودين».

وقفة تأمل:

أخي المسلم: قف عند كل آية من آيات هذه السورة العظيمة بل عند كل كلمة منها، بل عند كل حرف وتأمل فيها.

تأمل وتفكر، لماذا أقسم المولى عز وجل بالعصر؟ وما هو العصر؟ وما حقيقة الخسارة؟ وما حقيقة الربح؟

واعلم أن الله عز وجل أقسم بالعصر تنبيها وتذكيراً وإشارة ودلالة على أهمية العصر وعظيم قيمته ووجوب حفظه، والعصر هو الزمن، وهو عمر الإنسان، الذي لا يقدر بثمن عند من عرف أن الأمر جد، ليس بالهزل كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

وكما قيل:

قد رشحوك لأمر لو فطنت لـه ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وقال الآخر:

الأمـــر جـــد وهو غير مـزاح ... فاعمل لنفسك صالحاً يا صاح

وعند من عرف قدر الحياة وأنها ميدان التنافس والتسابق والمسارعة للأعمال الصالحة التي فيها السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، كما قال عز وجل: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ونعمت المسابقة والمسارعة والمنافسة ـ والله المستعان ـ.

وقد أحسن القائل:

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه ... فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

فلم يتأخر من أراد تقدماً ولم يتقدم من أراد تأخرا [(١)]

أخي في الله لا يغرك ما عليه كثير من الناس من المنافسة على أمور الدنيا الفانية، والزهد فيما دعاهم الله إليه من المنافسة والمسارعة والمسابقة فيما فيه سعادة الدارين من الأعمال الصالحة، وتأمل قول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [ص: ٢٤].

وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال «لا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين ولا تستوحش من الحق لقلة السالكين»

فخذ أخي في الله نفسك بالجد والمنافسة والمسابقة والمسارعة في الخير، ولا تنس نصيبك من الدنيا، واعلم أن الغبطة حقاً في العمل الصالح، الذي هو صمام الأمان وسر السعادة في الدنيا والآخرة، فاجعل منافستك في ذلك، كن سباقاً إلى المساجد وإلى أداء الواجبات من حقوق الله وحقوق الخلق، كن ورعاً مبتعداً عن محارم الله.وإذا رأيت من ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة».

واعلم وفقك الله أن الغبن في هذا ليس باليسير، بل لا يكاد يوصف، وفرق ما بين الثرى والثريا. وكما قيل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرسٌ تحتك أم حمار

واعلم أن الخسارة في هذا لا تشبهها خسارة، فالخسارة الكبرى والمصيبة العظمى، والكسر الذي لا يمكن جبره أن يصاب الإنسان في دينه فيخسر دنياه وآخرته ونفسه وأهله وولده وماله وكل شيء، كما قال عز وجل: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

واعلم أن الربح في هذا لا يقدر ولا يحد، بل هو سعادة الدنيا والآخرة، نسأل الله تعالى من فضله التوفيق للإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فهذا غاية الربح، وهذا تمام النعمة الذي عناه الله عز وجل بقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾

---

(١) هذان البيتان لابن هانئ، انظر «ديوانه» ص١٤٠.

[البقرة: ١٥٠]، وبقولـه: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]. وهو طريق الذين أنعم الله عليهم النعمة الحقيقية كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

وهو الهداية المنشودة لعباد الله بقولهم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

فقف أخي ـ بارك الله فيك ـ على مفترق هذين الطريقين وتأمل ببصيرة وحضور قلب، وقارن وقلّب الفكر والنظر عسى أن يظهر لك ويتبين البون الشاسع والفرق الواسع فتجتنب طريق أهل الخسران، وتلزم طريق أهل الربح والسعادة والإنعام وما أراك تعدل به طريقا وفقك الله.

واعلم ـ أخي الكريم ـ أن الربح والسعادة مطلب لكل أحد، فكل يسعى بحثاً عن ذلك، لكن المؤسف حقاً ـ كم هم الذين عرفوا طريق السعادة حقاً ـ سؤال يطرح نفسه؟ وجوابه باختصار:

أن السواد الأعظم من الناس جهلوا طريق السعادة، بل طلبوها في غير مظانها فصدق فيهم قول الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس[1]

ففئام من الناس حسبوا الربح والسعادة بالسعي لتحقيق شهوات النفس، وإرخاء العنان لها في ذلك، ولو كان مما حرم الله، كالفجور وشرب الخمور والغناء والمجون ونحو ذلك، وأين لهؤلاء الربح والسعادة، وقد طلبوهما بما يحقق الخسران والشقاوة.

وفئام من الناس حسبوا الربح والسعادة في الانهماك بالمباحات فهم يلهثون وراء جمع المال، وتنويع المآكل والمشارب، واختيار الملابس الأنيقة، والفرش الوثيرة، والمساكن المزخرفة، والمراكب الفاخرة والموضات والموديلات والمخترعات والأسفار والتنقلات بين الدول والبلدان بحثاً عن الأجواء اللطيفة المعتدلة، والحدائق الغناء والمناظر الجميلة والآثار القديمة والملاعب والملاهي ـ وهؤلاء أيضاً أخطؤوا طريق السعادة وحرموا منها، فلم يذوقوا لها طعما.

---

(١) البيت لأبي العتاهية وهو في ديوانه ص١٩٤.

وأقول لأولئك وهؤلاء ولنفسي ولكل من يطلب الربح والسعادة حقاً: أبى الله أن يكون الربح والسعادة إلا بالإيمان والعمل الصالح تحت مظلة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤].

ولله در الحسن البصري رحمه الله حيث قال: «مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا ألذّ ما فيها».

نعم والله إننا مساكين، فما أكثر الذين خرجوا ويخرجون من الدنيا وما ذاقوا ألذّ ما فيها.

وقال رحمه الله: «التمسوا حلاوة الإيمان في ثلاث: في الصلاة، وذكر الله، وقراءة القرآن، فإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(١): «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة».

فليت شعري من ذاق منا تلك اللذّة، لذة الإيمان، ومن دخل منا تلك الجنة جنة التنعم بتلقي أوامر الديان، وخدمته، والتلذذ بمناجاته وعبادته، والتوكل عليه، فهذا غاية الربح ومنتهى السعادة، نسأل الله الكريم من فضله.

فَتَذَوَّق أخي لذة الإيمان، وتنعم بجنة الدنيا بالانقياد للملك الديان وأسلم وجهك لـه، وسلِّم أمرك إليه كما قال عز وجل ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] فإن أخذت بهذا فأبشر فأنت ولدت الآن.

هنا تجد في نفسك محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ومحبة الخير وأهله، هنا تجد محبة المسارعة لأداء الواجبات من حقوق الله وحقوق الخلق، وأعمال البر كلها، هنا تجد الورع عن المحرمات، تجد في الله عوضاً عن كل ما فاتك من الدنيا ولا تأسى على شيء منها، وإنما تحزن على ما فاتك من نصيبك من ربك، تجد قلبك معلقاً بالمساجد، تجد أحلى صوت تسمعه:الله أكبر،تجد أسعد اللحظات في عمرك وقوفك مصلياً تناجي ملك الملوك، أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، المولى العزيز الرحيم، تجد القناعة في نفسك، تجدك لا تحس بالفراغ النفسي لامتلاء قلبك بحب الله وما يقربك إليه. إن طلب الناس السعادة في المساكن والمراكب والمنتزهات وأنواع الشهوات والملذات طلبتها في مناجاة الله، وتدبر

(١) انظر «الوابل الصيب» ١/ ٦٩.

كلامه والقيام بطاعته وأمره، وهذا قمة السعادة.

هنا تجد الأمن، تجد الطمأنينة، تجد الرضى بما قسم الله لك، تجد البركة في العمر ولو كان قصيراً، تجد البركة في الرزق وإن كان مضيقاً، تجد تيسير الله لأمورك، وتسخيره الخلق لك بلا درهم منك لهم ولا دينار، وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من أراد السعادة الأبدية فليزم عتبة العبودية».

وختاماً: فإن من لم يجد السعادة بتلقي أوامر الله وتنفيذها، والحذر من نواهيه والبعد عنها وإسلام الوجه لله، وتسليم الأمر لـه والتوكل عليه فلن يجد للسعادة طعماً ولو حيزت لـه الدنيا بحذافيرها.

تفسير سورة الهمزة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾.

روي أن هذه السورة نزلت في الأخنس بن شريق، وقيل في أُبي بن خلف، وقيل في الوليد بن المغيرة ـ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾

﴿وَيۡلٞ﴾ دعاء وزجر وتهديد ووعيد بالوبال وسوء الحال وشدة العذاب والهلكة والخسارة والخزي، وقيل هو أيضاً اسم واد في جهنم.

قال الشاعر:

إذا خان الأمير وكاتباه وقاضي الأرض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء[1]

﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة: كثير الهمز، واللمزة كثير اللمز، وفي هذا ما يفيد أن الهمز واللمز صارا صفتين ملازمتين له.

والهمز يكون بالفعل بالسخرية من الناس، بالإشارة باليد أو بالعين أو اللسان أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

واللمز يكون بالقول باللسان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

وقيل العكس: الهمز يكون بالقول، واللمز يكون بالفعل، ويكونان في الحضور، وقد يكونان في الغيبة، قال الشاعر:

تدلي بودي إذا لاقيتني كذبا وإن أُغيَّبْ فأنت الهامز اللمزة[2]

قال ابن تيمية[3]: «الهمز أشد، لأن الهمز الدفع بشدة.. ومنه ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ

(١) هذان البيتان للإمام الشوكاني.
(٢) البيت لزياد الأعجم انظر «مجاز القرآن» ٢/ ٣١١، «جامع البيان» ٢٤/ ٦١٦.
(٣) انظر «دقائق التفسير» ٦/ ٣٠٨.

هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، ومنه قول النبي ﷺ «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه، ونفخه، ونفثه» فالهمز مثل الطعن لفظاً ومعنى، واللمز الكذب والعيب».

والمعنى: الهلاك والخسار والعذاب والخزي والبوار لكل من يهمز الناس ويلمزهم بقوله وفعله وإشارته ويطعن فيهم، ويعيبهم، ويأكل لحومهم، وينتقصهم ويزدريهم في حال غيبتهم أو حضورهم.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وروح بتشديد الميم (جمّع) على التكثير، وقرأ الباقون «جمع» بدون تشديد.

أي: جمع المال بعضه على بعض، وركب من أجله كل صعب، واستباح كل محظور، من المعاملات الربوبية المحرمة وغيرها، وبالغ في جمعه حتى حمله ذلك على منع الحقوق الواجبة فيه والمستحبة كما قال تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨]، وقال تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [القلم: ١٢].

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي: بالغ في تعداده وانشغل به تكاثراً وتفاخراً واغتباطاً به، وخوفاً من نقصانه وطمعاً في زيادته كما قال ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»(١).

فحمله حب المال على الحرص على جمعه وتعداده، والبخل به كما حمله الكبر وحب الشرف على انتقاص غيره بالهمز واللمز.

عن حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ قال: «سألت رسول الله فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني. ثم قال: «يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى» قال حكيم: فقلت يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ يدعوان حكيماً إلى العطاء، فيأبى أن يقبله» الحديث(٢).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان لا

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٣٦، ومسلم في الزكاة ١٠٤٩، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري في الزكاة ١٤٧٢، ومسلم ـ مختصراً في الزكاة ١٠٣٥.

يبالي المرء ما أخذ منه المال أمن الحلال أم من الحرام»[١].

وقد قال ﷺ: «إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه...» الحديث[٢].

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي: اعتمد على كثرة ماله، يظن أن ماله يبقيه حياً لا يموت أو يزيد في عمره، ويخلد ذكره، فكان ماله سبباً في طول أمله في الحياة الدنيا، وغفلته عن الآخرة، وما درى أنه بالجمع للمال، وتعداده، ومنع الحقوق فيه، وبهذا الظن يقصف أيام عمره ويقضي على بركته، ويخمل ذكره ولهذا قال ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»[٣].

وفي هذا إشارة إلى أن سبب البركة في العمر، هو العمل الصالح، وأن يكسب المال من حلال ويؤدي حق الله فيه، ولا يشتغل به عن طاعة الله تعالى، وأن يكون كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء»[٤].

فما أبرك عمر من كان هذا شعوره وما أقصر عمر من كان ساهياً لاهياً حتى فاجأه الموت مهما طال عمره في هذه الحياة.

﴿كَلَّا﴾ كلمة زجر وردع له ووعيد وتهديد، ونفي لما توهمه من أن ماله سيخلده، وقد أحسن القائل:

قد نادت الدنيا على نفسها لو كان في العالم من يسمع
كم واثق في العمر أفنيته وجامع بددت ما يجمع[٥]

﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ اللام واقعة في جواب القسم، والتقدير: والله لينبذن في الحطمة.

أي: ليلقين ويطرحن فيها، والنبذ: الإلقاء على سبيل الإهانة. فلم ينفعه ماله الذي كان يجمعه ويعدده، ويظن أنه سيخلده، بل صار زاده إلى النار، كما قال ﷺ لكعب بن

---

(١) أخرجه البخاري في البيوع ٢٠٥٩، والنسائي في البيوع ٤٤٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان ٥٢، ومسلم في المساقاة ١٥٩٩، وأبو داود في البيوع ٣٣٢٩، والنسائي في البيوع ٤٤٥٣، والترمذي في البيوع ١٢٠٥، وابن ماجه في الفتن ٣٩٨٤ ـ من حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٧١ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤١٦، والترمذي في الزهد ٢٣٣٣، وابن ماجه في الزهد ٤١١٤ — من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) البيتان لجحظة البرمكي.

عجرة ـ رضي الله عنه: «إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به»[(١)].

و ﴿ الحطمة ﴾ النار كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، أي: يدفعون إليها بشدة.

وسميت النار الحطمة لأنها تحطم كل ما يلقى فيها حساً ومعنى.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ تفخيم وتهويل وتعظيم لشأنها،و«ما» استفهامية، أي: وما أعلمك ما الحطمة.

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ تفسير لـ «الحطمة».

﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ أضافها عز وجل إليه لزيادة التخويف، أي: نار الله العظيمة التي خلقها وأعدها لتعذيب الكفرة والعصاة عدلاً منه عز وجل، وما ظلمهم ولكن أنفسهم يظلمون.

﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾ أي: المستعرة المشتعلة، التي وقودها الناس والحجارة.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي: التي من شدة حرها وعذابها تشرف على القلوب أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب، التي عليها مدار صلاح الأعمال وفسادها، والتي هي محل الألم المعنوي، فيجمع للمعذبين فيها بين الألم الحسي للأبدان والألم المعنوي للقلوب، والألم المعنوي لا يقل عن الألم الحسي من تحطيم المعنويات والإهانة والتبكيت والتقريع والتوبيخ والتيئيس من الخروج ونحو ذلك.

﴿إِنَّهَا﴾ أي: الحطمة، ﴿عَلَيْهِم﴾ أي: على كل من ألقي ونبذ فيها، من كل همزة لمزة جمّاع للمال معدد له، يظن أنه سيخلده، من الكفرة والعصاة.

﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة مغلقة الأبواب.

قال الشاعر:

تحـــن إلى أجبـــال مكـــة نـــاقتي ومن دونهـا أبـواب صـنعاء موصـدة

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم (في عُمُد) بضم العين والميم. وقرأ الباقون بفتحهما وهي على القراءتين جمع عمود، ومعنى ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ طويلة ممدودة.

والمعنى: أن هذه العمد ممدودة من خلف الأبواب لزيادة الإيصاد وإحكامه عليهم.

(١) أخرجه الترمذي في الجمعة ٦١٤ ـ وقال: «حديث حسن غريب».

وفي هذا إشارة إلى يأسهم من الخروج منها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠].

الفوائد والعبر:

١- إثبات البعث والجزاء على الأعمال لقوله ﴿وَيْلٌ﴾.

٢- الوعيد والتهديد للهمزة اللمزة الذي من صفته همز الناس ولمزهم والطعن فيهم واغتيابهم وتنقصهم بقوله وفعله وإشاراته وحركاته والاغترار بما جمعه من مال، والانشغال به عن طاعة الله ـ تعالى.

٣- التنديد بالمغترين بالمال المنشغلين بجمعه وتعداده عن طاعة الله تعالى، المانعين لحق الله فيه.

٤- وجوب الحذر من فتنة المال، والانشغال به عن طاعة الله تعالى وعبادته وقد قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»[1].

٥- شدة خطر التكالب على جمع المال ومنع حق الله فيه، والانشغال بعده وإحصائه وأنه سبب لنسيان الآخرة، وطول الأمل.

٦- استحالة الخلود في هذه الدار، لقوله ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾.

٧- الزجر والردع لمن كانت هذه صفته همزة لمزة جماعاً للمال معدداً له ظاناً أن هذا المال سيخلده، وبيان أن مصيره أن يلقى ويطرح في النار.

٨- شدة عذاب النار وأنها تحطم كل ما يلقى فيها، وتحطم المعذبين فيها حسياً ومعنوياً.

٩- تأكيد عظم هول النار وشدة خطرها لقوله ﴿ وما أدراك ما الحطمة ﴾.

١٠- أن النار مسعرة موقدة مهيأة لتعذيب الكفرة والعصاة، لقوله: ﴿نار الله الموقدة﴾.

١١- أن عذاب النار كما يؤلم الأجساد حسياً يشرف على القلوب ويؤلمها معنوياً.

١٢- أن النار تطبق وتغلق على من فيها، وتحكم عليهم أبوابها، بوضع العمد من خلفها، تيئيساً لأهلها من الخروج منها أبد الآباد.

---

(١) سبق تخريجه.

تفسير سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾.

قال ابن كثير[(١)]: «هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين قد عزموا على هدم الكعبة، ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة، وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق، الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء».

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ الاستفهام للتقرير، والخطاب للنبي ﷺ ولكل من يصلح له الخطاب، أي: ألم تشاهد وتُخبر وتسمع.

والمعنى: أنك قد رأيت آثار فعل الله بهم وسمعت الأخبار بذلك، وفي هذا امتنان من الله عز وجل عليه ﷺ وعلى أمته، بحفظ بيته وحمايته، وتخويف للمجرمين المكذبين.

قال القرطبي[(٢)]: «كانت قصة أصحاب الفيل فيما بعد من معجزات النبي ﷺ، وإن كانت قبله وقبل التحدي، لأنها كانت توكيداً لأمره وتمهيداً لشأنه، ولما تلا عليهم رسول الله ﷺ هذه السورة كان بمكة عدد كثير ممن شهد تلك الوقعة ولهذا قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ولم يكن بمكة أحد إلا وقد رأى قائد الفيل وسائقه أعميين يتكففان الناس، وقالت عائشة رضي الله عنها مع حداثة سنها: لقد رأيت قائد الفيل وسائقه أعميين يستطعمان الناس».

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ الاستفهام كسابقه للتقرير وكيدهم هو مكرهم وتدبيرهم السيء في السر والعلن لصد الناس عن الحرم وسعيهم لهدم الكعبة.

﴿فِى تَضْلِيلٍ﴾ أي: في ضياع وبطلان وخيبة وخسران وضلال كما قال تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) في «تفسيره» ٨/ ٥٠٢.

(٢) في «الجامع لأحكام القرآن» ٢٠/ ١٩٥.

﴿كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [غافر: ٢٥].

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أبابيل، أي: جماعات يتبع بعضها بعضاً، وهي طيور سود بحرية أمثال الخطاطيف، كل طير يحمل ثلاثة أحجار، واحد في منقاره واثنان في رجليه.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ السجيل: الشديد الصلب، وهي حجارة من طين محرّق حتى تحجر، مكتوب على كل حجر اسم صاحبه، كما قال تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً﴾ [الذاريات: ٣٣، ٣٤].

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ العصف: ورق الزرع الذي لم يقضب، أي: «التبن»، أو ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته فصار دريناً وألقته الرياح هنا وهناك.

قال ابن كثير[1]: «المعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرا، وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح، وكما جرى لملكهم أبرهة فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء، وأخبرهم بما جرى لهم، ثم مات».

وخلاصة قصة أصحاب الفيل:

أن أبرهة الأشرم ملك اليمن آنذاك أرسل إلى النجاشي ملك الحبشة يقول له: إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها، فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء، عالية الفناء، مزخرفة الأرجاء، سمتها العرب «القلّيس»، لارتفاعها، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها، وعزم أبرهة الأشرم على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً حتى قصدها بعضهم، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً فأحدث فيها وكر راجعاً، فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة، وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجراً حجرا، وقيل إن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها ناراً، وكان يوماً فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت إلى الأرض، فتأهب أبرهة لذلك وسار في جيش عرمرم لئلا يصده أحد عنه، واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة لم ير مثله، يقال له «محمود» وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة

---

(١) في «تفسيره» ٨/ ٥٠٩.

لذلك ويقال: معه ثمانية أفيال، وقيل: اثنا عشر فيلاً، وقيل: غير ذلك، لأجل أن يهدم الكعبة، بأن يجعل السلاسل في الأركان وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة، فلما سمع العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً، ورأوا أن حقاً عليهم المحاجبة دون البيت، ورد من أراده بكيد، فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له «ذو نفر» فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله من هدمه وخرابه، فأجابوا وقاتلوا أبرهة، فهزمهم لما يريده الله عز وجل من كرامة البيت وتعظيمه، وأسر «ذو نفر» فاستصحبه معه، ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه فقاتلوه فهزمهم أبرهة، وأسر «نفيل بن حبيب» فأراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز، فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذي عندهم الذي يسمونه «اللات» فأكرمهم وبعثوا معه «أبارغال» فلما انتهى أبرهة إلى المغمس وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه، وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب، وبعث أبرهة حناطة الحميري، وأمره بأن يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجيء لقتالكم، إلا أن تصدوه عن البيت، فدل على عبد المطلب بن هاشم، وبلغه عن أبرهة ما قال فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلّ بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه، فقال له حناطة: فاذهب معي إليه فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجلَّه، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريره، وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه قل له ما حاجتك؟، فقال للترجمان إن حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني عن مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟!، فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً يمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك.

ويقال إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم، ورد أبرهة على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب إلى قريش، فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن في رءوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر

من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاْهُـــــمَّ إن المـــــرء يمــــــــ ... نـــع رحلـــه فـــامنع حِلالـــك

لا يغلـــــبنَّ صـــــليبُهم ... ومِحـــالُهم غـــدْواً مِحالـــك

وذُكر أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق فينتقم الله منه، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله، وعبأ جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال: «ابرك محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام» ثم أرسل أذنه فبرك الفيل، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطبرزين، وأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه – أي: أدموه – ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق، ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق، هذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة، وجعل نفيل يقول:

أيـــن المفـــر والإلـــه الطالـــب ... والأشـــرم المغلـــوب لـــيس الغالـــب

ويقول من أبيات عدة:

حمـــدت الله إذ أبصـــرت طـــيراً ... وخِفْـــتُ حجـــارة تلقـــى علينـــا

فكـــل القـــوم يســـأل عـــن نفيـــل ... كـــأن علـــيّ للحبشـــان دينـــا

فمنهم من هلك مكانه، ومنهم من هرب وجعل يتساقط عضواً عضواً وغنم أهل

فمنهم من هلك مكانه، ومنهم من هرب وجعل يتساقط عضواً عضواً وغنم أهل مكة ما معهم من ذهب وأموال وغير ذلك(١).

الفوائد والعبر:

١- امتنان الله عز وجل على النبي ﷺ وعلى أمته بحفظ بيته العتيق وحمايته.

٢- تسلية الرسول ﷺ عما يلاقيه من تكذيب قومه.

٣- التخويف والتحذير للمكذبين والمجرمين.

٤- إثبات ربوبية الله ـ عز وجل ـ الخاصة لنبيه ﷺ.

٥- وجوب التأمل والاعتبار في آيات الله الكونية وعقوباته لأعدائه المجترئين على حرماته.

٦- شدة أخذ الله وانتقامه وأليم عقابه فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

٧- شدة اجتراء بعض الخلق على حرمات الله ومحادة الله تعالى والإفساد في الأرض فهذا أبرهة أراد هدم بيت الله الحرام فأبطل الله كيده، وقبله فرعونٍ كابرٍ بما هو أشد من ذلك فادعى الربوبية والألوهية ـ تعالى الله عما يقول ويفعل الظالمون علواً كبيرا.

٨- أن كيد الكافرين والفاسقين وأهل المحادة لله عز وجل ومدبري السوء والشر في ضلال وبطلان وبوار وخسران.

٩- قدرة الله تعالى التامة، وعظيم سلطانه وتسخيره ما شاء من المخلوقات لنصرة الحق والدفاع عن حرماته عز وجل فامتناع الفيل من التوجه نحو مكة بقدرة العزيز الحكيم وبقدرته عز وجل العظيمة سلط عليهم طيرا أبابيل ترميهم بهذه الحجارة التي كان بها هلاكهم.

١٠- عظم حرمة الكعبة والبيت الحرام قبل الإسلام وبعده فما قصه الله علينا في هذه السورة من إهلاك أصحاب الفيل دليل على عظمة هذا البيت وحماية الله له ودفاعه عنه منذ أن بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ولا تزال حرمة هذا البيت إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج: ٢٥]، وقال ﷺ: «**إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب**»(٢).

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ٨/٥٠٣ – ٥٠٧. وانظر «جامع البيان» ٢٤/ ٦٣٥ – ٦٤٣ «تاريخ الأمم والملوك» ٢/١٣٦ – ١٣٨، «سيرة ابن هشام» ١/٥١ – ٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في اللقطة ٢٤٣٤، ومسلم في الحج ـ تحريم مكة وصيدها ١٣٥٥، وأبو داود في المناسك ٢٠١٧، وابن ماجه في الديات ٢٦٢٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تفسير سورة قريش

روي عن أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: «فضَّل الله قريشاً بسبع خلال: أني منهم، وأن النبوة فيهم، والحجابة والسقاية فيهم، وأن الله نصرهم على الفيل، وأنهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن ثم تلاها رسول الله ﷺ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش ﴾ إلى آخر السورة»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ «إيلاف»: مصدر يقال: آلف الشيء يؤالفه إيلافاً. ويقال ألف المكان يألفه إلفاً وإلافاً؛ إذا اعتاده وألفه، وزالت الكلفة عنه، والنفرة منه.

قرأ ابن عامر: «لإلف قريش» وقد جمعها من قال:

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف[2]

وقرأ أبو جعفر (ليلاف قريش)، وقرأ الباقون (لإيلاف).

والجار والمجرور (لإيلاف) متعلق بمحذوف، تقديره: اعجبوا لإيلاف قريش فاللام لام التعجب.

أي: اعجبوا لإيلاف قريش، ونعمتي عليهم في ذلك، يؤيد هذا إجماع المسلمين على أن سورتي الفيل وقريش كل منهما سورة مستقلة عن الأخرى.

وقيل تقديره: حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ فكأن السورة على هذا متعلقة بسورة «الفيل» فسورة الفيل وما جاء فيها تعليل لهذه السورة وما جاء فيها، وهما في مصحف أبي بن كعب رضي الله عنه سورة واحدة بلا فصل.

أي: أهلكنا أصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم واستقامة مصالحهم وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، وفي الصيف للشام لأجل التجارة والمكاسب.

والأظهر المعنى الأول، ولا مانع من حمل الآية على المعنيين.

---

(١) أخرجه البيهقي في الخلافيات – فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥١٣.

(٢) انظر «الكشاف» ٤/ ٢٣٥، «لسان العرب» مادة «ألف».

وقيل: متعلق بقوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين.

وقريش: ولد النضر بن كنانة، وهم قبائل شتى، وسموا قريشاً بتصغير القرش بدابة في البحر عظيمة، تعبث بالسفن، ولا تطاق إلا بالنار.

وقيل: سموا بذلك من القرش وهو الكسب، لأنهم كانوا يضربون في الأرض طلباً للكسب، قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[(١)].

ومعنى ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ لأجل إيلاف قريش، أي: إلفهم واعتيادهم هتين الرحلتين لقوله بعد هذا ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ فقوله: ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ بدل من قوله ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ومفسر له و«رحلة» مفعول به منصوب: لإيلافهم، وفيه تفخيم لأمر الإيلاف وتذكير بعظيم النعمة فيه.

أي: لإيلافهم وإلفهم واعتيادهم رحلة الشتاء إلى اليمن لدفء جوها في الشتاء ورحلة الصيف إلى الشام لبرودة جوها في الصيف، وذلك في تجاراتهم وتنقلاتهم فهم آمنون في سفرهم ومقامهم لحرمة الحرم وأهله.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أي: شكراً لله عز وجل على هذه النعمة العظيمة عليهم وتأمينهم في مقامهم وأسفارهم بحرمة الحرم يجب أن يعبدوه وحده كما ذكر الله عز وجل عن نبيه ﷺ أنه قال: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٩١].

والعبادة لغة: التذلل والخضوع والتواضع. يقال: طريق معبد، أي: مذلل.

وهي شرعاً: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وتشمل فعل الواجب والمندوب، والمباح مع حسن النية والقصد، وكذا ترك المحظور والمكروه.

والرب: الخالق المالك المدبر، فرب البيت بمعنى: خالقه ومالكه والمتصرف فيه.

ورب كذا أيضاً بمعنى صاحبه كما قال عز وجل ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] أي: صاحب العزة.

والبيت: المراد به الكعبة والبيت الحرام، والبيت في الأصل: ما يقوم على أركان،

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل ٢٢٧٦، والترمذي في المناقب ٣٦٠٥ ـ من حديث واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه.

وأشار إليه بإشارة القريب «هذا» للتعظيم.

﴿ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ الذي: صفة لـ«رب» في قوله ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ وهي صفة كاشفة، لأن إطعامهم من جوع من معاني ربوبيته، ومن تدبيره وتصريفه لهم، والمعنى: أنه منّ عليهم بالرزق والمطاعم.

والجوع: هو المخمصة، وخلو البطن من الطعام، يعقبه الموت، وقد استعاذ منه النبي ﷺ بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع»(١).

فالجائع لا يستطيع العمل لدينه ولا لدنياه.

﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ معطوف على ما قبله. أي: أنه عز وجل منّ عليهم بنعمة الأمن وعدم الخوف في مقامهم وأسفارهم بسبب حرمة الحرم، فهم في الحرم آمنون لحرمة الحرم، وإذا خرجوا في أسفارهم أمنوا لأنهم أهل الحرم، والأمن سبب للرزق فمّن الله عز وجل عليهم بإطعامهم من الجوع وقاية لهم من الهلاك في أمر باطن، وأمّنهم من الخوف وقاية لهم من الهلاك بأمر ظاهر.

وذلك بسبب دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وفي تنكير «جوع» و«خوف» إشارة إلى شدة ما كانت عليه قريش من الجوع والخوف، وأعظم بهما من مصيبتين لا تقل إحداهما عن الأخرى، لأن الجائع والخائف كل منهما لا يستطيع العمل لدينه ولا لدنياه، والخوف سبب للجوع، والجوع سبب للموت، لهذا امتن الله عز وجل على قريش بهتين النعمتين العظيمتين اللتين هما سبب الاستقرار والحياة، والعمل الديني والعمل الدنيوي، وهما الرزق والمطاعم للأبدان، والأمن على الدماء والأعراض والأموال في الأسفار والأوطان، كما قال عز وجل: ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾ [المائدة: ٩٧]، فبذلك تقوم أمور دينهم ودنياهم وكما قال عز وجل: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٤٧، والنسائي في الاستعاذة ٥٤٦٨، وابن ماجه في الأطعمة ٣٣٥٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وعنه ﷺ قال: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[(١)].

ولا يعرف قدر هتين النعمتين إلا من فقدهما.

ويفهم من قوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ أن من لم يقيد هتين النعمتين بعبادة الله عز وجل وشكره عليهما فإنه عرضة لزوالهما، إذ بالشكر تدوم النعم وبالكفر تزول وتحل النقم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

الفوائد والعبر:

١- التذكير بنعم الله عز وجل ولفت الأنظار إلى النظر والتفكر في ذلك للقيام بما يجب تجاهه.

٢- أن من نعم الله تعالى وأفضاله على قريش أن يسر لهم الرزق وأسبابه بأمنهم في مقامهم وفي أسفارهم.

٣- انقسام السَّنة إلى شتاء وصيف لقوله: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ يقال: طلوع الثريا أول الصيف وستة أشهر بعده صيف، وبعد الستة الشتاء.

٤- جواز التنقل والاختيار في التجارات والأعمال والحاجات حيث الجو المناسب برودة ودفئاً لأن الله امتن على قريش بإيلافهم هاتين الرحلتين وأقرهم على ذلك.

٥- وجوب شكر نعمة الربوبية، نعمة الخلق والرزق والأمن وغير ذلك، بالعبودية لله تعالى وطاعته.

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٤٦، وابن ماجه في الزهد ٤١٤١ من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

٦- وجوب إخلاص العبادة لله تعالى وحده لقوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ أي: وحده دون سواه.

٧- شرف البيت وفضله، والامتنان على قريش به، لأن الله خصه هنا بالربوبية فقال: ﴿رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ مع أنه عز وجل رب كل شيء، لكن ربوبيته عز وجل للبيت من الربوبية الخاصة.

٨- أن المستحق للعبادة هو الرب الخالق المالك المدبر مطعم عباده من الجوع، ومؤمنهم من الخوف، دون سواه لقوله ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

٩- أن كل ما يتمتع به الخلق من الرزق والأمن وغير ذلك من النعم التي لا تحصى كل ذلك من الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

١٠- عظم نعمة الرزق والإطعام من الجوع، ونعمة الأمن ولهذا خصهما سبحانه وتعالى بالذكر وامتن عليهم بذلك فقال: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص: ٥٧] فلك اللهم الحمد والشكر على نعمة الرزق والإطعام والأمن في الأوطان، وعلى سائر نعمك الظاهرة والباطنة.

تفسير سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

قوله ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ الهمزة للاستفهام أي: هل عرفت، والخطاب للنبي ﷺ ولكل من يصلح له.

﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: الذي ينكر البعث والمعاد والحساب والجزاء على الأعمال بالثواب والعقاب كما قال عز وجل ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩].

ولهذا سُمي يوم القيامة «يوم الدين» كما في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، لأن الناس فيه يدانون ويجازون بأعمالهم.

ثم بين صفة هذا المكذب بالدين فقال: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: فذلك الذي يدفع اليتيم بعنف وشدة وغلظة، ويقهره ويظلمه ولا يرحمه، ولا يحسن إليه ولا يعطف عليه، قد نزعت الرحمة من قلبه والعياذ بالله.

و«اليتيم» هو من مات أبوه وهو دون البلوغ، قال ﷺ: «لا يتم بعد احتلام»[١]. فهو بحاجة إلى من ينفق عليه ويدافع عنه ويربيه، ويرعى حقوقه، وبخاصة عندما يطغى الظلم والأنانية، ولهذا عظم الشرع حق اليتيم، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٩]، وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» وذكر منهن «أكل مال اليتيم»[٢].

وقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى، وفرج بينهما»[٣].

---

(١) اخرجه أبو داود في الوصايا ٢٨٧٣ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الوصايا ٢٧٦٧، ومسلم في الإيمان ٨٩، وأبو داود في الوصايا ٢٨٧٤، والنسائي في الوصايا ٣٦٧١ - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في الطلاق ٥٣٠٤، وأبو داود في الأدب ٥١٥٠، والترمذي في البر والصلة ١٩١٨ - من حديث =

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: ولا يحث غيره، ولا يبعث أهله على طعام المسكين كقوله ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨]، وإذا كان لا يحث على طعام المسكين فمن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين، لأن الإطعام والإنفاق أثقل على النفوس وقد قال قائل المشركين فيما حكى الله عنهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧].

والمسكين: هو من لا يجد شيئاً أو من لا يجد كفايته، مأخوذ من السكون وهو اللصوق بالأرض وعدم الحركة لأن الفقر أسكنه وأذله، وبخاصة عندما يقاس الناس بالدرهم والدينار فهو إن تكلم لم يسمع كلامه، وإن سمع لم يصدق، كالمريض بين الأصحاء وما به من مرض حاله بين الناس كما قال الشاعر:

إذا قل مال المرء قل صحابه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً ... أقدامه خير له أم وراؤه

وإن غاب لم يشتق إليه خليله ... وإن مات لم يسرر صديقاً بقاؤه(١)

وقد عظم الإسلام حق المساكين والفقراء، وجعل لهم نصيباً من الزكاة، كما قال تعالى في سورة التوبة ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [الآية: ٦٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «كالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر»(٢).

فوصف عز وجل المكذب بالدين بأنه ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ لأن أداء الحقوق وإنفاق المال في سبيل الله محزّ عظيم، به يعرف الصادق من الكاذب، وقوة الإيمان وضعفه فكم من إنسان يهمهم في المساجد ويحوقل، ولكنه لا ينصف من نفسه ويعتدي على الآخرين ويأكل حقوقهم، ويمنع ما في المال من حقوق واجبة أو مستحبة، والدين إنما هو: إحسان في عبادة الله عز وجل، وإحسان إلى عباد الله

=

سهل بن سعد رضي الله عنه.

(١) الأبيات لأبي حيّان التوحيدي، انظر «ديوانه» ص٢٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في النفقات ٥٣٥٣، ومسلم في الزهد ٢٩٨٢، والنسائي في الزكاة ٢٥٧٧، والترمذي في البر والصلة ١٩٦٩، وابن ماجه في التجارات ٢١٤٠.

بأداء حقوقهم ونفعهم.

وقد قال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٢).

﴿فَوَيْلٌ﴾ ويل: بمعنى هلاك وحسرة وزجر ووعيد وتهديد وعذاب، ويقال أيضا: هو اسم واد في جهنم(٣).

﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾ أي: الذين يصلون.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: «عن صلاتهم» ولم يقل «في صلاتهم»؛ لأن السهو في الصلاة ليس أمراً اختيارياً، ومما لا يمكن التحرز منه تماماً، وقد وقع منه ﷺ فغيره من باب أولى، ولهذا رُوِيَ عن أنس وعطاء بن دينار رضي الله عنهما أنهما قالا: «الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل (في صلاتهم)»(٤).

ومعنى ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي: عن صلاتهم غافلون، غير مبالين بها، إما بتركها أحياناً كفعل المنافقين يصلون أمام الناس ويتركونها إذا خلوا كما قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز ١٢٨٤، ومسلم في الجنائز ٩٢٣، وأبو داود في الجنائز ٣١٢٥، والنسائي في الجنائز ١٨٦٨ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب ٤٩٤١، والترمذي في البر والصلة ١٩٢٤ – وقال الترمذي «حديث حسن صحيح».

(٣) جاء في الأثر ان جهنم تستعيذ منه في اليوم أربعمائة مرة أعد للمرائين، أخرجه الطبراني في الصغير ٢/ ١٤٧، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥١٥.

(٤) ذكره عن أنس الزمخشري في «الكشاف» ٤/ ٢٣٦، وذكره عن عطاء بن دينار ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥١٤، وأخرج بعضه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٦٦٤ عن عطاء.

(٥) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ٥٤٩، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ٦٢٢، وأبو داود في الصلاة ٤١٣، والنسائي في المواقيت ٥٠٩، والترمذي في الصلاة ١٦٠.

وإما بتأخيرها عن وقتها المحدد لها شرعاً، أو بالتهاون بأدائها بشروطها وأركانها وواجباتها على الوجه المأمور به، وعدم الخشوع وحضور القلب لما يتلى فيها، أو تأخيرها إلى أن يضيق وقتها، أو إلى وقت الضرورة، ونحو ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ أي: يقصدون الرياء في أعمالهم، فيعملون العمل ويحسّنونه ليراهم الناس فيثنوا عليهم كما قال تعالى في المنافقين: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وفي الحديث عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من سمّع الناس بعمله سمّع الله به وحقره وصغره»[(١)].

والرياء أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ولهذا قال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال الرياء»[(٢)].

وقال ﷺ في الدعاء: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً ونحن نعلم ونستغفرك لما لا نعلم»[(٣)].

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ أي: ويمنعون العارية المعتادة بين الناس بخلاً منهم، كالقدر والفأس، والدلو والميزان والإبرة والكتاب وغير ذلك من الأمتعة التي يتعاطاها الناس، بل ويمنعون الحق الواجب كالزكاة.

قال عكرمة: «رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والإبرة»[(٤)].

وقال محمد بن كعب: «الماعون: المعروف»[(٥)].

وقال الحسن: «هو المنافق الذي يمنع زكاة ماله، فإن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها»[(٦)].

قال ابن كثير[(٧)]: «أي: لا أحسنوا في عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢١٢.
(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٤٢٩ من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٤٠٣ ـ من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٢٤٦٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٢٤٦٩.
(٦) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٦٧.
(٧) في «تفسيره» ٨/ ٥١٦.

القربات أولى وأولى».

الفوائد والعبر:

١- تقرير وإثبات البعث والجزاء على الأعمال لقوله ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾.

٢- أن الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال من أعظم ما يحمل الإنسان على الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباده لقوله ﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ﴾ إلى آخر السورة، ولهذا يقرن الله عز وجل بين الإيمان به سبحانه والإيمان باليوم الآخر، لأن اليوم الآخر من أعظم ما يحمل على الامتثال حيث فيه الجزاء على الأعمال، ولهذا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لولا الإيمان باليوم الآخر لرأيت من الناس غير ما ترى».

٣- أن من صفات المكذب بالدين أنه يدفع اليتيم ويظلمه ولا يؤدي حقه.

٤- أن من صفات المكذب بالدين أنه لا يحض على طعام المسكين.

٥- الحث على العناية باليتيم وأداء حقوقه، وإطعام المسكين والإحسان إليه، لأن ذلك من صفات المصدقين بوعد الله.

٦- حفظ الدين الإسلامي لحقوق اليتامى والمساكين والضعفاء، وتعظيمه لخطر الاعتداء على حقوقهم ضماناً لها ودفاعاً عنها، ولهذا رتب على الاعتداء عليها أعظم الوعيد.

٧- الوعيد الشديد للذين يتهاونون بالصلاة، وأن ذلك من صفات المكذبين بالدين.

٨- الحث والترغيب على أداء الصلاة على الوجه الأكمل، وكذا سائر العبادات لأن ذلك من صفات المؤمنين المصدقين بوعد الله.

٩- وجوب الإخلاص لله والحذر من الرياء لأنه من صفات المكذبين بالدين والمنافقين.

١٠- التحذير من منع الحقوق الواجبة والمستحبة كالزكاة والصدقة والعارية، وأن ذلك من صفات المكذبين بالدين.

١١- الحث على فعل المعروف والإحسان بعد أداء الواجب، لأن هذا من صفات المؤمنين المصدقين بوعد الله، وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على

مسلم أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولئن أمشي في حاجة أخي أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد ـ يعني مسجد المدينة ـ شهراً»[1].

١٢- أن المطلوب من المسلم أمران هما: الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى عباد الله فقد بدأت السورة بذكر الإحسان إلى عباد الله كاليتيم والمسكين ثم ذكرت الإحسان في عبادة الله والإخلاص فيها وبخاصة الصلاة التي هي عمود الدين وحذرت من الرياء ثم ختمت السورة بالحث على الإحسان إلى عباد الله بأنواع الإحسان من أداء الزكاة والعارية.. الخ، وكأن السورة تشير إلى أن أهل الإحسان إلى عباد الله هم أهل الإحسان في عبادة الله في الصلاة وغيرها وفي الحديث: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[2].

فتأمل أخي المسلم هذين المحورين الذين تركزت عليهما معاني هذه السورة واعلم أن القرآن كله بل التشريع كله بما فيه الكتاب والسنة يدور عليهما واغتنم أيام عمرك دائراً بين الإحسان في عبادة الله عز وجل؛ إخلاصاً له سبحانه وتعالى، ومتابعة لرسوله ﷺ، وبين الإحسان إلى عباد الله بأداء حقوقهم الواجبة والمستحبة، وأبشر بالخير إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ٨٤.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب ٤٨١١، والترمذي في البر والصلة ١٩٥٤ – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تفسير سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾.

عن يزيد بن رومان قال: «كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: دعوه فإنه رجل أبتر، لا عقب له، إذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله هذه السورة»(١).

قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ «إنا» تكلم عز وجل عن نفسه بضمير العظمة، لأنه سبحانه وتعالى هو العظيم لما له من صفات الكمال والجلال في ذاته وفي ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته كما قال سبحانه عن نفسه ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، الشورى: ٤].

﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ أي: آتيناك ﴿الكوثر﴾ الخير الكثير.

أي: إنا أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومنه النهر والحوض الذي ترد عليه أمته، كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: «بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً قلنا ما أضحكك يا رسول الله؟، قال: أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟، قلنا الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك»(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: الكوثر»(٣).

وجاء في بعض روايات حديث أنس رضي الله عنه: «ماؤه أشد بياضاً من اللبن

---

(١) أخرجه ابن إسحاق – انظر «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٣٩٣، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٦٩٨.
(٢) أخرجه مسلم في الصلاة، ٤٠٠، والنسائي في الافتتاح ٩٠٤، وأحمد ٣/ ١٠٢.
(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة الكوثر ٤٩٦٤، ومسلم في الإيمان ١٦٢، وأبو داود ٤٧٤٨، وأحمد ٣/ ٢٤٧، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٦٨٥ – ٦٨٩.

وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد نجوم السماء»[٢].

وجاء في وصفه: طوله شهر وعرضه شهر، وأن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

وعن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: «هو الخير الذي أعطاه الله إياه»، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال: «النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه»[٣].

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكوثر: نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل»[٤].

ومن الكوثر، وهو الخير الكثير: اصطفاؤه ﷺ للرسالة، ورفع ذكره، وشرح صدره، قال عز وجل: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الانشراح: ١ -٤].

ومنه ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأعطيت الشفاعة، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»[٥].

وقدم الضمير (نا) من «إنا» وبنى عليه الفعل للدلالة على أن هذا العطاء منه عز وجل خاصة، وأكد ذلك بحرف التوكيد «إن»، وحذف موصوف الكوثر على طريق الاتساع والتعميم ليعم كل خير.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٢٠ - ٢٢١، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٦٨٨ - ٦٨٩.
(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الكوثر ٤٩٦٥.
(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة الكوثر ٤٩٦٦.
(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٦٧٩ - ٦٨٠ وإسناده صحيح.
(٥) أخرجه البخاري في التيمم - باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ ٣٣٥، ومسلم في - المساجد ومواضع الصلاة ٥٢١.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ الفاء للتعقيب، أي: فشكراً لربك على ما أعطاك من الخير الكثير في الدنيا والآخرة صل له الصلوات الخمس المكتوبة وصلاة العيد وصلاة النوافل وغيرها،وانحر هديك وأضحيتك له وباسمه عز وجل بعد صلاة العيد. والنحر يكون للإبل، والذبح لغيرها.

أي: أخلص لله تعالى في صلاتك ونحرك ولا تبال بمن يتعبد لغير الله فيسجد لغير الله وينحر لغير الله.

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وكان ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه، ويقول: «من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له»[(١)].

وقد جعل الله عز وجل قرة عينه ﷺ وراحة بدنه في الصلاة[(٢)].

وفي حديث جابر رضي الله عنه: «أنه ﷺ أهدى في حجة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثاً وستين بيده الشريفة»[(٣)].

وفي قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ إشارة إلى أنه ينبغي عليك أن لا تتأسف على شيء من الدنيا، واترك الالتفات إلى الناس، ولا تبال بما ينالك منهم وعليك بالاعتصام بالله، والصلاة والنسك له، وفيها التعريض بحال الأبتر الشاني الذي صلاته ونسكه لغير الله.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ استئناف فيه تعليل للأمر بالإقبال على الصلاة لربه والنحر له وعبادته وحده وعدم المبالاة بشانئه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المُنْبَتر من قومه؟ يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحج،

---

(١) أخرجه البخاري في الجمعة ٩٥٥، ومسلم في الأضاحي ١٩٦١، وأبو داود في الضحايا ٢٨٠٠، وأحمد ٤/ ٣٠٣ - من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة» أخرجه النسائي في عشرة النساء ٣٩٣٩.

(٣) أخرجه البخاري في الحج ١٥١٦، ومسلم في الحج ١٢١٨، وأبو داود في المناسك ١٧٨٧، والترمذي في الحج ٨١٧.

وأهل السدانة وأهل السقاية، فقال: أنتم خير منه قال: فنزلت إن شانئك هو الأبتر»(١).

وقيل: نزلت في أبي لهب، وقيل: في أبي جهل.

ومعنى ﴿شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك يا محمد، والشنآن: هو البغض الشديد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨].

﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ مقطوع الأثر والذكر.

والمعنى: إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق هو مقطوع النسل والأثر والذكر، المقطوع عن كل خير، فلا تباله، وفي هذا تثبيت لقلبه ﷺ وتقوية له، وقد أكد عز وجل هذا له بعدة مؤكدات: «إن»، وضمير الفصل «هو»، وتعريف الخبر، وكونه على وزن «أفعل» التفضيل.

الفوائد والعبر:

١- إثبات العظمة لله عز وجل لقوله عن نفسه (إنا) بضمير العظمة.

٢- عظم ما أعطاه الله لرسوله ﷺ وأكرمه به وما وعده به من الخير الكثير لقوله ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

٣- إثبات الحوض المورود الذي أعطيه ﷺ في الجنة لقوله ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ وقد فسره ﷺ بالحوض المورود في الجنة.

٤- أن العطاء والمنع من الله عز وجل فهو المعطي والمانع، رب جميع الخلق؛ خالقهم ومالكهم ومدبرهم ورازقهم، فيجب التوجه بالسؤال إليه لا إلى غيره، كما قال عز وجل ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

٥ ـ إثبات وإظهار كبريائه عز وجل وعلو شأنه وعز سلطانه يؤخذ هذا من الإظهار بدل الإضمار في قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ ولم يقل ﴿فصل لي﴾.

٦ـ تشريفه ﷺ بخطاب الله ـ عز وجل له، وربوبيته الخاصة له وتكريمه، والامتنان عليه بذلك.

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٧٠٠، والبزار في مسنده فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥٢٥ قال ابن كثير «إسناده صحيح».

٧- وجوب الإخلاص لله تعالى في جميع العبادات البدنية والمالية من الصلاة والنسك وغير ذلك لقوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

٨- عدم جواز الأضحية قبل صلاة العيد لقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ وعن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، من فعله فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء، فقام أبو بردة بن نيّار، وقد ذبح، فقال: إن عندي جذعة، فقال: اذبحها، ولن تجزي عن أحد بعدك، فمن ذبح بعد الصلاة تم نسكه، وأصاب سنة المسلمين»(١).

٩- أن الأبتر مقطوع الأثر والذكر، المقطوع من كل خير هو من أبغض رسول الله ﷺ وما جاء به من الحق، لقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

١٠- دفاع الله عز وجل عن رسوله ﷺ وعنايته به وبأوليائه عز وجل كما قال عز وجل ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

١١- أن العاقبة للتقوى وأن الفوز والفلاح لأولياء الله عز وجل، وأن الخيبة والخسران والبوار لأعداء الله وأعداء رسله.

---

(١) أخرجه البخاري في الأضاحي ٥٥٤٥، ومسلم في الأضاحي ١٩٦١، وأبو داود في الضحايا ٢٨٠٠، والنسائي في صلاة العيدين ١٥٦٣.

تفسير سورة الكافرون

تسمى هذه السورة أيضاً مع سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورتي الإخلاص لأن في كل منهما الأمر بإخلاص العبادة لله عز وجل والبراءة من الشرك.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قرأ بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وبـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعتي الطواف»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر»[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما «أن الرسول ﷺ يقرأ بهما في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب»[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «نعم السورتان هما تقرؤونهما في الركعتين قبل الفجر ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الوتر بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعة واحدة»[5].

وعن فروة بن نوفل رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي، قال: «اقرأ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ فإنها براءة من الشرك»[6].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ (٦)﴾.

رُويَ أن المشركين طلبوا من الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدون إلهه سنة فأنزل الله هذه السورة كما قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [ن: ٩].

---

(١) أخرجه مسلم في الحج - حجة النبي ﷺ ١٢١٨، وأبو داود في المناسك ١٩٠٥، والنسائي في مناسك الحج ٢٩٦٣، والترمذي في الحج ٨٦٩، وابن ماجه في المناسك ٣٠٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ٧٢٦، والنسائي في الافتتاح ٩٤٥، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١١٤٨.

(٣) أخرجه النسائي في الافتتاح - القراءة في الركعتين بعد المغرب ٩٩٢.

(٤) أخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة ١١٥٠، والدارمي في الصلاة ١٤٣٩.

(٥) أخرجه النسائي في قيام الليل ١٧٠٢، ١٧٠٣، والترمذي في الصلاة ٤٦٢، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١١٧٢.

(٦) أخرجه أبو داود في الأدب ٥٠٥٥، والترمذي في الدعوات ٣٤٠٣.

قوله: ﴿قُلْ﴾ الأمر للنبي ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ «يا» حرف نداء، و «أي» منادى مبني على الضم في محل نصب، لأن المنادى منصوب على أنه مفعول و«الكافرون» صفة لأي، أو بدل منها.

والكافرون: جمع كافر، والكفر لغة: الستر والتغطية والجحود، ومنه سُميَ الزارع كافراً، لأنه يستر البذر ويغطيه في الأرض، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠]، ومنه سميت الكفارة كفارة، لأنها تستر الذنب وتغطيه، وسُمي الليل كافراً لأنه يستر الكون بظلامه، وسُمي وعاء طلع النخل كفراً وكافوراً لأنه يستر الطلع بداخله.

فالكافرون: من جحدوا شريعة الله، وأنكروا وجود الله وربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته أو شيئاً مما أوجب الله الإيمان به، وهو ضد الإيمان.

والكافرون هنا مخصوص بمن سيموتون على الكفر، ممن علم الله أنهم لا يؤمنون كالوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل وأمية بن خلف، والأسود بن عبد المطلب وكعب ابن الأشرف، وأبي جهل وغيرهم.

ولهذا قال ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ولم يقل «يا أيها الذين كفروا» للدلالة على هذا المعنى، وأن الكفر وصف ملازم لهم مما يوجب البراءة والمجانبة لهم دائماً.

ويحتمل أن المراد عموم الكافرين، أي جنس الكفار وهو ظاهر اللفظ.

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لا: نافية و«ما» موصولة، أي: لا أعبد الآن الذي تعبدونه من الأصنام والأوثان والأنداد من الأحجار والأشجار وأصحاب القبور وغير ذلك، وأتبرأ من ذلك ظاهراً وباطناً، وعبر بـ «ما» لأن معبوداتهم منها العالم وغير العالم.

﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ الواو عاطفة، و«لا» نافية كسابقتها، والخطاب للكافرين.

و«ما» موصولة، وجاء التعبير بها هنا، وهي لغير العالم، لأن المقصود الصفة، وهو كونه عز وجل الموصوف بأنه المعبود الحق.

والمعنى: ولا أنتم عابدون الآن الذي أعبد، وهو الله وحده لا شريك له.

وجاء النفي بـ «لا» في هذين الموضعين وفي الموضعين بعدهما دون «لن» لأن النفي بـ «لا» أبلغ منه بـ «لن» وأدل على دوام النفي وطوله.

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ أي: ولا أنا عابد في المستقبل الذي تعبدونه من الآلهة، ولا

يجوز ذلك شرعاً، ولا يمكن أن يكون مني ذلك لعصمته ﷺ.

فقوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ نفي للفعل، لأنها جملة فعلية، وقوله ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ نفي قبوله لذلك بالكلية، لأن النفي بالجملة الاسمية آكد، فكأنه نفى الفعل وكونه قابلاً لذلك، ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي. وفي ذلك نفي للموافقة في المعبود، ونفي للموافقة في العبادة.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ أي: ولا أنتم في المستقبل عابدون الذي أعبد، وهو الله عز وجل، بل ستزدادون بعداً عن الحق كما قال عز وجل ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

فالخلاصة أن النفي في الجملتين الأوليين نفي للعبادة في الماضي، وفي الجملتين الأخيرتين نفي للعبادة في المستقبل مع ما في ذلك من تأكيد النفي في الحالين، لكن نفي عبادته ﷺ معبوداتهم أبلغ في التأكيد لأنه جاء مرة بالفعل، ومرة باسم الفاعل، بينما جاء نفي عبادتهم معبوده باسم الفاعل فقط.

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ وهو الكفر والشرك ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ وهو الإيمان والتوحيد، وفي هذا إعلان البراءة والانفصال التام عن كل ما هم عليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤١]، وقال تعالى: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وحذفت الياء من قوله ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ مراعاة للفواصل - والله أعلم - كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ – ٨١].

الفوائد والعبر:

١- أن الرسول ﷺ إنما هو مبلغ عن الله عز وجل لقوله ﴿ قل ﴾ وفي هذا الرد على طائفتين من طوائف أهل الضلال: الطائفة الأولى من يزعم من المشركين وغيرهم بأن هذا القرآن من نظمه ﷺ ابتدأ به، والطائفة الثانية طائفة الغلاة الذين يرفعونه ﷺ إلى مقام الربوبية فهو ﷺ عبد لا يعبد ورسول لا يكذب.

٢- تصدير الكلام بالنداء للتنبيه والعناية والاهتمام لقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾.

٣- جواز مخاطبة الكافرين وندائهم بما هم عليه من الكفر، لقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

٤- تثبيت الله عز وجل لنبيه ﷺ على ما هو عليه من عبادة الله عز وجل وحده، في الحاضر والمستقبل لقوله ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: في الحاضر، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ أي: في المستقبل وفي هذا تيئيس للكافرين من تنازله ﷺ لهم عن شيء مما جاء به، وبيان لعصمة الله عز وجل له عن ذلك.

٥- استمرار هؤلاء الكفار الذين وجه لهم النداء في هذه السورة على الكفر، وأنهم لا يمكن أن يؤمنوا، فكما لم يؤمنوا في الماضي فلن يؤمنوا في الحاضر ولا في المستقبل، لقوله في الموضعين ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾.

٦- إثبات تقدير الله مقادير كل شيء في الأزل كما قال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له فأهل السعادة ييسرون لعمل أهل السعادة، وأهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاوة»[١].

فمن كتب الله له الهداية فلا سبيل لإضلاله، ومن كتب له الضلالة فلا سبيل لهدايته.

ومن تقدير الله سبحانه ثباته ﷺ على عبادة الله وحده وعدم عبادته ما يعبده الكافرون، واستمرار هؤلاء الكفار على الكفر وعدم عبادتهم لمعبوده ﷺ وهو الله وحده لا شريك له.

٧- إثبات علم الله الأزلي المحيط بكل شيء ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ومن ذلك إخباره عز وجل بثباته ﷺ على الإيمان والإخلاص، واستمرار هؤلاء الكفار على الكفر والشرك.

٨- إثبات إعجاز القرآن الكريم فيما أخبر به من أخبار وقعت كما أخبر.

٩- إثبات نبوته ﷺ، وأن ما جاء به من عند الله حق لما اشتمل عليه من أخبار وقعت كما أخبر.

١٠- وجوب البراءة المحضة من الشرك وأهله لقوله ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وقوله ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ وإثبات العبادة لله وحده لقوله ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فالأول نفي عبادة غير الله، والثاني إثبات العبادة لله عز وجل وحده، فتضمنت السورة

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٤٩٤٩، ومسلم في القدر ٢٦٤٧، وأبو داود في السنة ٤٦٩٤، والترمذي في القدر ٢١٣٦ وابن ماجه في المقدمة ٧٨ – من حديث علي رضي الله عنه.

النفي والإثبات، وهو معنى كلمة الإخلاص: «لا إله إلا الله»، ومعنى قول إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، ولهذا سميت هذه السورة مع ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورتي الإخلاص وكان النبي ﷺ يقرن بينهما في سنة الفجر وسنة المغرب، وركعتي الطواف وفي الوتر.

١١- الإشارة إلى ما كان عليه ﷺ من الثبات على عبادة الله وحده والبراءة من الشرك، وأن ذلك هو المقصود الأول من السورة لهذا قدم قوله ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وهو براءته من معبوداتهم، على ذكر براءتهم من معبوده، والذي هو المقصد الثاني من السورة، والذي هو أيضاً مكمل ومحقق لبراءته ﷺ من معبوداتهم.

١٢- تقرير المفاصلة والمباعدة بين أهل الإيمان والتوحيد، وأهل الكفر والشرك، وعدم الالتقاء بين الفريقين لقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ وفي هذا رد على من يريدون التوفيق بين الأديان الباطلة والمنسوخة وبين الإسلام، وبين المعتقدات الباطلة وبين معتقد أهل السنة والجماعة، فشتان بين الحق والباطل.

شتان بين الحالتين فإن ترد ... جمعاً فما الضدان يجتمعان [(١)]

١٣- التهكم بالكفار فيما اختاروه لأنفسهم من نصيب الكفر والشرك بدل عبادة الله وحده، يدل على هذا تقديم قسمهم ونصيبهم في قوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ فهم أشبه بمن اقتسم مع شريكه سماً وعسلاً فرضي لنفسه بالسم ولشريكه بالعسل.

---

(١) هذا البيت من القصيدة النونية لابن القيم انظر ص١١.

تفسير سورة النصر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

وقت نزولها:

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: قال لي ابن عباس: «يا ابن عتبة، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت؟ قلت: نعم ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال: صدقت»[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق[3]، فعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء فرُحلت، ثم قام فخطب الناس..» فذكر خطبته المشهورة[4].

موضوعها:

الإيذان بقرب وفاته ﷺ، وحثه على لزوم التسبيح بحمد الله، واستغفاره.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال: « **إنه قد نُعِيَتْ إليَّ نفسي** » فبكت ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نعيت إليه نفسه فبكيت، ثم قال: « **اصبري فإنك أول أهلي لحاقاً بي** » **فضحكت**»[5].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن

---

(١) وتسمى هذه السورة سورة «التوديع» روي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه. انظر « الكشاف » ٤/ ١٤٠، «الجامع لأحكام القرآن» ٢٠/ ٢٢٩. وقد أفردتها برسالة سميتها: «تدارك بقية العمر في تدبر سورة النصر» وقد ضمنت جلها في هذا التفسير.

(٢) أخرجه النسائي فيما ذكر ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٧٣٤، والطبراني فيما ذكر ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥٣١. وقد خرج البخاري في التفسير ٤٦٥٤ عن «البراء أن آخر سورة نزلت براءة». والمراد به والله أعلم بعضها، وان آخر سورة نزلت كاملة هي النصر. انظر «فتح الباري » ٨/ ٣١٦، ٧٣٤.

(٣) روي أنها لما نزلت بكى عمر والعباس رضي الله عنهما، فقيل لهما إن هذا يوم فرح، فقالا: بل فيه نعي النبي ﷺ. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ٢٠/ ٢٣٢.

(٤) أخرجه البيهقي في الحج ـ باب خطبة الإمام بمنى أوسط أيام التشريق ٥/ ١٥٢.

(٥) أخرجه البيهقي ـ فيما ذكر ابن كثير في « تفسيره » ٨/ ٥٢٩. وأخرجه أحمد ١/ ٢١٧، ٣٤٤، ٣٥٦ مختصراً دون ذكر فاطمة، وإسناده صحيح. وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » ١٠/ ٣٤٧٢ ـ الأثر ١٩٥٢١ من حديث أم حبيبة رضي الله عنها قصة بكاء فاطمة.. الخ.

بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال إنه ممن علمتم. فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم. فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفُتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه لـه قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا أعلم منها إلا ما تقول»[(١)].

قال ابن كثير [(٢)]: «فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره؛ يعني: ونصلي لـه، ونستغفره معنى مليح صحيح، وقد ثبت لـه شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة ثماني ركعات. وفي سنن أبي داود: « أنه ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين » [(٣)].

وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم فتح المدائن.

قال ابن كثير: وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضي الله عنهما من أن هذه السورة نُعي فيها إلى رسول الله ﷺ نفسه الكريمة: واعلم أنك إذا فتحت مكة ـ وهي قريتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجاً فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا، فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا، فالآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾».

وروي أنها لما نزلت خطب رسول الله ﷺ: «إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء الله» فعلم أبو بكر رضي الله عنه فقال: بل نفديك، أو فديناك بآبائنا وأمهاتنا

---

(١) أخرجه البخاري في تفسيره سورة ﴿إذا جاء نصر الله﴾ ٤٩٦٩، ٤٩٧٠، والترمذي في التفسير ٣٣٦٢، والطبري في «جامع البيان » ٣٠/ ٢١٥ ـ ٢١٦

(٢) في « تفسيره » ٨/ ٥٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة ٣٥٧، ومسلم في الحيض ٣٣٦، وأبو داود في الصلاة١٢٩٠، ١٢٩١، والنسائي في الطهارة ٢٢٥، والترمذي في الصلاة ٤٧٤، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ١٣٢٣ عن أم هانئ: «أنه ﷺ عام الفتح قام فصلى ثمان ركعات ... قالت: وذاك ضحى».

وأموالنا»[١].

وهكذا روي عن جميع المفسرين من التابعين ومن بعدهم أنها في الإخبار بدنو أجله ﷺ والاستعداد للقاء ربه[٢].

قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ «إذا» ظرفية شرطية غير عاملة قال الزمخشري[٣]: «منصوب بسبح وهو لما يستقبل. قال: والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة»[٤].

و « جاء » فعل ماضٍ مبني على الفتح، وهو فعل الشرط.

﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ عونه لك على الأعداء من كفار قريش وغيرهم.

﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح مكة. وعطفه على قوله ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ وهو من نصر الله من عطف الخاص على العام تنويهاً بشأنه. و «ال» فيه للعهد الذهني، أي: الفتح العظيم المعروف المعهود في أذهانكم.

قال ابن كثير[٥]: «والمراد بالفتح هـهنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون إن ظهر على قومه، فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً».

وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة، وحين دخلها ﷺ وقف على باب الكعبة ثم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده »[٦].

﴿وَرَأَيۡتَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، ﴿ٱلنَّاسَ﴾ البشر، بنو آدم من العرب وغيرهم.

﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ يدخلون في محل نصب على الحال، على اعتبار أن «رأيت»، بصرية أو هي مفعول ثان على اعتبار «رأيت» علمية.

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب ٣٦٥٩، ٣٦٦٠ من حديث ابن أبي المُعَلّى عن أبيه رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن غريب»، ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن صحيح». وانظر «الكشاف» ٤/ ٢٤٠.

(٢) انظر « جامع البيان » ٣٠/ ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٣) في « الكشاف » ٤/ ٢٣٩.

(٤) ويحتمل كونها للماضي، بمعنى: إذ قد جاء، وعليه تكون متعلقة بمقدر ككمل الأمر أو اتم النعمة على العباد أو نحو ذلك لا بسبح.

(٥) في « تفسيره » ٨/ ٥٣٠.

(٦) أخرجه البخاري في العمرة ١٧٩٧، ومسلم في الحج ١٣٤٤ ـ من حديث ابن عمر مطولاً.

ومعنى ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: يسلمون، فيدخلون في دين الله «الإسلام » الذي لا يقبل الله من أحد سواه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿أَفْوَاجًا﴾ جمع فوج، والفوج الجماعة، أي جماعات، جماعات.

عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: «لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وكانت الأحياء تتلوم[1] بإسلامها فتح مكة، يقولون: دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم، فهو نبي»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال: « الله أكبر، الله أكبر، جاء نصر الله والفتح، جاء أهل اليمن. قيل يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية» [3]. وفي رواية زيادة « سخية قلوبهم عظيمة خشيتهم، فدخلوا في دين الله أفواجاً » [4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » [5].

قال ابن كثير[6]: «فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى استو سقت [7] جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، ولله الحمد والمنة».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل لـه: ما يبكيك؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، وسيخرجون من دين

---

(١) تتلوم، أي: تنتظر. انظر « لسان العرب » مادة « لوم ».
(٢) أخرجه البخاري في المغازي ٤٣٠٢، والنسائي في الأذان ٦٣٦.
(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٣٠/ ٢١٥. وانظر «تفسير ابن كثير» ٨/ ٥٣١.
(٤) ذكرها القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٢٠/ ٢٣٠.
(٥) أخرجه البخاري في الجهاد والسير ٢٥٧٥، ومسلم في الحج ١٣٥٣، وأبوداود في المناسك ٢٤٨٠، والنسائي في البيعة ٤١٧٠، والترمذي في السير ١٥٩٠.
(٦) في «تفسيره» ٨/ ٥٣٣.
(٧) أي: امتلأت إيماناً، انظر: «لسان العرب» مادة «وسق».

الله أفواجاً»[1].

والمعنى: إذا أتم الله لك النصر على الأعداء وفتح مكة ودخل الناس في دين الله جماعات جماعات فسبح بحمد ربك الخ. ويؤيد هذا ظاهر السياق، وإجراء «إذا» على معناها للاستقبال ويكون في هذا البشارة بحصول ذلك، وذلك علم من أعلام نبوته ﷺ، ويكون نزول السورة قبل فتح مكة.

ويحتمل أن المعنى: قد جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً. ويؤيد هذا ما جاء في أن هذه السورة نزلت في حجة الوداع، وفتح مكة قبل ذلك بسنتين تقريباً، ويكون في ذلك الامتنان عليه ﷺ بما تم من النصر والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

﴿فَسَبِّحْ﴾ هذا أمر، والأمر في الأصل للوجوب.

والتسبيح: هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب، وعن مشابهة المخلوقين.

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: متلبساً بحمده، أي: حامداً له مثنياً عليه واصفاً له بالكمال مع المحبة والتعظيم قارناً جامعاً بين تسبيحه عز وجل وحمده، بقولك: «سبحان الله وبحمده» «سبحانك ربنا وبحمدك» ونحو ذلك، وبما هو أعم من ذلك، بذكره وشكره عز وجل، وعبادته والصلاة له وغير ذلك، ولهذا لما فتح ﷺ الكعبة صلى ثماني ركعات.

﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ أي: سله واطلب منه المغفرة.

والمغفرة: هي ستر الذنب عن الخلق، والتجاوز عن عقوبته كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في المناجاة: «أن الله عز وجل يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه ـ أي ستره ورحمته ـ فيقرره بذنوبه، فيقول: أتذكر ذنب كذا وكذا؟ فيقول: أي رب نعم. فيقول الله عز وجل: أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»[2].

وقَرَن عز وجل التسبيح والتحميد باسم الرب وصفة الربوبية تذكيراً بنعمه عز وجل، وهو أنه هو المربي بنعمه.

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

كان: مسلوبة الزمان، أي: كان ومازال سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٣٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير ٤٦٨٥، ومسلم في التوبة ٢٧٦٨، وابن ماجه في المقدمة ١٨٣، وأحمد ٢/ ٧٤.

﴿تَوَّابًا﴾: اسم من أسماء الله عز وجل على وزن «فعّال» يدل على أنه عز وجل من صفته التوبة الواسعة الكثيرة العظيمة، فهو كثير التوفيق لعباده للتوبة، كثير القبول لتوبة من تاب منهم.

وتوبة الله على العبد تنقسم إلى قسمين: توفيقه عز وجل للعبد أن يتوب، كما قال عز وجل عن الثلاثة الذين خلفوا ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ [التوبة: ١١٨]، أي: وفقهم للتوبة ليتوبوا، والقسم الثاني. قبوله توبة عبده إذا تاب، كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى رسول الله ﷺ بعد إذ أنزلت عليه سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾إلا يقول: فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»[١].

وعنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» يتأول القرآن »[٢].

وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه» وقال: «إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان تواباً، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾»[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: «سبحان الله وبحمده» فقلت يا رسول الله، إنك تكثر من «سبحان الله وبحمده» لا تذهب ولا تجيء، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت: «سبحان الله وبحمده»؟ قال: «إني أمرت بها، فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ إلى

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير ـ تفسير سورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ٤٩٦٧، ومسلم في الصلاة ٤٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير ـ تفسير سورة ﴿إذا جاء نصر الله﴾ ٤٩٦٨، ومسلم في الصلاة ـ ما يقال في الركوع والسجود ٤٨٤، وأبوداود في الصلاة ـ الدعاء في الركوع والسجود ٨٧٧، والنسائي في التطبيق ١٠٤٧، وابن ماجه في إقامة الصلاة ـ التسبيح في الركوع والسجود ٨٨٩، وأحمد ٦/ ٤٣، ٤٩، ١٩٠. ومعنى «يتأول القرآن» أي: يرى أن ذلك معنى قوله ﴿فسبح بحمد ربك﴾ وعملا بمقتضاه.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة ـ ما يقال في الركوع والسجود ٤٨٤، وأحمد ٦/ ٣٥.

آخر السورة»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال: نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشد ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة..»(٢).

الفوائد والعبر:

١ـ البشارة بنصر الله لرسوله ﷺ وفتح مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه. وقد وقع هذا المبشر به.

٢ـ تحقيق نصر الله عز وجل للرسول ﷺ والمسلمين وتمكينهم من فتح مكة وغيرها لقوله ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال بعضهم: المعنى: قد جاء نصر الله والفتح.

٣ـ دخول الناس في دين الله أفواجاً بعد نصر الله لرسوله ﷺ والمسلمين وفتح مكة، بخلاف ما كان عليه الأمر قبل الفتح، ولهذا قال عز وجل: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ [الحديد: ١٠].

٤ـ امتنان الله ـ عز وجل ـ على رسوله ﷺ والمؤمنين بنصره لهم، وفتح مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وأن ذلك من نعم الله تعالى عليهم الموجبة لشكره، ولهذا قال بعده ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾.

٥ـ أن النصر بيد الله عز وجل لقوله ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

٦ـ وجوب تنزيه الله عز وجل عن النقائص والعيوب وعن مشابهة المخلوقين، مقروناً ذلك بحمده عز وجل.

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٣٠/ ٢١٦.
(٢) سبق تخريجه.

٧- أن لله عز وجل الكمال المطلق من جميع الوجوه، والحمد المطلق، فهو المنزه عن جميع النقائص والعيوب وعن مشابهة المخلوقين، وهو المحمود في جميع الأحوال وعلى كل حال.

٨- التذكير بنعم الله على العباد التي لا تحصى، من نعمة النصر والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجاً وغير ذلك، لقوله ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فَقَرْنُ الحمد بوصف ربوبيته الخاصة لنبيه ﷺ فيه تذكير بنعمه - عز وجل - عليه وعلى أمته.

٩- تشريفه ﷺ وتكريمه بربوبية الله - عز وجل - الخاصة له.

١٠- وجوب الاستغفار والتوبة إلى الله - عز وجل - لقوله: (واستغفره) وهو أمر له ﷺ ولأمته.

ولهذا كان ﷺ يقول: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب إلى الله وأستغفره في كل يوم مائة مرة، أو أكثر من مائة مرة»(١).

وكان يقول ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»(٢).

وكان ﷺ يقول في دعائه: «اللهم اغفر خطئي وعمدي، وجدّي وهزلي، وإسرافي في أمري، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»(٣).

وليس في أمره عز وجل لنبيه ﷺ بالاستغفار ما يلزم منه وقوع الذنب منه ﷺ مع أنه ﷺ وكذا غيره من الأنبياء معصومون من الخطأ في تبليغ ما أرسلوا به، ومن الوقوع في الكبائر، أما الصغائر فقد تقع منهم على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لكنهم لا يُقَرُّون عليها، بل سرعان ما يتوبون منها(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٧٠٢، وأبو داود في الصلاة ١٥١٥، وأحمد ٤/ ٢١١، ٢٦٠ - من حديث الأغر المزني رضي الله عنه. وأخرجه ابن ماجه في الأدب ٣٨١٥ - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات ٦٣٠٧، والترمذي في التفسير ٣٢٥٩، وابن ماجه في الأدب ٣٨١٦ - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في الدعوات ٦٣٩٨، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٧١٩ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» ٤/ ٣١٩، ١٠/ ٢٩٣ - ٣١٣، ١٥/ ١٥٠، «الرسل والرسالات» للأشقر ص١٠٧ - ١١١.

١١ـ وجوب شكر الله على نعمة النصر على الأعداء والفتح للمسلمين وعلى كل نعمة من نعمه عز وجل بتسبيحه وتحميده واستغفاره والتوبة إليه.

١٢ـ مشروعية سجدة الشكر، وقول «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي» في الركوع والسجود لقوله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: وكان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن»[1].

١٣ـ الإشارة إلى أن النصر يستمر للدين، ويزداد عند شكر الله بالتسبيح بحمده واستغفاره، كما قال عز وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. ولم يزل نصر الله لدينه في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين ومن بعدهم لما كانت الأمة شاكرة لله عز وجل، مسبحة بحمده مستغفرة، قائمة بأمره متمسكة بحبله، ولما حدث في الأمة ما حدث من المخالفة لأمر الله أصابها ما أصابها من الضعف والاختلاف والتفرق، ووعد الله بالنصر ثابت لا يتخلف. كما قال عز وجل ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

١٤ـ الإشارة إلى قرب دنو أجله ﷺ، وحثه ﷺ على ختام عمره بالتسبيح بحمد الله واستغفاره، ليستعد ويتهيأ للقاء ربه.

١٥ـ فضل التسبيح والتحميد والاستغفار، لأن الله أمر بذلك في ختام الأعمار، كما في هذه السورة، وأمر به في ختام الأعمال، كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك.

١٦ـ وجوب الاستعداد للقاء الله عز وجل، والانتقال من هذه الدار الفانية إلى الدار الآخرة الباقية، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. أي: لهي الحياة الحقيقية، فيجب على كل إنسان الاستعداد لهذا اللقاء العظيم، ولذلك الانتقال، وأن يزداد في الاستعداد لذلك كلما تقدم به العمر، فيكثر من التسبيح بحمد الله واستغفاره فإن التسبيح والتحميد والاستغفار ختام الأعمال وختام الأعمار، ولنا في نبينا ﷺ خير أسوة فقد أمره الله عز وجل بذلك بعد أن أتم لـه النصر والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وتقدم به العمر صلوات الله وسلامه عليه، فكان يكثر من تسبيح الله عز وجل وحمده واستغفاره وذكره استجابة لأمر الله عز وجل لـه في هذه السورة، وفي قولـه

(١) سبق تخريجه.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الانشراح: ٧، ٨]. فكان أشد ما كان اجتهاداً في أمر الآخرة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[١].

١٧- إثبات اسم الله - عز وجل - «التواب» وصفة التوبة له - عز وجل - وهي قسمان: توفيقه عبده للتوبة، وقبولها منه.

فائــدة بم يكون الاستعداد للقاء الله؟

يكون الاستعداد للقاء الله عز وجل بأمور عدة من أهمها ما يلي:

الأمر الأول: تقوى الله عز وجل بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهي رأس الأمر كله، ومن أعظم ما يعين على ذلك ما يلي:

أولاً: التفكر في عظمة الله عز وجل، وما لـه من صفات الكمال والجلال، مما جاء في الكتاب والسنة، ودلت عليه الآيات الكونية. قال عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ثانياً: التفكر في نعم الله عز وجل على العباد، التي لا تحصى كما قال عز وجل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨]، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقد قال عز وجل ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ثالثاً: التفكر في حقارة الدنيا، ودنو منزلتها، وكيف وصفها الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الحديد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] وقال تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال ﷺ: «لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً

---

(١) سبق تخريجه.

شربة ماء»[١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «مالي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر يقول:«إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[٣].

ويالله ما مدى بركة عمر من وفقه الله لهذا التصور، ثم أعطاه من العمر ما أعطاه، ويا لله ما أقل بركة عمر معمر غاب عنه هذا التصور، وعاش غافلاً لاهياً حتى فاجأه الأجل.

ولقد أحسن القائل[٤].

فما نحن في دار المنى غير أننـــا ... شغفنا بدنيا تضمحل وتذهب

فحثوا مطايـــا الارتحال وشمروا ... إلى الله والدار التي ليس تخرب

رابعاً: التفكر في عظمة الآخرة وعلو مكانتها ورفعة منزلتها، وأنها دار القرار ودار الحياة الحقيقية، إما نعيم أبدي، نسأل الله من فضله، أو عذاب سرمدي، نسأل الله السلامة، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

خامساً: أن يتفكر الإنسان في ضعفه، فهو من أضعف المخلوقات، إن لم يكن أضعفها، وعمره بالنسبة لأعمار من سبق من الأمم لا يساوي شيئاً. قال ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»[٥]. فيستمد قوته من القوي المتين سبحانه،

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٢٠، وابن ماجه في الزهد ٤١١٠ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٧٧، وابن ماجه في الزهد ٤١٠٩ قال الترمذي «حديث حسن صحيح. وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس».

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤١٦، والترمذي في الزهد ٢٣٣٣، وابن ماجه في الزهد ٤١١٤.

(٤) هذان البيتان من قصيدة للشاعر ابن عثيمين مطلعها:

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب ... متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب

انظر «ديوان ابن عثيمين» ص٤٩٨، طبعة دار المعارف بمصر.

(٥) أخرجه الترمذي في الدعوات ٣٥٥٠، وابن ماجه في الزهد ٤٢٣٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن غريب».

ويستمد بركة العمر من الحي القيوم الذي لا يموت.

سادساً: أن يكون فراق هذه الدنيا، والرحيل منها دائماً منه على بال، وأن يكثر من ذكر هاذم اللذات «الموت» كما قال ﷺ «أكثروا من ذكر هاذم اللذات»(١).

فمن وفقه الله عز وجل للتفكر في هذه الأشياء كان ذلك ـ بإذن الله عز وجل ـ من أكبر العون لـه على تقوى الله.

فمن عظم الله عز وجل وقدره دعاه ذلك إلى الفرار إليه واللجوء إليه ومحبته وخوفه ورجائه، ومن تفكر في نعمه عز وجل على العباد دعاه ذلك إلى شكره، ومن تفكر في حقارة الدنيا دعاه ذلك إلى عدم الاغترار بها، ومن تفكر في عظمة الآخرة دعاه ذلك إلى الإقبال عليها والتزود لها، ومن تفكر في ضعفه دعاه ذلك إلى استمداد القوة من القوي المتين، ومن تفكر في قصر عمره دعاه ذلك إلى الحرص على استغلاله بالخير والعمل الصالح، ومن تذكر الموت والرحيل من هذه الدار دعاه ذلك إلى المبادرة بالعمل الصالح أيام الحياة، والاستعداد للدار الآخرة.

الأمر الثاني: **مما يستعد به للقاء الله والدار الآخرة**.

أداء ما عليه من حقوق لله تعالى، أو للخلق، والخروج منها كلها وبخاصة حقوق الخلق من الدماء والأعراض والأموال وغير ذلك، فإن حقوق الخلق مبنية على المشاحة، فأمك وأبوك وولدك كل منهم سيطالبك بحقه إن كان لـه حق عندك ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

بل إن العاقل اللبيب يحرص كل الحرص على عدم تحمل أي حق للخلق من الديون وغيرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لأن الإنسان لا يدري متى يفجاه الأجل، ونفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقضى عنه، كما جاء في الحديث(٢).

ومن صدق الثقة بموعود الله عز وجل وجزيل ثوابه أن يعفو الإنسان عما لـه من حقوق عند الآخرين، من دم أو عرض أو مال ونحو ذلك ما أمكنه ذلك، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٠٧، والنسائي في الجنائز ١٨٢٤، وابن ماجه في الزهد ٤٢٥٨ ـ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب».

(٢) أخرجه الترمذي في الجنائز ١٠٧٨، ١٠٧٩، وابن ماجه في الأحكام ٢٤١٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[البقرة: ٢٣٧]وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

فاحرص أخي المسلم بارك الله فيك على أن تقدم على ربك وليس لأحد من الخلق عليك حق ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وتأمل خطورة الأمر، وتذكر قول الناصح الأمين ﷺ لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم لـه ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»(١).

واحرص أخي المسلم على مسامحة إخوانك المسلمين والعفو عن هفواتهم، واعلم أنك كما تدين تدان، فإن كنت تحب أن يعفو الله عن ذنوبك وهفواتك فاعف عن الآخرين، وكن من الذين قال الله فيهم: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٤٣]. نسأل الله الكريم من فضله.

واحذر أن يكون في نفسك حقد أو عداوة أو ضغينة أو حسد لأحد من المسلمين، حتى وإن أساء إليك، واعلم أنه قل من يسلم من ذلك، واعلم أن هذا مركب صعب وعقبة كؤود وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

واعلم أخي المسلم أنك لن تهدأ، ولن تنام قرير العين ولن تذق طعم السعادة حتى تجعل العفو والتسامح ديدنك، وما إخالك ترضى بالدون، وأنت تجد ما هو أعظم وأوفى منه، فإن من كان شعاره العفو والتسامح فأجره على العفو الكريم، بلا حد ولا عد ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ٢٥٨١، والترمذي في صفة القيامة ٢٤١٨ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فعالج قلبك، والعاقبة للمتقين ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، عسى أن تلقى الله وقد تخلصت مما عليك من الحقوق فلا أحد يطالبك بشيء، وعفوت عما لك من الحقوق فيكافئك عن ذلك صاحب العفو والفضل والإحسان بكرمه وجوده ـ وما أراك تعدل بهذا شيئاً.

وتأمل وفقك الله مدى الفرق الشاسع والبون الواسع بين من يأتي غداً يطلب حقوقه عند الآخرين من أقاربه وجيرانه وإخوانه وغيرهم فيقتطع له من أعمالهم بقدر حقه ولو كان مثقال ذرة، وبين من يقال له بلسان الحال أو المقال أنت سامحت أصحاب الحقوق التي لك والله ـ عز وجل ـ أولى منك بالمسامحة فخذ ما شئت من الأجر والفضل بلا حد ولا عد ـ شتان بين هذا وهذا، وبين الثرى والثريا.

شتان بين الحالتين فإن ترد جمعاً فما الضدان يجتمعان[(١)]

الأمر الثالث:

كتابة وصيته وما عليه من حقوق، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»[(٢)].

والوصية واجبة بالاتفاق إذا كان الإنسان عليه أو له حقوق يجب بيانها وكتابتها، كأن يكون عليه ديون للناس، أو له عليهم ديون، ليؤدَّى ما عليه من حقوق من تركته، ولأن الحقوق التي له على الناس تعد من تركته.

وجمهور العلماء على أنها مستحبة إذا لم يكن عليه حقوق يجب بيانها فيستحب أن يوصي بشيء من ماله للفقراء والمساكين من غير الوارثين. قالوا: لأن وجوب الوصية منسوخ بآيات المواريث.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنها واجبة قالوا: لأن آيات المواريث إنما هي مخصصة لآية الوصية خصصتها في الأقربين غير الوارثين. فالميراث للوالدين والأقربين الوارثين، والوصية لغير

---

(١) البيت لابن القيم في «نونيته» ص١١.

(٢) أخرجه البخاري في الوصايا ٢٧٣٨، ومسلم في الوصية ١٦٢٧، وأبوداود في الوصايا ٢١١٨، والنسائي في الوصايا ٣٦١٥، والترمذي في الجنائز ٩٧٤، وابن ماجه في الوصايا ٢٦٩٩.

الوارثين.

ومما ينبغي أن يعلم من أحكام الوصية أمران وهما من الأهمية بمكان؛

الأول: مقدارها.

اعلم أخي المسلم ـ بارك الله فيك ـ أن الوصية جائزة في الثلث وما دونه لقوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «الثلث والثلث كثير»(١).

ويستحب أن تكون الوصية دون الثلث، لقوله ﷺ لسعد: «والثلث كثير»، ولهذا قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع لكان أفضل؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «الثلث والثلث كثير، أو كبير»(٢).

وقال ابن عباس أيضاً: «الذي يوصي بالخمس أفضل من الذي يوصي بالربع، والذي يوصي بالربع أفضل من الذي يوصي بالثلث»(٣).

وقد أوصى أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بالخمس وقال: «رضيت لنفسي بما رضي الله به لنفسه ورسوله»(٤) يعني في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: «لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع، ولأن أوصي بالربع أحب إليَّ من أن أوصي بالثلث ومن أوصى بالثلث لم يترك شيئاً»(٥) فالأفضل أن تكون الوصية في الخمس وعليه أكثر السلف، واستحب بعضهم إذا كان المال كثيراً والورثة أغنياء أو قلة أن يزيد من الخمس إلى الربع لأنه أنفع للفقراء والمساكين(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في الوصايا ٢٧٤٢، ومسلم في الوصية ١٦٢٨، وأبوداود في الوصايا ٢٨٦٤، والنسائي في الوصايا ٣٦٢٦، والترمذي في الوصايا ٢١١٦ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت. فقلت يا رسول الله بلغني ما ترى من الوجع وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة واحدة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلت أفأتصدق بشطره؟ قال: لا. الثلث، والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم يتكففون الناس».

(٢) أخرجه البخاري في الوصايا ٢٧٤٣، ومسلم في الوصية ١٦٢٩.

(٣) أخرجه البيهقي في الوصايا ٦/ ٢٧٠.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في الوصايا «المصنف» ٩/ ٦٦، الأثران ١٦٣٦٣ ـ ١٦٣٦٤، وابن أبي شيبة في الوصايا «المصنف» ١١/ ٢٠٠ ـ الأثر ١٠٩٦٥، والبيهقي في الوصايا «سنن البيهقي» ٦/ ٢٧٠.

(٥) أخرجه عن علي عبد الرزاق في الوصايا ٩/ ٦٦ وابن أبي شيبة في الوصايا ١١/ ٢٠٢، والبيهقي في الوصايا ٦/ ٢٧٠.

(٦) انظر: «المصنف» لعبد الرزاق ٩/ ٦٦، ٦٧، «المصنف» لابن أبي شيبة ١١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣، «سنن البيهقي» ٦/ ٢٧٠، «أحكام القرآن» للهراسي ١/ ٣٧٠، «الكشاف» ١/ ٢٥٠، «المحرر الوجيز» ٤/ ٩٣، «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٩٢، «العذب الفائض» ٢/ ١٨٢.

والعجيب أن كثيراً من الناس يعتقدون أن الوصية لابد أن تكون في الثلث، وكأنها لا تجوز بأقل منه، وذلك أمر مشتهر بين عامة الناس من المنتسبين إلى العلم والعوام، ينقله الخلف عن وصايا السلف.

الأمر الثاني: مصرفها:

اعلم أخي ـ بارك الله فيك ـ أن الوصية ينبغي أن توجه للأفضل من أعمال البر، وأن تكون مطلقة في وجوه البر كلها يُقدّم الأهم فالأهم، ويترك ذلك للناظر على الوصية.

والعجيب في هذا الأمر: أن كثيراً من الوصايا في السابق مقيدة في جهات ـ هي بلا شك من البر ـ لكن نفعها وفضلها أقل، كأن تكون مقيدة في حجة أو أضحية أو عشاء في رمضان، وهذه وإن كانت من وجوه البر فهناك ما هو أولى منها وأهم كبناء المساجد وتعليم القرآن الكريم والسنة المطهرة ومساعدة الفقراء والمساكين وحفر الآبار وفتح الطرق، وبناء المستشفيات والمراكز لغسيل الكلى وعلاج الأورام وغيرها، ودور الرعاية الاجتماعية وغير ذلك مما يحتاجه المسلمون في مصالحهم العامة والخاصة.

كما أن مما يستحب أن يوصي به أهله ومن خلفه تقوى الله والصلاة، وحقوق من تحت أيديهم، فعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»(١). وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ ـ حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»(٢). وفي حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها: «فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه»(٣). وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنه ﷺ أخذ يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات»(٤)، وعنها: أنه كان يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى»(٥). وفي رواية عنها أنه كان يقول: «اللهم أعني على غمرات الموت أو سكرات الموت»(٦).

هذا وقد استحب بعض أهل العلم أن يكتب في صدر الوصية ما رواه محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال: «كانوا يكتبون في صدور وصاياهم: بسم الله الرحمن

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب ٥١٥٦، وابن ماجه في الوصايا ٢٦٩٨.
(٢) أخرجه ابن ماجه في الوصايا ٢٦٩٧، وأحمد ٣/ ١١٧.
(٣) أخرجه ابن ماجه في الجنائز ١٦٢٥، وأحمد ٦/ ٢٩٠.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي ٤٤٤٩.
(٥) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ٢٤٤٤، والترمذي في الدعوات ٣٤٩٦، وابن ماجه في الجنائز ١٦١٩، وأحمد ٦/ ٢٣١.
(٦) أخرجه الترمذي في الجنائز ٩٧٨ وقال الترمذي: «حديث غريب» وابن ماجه في الجنائز ١٦٢٣، وأحمد ٦/ ٦٤.

الرحيم هذا ما أوصى به فلان، إنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ وأن الجنة حق، وأن النار حق ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧] وأوصى من تركه من أهله أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى إبراهيم بنيه ويعقوب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢]»[(١)].

وإنني أقول بهذه المناسبة يجب على طلبة العلم والمحاضرين والخطباء تنبيه الناس إلى هذه الأحكام وأمثالها التي تخفى على الكثيرين وهي من مهمات أمور الدين. وفق الله الجميع لكل خير.

وأخيراً، وعوداً على بدء أقول: إن من الاستعداد للقاء الله والدار الآخرة ـ مع ما سبق ذكره ـ أن يكون الإنسان كلما تقدم به العمر أكثر تنظيماً لأحواله وتفرغاً لعبادة ربه، فإن الله عز وجل في هذه السورة العظيمة سورة النصر آذن رسوله ﷺ بقرب وفاته، وبانتهاء مهمته في هذه الحياة، وأمره بالتوجه إلى الله والتفرغ لتسبيح الله وحمده واستغفاره، كما قال تعالى في سورة الانشراح: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الانشراح: ٧، ٨].

ولن يتيسر ذلك للإنسان إلا إذا اكتفى من التعلق بالدنيا بما تدعو الحاجة إليه، وهو نصيبه من الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

وأنت أخي المسلم أحد رجلين: إما منّعم موسع عليه في رزقه، وإما مبتلى مضيّق عليه في ذلك ـ كما ذكر الله عز وجل[(٢)]، فإن كنت ممن ابتلي بضيق الحال، وقلة ذات اليد، وتحتاج إلى الكد والعمل الساعات الطويلة للسعي في طلب الرزق، لإعفاف نفسك وأهل بيتك، مما لا تستطيع معه التفرغ للعبادة فالزم أداء الفرائض واجتناب النواهي مع القيام بما قدرت عليه من النوافل، وأبشر بالخير فإنك مثاب مأجور على طلب الرزق لإعفاف نفسك بإذن الله عز وجل فإن السعي لطلب الرزق من طاعة الله تعالى وعبادته. فإن الإنسان يؤجر حتى على ما يجعل في في امرأته[(٣)].

وإن كنت ممن نعمّه الله ووسع له في رزقه فاحذر أن تبطرك النعمة وتلهيك الدنيا

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» الوصايا ـ كيف تكتب الوصية ٩/ ٥٣، وابن أبي شيبة في «المصنف» الوصايا ١١/ ٢٣٢، والبيهقي في «سننه» ٦/ ٢٢٧.

(٢) في قوله تعالى ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وإما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٦].

(٣) كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «وإنك لن تنفق نفقه تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك» أخرجه البخاري في الوصايا ٢٧٤٢، ومسلم في الوصية ١٦٢٨.

عن طاعة الله عز وجل، وفرغ نفسك بعض الوقت لعبادة ربك والاستزادة من نوافل العبادة، واحرص على ذلك كلما تقدم بك العمر، وخذ أكبر نصيب من ربك، واحفظ دينك، وقدم مالك وقاية لدينك، فإن كان لك أموال تشغلك إدارتها، من تجارة، أو زراعة، أو صناعة، أو غير ذلك فشجع أولادك على مساعدتك، بل وعلى النيابة عنك لتتفرغ لما هو أهم وهو عبادة ربك، ولا تبخل على أولادك في هذا ولوشاطرتهم بعض مالك، فالمال إن بخلت به عنهم شغلك عن طاعة الله حتى آخر لحظة من عمرك، ثم تركته وانتقل بعدك إليهم، بل لا تبخل بمالك على من تقيمه يدير أعمالك وإن لم يكن من أولادك مادام أنه يكفيك إدارة تلك الأموال لتتفرغ لعبادة ربك بقلب حاضر خاشع منيب.

واعلم أن الدنيا بما فيها لا قيمة لها إذا ضيعت نصيبك من ربك، والله المستعان.

وختاماً **أقول**: أخي المسلم تذكر أن المفازة بعيدة، وأن السفر شاق وأن العقبة كؤود فأعدَّ للأمر عدته.

بكى أبو هريرة رضي الله عنه لما حضرته الوفاة، ثم قال رضي الله عنه: «والله ما أبكي على دنياكم هذه، وإنما أبكي على طول سفري وقلة زادي»(١).

وبكى معاذ بن جبل رضي الله عنه عند وفاته، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال رضي الله عنه: «أبكي إذا صلى المصلون ولست فيهم، وإذا صام الصائمون ولست فيهم وإذا ذكر الذاكرون ولست فيهم».

وإن مما يثير العجب أن الواحد منا إذا أراد سفراً من الأسفار من بلد إلى بلد آخر كالسفر للحج أو العمرة أو غير ذلك يعد للأمر عدته ويتجهز لذلك بإعداد الزاد والمزاد والراحلة واختيار الرفقة، ويتفقد السيارة ومحركاتها وعجلاتها ونحو ذلك.

بل إن بعض الناس إذا هم بسفر من الأسفار ظل طول ليله يدخل ويخرج، يرقب الصباح، ولم تذق عينه غمضاً اهتماماً وتحفزاً لهذا السفر ـ فأين هذا السفر من السفر للقاء الله والدار الآخرة.

اللهم ألهمنا رشدنا ووفقنا للاستعداد لما أمامنا، ووفقنا للإخلاص والسداد في القول والعمل، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك.

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٤٠.

تفسير سورة المسد

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تباً لك، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾.

وفي رواية: فقام ينفض يديه، وهو يقول: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟، فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾.

قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قرأ ابن كثير (أبي لهْب) بإسكان الهاء، وقرأ الباقون بفتحها.

﴿تَبَّتْ﴾ أي: خسرت وخابت وهلكت، والتباب: هو الهلاك والخيبة والخسران، يقال في المثل: «أشابة أم تابة» أي: هالكة من الهرم والتعجيز.

وأبو لهب: هو أحد أعمام النبي ﷺ واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته: أبو عتبة وإنما سمي بـ «أبي لهب» لإشراق وجهه ووضاءته، وكان شديد البغض والعداوة والكراهة للنبي ﷺ، شديد التنقص له ﷺ، والازدراء به، وبدينه، كثير الأذية له ﷺ، لا دين يردعه، ولا حمية للقرابة تمنعه.

عن أبي ربيعة الديلي رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذا غديرتين[2]، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت

(١) اخرجه البخاري في التفسير – تفسير سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ ٤٩٧١ – ٤٩٧٣، ومسلم في الإيمان ٢٠٨، والترمذي في التفسير ٣٣٦٣، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٧١٥ – ٧١٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٧٣.

(٢) الغديرتان: هما الذؤابتان من الشعر.

عنه، فقالوا: هذا عمه أبو لهب»[١].

ومعنى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أي هلك وخاب وخسر وشقي هو بنفسه، وضل عمله وسعيه، وهذا دعاء عليه، وإنما خص التباب باليدين، لأن العمل أكثر ما يكون بهما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤]، ولا يقال في مثل هذا مجاز مرسل أطلق الجزء وأراد الكل، بل واضح من السياق أن المراد بذلك الشخص نفسه.

وليس في ذكر «أبي لهب» بكنيته تكريم له، كما يقال: إن الأصل في الكنية التكريم، وإنما ذكر بكنيته - والله أعلم - ليشتهر أمره، لأنه مشهور بكنيته، ولأن اسمه «عبد العزى» معبد لغير الله وليوافق نسبه وكنيته ما آل إليه فهو أبو لهب وسيصلى ناراً ذات لهب[٢].

﴿وَتَبَّ﴾ أي: تحقق هلاكه وخيبته وخسرانه فعلاً، فلم يربح، وهذا إخبار من الله عز وجل بمصيره ونهايته، وأنها التباب والهلاك والخيبة والخسران فالأول دعاء عليه[٣]، والثاني إخبار عنه.

وقد وقع هذا كما أخبر الله عز وجل حيث مات أبو لهب على الكفر والشرك فخسر دينه ودنياه[٤].

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ ﴿مَآ﴾ نافية، أي: ما دفع عنه العذاب ماله الذي كان يجمعه عنده ويحتمل أن تكون «ما» استفهامية ويكون المعنى: أي شيء أغنى عنه ماله الذي كان يجمعه.

﴿وَمَا كَسَبَ﴾ الواو عاطفة، و«ما» موصولة، أو مصدرية، أي: والذي كسب، أو وكسبه.

أي: وما كسب من العمل الذي يظنه على شيء ومن الجاه ومن الولد وغير ذلك،

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٩٢، ٤/ ٣٤١ - ٣٤٢ وانظر «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٣٥١، ٤٢٣.

(٢) وقيل إن الاسم أشرف من الكنية فذكر بما هو أقل، قالوا: ولهذا ذكر الأنبياء كلهم بأسمائهم لا بكناهم، انظر «الجامع لأحكام القرآن» ٢٠/ ٢٣٦.

(٣) والدعاء من الله عليه يحتمل أن يراد به تعليم عباده الدعاء عليه، وأمرهم بذلك، ويحتمل أن يراد به ذمه في الملأ الأعلى، كما أن الصلاة على النبي ﷺ من الله معناها الثناء عليه في الملأ الأعلى.

(٤) أصابه مرض خطير مات بسببه، فلم يتمكنوا من تغسيله، فأراقوا عليه الماء فقط، وكان ذلك قبل وقعة بدر.

لأن الولد من الكسب كما جاء في الحديث «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم»[١].

وقد روي عنه أنه كان يقول: «لئن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفتدي نفسي يوم القيامة بمالي وولدي، فأنزل الله ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

والمعنى: أنه لم ينفعه ماله الذي جمعه، ولا ما كسبه من عمل أو ولد وغير ذلك، والذي كان سبب طغيانه، ولم يدفع عنه عذاب الله والتباب والخسران في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى عن قوم نوح ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾ أي: سيدخلها ويقاسي حرها ولفحها، ويغمر فيها، وتحيط به من كل جانب، والسين للاستقبال، وتفيد الوعيد، أي: هو كائن لا محالة، وإن تراخى وقته إليها، ونكرت (ناراً) للتهويل والتعظيم.

﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ذات: صفة لـ «ناراً» منصوبة، أي: ذات توقد واشتعال، وشرر ولهيب، وإحراق شديد.

فلم ينفع أبا لهب قربه من النبي ﷺ لما كفر وعاند وجحد الحق وسعى في إبطاله وقد أحسن القائل:

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه ... فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارس ... وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب

ولما سأل ﷺ ربه أن يدعو لأمه أنزل الله قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣، ١١٤].

ولما شق عليه ﷺ وعز عليه أن يموت عمه أبو طالب على الكفر مع الأيادي البيضاء التي قدمها للنبي ﷺ في الدفاع والذود عنه طيلة حياة أبي طالب أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

---

(١) أخرجه أبو داود في البيوع –الرجل يأكل من مال ولده ٣٥٣٠، وابن ماجه في التجارات ـ ما للرجل من مال ولده ٢٢٩٢، وأحمد ٢/ ١٧٩، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٤/ ١٥٨ـ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وقد سبق تخريجه من حديث عائشة ١/ ٢٨٣.

وقد أحسن القائل :

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم[١]

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ الواو عاطفة، «وامرأته» معطوف على الضمير المستتر في قوله ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾.

فالتقدير سيصلى هو وامرأته ناراً ذات لهب، ويحتمل كون الواو استئنافية وامرأته: مبتدأ، وخبره جملة ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٌ﴾.

﴿حَمَّالَةَ﴾ قرأها عاصم بالنصب، مفعول به لفعل محذوف تقديره «أذم»، وقيل حال من «وامرأته»، وقرأها الباقون بالرفع (حَمَّالَةُ) صفة لـ (امرأة).

و﴿حَمَّالَةَ﴾ مضاف، و ﴿ٱلۡحَطَبِ﴾ مضاف إليه.

وهي أم جميل العوراء، واسمها أروى بنت حرب، أخت أبي سفيان، وكانت شديدة الأذى لرسول الله ﷺ تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ.

وكانت تحمل الشوك من الحسك والسعدان وغير ذلك وتلقيه في طريق النبي ﷺ أذية له وكرهاً، وكانت تمشي بالنميمة.

يقال: فلان يحطب على فلان، إذا ورّش عليه ووشى به، قال الشاعر:

من البيض لم تُصطد على ظهر لأمة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

يعني: لم تمش بين الحي بالنميمة، وجعل الحطب رطباً ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر.

فهي بأذيتها للرسول ﷺ وسعيها بالفساد والنميمة، ومساعدتها لزوجها على الباطل والكفر والجحود والفساد تجمع على ظهرها الأوزار كما تجمع الحطب في النار لتحرق نفسها وزوجها.

﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٌ مِّن مَّسَدِۭ﴾ «في جيدها» جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، و(حبل) مبتدأ مؤخر (من مسد) جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ (حبل) التقدير: كائن من مسد.

---

(١) البيت لنهار بن توسعة.

و«جيدها» عنقها ورقبتها.

﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۢ﴾ أي: مما يفتل فتلاً قوياً من الحبال من الليف، أو الخوص، أو الجلود وغير ذلك.

قال الجوهري[١] : «المسد: الليف، والمسد أيضاً: حبل من ليف أو خوص، قد يكون من جلود الإبل أو أوبارها، ومَسَدت الحبل أمسُده مسداً: إذا أجدت فتله».

والمعنى: في عنقها حبل مفتول فتلاً قوياً من النار يطوق به.

وقد رُويَ أنها كانت لها قلادة فاخرة، فقالت لأنفقنها في عداوة محمد، فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار[٢].

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «لما نزلت ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ أقبلت العوراء، أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول:

مذمماً أبينا ... ودينه قلينا ... وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: يا رسول الله قد أقبلت، وأنا أخاف عليك أن تراك، فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني»، وقرأ قرآنا اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر، إني أخبرت أن صاحبك هجاني، قال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولت، وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها»[٣].

الفوائد والعبر:

١- الدعاء بالتباب والخيبة والخسران والهلاك على أبي لهب لقوله ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ وهذا دعاء عليه، وذم له.

٢- حكم الله تعالى الكوني بهلاك أبي لهب وخسرانه، وإبطال كيده الذي يكيد به للرسول ﷺ ولدينه.

---

(١) في «الصحاح» مادة «مسد».

(٢) انظر «تفسير ابن كثير» ٨/ ٥٣٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٧٢ - الأثر ١٩٥٢٢. وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥٣٦ وقال: «وقد روى الحافظ أبو بكر البزار معناه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال البزار: «لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد عن أبي بكر رضي الله عنه».

٣- أن ما حكم الله به كوناً نافذ لا محالة، لقوله ﴿وَتَبَّ﴾ وهذا من الله إخبار بأن أبا لهب تب وخسر فعلاً، وهذا موجب أن يموت أبو لهب على الكفر والشرك وقد وقع ذلك.

٤- أن المال والكسب من الولد وغيره لا يغني عن صاحبه شيئاً، ولا يدفع عنه أو يمنعه عذاب الله إذا لم يتخذ العبد له وقاية من عذاب الله بالإيمان بالله والعمل الصالح.

٥- أن المال والولد ونحو ذلك قد يكون سبباً للفتنة، ورد الحق، والتكبر عن الانقياد له، والغرور بذلك، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، وقال تعالى عن الوليد ابن المغيرة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدثر: ١١ – ١٥]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]، وقال عن صاحب الجنتين أنه قال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦].

٦- الوعيد لأبي لهب وامرأته حمالة الحطب في إصلائهما النار ذات اللهب والشرر والتوقد والاشتعال الشديد.

٧- أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب، وأنه لا ينفع الإنسان غداً إلا ما قدم من الإيمان والعمل الصالح فلا ينفع الإنسان شرف نسبه، ولا قرابته، مع الكفر والشرك والمعاصي، فأبو لهب عم النبي ﷺ لم ينفعه ذلك لما كفر وعاند وجحد الحق وسعى في إبطاله، بل سيصلى ناراً ذات لهب.

٨- صحة أنكحة الكفار فيما بينهم لقوله ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ وهكذا أسلم الكثير من الصحابة ولم يأمرهم النبي ﷺ بتجديد أنكحتهم وكان ﷺ يدعوهم لآبائهم.

٩- أن مما تعذب به امرأة أبي لهب حمالة الحطب أن يجعل في عنقها حبل من مسد النار.

١٠- التحذير من أذية الرسول ﷺ والمؤمنين وقد ذكر المفسرون أن امرأة أبي لهب كانت تؤذي رسول الله ﷺ وتعين زوجها على أذيته والكيد له وللإسلام والمسلمين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا

مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧، ٥٨].

١١- التحذير من السعي بين الناس بالنميمة، وقد ذكر أهل التفسير أن امرأة أبي لهب كانت تمشي بالنميمة بين الناس، والنميمة من أكبر الكبائر. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[(١)].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة نمام»[(٢)].

قال الفضيل بن عياض: «ثلاث تهد العمل الصالح، وتفطر الصائم، وتنقض الوضوء[(٣)] : الغيبة والنميمة والكذب»

وقال أكثم بن صيفي لبنيه: «إياكم والنميمة فإنها محرقة، وإن النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر».

قال بعضهم:

إن النميمة نار ويك محرقة ... ففر عنها وجانب من تعاطاها[(٤)]

١٢- في هذه السورة آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة.

١٣- في هذه السورة معجزة ظاهرة، ودليل واضح، وبرهان ساطع على ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ.

١٤- أن الجزاء من جنس العمل فحيث دعا أبو لهب على النبي ﷺ بالتباب دعي عليه بذلك بل حكم الله عز وجل ـ عليه بذلك وكما كان هو وامرأته يؤذيان النبي ﷺ كان لهما العذاب والأذى في نار جهنم.

---

(١) أخرجه البخاري في الوضوء ٢٠٩، ومسلم في الطهارة ٤٣٩، وأبو داود في الطهارة ١٩، والنسائي في الجنائز ٢٠٤١، والترمذي في الطهارة ٦٥ وابن ماجه في الطهارة وسننها ٣٤١.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب ٦٠٥٦، ومسلم في الإيمان ١٠٥، وأبو داود في الأدب ٤٨٧١، والترمذي في الصلة ٢٠٢٦.

(٣) كونها تهد العمل الصالح ظاهر فأعمال النمام تذهب لغيره، وأما كونها تفطر الصائم وتنقض الوضوء فمعناه أنها تنقص الأجر.

(٤) انظر «الجامع لأحكام القرآن» ٢٠/ ٢٣٩.

تفسير سورة الإخلاص[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾

سبب نزول هذه السورة

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «إن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾»[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: انسب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها»[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاءت اليهود إلى النبي ﷺ، منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب،فقالوا: يا محمد صف لنا ربك، الذي بعثك فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ﴾ فيخرج منه شيء ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيخرج من شيء»[(٤)].

ومحصل هذه الروايات بمجموعها أن المشركين من أهل مكة ومن أهل الكتاب سألوا النبي ﷺ أن ينسب ويصف لهم ربه فأنزل الله هذه السورة.

---

(١) قد أفردت هذه السورةمع سورتي المعوذتين برسالة سميتها «الحرز الأمين في تدبر سورة الإخلاص والمعوذتين» وقد ضمنت جلها في هذا التفسير، مع ما فيها من الإطناب والاستطراد لأمور تربوية وتوجيهية وفوائد أرجو من الله العلي القدير أن ينفع بها وأن يعفو عني.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ١٣٣ ـ ١٣٤، والترمذي في التفسير ـ تفسير سورة الإخلاص ٣٤٢٤، والطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٧٢٧ وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٧٤ ـ الأثر ١٩٥٣٢.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٢٤/ ٧٢٨، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥٣٨. وقال «إسناده مقارب» وقال ابن كثير أيضاً ـ بعدما ذكر رواية ابن جرير له قال: «وقد أرسله غير واحد من السلف».

وقد روي من طريق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قالت قريش لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك» فنزلت هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥٣٨ وقال: «قال الطبراني: رواه الفريابي وغيره عن أبي وائل مرسلاً».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٧٤ ـ الأثر ١٩٥٣٤، وفي رواية عن يوسف بن عبدالله بن سلام أن عبد الله بن سلام قال: «يا رسول الله انعت لنا ربك، فأنزل الله هذه السورة، فأسلم عبد الله بن سلام» أخرجها ابن أبي حاتم ـ الأثر ١٩٥٣٣.

فضل هذه السورة:

سورة الإخلاص سورة عظيمة من أعظم سور القرآن الكريم لما اشتملت عليه من الدلالة على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. ولهذا سميت سورة الإخلاص.

وقد وردت أحاديث عدة في فضلها، وفضل قراءتها في الصلاة وخارجها، وفي أدبار الصلوات، وفي الصباح والمساء، وعند النوم والقيام منه، وللاستشفاء بها، وفي أنها تعدل ثلث القرآن، إلى غير ذلك. منها ما يلي:

أ ـ ما ورد في فضل قراءتها وفضل حبها وحب قراءتها:

عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ بعث رجلاً في سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: سلوه، لأي شي يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبه»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرا سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك، حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره. فلما أتاهم النبي ﷺ ـ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما يحملك على لزوم هذه في كل ركعة»؟ قال: إني أحبها، قال: «حبك إياها أدخلك الجنة»[(٢)].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال: أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ٧٣٧٥، ومسلم في صلاة المسافرين ـ فضل قراءة (قل هو الله احد)، ٨١٣، والنسائي في الافتتاح ـ الفضل في قراءة (قل هو الله أحد) ٩٩٣.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الأذان ٧٧٤، والترمذي في فضائل القرآن ـ ما جاء في سورة الإخلاص ٢٩٠١، وقال: «حديث غريب»،وأخرجه أحمد ٣/ ١٤١ مختصراً عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ـ فقال: «إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) فقال رسول الله ﷺ: «حبك إياها أدخلك الجنة».

ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «وجبت». قلت: وما وجبت؟ قال:«الجنة»[1].

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات بنى الله لـه قصراً في الجنة، فقال عمر: إذن نستكثر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: الله أكثر وأطيب»[2].

ب ـ ما ورد في أنها تعدل ثلث القرآن:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك لـه، وكأن الرجل يتقالها، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[3].

وفي رواية عن أبي سعيد قال، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: (الله الصمد) ثلث القرآن»[4].

وفي رواية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده لتعدل نصف القرآن، أو ثلثه»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن ـ ماجاء في سورة الإخلاص ٢٨٩٧، ومالك في الموطا ـ كتاب القرآن ـ ما جاء في قراءة (قل هو الله أحد) حديث ٤٨٤.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٣٧ وقال ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥٤٤: «تفرد به أحمد» وأخرجه الدارمي في مسنده من حديث سعيد بن المسيب بأطول من هذا، ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥٤٤ وقال: «مرسل جيد».

(٣) أخرجه البخاري في الأيمان ـ باب كيف كان يمين النبي ﷺ، ٦٦٤٣، وفي فضائل القرآن ـ فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ ٥٠١٣، ٥٠١٤، وفي التوحيد ٧٣٧٤، وأخرجه أبوداود في الصلاة ١٤٦١، والنسائي في الافتتاح ٩٩٥. وروى نحوه من حديث أبي مسعود البدري ـ رضي الله عنه أحمد ٤/ ١٢٢، وابن ماجه في الآداب ـ ثواب القرآن ٣٧٨٩.

(٤) أخرجها البخاري في فضائل القرآن ـ باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ ٥٠١٥ وقد أخرج مسلم في صلاة المسافرين ـ فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾٨١١، وأحمد ١/ ٤٧٧ ـ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه نحوه. وكذلك روى نحوه من حديث أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أحمد ٥/ ٤١٨ ـ ٤١٩، والترمذي في فضائل القرآن ـ فضل سورة الإخلاص ٢٨٩٦.

ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت: قال رسول الله ﷺ (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن» أخرجه أحمد ٦/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

وهكذا روي عن نفر من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن» رواه النسائي في اليوم والليلة. انظر: «تفسير ابن كثير» ٨/ ٥٤٢.

(٥) أخرجها البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٤، وأحمد ٣/ ١٥ ـ ورُويَ معنى هذا من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أخرجه أحمد ٢/ ١٧٣.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد من حشد، ثم خرج النبي ﷺ، فقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل. فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، إني لأرى هذا خبراً جاء من السماء، ثم خرج نبي الله ﷺ، فقال: إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن»[1].

جـ ـ ما ورد في فضل قراءتها مع المعوذتين في الصباح والمساء.

عن معاذ بن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لـه: «قل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»[2].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله بم نجاة المؤمن؟ قال يا عقبة: «أخرس لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[3] قال: ثم لقيني رسول الله ﷺ؛ فابتدأني فأخذ بيدي فقال يا عقبة بن عامر: «ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم؟» قال: قلت بلى، جعلني الله فداك. قال: فأقرأني ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم قال: يا عقبة، «لا تنسهن، ولا تبت ليلة حتى تقرأهن»، قال: فما نسيتهن منذ قال: «لا تنسهن» وما بت ليلة قط حتى أقرأهن. قال عقبة: ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: «يا عقبة، صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك[4]»[5].

---

(١) أخرجه مسلم في الصلاة، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ٨١٢، والترمذي في فضائل القرآن ـ ماجاء في سورة الإخلاص ٢٩٠٠، وابن ماجه في الأدب ٣٧٨٧.
وروي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، أو رجل من الأنصار قال: قال رسول الله ﷺ من قرأ (قل هو الله أحد) فكأنما قرأ بثلث القرآن» رواه أحمد فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٨/ ٥٤١.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٥٠٨٢، والنسائي في الاستعاذة ٥٤٢٨، ٥٤٢٩، والترمذي في الدعوات ٣٥٧٥ ، وأحمد ٥/ ٣١٢.

(٣) في هذا التوجيه الكريم: التحذير من فضول الكلام، وفضول مخالطة الأنام، والحث على صدق الإنابة والتوبة من الآثام ـ والله المستعان.

(٤) هذه الصفات الثلاث لا تتوفر إلا لمن وفقه الله للتذرع بالصبر كما قال عز وجل ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

(٥) أخرجه أحمد ٤/ ١٥٨ ـ ١٥٩، وأخرجه الترمذي مختصراً ـ وليس فيه ذكر خيريّة هذه السور ـ في الزهد ـ ما جاء في حفظ اللسان ٢٤٠٦، وقال: «حديث حسن».

=

د ـ ما ورد في قراءتها مع المعوذتين عند النوم.

عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم يمسح ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات»[1].

هـ ـ ما جاء أن فيها اسم الله الأعظم.

عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو، يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن لـه كفواً أحد. قال: «والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»[2].

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(قل) أمر للنبي ﷺ ولكل من يصلح لـه الأمر والخطاب من أفراد أمته. أي: قل قولاً جازماً به، معتقداً لـه، عارفاً بمعناه.

(هو الله أحد) «هو» ضمير الشأن مبتدأ، وخبره «الله أحد» والجملة من المبتدأ وخبره في محل نصب مقول القول،وكذا ما بعدها.

ولفظ الجلالة «الله» معناه المألوه المعبود بحق محبة وتعظيماً، وذلاً وخضوعاً، وخوفاً ورجاءً.

وقال (أحد) ولم يقل: الأحد، لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحداً في الإثبات مفرداً غير مضاف سواه سبحانه وتعالى، بخلاف النفي وما في معناه كالاستفهام، فإنه يقال:

=

وهذا الحديث إن صح لا يعارض ما ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي سعيد بن المعلى وغيره من أن سورة الفاتحة هي أفضل وأعظم سورة في القرآن، وتكون خيرية هذه السور الثلاث بين سور القرآن ما عدا سورة الفاتحة التي هي أفضل سورة في القرآن بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ـ باب المعوذات ٥٠١٧، وأبوداود في الأدب ما يقال عند النوم ٥٠٥٦، والترمذي في أبواب الدعوات ـ ما يقرأ من القرآن عند النوم ٣٤٠٢، وابن ماجه في الدعاء ، ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه ٣٨٧٥.

(٢) أخرجه أبو داود في الوتر ـ باب الدعاء ١٤٩٣، والترمذي في أبواب الدعوات ـ جامع الدعوات ٣٤٧٥، وابن ماجه في الدعاء ـ باب اسم الله الأعظم ٣٨٥٧.

هل عندك أحد، وما جاءني أحد.

ومعنى (أحد) أي الواحد، الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ولهذا قال بعده ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾.

قال ابن كثير[1] رحمه الله تعالى: «يعني هو الواحد الأحد، الذي لا نظير لـه، ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه،ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ـ عز وجل ـ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله».

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل رفع خبر ثان لـ «هو».

وأدخل «ال» على الصمد لأن المستحق لوصف الصمدية على الكمال والتمام هو الله وحده لا شريك لـه بخلاف المخلوق فهو وإن سمي صمداً من بعض الوجوه فلا يقال لـه «الصمد» بالصمدية المطلقة، وإنما يقال لـه «صمد» بمطلق الصمدية.

و(الصمد) المقصود في جميع الحوائج، المستغني عن كل ما سواه، والذي كل ما سواه محتاج ومفتقر إليه، الذي تصمد وتتجه إليه الخلائق، وتقصده في طلب قضاء حوائجهم ومسائلهم الدينية والدنيوية،قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النحل: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

والصمد: السيد الذي قد كمل في سؤدده، والذي بلغ من كل وصف مما يوصف به غاية كماله ونهايته، سؤدداً وشرفاً وعظمة وحلماً وعلماً وحكمة وحكما،الحي القيوم الذي لا زوال لـه،والذي لم يلد ولم يولد.

والصمد الذي لا جوف لـه، وقيل غير ذلك.

قال ابن تيمية[2] بعدما ذكر الأقوال في معنى «الصمد» قال: «قلت الاشتقاق يشهد للقولين جميعاً، قول من قال: إن الصمد الذي لا جوف لـه، وقول من قال: إنه السيد، وهو على الأول أدل، فإن الأول أصل الثاني».

---

(١) في «تفسيره» ٨/ ٥٤٧.

(٢) انظر «دقائق التفسير» ٦/ ٣٥٦ ـ ٣٦٩.

وقال ابن كثير[١] بعد سياق كثير من الأقوال في معنى «الصمد»: «وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في «كتاب السنة» له بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسيره «الصمد»: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل، هو الذي يُصمد إليه في الحوائج،وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه.وقال البيهقي نحو ذلك».

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ أي: لم يكن له ولد، كما قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨، ١٥٩].

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: لم يتولد من غيره، فيكون محدثاً، بل هو القائم بذاته، القيوم أزلاً وأبدا.

لأن (الولد) ما تولد من شيء أو شيئين كآدم خلق وتولد من التراب، وحواء خلقت وتولدت من آدم، وعيسى تولد من مريم، أنثى بلا ذكر، وسائر الخلق تولدوا من ذكر وأنثى.

وعلى هذا فالولد محدث مخلوق بعد أن لم يكن كما قال عز وجل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، أي: قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧].

وما كان محدثاً مخلوقاً فهو يفنى كما قال عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

---

(١) في «تفسيره» ٨/ ٥٤٧ ـ ٥٤٨.

والله عز وجل هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية كما قال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: لم يكن لـه مكافئاً، ولا مماثلاً، ولا شبيهاً، ولا نظيراً، كما قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال السعدي[1]: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله تبارك وتعالى، فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات».

---

(١) في «تيسير الكريم الرحمن» ٧/ ٦٨٦.

الفوائد والعبر:

١ـ أن الرسول ﷺ إنما هو مبلغ عن الله عز وجل لقوله (قل) وفي هذا الرد على من يزعم من أهل الكفر والضلال أن الرسول ﷺ اختلق القرآن، وأن هذا النظم كلامه ابتدأ به. كما أن في هذا الرد على الغلاة الذين يرفعونه ﷺ إلى مقام الربوبية فهو ﷺ عبد لا يعبد ونبي ورسول لا يكذب.

٢ ـ إثبات العبادة لله تعالى وحده دون سواه، لقوله: (هو الله أحد)، لأن معنى لفظ الجلالة (الله): المألوه المعبود بحق محبة وتعظيماً.

٣ ـ إثبات الوحدانية لله عز وجل، وأنه الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله لقوله (قل هو الله أحد)، بل كل هذه السورة دليل على إثبات توحيد الأسماء والصفات لـه عز وجل.

٤ ـ إثبات ربوبيته عز وجل وحاجة الخلائق كلهم إليه عز وجل وغناه سبحانه وتعالى عمن سواه، لقولـه (الله الصمد) أي: الذي تصمد إليه الخلائق وتتجه إليه وتقصده بطلب قضاء الحوائج، إذ الخير كله بيديه، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

٥ ـ نفي الولد والمجانس والقريب المداني لـه عز وجل لقولـه ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ كما قال عز وجل ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

٦ ـ الرد على أهـل الشرك من أهل الكتاب وغيرهم في نسبتهم الولد إلى الله عـز وجل، وقول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، وزعم المشركين أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢١، ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم

ولم يكن لـه ذلك، وشتمني ولم يكن لـه ذلك، فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته [(١)]. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفواً أحد»[(٢)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنهم يجعلون لـه ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم»[(٣)].

٧ ـ إثبات أنه عز وجل الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية لقولـه (ولم يولد) لأن ما تولد من غيره محدث، ونهايته إلى الفناء والله عز وجل منزه عن ذلك كله، قال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

٨ ـ تنزيه الله عز وجل عن المكافئ والشبيه والمثيل والنظير لقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فلا مكافئ لـه ولا شبيه، ولا مثيل، ولا نظير، بل هو الواحد الأحد، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

٩ ـ وجوب الإقرار والاعتراف ظاهراً وباطناً، بنطق اللسان وتصديق القلب، وانقياد الجوارح بألوهية الله عز وجل ووحدانيته وصمديته وربوبيته، وتنزهه عن الولد والوالد والمكافئ لقوله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخر السورة.

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].
(٢) أخرجه البخاري في التفسير ٤٩٧٤، ٤٩٧٥، والنسائي في الجنائز ٢٠٧٨.
(٣) أخرجه البخاري في الأدب ٦٠٩٩، ومسلم في صفة القيامة، ٢٨٠٤.

تفسير ســـورة الفلـــق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

كان النبي ﷺ قبل نزول هذه السورة وسورة الناس يتعوذ من الجان وعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذبهما، وترك ما سواهما[1].

اسم السورة:

تسمى هذه السورة: سورة الفلق.وتسمى مع السورة التي بعدها ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ بالمعوذتين قال ابن القيم[2]: «فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيون التي أصلها كلها الوسوسة».

سبب النزول:

روي عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما، أن هذه السورة مع سورة الناس نزلتا في سحر اليهود للنبي ﷺ[3].

فضل المعوذتين:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[4].

وفي بعض الروايات: أن الرسول ﷺ قال لعقبة بن عامر رضي الله عنه: «ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟» قلت: بلى يا رسول الله فأقرأني: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ثم مر بي، فقال: «كيف رأيت يا عقيب اقرأ بهما كلما نمت، وكلما قمت»[5].

---

(١) أخرجه النسائي في الاستعاذة٥٤٩٤، والترمذي في الطب ٢٠٥٨ ـ وقال: «حديث حسن غريب» وابن ماجه في الطب ٣٥١١ ـ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) انظر «التفسير القيم» ص٦٠٠.

(٣) انظر «التفسير القيم» ص٥٦٧، «تفسير ابن كثير» ٨/ ٥٥٧.

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ـ باب فضل قراءة المعوذتين ٨١٤، ، والنسائي في الافتتاح ٩٥٣، والترمذي في التفسير ـ تفسير المعوذتين ٣٣٦٧، وأحمد ٤/ ١٤٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠.

(٥) أخرجه أبو داود في الوتر ١٤٦٢، والنسائي في الاستعاذة ٥٠٢٤، ٥٠٢٥.

وعن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»(١).

وعن ابن عابس الجهني أن النبي ﷺ قال لـه: يا ابن عابس «ألا أدلك، أو قال: ألا أخبرك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، هـتين السورتين»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقرأ بهما وينفث في كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، وما بلغت يداه من جسده»(٣).

قال ابن القيم رحمه الله(٤): «والمقصود: الكلام على هـتين السورتين، وبيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيراً خاصاً في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهـتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس».

قولـه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾.

﴿قُلْ﴾ الأمر فيه للرسول ﷺ ولكل فرد من أفراد أمته ممن يصلح لـه الخطاب، فلا يدخل فيه المجنون والصغير ونحوهما لقولـه ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة؛ النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفيق، والصغير حتى يبلغ»(٥).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ عن المعوذتين؟ فقال: «قيل لي، فقلت: فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ»(٦).

وجملة ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وما بعدها إلى نهاية السورة في محل نصب مقول القول.

ومعنى ﴿أَعُوذُ﴾: أعتصم وألتجئ وأستجير وأتحصن وأتحرز وألوذ وهذا هو الركن

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وقال الترمذي «حديث غريب». وأحمد ٤/ ١٥٥.

(٢) أخرجه النسائي في الاستعاذة ٥٤٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ٥٠١٨، ومسلم في السلام ٢١٩٢، وأبو داود في الطب، ٣٩٠٢، وابن ماجه في الطب ٣٥٢٩.

(٤) انظر «التفسير القيم» ص٥٣٧.

(٥) أخرجه أبو داود في الحدود ٤٤٠٣، والترمذي في الحدود ١٤٢٣، وابن ماجه في الطلاق ٢٠٤٢ ـ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(٦) أخرجه البخاري في تفسير سورة الناس ٤٩٧٦، ٤٩٧٧.

الأول من أركان الاستعاذة، وهو نفس «التعوذ».

﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ (برب) جار ومجرور متعلق بقوله (أعوذ) وهذا هو الركن الثاني من أركان الاستعاذة، وهو: المستعاذ به، وهو رب الفلق. والباء: للاستعانة، و (الرب) لغة: مأخوذ من التربية والتنمية للشيء والقيام عليه وإصلاحه.

قال تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣]، أي: اللاتي تربونهن في حجوركم. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي: القيوم على كل شي سبحانه.

والرب: هو الخالق المالك المدبر، فرب الفلق خالقه ومالكه ومدبره.

ويأتي «الرب» بمعنى المعبود، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٤٩]، أي:آلهة.

ويأتي بمعنى «الصاحب» كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]، فالمعنى هنا: صاحب العزة.

و(الرب) بالتعريف لا يطلق إلا على الله.

و«رب كذا» بالإضافة يطلق على الله وعلى غيره، فيقال: رب الدار، ورب الناقة، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ [يوسف: ٥٠].

وربوبية الله عز وجل لخلقه تنقسم إلى قسمين: ربوبية عامة لجميع خلقه بمعنى: خالقهم ومالكهم ومدبرهم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وربوبية خاصة بأوليائه بتوفيقه لهم للطريق المستقيم في الدنيا، وفي الآخرة إلى الجنة، كما في قول المؤمنين ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

و(الفلق): الخلق، والشق، وكل ما انشق عن شيء فهو فلق، فالصبح والحب فلق، قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. أي الذي خلق وشق الحب والنوى فأخرج منه النبتة فأخرج من الحبة السنابل الكثيرة المشتملة على مئات الحبات كما قال عز وجل: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وأخرج من النواة النخلة، بل العدد من النخيل المثمرة، كما قال عز وجل: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

وخلق وشق الصبح وضياءه من ظلام الليل الدامس البهيم، وفي الحديث: «أنه ﷺ ما رأى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[١].

وكل ما انفلق وانشق عن غيره من نبات، وحيوان وغير ذلك فهو فلق.

قال ابن تيمية رحمه الله[٢]: «وإذا قيل: الفلق يعم ويخص، فبعمومه للخلق استعيذ من شر ما خلق، وبخصوصه للنور النهاري ـ يعني الصبح ـ استعيذ من شر غاسق إذا وقب».

وقال ابن القيم رحمه الله [٣]: «واعلم أن الخلق كله فلق، وذلك أن فَلَق «فَعَل» بمعنى «مفعول» كقبض وسلب وقنص بمعنى مقبوض ومسلوب ومقنوص. والله عز وجل (فالق الإصباح) و (فالق الحب والنوى) وفالق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأجنة، والظلام عن الإصباح، ويسمى الصبح المتصدع عن الظلمة «فَلَقاً وفَرَقاً» يقال: هو أبيض من فَرَق الصبح وفَلَقه.. يفرق ظلام الليل بالإصباح.. ومنه فلقه البحر لموسى، وسماه «فلقاً»».

قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

في هذه الآيات: الركن الثالث من أركان الاستعاذة، وهو المستعاذ منه، وهو أمور أربعة. الأول منها: ذكره الله عز وجل بقوله:

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ فهذا هو المستعاذ منه الأول في هذه السورة. وقوله ﴿مِن شَرِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ(أعوذ) و (ما) موصولة، وهي تفيد العموم، لكنه عموم تقييدي وصفي لا عموم إطلاقي، أي: أعوذ برب الفلق من شر جميع المخلوقات التي فيها شر، سواء من شرور الدنيا أو الآخرة، من شر شياطين الإنس والجن، وشر السباع والهوام، وشر النار وشر النفس كما قال ﷺ «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا»[٤]، وغير ذلك، وليس المراد الاستعاذة من شر كل ما خلقه الله، وإن كان مماليس فيه شر، بل هو خير محض

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي ٣، ومسلم في الإيمان ١٦٠، وأحمد ٦/ ١٥٣، ٢٣٢ ـ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر «دقائق التفسير» ٦/ ٤٩٦.

(٣) انظر «التفسير القيم» ص٥٦٢.

(٤) أخرجه أبو داود في النكاح ٢١١٨، والنسائي في الجمعة ١٤٠٤، والترمذي في النكاح ١١٠٥، وابن ماجه في النكاح ١٨٩٢ ـ من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه.

كالجنة والملائكة، وكذا الأنبياء فإنهم خير محض، بل الخير كله حصل على أيديهم.

فدخل تحت قولـه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ الاستعاذة من كل شر، في أي مخلوق قام به الشر: من حيوان أو غيره، إنسياً كان أو جنياً أو هامة أو دابة أو ريحاً أو صاعقة، أو أي نوع كان من أنواع البلاء والشرور.

وقد رُويَ أنه ﷺ إذا سافر فأقبل الليل، قال: «يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد»[(١)].

قال ﷺ: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل منه»[(٢)].

وفي الحديث الآخر: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»[(٣)].

والشر: هو الآلام الحسية والمعنوية، الجسدية والنفسية، وما يسببها من الكفر والشرك والمعاصي، فما من ألم نفسي أو معنوي، جسدي أو نفسي إلا سببه الكفر والمعاصي، قال عز وجل: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

قال ابن القيم رحمه الله[(٤)]: «الشر يقال على شيئين على الألم، وعلى ما يفضي إليه، فالمعاصي والكفر والشرك وأنواع الظلم شرور، وإن كان لصاحبها فيها نوع لذة، لكنها شرور لأنها أسباب للآلام ومفضية إليها كإفضاء سائر الأسباب إلى مسبباتها، فترتب الألم عليها كترتب الموت على تناول السموم القاتلة وعلى الذبح، والإحراق في النار، والخنق بالحبل، وغير ذلك من الأسباب التي تكون مفضية إلى مسبباتها ولابد، ما لم يمنع من

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد ٢٦٠٣ ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء ٢٧٠٨، والترمذي في الدعوات ٣٤٣٧، وابن ماجه في الطب ٣٥٤٧ ـ من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٤١٩ ـ من حديث عبد الرحمن بن خَنْبَش رضي الله عنه.

(٤) انظر «التفسير القيم» ص٥٤٤ ـ ٥٤٨.

السببية مانع، أو يعارض السبب ما هو أقوى منه... وهل زالت عن أحد قط نعمة إلا بشؤم معصيته، فإن الله إذا أنعم على عبد نعمة حفظها الله عليه، ولا يغيرها حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

ومن تأمل ما قص الله في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال الله نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله، وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره، وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عاقبة الذنوب كما قيل:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم[1]

فما حفظت نعمة لله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن العبد نعمة بمثل معصيته لربه، فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس، ومن سافر بفكره في أحوال العالم استغنى عن تعريف غيره لـه.

وأما كون مسبباتها شروراً فلأنها آلام نفسية وبدنية، فيجتمع على صاحبها مع شدة الألم الحسي ألم الروح بالهموم والغموم والأحزان والخسران ولو تفطن العاقل اللبيب لهذا حق التفطن لأعطاه حقه من الحذر والجد والهرب، ولكن قد ضُرب على قلبه حجاب الغفلة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً فلو تيقظ حق التيقظ لتقطعت نفسه في الدنيا حسرات على ما فاته من حظه العاجل والآجل من الله، وإنما يظهر هذا حقيقة الظهور عند مفارقة هذا العالم والإشراف والاطلاع على عالم البقاء فحينئذ يقول ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

ولما كان الشر هو الآلام وأسبابها كانت استعاذات النبي ﷺ جميعها مدارها على هذين الأصلين فكل ما استعاذ منه أو أمر بالاستعاذة منه فهو إما مؤلم، وإما سبب يفضي إليه، فكان يتعوذ في آخر الصلاة من أربع، وأمر بالاستعاذة منهن، وهي: «عذاب القبر،

---

(١) هـذا البيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر «ديوانه» ص١٧٥، ١٧٦ ـ جمع نعيم زرزورة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وعذاب النار» فهذان أعظم المؤلمات «وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال» وهذان سبب العذاب المؤلم، فالفتنة سبب العذاب... فعادت الاستعاذة إلى الاستعاذة من الألم والعذاب وأسبابه.وهذا من آكد أدعية الصلاة...».

وقال ابن القيم أيضاً [١]: «والشر المستعاذ منه نوعان: أحدهما: موجود، يطلب رفعه، والثاني: معدوم، يطلب بقاؤه على العدم، وأن لا يوجد.

كما أن الخير المطلق نوعان: أحدهما: موجود، فيطلب دوامه وثباته، وأن لا يسلبه. والثاني: معدوم، فيطلب وجوده وحصوله، فهذه أربعة هي أمهات مطالب السائلين من رب العالمين، وعليها مدار طلباتهم».

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ هذا هو المستعاذ منه الثاني في هذه السورة، وهو والمستعاذ منه الثالث، والرابع كلها داخلة ضمن المستعاذ منه الأول، وهو قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من باب التخصيص بعد التعميم لعظم ضرر هذه الأشياء الثلاثة وشدة خفائها.

والغاسق هو الليل وظلمته، يقال غسق الليل وأغسق الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ١٧].

وقوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ أي: إذا أقبل ودخل في كل شيء، والوقوب: الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «أخذ النبي ﷺ بيدي، فنظر إلى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب» [٢].

فالقمر غاسق إذا وقب، أي: إذا غاب، والليل غاسق إذا دخل بظلمته كل شيء.

وقيل المراد بغسق الليل: برودته.

قال ابن القيم [٣]: «ولا تنافي بين القولين فإن الليل بارد ومظلم، فمن ذكر برده فقط، أو ظلمته فقط اقتصر على أحد وصفيه».

والأظهر من القولين، القول الأول أن المراد بالغاسق الليل إذا أقبل ودخل بظلامه، ومنه القمر إذا وقب.

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص٥٤٨.

(٢) أخرجه الترمذي في «التفسير» ٣٣٦٦. وقال «حديث حسن صحيح».

(٣) انظر «التفسير القيم» ص٥٥٨.

قال ابن القيم: «والظلمة في الآية أنسب لمكان الاستعاذة فإن الشر الذي يناسب الظلمة أولى بالاستعاذة من البرد الذي في الليل، ولهذا استعاذ برب الفلق، الذي هو الصبح والنور، من شر الغاسق الذي هو الظلمة، فناسب الوصف المستعاذ به المعنى المطلوب بالاستعاذة».

وإنما أمر الله بالاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب وهو الليل إذا أقبل بظلمته ودخل في كل شيء، لأن الليل هو محل الظلام وفيه تتسلط وتنتشر شياطين الإنس والجن والهوام وغيرها من الأرواح الشريرة والخبيثة المؤذية والمفسدة.

ولهذا قال ﷺ: «إذا أقبل الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك، واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله، وخمّر إناءك واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئاً»[١].

وفي رواية: «فإن الله عز وجل يبث في ليله من خلقه ما يشاء»[٢].

فالشياطين من الإنس والجن والحيوانات تتسلط في الليل لأنه محل الظلام ما لا تتسلط بالنهار، لأن النهار نور، والشياطين إنما سلطانهم في الظلمات والمواضع المظلمة، وعلى أهل القلوب المظلمة بالكفر والمعاصي، الخالية من ذكر الله ونوره.

قال ابن تيمية[٣] بعدما ذكر القولين في معنى «غاسق» قال: «فالقمر أحق ما يكون بالليل بالاستعاذة، والليل مظلم، تنتشر فيه شياطين الإنس والجن مالا تنتشر بالنهار، ويجري فيه من أنواع الشر ما لا يجري بالنهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والخيانة والفواحش، وغير ذلك، فالشر دائماً مقرون بالظلمة، ولهذا إنما جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم، لكن شياطين الإنس والجن تفعل فيه من الشر ما لا يمكنها فعله بالنهار، ويتوسلون بالقمر وبدعوته، والقمر وعبادته. وأبو معشر البلخي له «مصحف القمر» يذكر فيه من الكفريات والسحريات ما يناسب الاستعاذة منه».

وقال ابن القيم[٤]: «روي أن سائلاً سأل مسيلمة: كيف يأتيك الذي يأتيك؟ فقال: «في ظلماء حندس» وسئل النبي ﷺ: «كيف يأتيك؟ فقال: «في مثل ضوء النهار» فاستدل

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢٨٠، ومسلم في الأشربة ٢٠١٢، وأبوداود في الأشربة ٣٧٣٣، والترمذي في الأطعمة ١٨١٢، وابن ماجه في الأدب ٣٧٧١ ـ من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجها أحمد ٣/٣٠٦، ٣٥٥.

(٣) انظر «دقائق التفسير» ٦/٤٩٧.

(٤) انظر «التفسير القيم» ص٥٦٠ ـ ٥٦٢.

بهذا على نبوته، وأن الذي يأتيه ملك من عند الله، وأن الذي يأتي مسيلمة شيطان.

ولهذا كان سلطان السحر إنما هو بالليل دون النهار، فالسحر الليلي عندهم هو السحر القوي التأثير، ولهذا كانت القلوب المظلمة هي محال الشياطين وبيوتهم ومأواهم والشياطين تجول فيها وتتحكم، كما يتحكم ساكن البيت فيه، وكلما كان القلب أظلم كان للشيطان أطوع، وهو فيه أثبت وأمكن.

ومن ههنا تعلم السر في الاستعاذة برب الفلق في هذا الموضع، فإن الفلق هو الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور، وهو الذي يطرد جيش الظلام، وعسكر المفسدين في الليل فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص، وكل قاطع طريق إلى سرب أو كن أو غار، وتأوي الهوام إلى أجحرتها، والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ومحالها.

فأمر الله عباده أن يستعيذوا برب النور، الذي يقهر الظلمة ويزيلها، ويقهر عسكرها وجيشها، ولهذا ذكر سبحانه في كل كتاب: أنه يخرج عباده من الظلمات إلى النور، ويدع الكفار في ظلمات الكفر، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]»

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ هذا هو المستعاذ منه الثالث في هذه السورة، وهو: شر النفاثات.

و«النفاثات» جمع نفاثة، وهن السواحر اللاتي يرقين وينفثن في العقد، أي اللاتي يعقدن عقداً وينفثن على كل عقدة، حتى ينعقد ما يردن من السحر، والنفث: هو النفخ مع ريق، وهو دون التَّفْل، وهو مرتبة بينهما. والعقد: عقد الخيوط التي يعقدنها وينفثن فيها قال ﷺ: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه»(١).

والمراد بالنفاثات: الأنفس الخبيثة السواحر، فيشمل جميع الأنفس السواحر الخبيثة، من الذكور والإناث.

وقيل المراد النساء السواحر، وخص النساء بالذكر لأن السحر فيهن أكثر لضعف عقولهن ودينهن.

---

(١) أخرجه النسائي في تحريم الدم ٤٠٧٩ ـ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

قال ابن القيم [(١)]: «والجواب المحقق أن النفاثات هنا: هن الأرواح والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات، لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح ا لشريرة، وسلطانه إنما يظهر منها، ولهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث، دون التذكير، والله أعلم».

وقال أيضاً [(٢)]: «والنفث فعل الساحر، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة، نفخ في تلك العقد نفخاً معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى، مقترن بالريق الممازج لذلك، وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري، لا الأمري الشرعي».

وقال الزمخشري [(٣)]: «وعرف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة، ونكر غاسق لأنه ليس كل غاسق فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضر، ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات».

والسحر من صفات اليهود، فهم أسحر الناس قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قوله ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ هذا هو المستعاذ منه الرابع والأخير في هذه السورة، وهو شر الحاسد إذا حسد.

والحاسد: هو الذي يكره الخير للغير، وربما سعى بمنع ذلك أوزواله عنهم بما يستطيع من الأسباب بفعله بيده، أو بقوله بلسانه، أو بتمني زوال النعمة عنهم، وغير ذلك.

وهكذا ذكر ابن القيم [(٤)] للحسد المذموم مرتبتين: الأولى: تمني زوال النعمة عن الغير، والثانية تمني استصحاب عدم النعمة، قال: «فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله، من جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن الله، أو قلة دينه، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب، فهذا حسد على شيء مقدر، والأول حسد

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص٥٦٤.
(٢) انظر« التفسير القيم» ص٥٦٣.
(٣) في «الكشاف» ٤/ ٢٤٤.
(٤) انظر «التفسير القيم» ص٥٨٤.

على شيء محقق، وكلاهما حاسد، عدو نعمة الله، وعدو عباده، وممقوت عند الله وعند الناس».

وإبليس أول الحاسدين، حسد أبانا آدم عليه السلام على شرفه وفضله، وأبى أن يسجد لـه حسداً وكبراً. وعلى هذا فالحسد يكون من شياطين الجن وشياطين الإنس، وهذا النوع من الحسد من كبائر الذنوب، وهو المراد بقوله ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وفي الحديث: «إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب»(١).

وإنما حرم الحسد وعُد من كبائر الذنوب لما فيه من الاعتراض على قضاء الله وقدره في قسمته الأرزاق بين عباده كما قيل:

سبحان من قسم الحظوظ فهذا ... يتغنى وذاك يبكي الديارا

وأيضاً لما فيه من أذية المحسود بلا ذنب منه ولا جرم، وغير ذلك.

ويدخل في الحاسد: العائن الذي يؤذي المحسود بنفسه وعينه، وإن لم يؤذه بيده ولسانه، كما قال عز وجل عن المشركين: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١]، قال ابن كثير(٢): «أي: ليعينونك بأبصارهم، بمعنى: يحسدونك لبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في رقية جبريل للنبي ﷺ قولـه: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك»(٣).

فقد أعاذ جبريل عليه السلام النبي ﷺ من شر عين كل حاسد.

وقال ﷺ: «العين حق، لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»(٤).

فالعائن حاسد، لكنه حاسد خاص، وهو أضر من الحاسد، ولهذا ـ والله أعلم ـ إنما

---

(١) اخرجه أبو داود في الأدب ٤٩٠٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في «تفسيره» ٨/ ٢٢٧.

(٣) اخرجه مسلم في السلام ٢١٨٦، واخرجه أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها ٢١٨٥.

(٤) اخرجه مسلم في السلام ٢١٨٨ ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه أيضاً بلفظ «العين حق» ٢١٨٧، وكذا البخاري في الطب ٥٧٤٠ ـ كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن، لأنه أعم، فكل عائن حاسد ولابد، وليس كل حاسد عائناً، فإذا استعاذ من شر الحاسد دخل فيه العائن.

وقولـه: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ أي: إذا أظهر حسده وحققه وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود بقوله، أو فعله، أو إتباعه لنفسه ما عند المحسود من نعمة وفي الحديث: «إذا حسدت فلا تبغ»[١]. لأنه إذا لم يظهر الحسد، ولم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر منه يعود على المحسود.

قال ابن القيم [٢]: «ومعلوم أن الحاسد لا يسمى حاسداً إلا إذا قام به الحسد كالضارب والشاتم والقاتل ونحو ذلك. ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاهٍ عنه، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قبله إليه، وتوجهت إليه سهام الحسد من قلبه، فيتأذى المحسود بمجرد ذلك، فإن لم يستعذ بالله، ويتحصن به، ويكن لـه أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله، والإقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله وإلا ناله شر الحاسد ولابد، فقوله تعالى: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ بيان لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل».

وقال أيضاً [٣]: «ومعلوم أن عينه ـ أي الحاسد ـ لا تؤثر بمجردها، إذ لو نظر إليه نظر لاهٍ ساهٍ عنه كما ينظر إلى الأرض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيئاً، وإنما إذا نظر إليه نظر من قد تكيفت نفسه الخبيثة، وانسمّت واحتدت، فصارت نفساً غضبية خبيثة حاسدة أثرت بها تلك النظرة، فأثرت في المحسود تأثيراً بحسب صفة ضعفه وقوة نفس الحاسد...».

قال القرطبي [٤]: «والحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء، وأول ذنب عُصي الله به في الأرض، فحسد إبليس آدم، وحسد قابيل هابيل، والحاسد ممقوت مبغوض مطرود ملعون، ولقد أحسن من قال:

قل للحسود إذا تنفَّس طعنة ... يا ظالماً وكأنه مظلـــوم»

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الحافظ عبد الرحمن الأصفهاني في «الإيمان» عن الحسن البصري مرسلاً، وأخرجه الطبراني فيما ذكره ابن كثير في «التفسير» ٧/ ٣٧٥ من حديث حارثة بن النعمان بلفظ «إذا حسدت فاستغفر الله».

(٢) انظر «التفسير القيم» ص٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(٣) انظر «التفسير القيم» ص٥٧٥.

(٤) في «الجامع لأحكام القرآن» ٢٠/ ٢٥٩.

فضرر الحسد إنما يعود على الحاسد لاغتمامه بسرور غيره، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: «لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من حاسد»[١].

وهو من أكبر الكبائر، ومحبط للأعمال.

وفي الحديث: «إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب»[٢].

وقال ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء»[٣].

فهو مع الكبر الذي حمل إبليس على ترك السجود لآدم والكفر والخروج من ملكوت السموات والأرض وطرده وإبعاده وتخليده في النار، كما قال عز وجل عنه أنه قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، و قال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢٣، ص ٧٦].

وهو الذي حمل أحد ابني آدم على قتل أخيه لما تقبل الله قربانه دونه، كما قال عز وجل ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وهو من صفات اليهود، فهو الذي حملهم على رد رسالة الحق، رسالة نبينا محمد ﷺ، كما قال الله عز وجل عنهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٥].

وهو مما حمل ثمود على تكذيب نبيهم صالح، ورد دعوته، كما قال الله عز وجل عنهم أنهم قالوا: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٥].

وهو مما حمل كفار قريش على تكذيب الرسول ﷺ، ورد دعوته، كما قال الله

---

(١) انظر «الكشاف» ٤/ ٢٤٤.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٥١٠ ـ من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه.

عز وجل عنهم أنهم قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

والحسد داء عضال، ومرض عام ومنتشر، لا يكاد يسلم منه أحد، إلا من عصمه الله، وقد قيل: «ما خلا جسد من حسد لكن الكريم يخفيه واللئيم يبديه».

وقيل للحسن البصري رحمه الله: «أيحسد المؤمن قال: ما أنساك إخوة يوسف».

قال ابن القيم رحمه الله [(١)]: «وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ لأن الرجل قد يكون عنده حسد، ولكن يخفيه ولا يترتب عليه أذى بوجه ما، لا بقلبه ولا بلسانه، ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئاً من ذلك، ولا يعامل أخاه إلا بما يحب فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله، .. لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك، وهو لا يطيعها، ولا يأتمر بها بل يعصيها طاعة لله وخوفاً، وحياء منه، وإجلالاً لـه أن يكره نعمه على عباده، فيرى ذلك مخالفة لله وبغضاً لما يحبه الله، ومحبة لما يبغضه، فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك، ويلزمها بالدعاء للمحسود، وتمني زيادة الخير لـه، بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسده، ورتب على حسده مقتضاه، من الأذى بالقلب واللسان والجوارح، فهذا الحسد المذموم، هذا كله حسد تمني زوال النعمة».

وقال أيضاً [(٢)]: «فهذه السورة من أكبر أدوية الحسد، فإنها تتضمن التوكل على الله والالتجاء إليه، والاستعاذة به من شر حاسد النعمة، فهو مستعيذ بولي النعمة ومموليها كأنه يقول: يا من أولاني نعمته وأسداها إليَّ أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها مني ويزيلها عني، وهو حسب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه.. قال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]».

وقال ابن القيم أيضاً [(٣)]: «فقد اشتملت السورة على الاستعاذة من كل شر في العالم، وتضمنت شروراً أربعة يستعاذ منها: شراً عاماً، وهو شر ما خلق، وشر الغاسق إذا وقب، فهذان نوعان، ثم ذكر شر الساحر والحاسد، وهما نوعان أيضاً، لأنهما من شر النفس

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص٥٨٣.
(٢) انظر «التفسير القيم» ص٥٨٥.
(٣) انظر «التفسير القيم» ص٥٨٢ ـ ٥٨٣.

الشريرة، وأحدهما يستعين بالشيطان ويعبده وهو الساحر.

والنوع الثاني: من يعينه الشيطان وإن لم يستعن به، وهو الحاسد، لأنه نائبه وخليفته، لأن كليهما عدو نعم الله ومنغصها على عباده».

الفوائد والعبر:

١ ـ حاجة الرسول ﷺ كغيره من البشر إلى الاعتصام بالله واللجوء إليه، وأنه قد تصيبه العوارض التي أُمر في هذه السورة بالاستعاذة من شرها، وأنه ﷺ لا يملك جلب الخير لنفسه، ولا دفع الضر عنها، وكذا غيره من الخلق من باب أولى لا يملكون شيئاً من ذلك، وإنما المالك لذلك كله هو الله عز وجل لقوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وهذا أمر له ﷺ ولأفراد أمته.وفي هذا رد على الذين يغلون بالنبي ﷺ، ويصرفون له شيئاً من أنواع العبادة، مما لا يجوز صرفه إلا لله، ومما لا يقدر عليه إلا الله، كالذين يطلبون منه ﷺ كشف الكروب، ودفع الخطوب، ونحو ذلك، ولهذا لما سأل أبي بن كعب رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ قال: «قيل لي، فقلت»[1].

٢ ـ أن الرسول ﷺ إنما هو مبلغ عن الله عز وجل لقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، كما قال عز وجل: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [النور: ٥٤، العنكبوت: ١٨]. وفي هذا رد على من يقول من المشركين ومن سلك طريقهم: إن هذا القرآن العربي وهذا النظم كلام الرسول ابتدأ به.

٣ ـ إثبات الربوبية العامة لله عز وجل لقوله: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ فهو الذي فلق وخلق جميع الخلق وهو مالكهم ومدبرهم.

٤ ـ مشروعية الاستعاذة برب الفلق من جميع شرور الخلق، لقوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

٥ ـ إثبات كمال قدرته عز وجل لقوله: ﴿رب الفلق﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: «وفلق الشيء عن الشيء هو دليل على تمام القدرة، وإخراج الشيء من ضده، كما يخرج الحي من الميت، والميت من الحي، وهذا من نوع الفلق فهو سبحانه قادر على

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر «دقائق التفسير» ٦/٤٩٨.

دفع الضد المؤذي بالضد النافع».

٦ ـ أن المستعاذ به هو الله وحده (رب الفلق) فهو الذي يعيذ ويعصم من استعاذ به من جميع الشرور، بخلاف من سواه فلا قدرة لهم على ذلك، بل لا يزيدون من استعاذ بهم إلا خوفاً ورهقاً كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

٧ ـ أن عامة المخلوقات قد لا تخلو من الشر لقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ و «ما» ههنا موصولة تفيد العموم لكنه عموم تقييدي لا إطلاقي، أي: (من شر ما خلق) مما فيه شر كشياطين الإنس والجن والنار والهوام وغير ذلك، ولا يدخل في هذا ما هو خير محض من المخلوقات كالجنة والملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٨ ـ أن الشر ليس إلى الله لقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ فالشر مسند في الآية إلى المخلوق المفعول، لا إلى الخالق سبحانه، فالشر في مخلوقاته، وفي مفعولاته، لا في فعله عز وجل كما قال ﷺ: «والشر ليس إليك»(١).

قال ابن القيم رحمه الله(٢): «فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته، ولا في أفعاله، كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى، فإن ذاته لها الكمال المطلق، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وأوصافه كذلك لها الكمال المطلق، والجلال التام، ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما، وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة، لا شر فيها أصلاً. وما يفعله من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خير محض، إذ هو محض العدل والحكمة، وإنما يكون شراً بالنسبة إليهم، فالشر وقع في تعلقه بهم وقيامه بهم، لا في فعله القائم به تعالى، ونحن لا ننكر أن يكون في مفعولاته المنفصلة، فإنه خالق الخير والشر. ولكن هناك أمران ينبغي أن يكونا منك على بال، أحدهما: أن ما هو شر ومتضمن للشر فإنه لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً لا يكون وصفاً لـه، ولا فعلاً من أفعاله.

الثاني: أن كونه شراً هو أمر نسبي إضافي، فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه، فله وجهان هو من أحدهما خير

---

(١) اخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ٧٧١، وأبوداود في الصلاة ٧٦٠، والترمذي في الدعوات ٣٤٢١ ـ من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه.

(٢) انظر «التفسير القيم» ص٥٥٠ ـ ٥٥٢.

وهو الوجه الذي نسب منه إلى الخالق سبحانه وتعالى، خلقاً وتكويناً ومشيئة، لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها، وأطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها».

ثم مثّل ابن القيم رحمه الله ـ بقطع يد السارق فهو شر بالنسبة إليه، وخير محض بالنسبة إلى عموم الناس، لما فيه من حفظ أموالهم، ودفع الضرر عنهم، وخير بالنسبة إلى متولي القطع أمراً وحكماً، لما في ذلك من الإحسان إلى عبيده عموماً بإتلاف هذا العضو المؤذي لهم المضر بهم، فهو محمود على حكمه بذلك وأمره به، مشكور عليه، يستحق عليه الحمد من عباده، والثناء عليه، والمحبة لـه.

ومثّل أيضاً بقتل الصائل عليهم في دمائهم وحرماتهم... إلى أن قال: «وتأمل طريقة القرآن في إضافة الشر تارة إلى سببه، ومن قام به، كقولـه تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، وتارة بحذف فاعله، كقوله حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. فحذفوا فاعل الشر ومريده، وصرحوا بمريد الرشد» إلى غير ذلك من الأمثلة التي ذكرها رحمه الله[1].

٩ ـ مشروعية الاستعاذة برب الفلق من الليل إذا أقبل بظلامه، ودخل في كل شيء، لقولـه ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ وهذا من عطف الخاص على العام، لأنه داخل تحت عموم قولـه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وإنما خص هذا بعد العموم، لأن الليل وظلمته محل سلطان الأنفس والأرواح الشريرة والخبيثة ووقت انتشارها للسعي بالفساد، من شياطين الإنس والجن والهوام، وغير ذلك.

١٠ ـ مشروعية الاستعاذة برب الفلق من شر السواحر لقولـه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾. وهذا أيضاً كسابقه من عطف الخاص على العام فإنه داخل تحت عموم قولـه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وإنما خص شر السواحر ـ كما خص قبله شر الغاسق ـ لعظيم خطر السحر، وشدة شر السواحر.

١١ ـ إثبات حقيقة السحر وتأثيره بإذن الله الكوني لقولـه ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ ولقوله عز وجل: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص٥٥٥.

هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وعن زيد بن أرقم قال: «سحر النبي ﷺ من اليهود فاشتكى لذلك أياماً. قال: فجاءه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجيء بها، فبعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فاستخرجها، فجاء بها، فحللها قال: فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودي، ولا رآه في وجهه قط حتى مات»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ـ قال سفيان بن عيينة: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا ـ فقال: «يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي. فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال مطبوب. قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، رجل من بني زريق حليف ليهود، وكان منافقاً. قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاقة. قال: وأين؟ قال: في جَفِّ طَلْعِ ذكر، تحت راعوفة في بئر ذروان، قال: فأتى البئر حتى استخرجه، فقال: هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء[٢]، وكأنّ نخلها رؤوس الشياطين. قال: فاستخرج فقلت: أفلا ـ أي: تَنَشَّرت؟ قال: أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً»[٣].

قال ابن القيم[٤]: «وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقى بالقبول

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٣٦٧، والنسائي في التحريم ـ باب سحرة أهل الكتاب ٣٨٠٢.

(٢) المشاقة: المشاطة، وهي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط.
والجف: قشر الطلع. راعوفة البئر: صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت تكون ناتئة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها. وبئر ذروان: بئر ببني زريق بالمدينة.
والنقاعة: ما أنقع فيه الشيء، وهو هنا الماء الذي أنقع فيه الحناء، انظر «النهاية» «لسان العرب» مادة «مشق» ومادة «جفف» ومادة «رعف» ومادة «نقع»، «التفسير القيم» ص٥٦٤.

(٣) أخرجه البخاري في الطب ـ باب هل يستخرج السحر ٥٧٦٥، وأحمد ٦/٩٦.

(٤) انظر «التفسير القيم» ص٥٦٦، ٥٧٠.

بينهم، لا يختلفون في صحته».

وليس في هذه الأحاديث الثابتة في أنه ﷺ سحر تصديق لقول المشركين: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧، الفرقان: ٨]، وكما قال قوم صالح: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] وكذا قال قوم شعيب لـه ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٥].

لأن الذي أصابه ـ كما دلت عليه هذه الأحاديث ـ مرض من الأمراض يصيب غيره، ولا يمنع من اتباعه ﷺ وهذا بخلاف ما زعمه المشركون، وكذا ما قاله قوم صالح وقوم شعيب لهما فإنهم يقصدون بأن هؤلاء الرسل سحروا فزالت عقولهم حتى أصبحوا لا يدري الواحد منهم ما يقول كالمجانين.

كما قال الله تعالى عنهم: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٣، ١٤]، وهم يقصدون بذلك تحذير سفهائهم من اتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وقد أنكر تأثير السحر، وأن لـه حقيقة طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة، لا في مرض، ولا قتل، ولا حلّ ولا عقد، وقولهم هذا لا مستند لـه إلا تحكيم عقولهم القاصرة، وهو باطل بدلالة الكتاب والسنة وخلاف ما عليه عامة علماء الأمة، بل وخلاف ما يدل عليه الواقع.

قال ابن القيم[1] بعد ما ذكر هذا القول: «وهذا خلاف ما تواتر به الآثار عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء، وأهل التفسير والحديث، وما يعرفه عامة العقلاء... ».

١٢ ـ أن السحر من أعظم الذنوب، بل هو من أكبر الكبائر، لأن الله أمر بالاستعاذة من السواحر، بعد الأمر بالاستعاذة من جميع شرور الخلق مما يدل على خطره وعظيم جرمه وشدة ضرره وشره. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» وذكر منهن «السحر»[2].

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص٥٧١ ـ ٥٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في الوصايا ٢٧٦٧، ومسلم في الإيمان ٨٩، وأبوداود في الوصايا ٢٨٧٤، والنسائي في الوصايا ٣٦٧١.

ولهذا كانت عقوبة الساحر القتل حداً كما قال ﷺ: «حد الساحر ضربة بالسيف»(١).

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال كتب لنا عمر: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال فقتلنا ثلاث سواحر»(٢).

وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها.

قال الإمام أحمد: «صح عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ قتل الساحر»، يعني: عمر وحفصة وجندب بن عبد الله رضي الله عنهم (٣).

١٣ ـ مشروعية الاستعاذة برب الفلق من شر الحاسد إذا حسد، لقوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وخصه بالذكر مع أنه داخل تحت قوله ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ كشر الغاسق إذا وقب وشر النفاثات في العقد كل ذلك من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيها وتوكيداً على عظم خطر وضرر هذه المخصوصات.

١٤ ـ أن الحسد إنما يؤثر، إذا أظهره الحاسد وحققه، وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود بقوله، أو فعله، أو إتباعه لنفسه ما عند المحسود من نعمة، وفي الحديث: «إذا حسدت فلا تبغ»(٤). وذلك لأن الحسد لا يكاد يخلو منه أحد. ويكثر الحسد بين الأقران الذي يزاولون أعمالاً وحرفاً متشابهة كأصحاب المحلات التجارية والبيع والشراء، وأصحاب الأعمال المهنية، وأرباب الأعمال الوظيفية والمناصب الذين يحصل بينهم التنافس، وكذا كثير من طلاب العلم، بل والعلماء إلا من عصمه الله من ذلك، ولهذا يجب الاحتراس والحذر كل الحذر من ذلك، وتعاهد القلب وإصلاحه والنأي به عن هذا المرض الخطير والداء الوبيل فإن القلوب عليها مدار صلاح الأعمال، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩]. وقال ﷺ: «ألا

---

(١) أخرجه الترمذي في الحدود ١٤٦٠، من حديث جندب رضي الله عنه، وقال الصحيح أنه موقوف . ورواه أيضاً الدارقطني والبيهقي والحاكم، وقال: «صحيح غريب» وضعفه البخاري. وقال الذهبي في الكبائر إنه من قول جندب. وقال بعضهم يتقوى بكثرة طرقه، فقد خرجه جمع منهم البغوي الكبير والصغير، والطبراني والبزار، ومن لا يحصى كثرة. واختلفوا في جندب المذكور، فقال بعضهم: هو جندب بن عبد الله البجلي، وقال بعضهم: إنه جندب الخير الأزدي، ورواه بعضهم من حديث بريدة أن النبي ﷺ قال: «يضرب ضربة فيكون أمة وحده». انظر «تيسير العزيز الحميد» ص٣٩٠ ـ ٣٩٢.

(٢) ذكره في «تيسير العزيز الحميد» ص ٣٩٢، وقال: «إسناده حسن».

(٣) انظر «تيسير العزيز الحميد» ص٣٩٢ ـ ٣٩٤.

(٤) سبق تخريجه، وفي الحديث أيضا: «إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة» أخرجه ابن ماجه في الطب ٣٥٠٩ ـ من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[١].

١٥ ـ أنه لا واقي ولا كافي ولا حافظ ولا معيذ من جميع شرور الخلق ومن شر الغاسق والسحر والحسد وغير ذلك إلا الله وحده، لأن الله أمر بالاستعاذة به سبحانه من جميع هذه الشرور وقد قال عز وجل: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الطلاق: ٣]. وقال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «احفظ الله يحفظك» الحديث[٢].

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن من قال حين يخرج من بيته: «بسم الله آمنت بالله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، أجابه الملك بقوله: كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان»[٣].

فائدتــــان:

الفائدة الأولى: **أسباب تحريم الحسد**.

وإنما حرم الله الحسد، ونهى عنه، وأمر بالاستعاذة من شر الحاسد لأسباب عدة، منها ما يلي:

أولاً: أن الحسد فيه اعتراض على قضاء الله وقدره وحكمته في تقسيمه الأرزاق بين عباده.

ثانياً: أنه سبب لرد الحق، وعدم قبوله كما ذكر الله عز وجل عن أهل الكتاب، قال عز وجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ثالثاً: أنه من نواقض عرى الإيمان الموجبة لمحبة الخير لأخيه المسلم، وقد قال ﷺ: «لا

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان ٥٢، ومسلم في المساقاة ١٥٩٩، وأبوداود في البيوع ٣٣٢٩، والنسائي في البيوع ٤٤٥٣، والترمذي في البيوع ١٢٠٥ ـ من حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٥١٦، وقال «حسن صحيح» وأحمد ٤/ ٢٨٦، ٢٨٨، من حديث حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال: «هذا إسناد مشهور، ورواته ثقات». وقال ابن رجب: «إسناد حسن لا بأس به» وقد شرحه بطوله ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» وفي رسالته «نور الاقتباس في وصية الرسول ﷺ لابن عباس».

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات ٣٤٢٦.

يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١].

رابعاً: أن فيه اعتداءً على المحسود بغير جرم منه، إلا أن الله أعطاه من فضله، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

خامساً: أنه لا يعود على الحاسد إلا بالهم والكمد والأسى. وقد قيل: «لله در الحسد ما أعْدَ لَـه عاد على صاحبه فقتله».

وقال الشاعر:

دع الحسود وما يلقاه من كمده   يكفيك منه لهيب النار في كبده

سادساً: أن الحاسد مبغض ممقوت عند الله وعند الناس، لأنه عدو نعمة الله، وعدو عباد الله.

قال ابن القيم[٢]: «فالحاسد عدو نعمة الله وعدو عباده، وممقوت عند الله وعند الناس، ولا يسود أبداً، ولا يواسى، فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم، فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبداً، إلا قهراً يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم».

سابعاً: أن الحاسد بدل أن يسعى ويعمل ينشغل بمتابعة ما عند الآخرين، وما أعطاهم الله من فضله، والواجب عليه أن يبذل السبب في السعي والعمل، ويسأل الله من فضله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

ثامناً: أن الحسد سبب لإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، لأنه يحمل الحاسد على الاعتداء على المحسود، ومنع حقه، وجحد فضله، مما يوغر الصدور، ويشعل نار العداوة بين الناس.

تاسعاً: أنه كبيرة من كبائر الذنوب، ومن صفات إبليس لعنه الله فهو الذي حسد آدم لشرفه، وأبى أن يسجد لـه حسداً وكبراً، وهو من صفات اليهود المغضوب عليهم.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ٤٥، والنسائي في الإيمان ٥٠١٦، والترمذي في صفة القيامة ٢٥١٥، وابـن ماجه في المقدمة ٦٦، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر «التفسير القيم» ص٥٨٤.

عاشراً: أنه مرض قلبي من أخطر أمراض القلوب ومحبط للأعمال، قال ﷺ: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[1]. وفي الحديث: «إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب»[2].

الفائدة الثانية: الأسباب التي بها يندفع شر الحاسد بإذن الله عز وجل.

يندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب ذكرها ابن القيم رحمه الله[3]: أُلخصها فيما يلي:

أحدها: التعوذ بالله من شره، والتحصن به واللجوء إليه، وهو المقصود بهذه السورة.

السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتقى الله تولى الله حفظه ولم يكله إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك»[4]. فمن حفظ الله حفظه ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف؟ وممن يحذر؟

السبب الثالث: الصبر على عدوه، وألا يقاتله، ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه، والتوكل على الله، ولا يستطل تأخيره وبغيه، فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جنداً وقوة للمبغي عليه المحسود، يقاتل به الباغي نفسه، وهولا يشعر، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغي عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي، دون آخره ومآله، وقد قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر «التفسير القيم» ص٥٨٥ ـ ٥٩٤.

(٤) سبق تخريجه .

السبب الرابع: التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه، والتوكل على الله من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه، أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع لعدوه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل لـه ربه مخرجاً من ذلك وكفاه ونصره.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر لـه، فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية، ومن أقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره، فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه، فإذا لم يتعرض لـه، ولا تماسك هو وإياه، بل انعزل عنه، لم يقدر عليه، فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر، هكذا الأرواح سواء.

السبب السادس: الإقبال على الله، والإخلاص لـه، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه محل خواطر نفسه وأمانيها. قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠].

وقال عن يوسف الصديق، ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء المشهور: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم»(١) فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه، فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب.

---

(١) اخرجه أحمد ٤/ ٤٠٣

ولقي بعض السلف رجل فأغلظ لـه، ونال منه، فقال لـه: قف حتى أدخل البيت، ثم أخرج إليك، فدخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب، وأناب إلى ربه، ثم خرج إليه، فقال لـه ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به عليّ.

وليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها، فإذا عوفي العبد من الذنوب عوفي من موجباتها.

فليس للعبد إذا بُغي عليه، وأُوذي، وتسلط عليه خصومه شيء أنفع من التوبة النصوح.

وعلامة سعادته: أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه، فيشتغل بها، وبإصلاحها، وبالتوبة منها، فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به، بل يتولى هو التوبة، وإصلاح عيوبه، والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولابد، فما أسعده من عبد، وما أبركها من نازلة نزلت به، وما أحسن أثرها عليه، ولكن التوفيق والرشد بيد الله، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فما كل أحد يوفق لهذا، لا معرفة به، ولا إرادة لـه، ولا قدرة عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، ودفع العين، ودفع الحسد، ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديماً وحديثاً لكفى به، فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد، وكانت لـه فيه العاقبة الحميدة، فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جنة واقية، وحصن حصين.

وبالجملة: فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سبباً لزوالها، فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها، ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله، وهو كفران النعمة وهو باب إلى كفر المنعم.

فالمحسن المتصدق يستخدم جنداً وعسكراً يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه.

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يوفق لـه إلا من عظم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذىً وشراً وبغياً وحسداً ازددت لـه إحساناً، ولـه نصيحة، وعليه شفقة، وما أظنك تصدق بأن هذا يكون، فضلاً عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ

مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤].

وكان ﷺ يسلت الدم عنه ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(١).

فجمع في هذه الكلمات الأربع مقامات من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه، أحدها: عفوه عنهم، والثاني: استغفاره لهم، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: «رب اغفر لقومي».

وكما تحب أن يعفو الله عن تقصيرك وإساءتك فاعف أنت عمن قصّر في حقك، وآذاك، وأساء إليك، فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباد الله يفعل الله معك.

وفي هذا نزل في شأن الصديق رضي الله عنه: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وفي الحديث: «وليأت للناس الذي يحب أن يؤتى إليه»(٢).

فمن تصور هذا وشغل به فكره هان عليه الإحسان لمن أساء إليه مع ما يحصل له من نصر الله ومعيته الخاصة، كما قال ﷺ للذي شكا إليه قرابته، وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه، قال: «لا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»(٣).

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه على خصمه، فإن كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير وهو مسيء إليه وجد قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمر فطري، فطر الله عليه عباده، فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكراً لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعاً، ولا خبزاً. هذا مع أنه لابد له من عدوه وحاسده من إحدى حالتين: إما أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد إليه ويذل له.. وإما أن يفتت كبده، ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه، فإنه يذيقه بإحسانه

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء ٣٤٧٧، ومسلم في الجهاد والسير ١٧٩٢، وأحمد ١/ ٣٨٠، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه من حديث طويل مسلم في الإمارة ١٨٤٤، وأبوداود في الفتن والملاحم ٤٢٤٨، والنسائي في البيعة ٤١٩١،وابن ماجه في الفتن ٣٩٥٦، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ٢٥٥٨، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أضعاف ما ينال منه بانتقامه، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة.

السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر فى الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [الأنعام: ١٠٧]. وقال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»[1].

فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله. وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره والله يتولى حفظه والدفع عنه، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، وبحسب إيمان العبد يكون دفع الله عنه، فإن كمل إيمانه دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج مزج لـه، وإن كان مرة ومرة فالله لـه مرة ومرة، كما قال بعض السلف: «من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرة ومرة فالله لـه مرة ومرة».

فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين. قال بعض السلف: «من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه كل شيء».

قال ابن القيم[2] رحمه الله بعد أن ذكر هذه الأسباب: «هذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر، وليس لـه أنفع من التوجه إلى الله، وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به، وألا يخاف معه غيره، بل يكون خوفه منه وحده، ولا يرجو سواه، بل يرجوه وحده، فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيث بسواه، ولا يرجو إلا إياه، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وكل إليه، وخذل من جهته، فمن خاف شيئاً غير الله سُلِّط عليه، ومن رجا شيئاً سوى الله خذل من جهته، وحرم خيره، هذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً».

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر «التفسير القيم» ص٥٩٤.

تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾.

قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ الأمر للنبي ﷺ، وهو أمر له، ولأمته، بل لكل فرد من أفراد أمته، وهكذا كل أمر أو خطاب في القرآن الكريم له ﷺ فهو له ولأمته، ما لم يدل دليل على خصوصيته ﷺ بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] فلا يصح لامرأة أن تهب نفسها لغيره ﷺ.

وجملة: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وما بعدها في محل نصب مقول القول. وقوله ﴿أَعُوذُ﴾ هذا هو الركن الأول من أركان الاستعاذة، وهو «التعوذ».أي: أعتصم وألتجئ وأستجير.

﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ هذا هو الركن الثاني من أركان الاستعاذة، وهو المستعاذ به. وهو: رب الناس.

﴿بِرَبِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ (أعوذ) والباء للاستعانة.

و«الرب» هو الخالق المالك المدبر، فرب الناس خالقهم ومالكهم ومدبرهم بنعمه الظاهرة والباطنة.

والناس: أصله: «أناس» ثم زيدت فيه الألف واللام. قال الشاعر:

إن المنايا يطلعـــن على الأناس الآمنينا [1]

وهو على هذا مشتق من «أنس» فالناس كالإنسان كل منهما مشتق من الأنس، لأنهم يأنس بعضهم ببعض، أو هو مشتق من «النوس» وهو الحركة المتابعة، وسمي البشر ناساً، لأنهم ينوسون، أي: يتحركون حركة ظاهرة وباطنة، وصحح هذا ابن القيم [2].

---

(١) البيت لذي جرن الحميري. انظر: «اشتقاق أسماء الله الحسنى» ص٣٢، «الكشاف» ١/ ٦.

(٢) انظر «بدائع الفوائد» ٢/ ٢٦٤.

أو أنهما مشتقان من الإيناس: وهو الرؤية والمشاهدة، كما قال تعالى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]، أي: رآها وشاهدها. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] أي: أبصرتموه ورأيتموه.

فسمي البشر «ناساً» من هذا المعنى، لأنهم يُرَون ويُشاهدون، بخلاف الجن، فهم مستترون لا يشاهدون. وسمي الإنسان: إنساناً، لأنه يُؤنس، أي: يُرى بالعين.

وقيل إنهما مشتقان من النسيان، كما قال أحدهم:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ... ولا القلب إلا أنه يتقلب

وقد رد هذا ابن القيم، وقال: «لو كان الإنسان مشتقا من النسيان لقيل: «نسيان» ولم يُقل: إنسان»[(١)].

قال الزمخشري[(٢)]: «وإنما أضاف الرب هنا إلى الناس خاصة، لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم».

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ عطف بيان على قوله ﴿رب الناس﴾ وكرر المضاف إليه، وأظهره في الموضعين، لأن عطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الإضمار.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: مالكهم ومدبرهم الذي يأمرهم وينهاهم، وكل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: معبودهم الذي يتوجهون إليه في جميع عباداتهم، إذ لا معبود لهم بحق سواه.

قال ابن القيم[(٣)]: «وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب وأخر الألوهية لخصوصها، لأنه سبحانه إنما هو إله من عبده ووحده، واتخذه دون غيره إلهاً، فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه، وإن كان في الحقيقة لا إله له سواه، ولكن المشرك ترك إلهه الحق، واتخذ إلهاً غيره باطلاً، ووسط صفة الملك بين الربوبية والإلهية، لأن الملك هو المتصرف

---

(١) انظر «بدائع الفوائد» ٢/ ٢٦٤.
(٢) في «الكشاف» ٤/ ٢٤٥.
(٣) انظر «التفسير القيم» ص٥٩٨.

بقوله وأمره، فهو المطاع إذا أمر، وملكه لهم تابع لخلقه إياهم، فملكه من كمال ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه، وملكه يستلزم إلهيته ويقتضيها، فهو الرب الحق، الملك الحق، الإله الحق، خلقهم بربوبيته، وقهرهم بملكه، واستعبدهم بألوهيته».

فالمستعاذ به هو: رب الناس، ومالكهم ومعبودهم. وكرر الاسم الظاهر «الناس» دون الضمير، فلم يقل: «رب الناس وملكهم وإلههم» تقوية للمعنى، وهو أنهم إنما يستعيذون بمن لـه هذه الصفات العظيمة، وهو كونه: رب الناس، ومالكهم وإلههم، والمقصود: الاستعاذة بمجموع هذه الصفات، حتى كأنها صفة واحدة.

وتتضمن هذه الصفات الثلاث جميع قواعد الإيمان، ومعاني أسماء الله الحسنى. فالرب هو القادر الخالق الباري... وأما الملك فهو المعبود الآمر الناهي المعز المذل الذي يصرف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كيف يشاء.. وأما الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، ولهذا يدخل في هذا الاسم «الله» جميع الأسماء الحسنى، فهو جامع لجميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

قال ابن القيم[١]: «وإذا كان وحده هو ربنا وملكنا وإلهنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يدعى ولا يخاف ولا يرجى ولا يحب سواه، ولا يذل لغيره ولا يخضع لسواه، ولا يتوكل إلا عليه».

وقصر ـ عز وجل هنا ربوبيته وملكه وألوهيته على الناس ـ مع أنه عز وجل رب جميع الخلق ومليكهم وإلههم لأن الناس هم المكلفون وتكريماً وتشريفاً لهم، كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ هذا هو الركن الثالث من أركان الاستعاذة وهو المستعاذ منه، وهو: ﴿شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ و «شر» مفرد مضاف إلى «الوسواس» وهو معرف بأل فيفيد الاستعاذة من جميع شرور الوسواس.

والوسواس: هو الشيطان. وأصل الوسوسة هي الحركة والصوت الخفي.

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص٥٩٧.

قال الأعشى [١]:

تسمع للحلي وَسْواساً إذا انْصَرفت　　كما استعان بريح عِشْرقٌ زَجِل

فالوسواس: الإلقاء الخفي في النفس، إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من أُلقي إليه، وإما بغير صوت، كما يوسوس الشيطان إلى العبد.

والمراد بالوسواس هنا: الشيطان، وهو ذات لا مصدر [٢]، وأصله: الشيطان الوسواس، فحذف الموصوف هنا وأقيم الوصف مكانه، لغلبة هذا الوصف على الشيطان، فصار كالعلم عليه، وجرى مجرى الاسم، فحسن حذف الموصوف، كما يقال: المسلم والكافر، ونحو ذلك.

قال ابن كثير [٣]: «وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين لـه الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمه الله. قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه قالوا:وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» [٤].

وَوُصف الشيطان وسُمي بالوسواس لدقة وخفاء مداخله ومجاريه من الإنسان كما قال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» [٥].

والوسواس من جنس حديث النفس قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] أي: ما تحدث به نفسه. وقال ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به» [٦]، وهو نوعان: خبر إما عن ماض يُذكِّره به، وإما عن مستقبل يُحدِّثه بفعله أو يُخوِّفه وقوعه، ونحو ذلك من الأماني والمواعيد الكاذبة. والنوع الثاني: إنشاء وهو إما أمر أو نهي أو إباحة.

---

(١) انظر «ديوانه» ص١٠٥ شرح وتعليق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، «لسان العرب» مادة «وسس».

(٢) وقيل: مصدر.

(٣) في «تفسيره» ٨/٥٥٨.

(٤) أخرجه مسلم في صفة القيامة ٢٨١٤، وأحمد ١/ ٣٨٥، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٦٠، والدارمي في الرقاق ٢٦١٨ ، من حديث سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في الاعتكاف ٢٠٣٨، وفي الأدب ٦٢١٩، ومسلم في السلام ٢١٧٥، وأبوداود في الصوم ٢٤٧٠، وابن ماجه في الصيام ١٧٧٩، من حديث صفية رضي الله عنها زوج النبي ﷺ. وأخرجه مسلم أيضاً ٢١٧٤، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري في العتق ٢٥٢٨، ومسلم في الإيمان ١٣٧، وأبوداود في الطلاق ٢٢٠٩، والنسائي في الطلاق ٣٤٣٣، والترمذي في الطلاق واللعان ١١٨٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(الخناس) هذه الصفة الثانية للشيطان. و«الخناس» صفة مشبهة أو صيغة مبالغة على وزن «فعّال» من خنس يخنس، إذا توارى واختفى بعد ظهوره كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥]، وهي النجوم تخنس وتختفي بالنهار وتظهر وتبدو في الليل.

ومنه قول أبي هريرة رضي الله عنه: «لقيني النبي ﷺ في بعض طرق المدينة، وأنا جنب فانخنست منه»(١): أي: اختفيت.

وهو أيضاً مأخوذ من معنى الرجوع والتأخر، كما في الحديث: «إذا نُودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قُضي النداء أقبل، فإذا ثُوِّب بها أدبر، فإذا قُضي أقبل، حتى يخطر بين الإنسان وقلبه، فيقول اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر ـ حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً»(٢).

وهكذا حال الشيطان مع العبد، فإن غفل العبد عن الذكر أقبل عليه الشيطان بخيله ورجله وجثم على قلبه، وبذر فيه أنواع الوساوس، من تزيين الأعمال السيئة وغير ذلك. وإذا ذكر العبد ربه، واستعاذ بالله من الشيطان انخنس الشيطان وتوارى وتصاغر واختفى وتراجع وتأخر وفي الحديث: «ما رُئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما رئي يوم بدر..» الحديث(٣).

ولهذا جاء بصيغة المبالغة «خنّاس» لبيان شدة هروبه، وعظم نفوره عند ذكر الله، وأن هذا دأبه وعادته دائماً وأبداً إذا ذكر الله هرب وخنس، وإذا غفل العبد عاوده بالوسوسة.

ولهذا جاء في الحديث: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان»(٤).

﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ هذه صفة ثالثة للشيطان فوصفه أولاً بالوسوسة، ثم وصفه ثانياً بالخنّاس، ثم وصفه ثالثاً بكونه يوسوس في صدور الناس.

والصدور: جمع صدر، وهو ساحة القلب وبيته، فتجتمع فيه هذه الوساوس

---

(١) أخرجه البخاري في الغسل ٢٣٨، ومسلم في الحيض ٣٧١، وأبوداود في الطهارة ٢٣١، والنسائي في الطهارة ٢٦٩، والترمذي في الطهارة ١٢١.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان ٦٠٨، ومسلم في الصلاة ٣٨٩، وأبوداود في الصلاة ٥١٦، والنسائي في الأذان ٦٧٠، والترمذي في الصلاة ٣٩٧، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١٢١٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ـ في الحج ٩٦٢، من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٣٠٥، ٣٨٢ ـ من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه.

والواردات، ثم تلج إلى القلب، قال الله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وشرور الشيطان كثيرة لا تحصى، وأعظم صفاته وأشدها شراً، وأقواها تأثيراً، وأعمها فساداً الوسوسة، لهذا وصفه الله عز وجل بها، وهي أصل كل شر يقع في الأرض من ترك للواجبات، أو تقصير بها، أو انتهاك للمحرمات، ومن ظلم للنفس والغير، وغير ذلك.

قال ابن القيم[1]: «ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شراً، وأقواها تأثيراً، وأعمها فساداً، وهي الوسوسة، التي هي مبادئ الإرادة، فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية، فيوسوس إليه،ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه، فيصير شهوة، ويزينها لـه ويحسنها، ويخيلها لـه في خياله حتى تميل نفسه إليه، فيصير إرادة، ثم لا يزال يمثل لـه، ويخيل ويمني ويشهي، وينسي علمه بضررها، ويطوي عنه سوء عاقبتها، فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط، وينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة، فيشتد الحرص عليها من القلب فيبعث الجنود في الطلب، فيبعث الشيطان معهم مدداً لهم وعوناً، فإن فتروا حركهم، وإن ونوا أزعجهم ـ إلى أن قال: فأصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة، فلهذا وصفه الله بها، لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضاً».

وقال أيضاً: «ومن شره أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها، فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه، يمنعه بجهده أن يسلكه، فإن خالفه وسلكه ثبطه فيه وعوقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع، فإن عمله وفرغ منه قيض لـه ما يبطل أثره ويرده على حافرته».

قولـه ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ من الجنة: جار ومجرور متعلق بمحذوف وقع حالاً، والتقدير: كائناً من الجنة والناس.

و«الناس» معطوف على «الجنة» وهو بيان للذي يوسوس، أي أن الذي يوسوس في صدور الناس نوعان: شياطين جن، وشياطين إنس، كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص٦٠٩ ـ ٦١٠.

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة تُحدِّث في العنان[١] بالأمر يكون في الأرض فتستمع الشياطين الكلمة، فتقرها في أذن الكاهن، كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[٢].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن، قلت: أو للإنس شياطين؟ قال: نعم شر من شياطين الجن»[٣].

ومن وسوسة شياطين الإنس: وسوسة نفس الإنسان لـه كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]، وعنه ﷺ قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به، أو تعمل به»[٤].

وقيل: إن قولـه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للناس الموسوس في صدورهم. والمعنى: الذي يوسوس في صدور الناس، الذين هم من الجنة والناس. فالموسوس في صدروهم على هذا قسمان: جن وإنس. فالوسواس وهو الشيطان يوسوس للجني كما يوسوس للإنسي.

والأظهر القول الأول وقد ضعف ابن القيم رحمه الله القول الثاني من وجوه عدة[٥]:

الأول: أنه لم يقم دليل على أن الجني يوسوس في صدر الجني، ويدخل فيه كما يدخل في الإنسي ويجري فيه مجراه من الإنسي.

الثاني: أنه على هذا فاسد من جهة اللفظ أيضاً، فإنه قال: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ فكيف يبين الناس بالناس.

الثالث: أنه قسّم الناس إلى قسمين: جنة وناس، وهذا غير صحيح، فإن الشيء لا يكون قسيم نفسه.

الرابع: أن الجنة لا يطلق عليها اسم الناس بوجه، لا أصلاً، ولا اشتقاقاً، ولا استعمالاً، ولفظها يأبى ذلك، فإن الجنة إنما سموا جناً من الاجتنان، وهو الاستتار، فهم مستترون عن أعين البشر.

---

(١) العنان: الغمام. انظر «النهاية في غريب الحديث» ولسان العرب، مادة «عنن».
(٢) اخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢١٠، ومسلم في السلام ٢٢٢٨.
(٣) اخرجه النسائي في الاستعاذة ٥٥٠٧، وأحمد ٥/ ١٧٩، ٢٦٥.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) انظر «التفسير القيم» ص٦١٥.

الفوائد والعبر:

١ ـ أن الرسول ﷺ إنما هو مبلغ عن الله عز وجل لقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وفي هذا الرد على من يزعم من أهل الكفر والضلال أن هذا القرآن من نظمه ﷺ ابتدأ به.

٢ ـ حاجة الرسول ﷺ كغيره من البشر إلى الاعتصام بالله، واللجوء إليه، وأنه ﷺ كغيره من البشر قد يصيبه ما يصيبهم من الوساوس، وأنه لا يملك لنفسه دفع ضر أو جلب خير، وإنما المالك لذلك كله هو الله عز وجل لقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إلى قولـه: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وفي هذا الرد على من يرفعونه ﷺ إلى مقام الربوبية، فهو ﷺ عبد لا يعبد ورسول لا يكذب.

٣ ـ إثبات الربوبية العامة لله عز وجل فهو رب جميع الناس مؤمنهم وكافرهم لقوله ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فهو خالقهم ومالكهم.

٤ ـ إثبات الملك العام لله عز وجل، فهو ملك الناس، ومدبرهم لـه الأمر والنهي بقسميهما الشرعي والكوني، لقوله ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

٥ ـ إثبات الألوهية العامة لله عز وجل، فهو إله الناس ومعبودهم الحق، ولو عبد بعضهم غيره، فليس لهم في الحقيقة معبود سواه لقوله ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾.

قال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

٦ ـ مشروعية الاستعاذة برب الناس وملكهم وإلههم من شر الشيطان ووساوسه لقوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إلى قولـه ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾.

٧ ـ عظم خطر الشيطان ووساوسه فهو أصل الشر كله، وأصل كل كفر وفسوق وعصيان لأن الله أمر بالاستعاذة به سبحانه والاعتصام بجنابه من الوسواس.

٨ ـ أن من طبيعة الشيطان أنه يوسوس عند الغفلة عن ذكر الله ويخنس ويختفي ويتراجع ويتأخر ويتصاغر عند ذكر الله عز وجل لأن الله وصفه بقوله ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ فيجب التحصن منه بذكر الله على الدوام.

٩ ـ أن الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس على نوعين شياطين جن وشياطين إنس لقوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ كما قال

وَٱلنَّاسِ﴾ كما قال عز وجل ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وسوسة الشيطان للإنسان على أنواع ودرجات:

فمن وسوسته تزيين الكفر والشرك:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

ومن وسوسته تزيين المعاصي:

قال تعالى عن الأبوين عليهما السلام: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٠ ـ ٢٢].

وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

وقد جعل الله للشيطان سلطاناً على قلوب أهل الكفر والنفاق، كما جعل له نفوذاً على أهل الغفلة والمعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[(١)].

ومن وسوسته: ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟

---

(١) سبق تخريجه.

فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته»[١].

وفي رواية أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله: إن أحدنا ليجد في نفسه ما أن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به. قال: «الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»[٢].

ومن وسوسته أيضاً: أن يشغل القلب بحديثه ووساوسه فيوقعه في نسيان ما أراد فعله أو قوله من أمر ديني أو دنيوي كما قال تعالى حكاية عن صاحب موسى عليه السلام أنه قال: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣] وتقدم في الحديث: «أنه يخطر بين المصلي وبين قلبه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى لا يدري أثلاثا صلى أم أربعاً»[٣].

ومن وسوسته: أنه يوهم الإنسان ويخوفه من الأمور المستقبلة ويحمله على التشاؤم دائماً، ويجعل الحياة مظلمة في عينيه فتنتابه المخاوف على المستقبل، والمخاوف من الأعداء، ومن العين،ومن المرض، ومن الموت، ونحو ذلك وكل ذلك من الشيطان أخزاه الله.

وعلاج ذلك قوة الإيمان بالله والتوكل عليه واطراح هذه الوساوس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ومن وسوسته: أن يوحي إلى أعوانه من شياطين الإنس بأن يقول أحدهم أو يفعل ما فيه ضرر على العبد المسلم، فكم دبر الشيطان من مكيدة للمؤمنين على أيدي أعوانه من شياطين الإنس بسفك دم، أو انتهاك عرض، أو شتم وسب، أو مقالة سوء، أو نجوى، يريد بها الشيطان إلحاق الضرر والأذى والحزن بالمؤمنين ونحو ذلك، كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠].

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢٧٦، ومسلم في الإيمان ١٣٤.
(٢) أخرجه أحمد ١/ ٣٤٠.
(٣) سبق تخريجه.

وخلاصة القول: أن وسوسة الشيطان على أنواع لا تكاد تحصى كثرة، وهي سبب لكل بلية ولكل معصية تقع في الأرض من ترك للواجبات أو انتهاك للمحرمات وهي على مراتب[١] :

فهو يأتي الإنسان فيدعوه إلى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله ليكون من جنده ومن أعوانه على الشر.

فإن أيس منه، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه دعاه إلى المرتبة الثانية من الشر، والتي هي باب من الكفر والشرك، وهي البدعة، وحببها إليه لعظم ضررها في الدين، وكون ضررها متعدياً، وشدة تمسك صاحبها بها لا يكاد يتوب عنها، كما دلت على ذلك الآثار، وكما هو حال أهل البدع.

فإن عجز عن إيقاعه في هذه المرتبة، وكان ممن وفق إلى السنة ومعاداة أهل البدع والضلال دعاه إلى المرتبة الثالثة من الشر وهي الوقوع في الكبائر على اختلاف أنواعها.

فإن عجز عنه دعاه إلى المرتبة الرابعة، وهي الوقوع في الصغائر والاستهانة بها، وهي إذا اجتمعت أهلكت صاحبها وفي الحديث: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»[٢].

وقال ﷺ: «يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً» [٣]،

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار»[٤].

فإن عجز عن إيقاعه في هذه المرتبة دعاه إلى المرتبة الخامسة وهي الانشغال بالمباحات من المآكل والمشارب وتزجية الأوقات بالنزه في المصايف والاستراحات والسياحة هنا وهناك إيثاراً للشهوات ورغبات النفس، وبهذا ضاعت كثير من أعمار الخلق.

بل أدى ذلك بالكثيرين إلى التقصير في الواجبات، والتفريط في حق الله وحقوق

(١) انظر «التفسير القيم» ص٦١٤.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٤٠٢، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الزهد ٤٢٤٣، من حديث عائشة رضي الله عنها. وقال في الزوائد: «إسناده صحيح، ورجاله ثقات».

(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٦/ ٦٥١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٩٣٤، الأثر ٥٢١٦.

الخلق، كالوالدين والأزواج والأولاد والأقارب والجيران والتفريط في حق النفس، وعدم أخذها بالحزم في أداء الواجبات، والبعد عن المنهيات، والنظر في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ الذي هو الغذاء الروحي للنفس، والذي لا حياة للقلوب إلا به.

ولعمر الله لقد خرج الناس بهذه المباحات عن الحد حتى ضاعت أعمار وأعمال وأموال، ونسي كثير من الناس أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأن الحياة ميدان مسارعة، ومسابقة ومنافسة للفوز بتلك الدار، وأن الأيام والليالي خزائن للأعمال.

فكم من حقوق لله ـ عز وجل ـ كالصلاة وغيرها ضيعت وفرط فيها بسبب الركض وراء هذه المباحات.

وكم من حقوق للخلق أهدرت بسبب ذلك.

فكم من والد مقعد على أحر من الجمر يتمنى أن يرى أولاده معه على مائدة طعام؛ غداء أو عشاء أو إفطار، أو أن يكون بجانبه أحد أولاده لتهيئة القهوة لـه أو لضيوفه ولكن هيهات، الأولاد كلهم مشغولون بلا شغل في الفلوات والخلوات والاستراحات والذهاب يميناً وشمالاً وهنا وهناك والمحصلة صفر ـ والله المستعان.

وكم من زوجة تنتظر زوجها بفارغ الصبر إلى ساعة متأخرة من الليل ولو حرك الهواء أحد الأبواب أو مرّ بها قط وهي غافلة طار عقلها خوفاً وفزعاً وزوجها مشغول خارج البيت بلا شغل، ولو جاء وهي نائمة لأوسعها سباً وشتماً، إن لم يضربها أو يهددها بالضرب والطلاق.

وكم من أولاد ـ هم فلذات الأكباد ـ ليس لهم نصيب من جلوس والدهم بينهم وتربيته لهم وحنانه عليهم، بل ربما ليس لهم نصيب من رؤيته إلا النزر القليل يأتي إلى البيت وهم نائمون ويخرج في الصباح إلى العمل، وإذا جاء من العمل تناول غداءه على وجه السرعة ثم انطلق خارج البيت إلى هَوِيٍّ من الليل وهكذا.

وكم من أقارب وجيران وأخوات وإخوان أضحت حقوقهم في خضم النسيان بسبب ما ذكر.

وكم من مسؤوليات عامة أو خاصة ضُيعت وفرط فيها بسبب هذه الأحوال.

وكم من شخص صار قلبه خواء مظلماً خرباً لخلوه من الغذاء الروحي؛ من الذكر وقراءة القرآن والسنة وتدبر ما فيهما من المعاني والأحكام بسبب انغماسه في هذه الأوحال وانشغاله بها. وصدق الله العظيم:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

فإن عجز الشيطان عن شغل العبد بالمباحات دعاه إلى المرتبة السادسة، وهي الاشتغال بالمفضول عما هو أفضل منه، ليفوت عليه ثواب العمل الفاضل، ويزيح عنه الفضيلة ويقلل من فضله وثوابه، فيظن أن هذا الداعي من الله لاعتقاده أن هذا خير، وأن الشيطان لا يأمر بخير، فيقول: هذا الداعي من الله.

قال ابن القيم[1]: «ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين باباً من أبواب الخير، إما ليتوصل إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيراً أعظم من تلك السبعين باباً وأجل وأفضل..».

وأدهى من ذلك وأشد منه أن يترك الشخص العمل الذي يتقاضى عليه أجراً كالأذان والإمامة أو العمل الوظيفي في مصالح المسلمين بحجة أنه ذاهب لفعل طاعة كالعمرة، أو حضور درس أو محاضرة، أو الخروج للدعوة، أو للصلاة على جنازه واتباعها ونحو ذلك، لأن هذا لا يعد من الاشتغال بالمفضول فحسب ـ بل إن هذا من الاشتغال بالسنة عن الواجب، ويا ليت كثيراً ممن يتساهلون في مثل هذا يدركون ذلك.

كيف يعتقد من كان يتولى أمراً من أمور المسلمين، من أذان، أو إمامة أو أي مسؤولية من مسؤوليات الأمة أنه يسوغ له ترك مسؤوليته بحجة الذهاب لأداء العمرة ونحو ذلك، وهل سيحصل له من الأجر على ذلك مثل أجر من احتسب وتحمَّل مسؤوليته، كلا، بل إنه إلى التأثم أقرب، ولم يرد في كتاب ولا سنة جواز ذلك فضلاً عن أن يؤجر فاعله، ولم يقل بهذا أحد من علماء الأمة سلفاً وخلفاً، وإنما هذا من مداخل الشيطان ووساوسه، وتقديم هوى النفس على حكم الله، وإني لأدعو المسلمين عموماً وأرباب مسؤوليات الأمة خصوصاً، من الأئمة والمؤذنين وعامة الموظفين والآباء والمربين وغيرهم إلى التنبه إلى هذا، فنحن أمة إسلامية ديننا الإسلامي دين الجد والعمل لا محل للفراغ في حياتنا، وقت المسلم بين المسجد والبيت والعمل، وساعة للترفيه والراحة عند الملل، فكل فرد منا على مسؤولية من مسؤوليات الأمة.

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص ٦١٢ ـ ٦١٣.

فهذا مؤذن، وهذا إمام، وهذا والد، وهذا مدرس، وهذا موظف. وكل منا على ثغر من ثغور الإسلام، كما قال الأوزاعي رحمه الله: «ليعلم كل منكم أنه على ثغر من ثغور الإسلام فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله».

وإن من أكبر مصائب الأمة أن لا تدري أين مكمن الداء فيها، فتضل في حيرة من أمرها، أو ربما تظن الداء دواء لجراحاتها.

فما أكثر الذين يتباكون ويتلاومون على واقع الأمة، وكأنهم يدَّعون لأنفسهم الكمال - فإذا تأملت في واقعهم، وسبرت أحوالهم وجدت أن كثيراً منهم من أكبر أسباب ضعف الامة، بل هم العبء الأثقل على كاهل الأمة، شأنهم التلاوم والقيل والقال، والتنصل من مسؤوليات الأمة، وانتقاد الولاة والعلماء والدعاة والمصلحين والعاملين، مع التفريط في حقوق الله، وفي حقوق الخلق، من الوالدين والأولاد، والأزواج والأقارب والجيران، وفي حقوق عامة المسلمين ومسؤوليات الأمة، وقد قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

فالأمة ليست بحاجة إلى الدعاوي الفارغة والحماس الأجوف، بل هي أحوج ما تكون إلى رجال لهم رصيد من الصدق مع الله وتقواه بأداء حقوقه وحقوق الخلق، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن لم يجاهد النفس والشيطان فلن يستطيع مجاهدة الأعداء، ومن خان حي على الصلاة خان حي على الكفاح، ومن لم يقم أركان الإسلام وأهم واجباته فلن يقيم ما دون ذلك، ومن ترك الواجب لم ينتفع بالقيام بما دونه إن قام به.

ومجمل القول أن الأمة تحتاج إلى الرجل الراحلة الذي يتحمل مسؤولياته، ويملأ ويسد مكانه في الأمة، بأداء حقوق الله، وحقوق الخلق، في البيت والمسجد والعمل الوظيفي والشارع فهذا هو الجندي المجاهد، وما أقل هذا في الأمة، وصدق المصطفى ﷺ حيث قال: «الناس كإبل مائة لا يوجد فيها راحلة»[(١)].

فالحاكم والأمير والوزير والقاضي والإمام والمؤذن والمدرس والموظف والتاجر والعامل وغيرهم ممن ائتمنوا على مسؤوليات الأمة كل منهم مثاب مأجور إذا قام بالعمل على الوجه الأكمل، مع حسن النية في أداء الواجب وخدمة الأمة.

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٩٨، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٥٤٧، والترمذي في الأمثال ٢٨٧٢، وابن ماجه في الفتن ٣٩٩٠ ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ومما يؤسف لـه أن كثيراً من الناس يتشبثون بفعل بعض النوافل والأعمال التطوعية مع تفريطهم في أهم الواجبات في حقوق الله وحقوق الأمة، ولا تقبل نافلة حتى تؤدى فريضة. جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأل عن الإسلام فقال لـه النبي ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال يا رسول الله هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع. فقال الأعرابي: والذي بعثك بالحق لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فلما ولى قال ﷺ: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» وفي رواية: «أفلح إن صدق»[(١)].

وإنني أنادي الغيورين من أبناء الأمة رجالاً ونساءً من الآباء والأمهات والمربين والموجهين والمدرسين والخطباء والدعاة والواعظين إلى العودة بالأمة إلى المنهج الصحيح، فإن به الضمان بإذن الله عز وجل لسعادة الأمة في دنياها وأخراها ـ والله المستعان.

فائـــدة فيما يعتصم به الإنسان من الشيطان:

ذكر ابن القيم رحمه الله[(٢)] قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز به منه، وذلك عشرة أسباب، ألخصها فيما يلي:

١ ـ الحرز الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وعن سليمان بن صرد ـ رضي الله عنه ـ قال: «استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ ـ فقال: «إني لست بمجنون»[(٣)].

٢ ـ الحرز الثاني: قراءة المعوذتين. فقد كان النبي ﷺ يتعوذ بهما في كل ليلة، وقال ﷺ: «ما تعوذ متعوذ بمثلهما»[(٤)]. وأمر عقبة بن عامر أن يقرأ بهما دبر كل صلاة[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان ٤٦، ومسلم في الإيمان ١١، وأبوداود في الصلاة ٣٩١، والنسائي في الصلاة ٤٥٨، من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٢) انظر «التفسير القيم» ص٦٢٠ ـ ٦٣١.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب ـ باب الحذر من الغضب ـ ٦١٥٥، ومسلم في البر ـ باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ٢٦١٠.

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٤٦٣، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «إن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يمسي، وثلاثاً حين يصبح كفته من كل شيء»(٢).

وقد تقدم ذكر كلام ابن القيم في أن حاجة الإنسان إلى التعوذ «بهـتين السورتين أشد من حاجته إلى الطعام والشراب والنفس واللباس فتأمل هذا.

٣ ـ الحرز الثالث: قراءة آية الكرسي، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتى آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ـ فذكر الحديث إلى أن قال: فقال رسول الله ﷺ: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح..»(٣).

٤ ـ الحرز الرابع: قراءة سورة البقرة. كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان» (٤).

٥ ـ الحرز الخامس: قراءة خاتمة سورة البقرة، كما في حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»(٥).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»(٦).

٦ ـ الحرز السادس، قراءة أول سورة «حم المؤمن» إلى قوله «إليه المصير» مع آية

=

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق ٣٢٧٥، وأبوداود في الصلاة ١٣٧٩، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١٢٦٨، من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين ٧٨٠، وأبوداود في المناسك ٢٠٤٢، والترمذي في فضائل القرآن ٢٨٧٧، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي ٤٠٠٨، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها ٨٠٧، ٨٠٨.

(٦) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن ٢٨٨٢، والدارمي في فضائل القرآن ٣٢٥٣.

الكرسي لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم المؤمن إلى «إليه المصير» وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح»[١].

٧ ـ الحرز السابع: قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، لـه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة، لحديث أبي هـريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، لـه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت لـه عدل عشر رقاب، وكتب لـه مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت لـه حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي. ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك»[٢].

٨ ـ الحرز الثامن: كثرة ذكر الله عز وجل، وهو من أنفع الحروز وبه طمأنينة القلب، كما قال عز وجل: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

٩ ـ الحرز التاسع: الوضوء والصلاة، قال ابن القيم: «وهذا من أعظم ما يُتحرز به، ولاسيما عند توارد قوة الغضب والشهوة، فإنها نار تغلي في قلب ابن آدم.. والوضوء يطفئها، والصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال فيها على الله أذهبت أثر ذلك كله. وهذا أمر تجربته تغني عن إقامة الدليل عليه»[٣].

١٠ ـ الحرز العاشر: الإمساك عن فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الأنام، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة ـ ويا صعوبة التخلص منها إلا على من وفقه الله. فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور إليه في القلب، والاشتغال به، والفكرة في الظفر به.

وفي الأثر: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه».

وقد قيل:

كل الحوادث مبداها من النظـــر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

---

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن ٢٨٧٩.
(٢) أخرجـه البخاري في بدء الخلق ٣٢٩٣، ومسلم في الذكر والدعاء ٢٦٩١، والترمذي في الدعوات ٣٤٦٨، وابن ماجه في الأدب ٣٧٩٨.
(٣) انظر «التفسير القيم» ص٦٢٤.

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر[١]

والإمساك عن فضول الطعام:

فإن تتبع أطايب المأكولات وأنواعها سبب للغفلة عن ذكر الله وكون الإنسان بهيمياً همه بطنه، كما أن الإكثار من الأكل سبب للتخمة والكسل وثقل الجسم عن العمل وفي الحديث:«ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[٢].

والإمساك عن فضول الكلام:

فإن الإكثار من الكلام فيما لا يعني سبب للوقوع فيما لا ينبغي، ولهذا أمر الإسلام بحفظ اللسان، قال تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة: ٨٩].

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنه قال: فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به أو فيما نقول بألسنتنا؟ قال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[٣].

والإمساك عن فضول مخالطة الأنام:

فإن فضول مخالطة الأنام من أعظم أسباب الشرور والآثام، فيجب أن تكون مخالطة العبد للناس على قدر الحاجة.

والناس في هذا أربعة أقسام:

القسم الأول: مَنْ مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة ـ وهم العلماء بالله وأمره، الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

القسم الثاني: من مخالطته كالدواء يحتاج إليه عند المرض، فما دام الشخص صحيحاً فلا حاجة لـه في مخالطتهم، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، فتكون مخالطتهم بقدر الحاجة.

القسم الثالث: من مخالطتهم كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه، وقوته وضعفه، فمنهم من تكون مخالطته ضرراً عليك في دينك ودنياك فهم كمرض الموت المخوف،

---

(١) انظر «التفسير القيم» ص٦٢٤ ـ ٦٢٩.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٨٠، وابن ماجه في الأطعمة ٣٣٤٩، من حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه.وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه الترمذي في الإيمان ٢٦١٦، وابن ماجه في الفتن ٣٩٧٣، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

ومنهم من تكون مخالطته كوجع الضرس يشتد فإذا فارقك سكن الألم، ومنهم من تكون مخالطته حمى الروح، وهو الثقيل البغيض، الذي لا تستفيد منه ولا يستفيد منك، لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها منزلتها، فمخالطة هذا النوع ـ وهم كل مخالف ـ حمى الروح، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب، وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف، حتى يجعل الله له من أمره فرجاً ومخرجاً.

القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله بمنزلة أكل السم كأهل البدع والضلال الصادون عن سنة رسول الله ﷺ.

فالحزم كل الحزم البعد عنهم، والحذر منهم، والتماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم.

وكما قيل:

لقد زادني حباً لنفسي أنني ... بغيض إلى كل امرئ غير طائل[١]

فائدة: في الفرق بين الموسوس والساحر والحاسد

أمر الله عز وجل في سورة الناس بالاستعاذة من شر الوسواس، وأمر في سورة الفلق بالاستعاذة من شر الساحر والحاسد.

فأفرد الاستعاذة من شر الوسواس في سورة الناس، لأن الوسواس وإن كان بسبب من شياطين الجن والإنس كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ إلا أنه إنما يؤذي العبد من داخل بواسطة مساكنته له وقبوله منه، ولهذا يعاقب العبد على تماديه مع الوساوس، لأن ذلك بسعيه وإرادته بخلاف شر الحاسد والساحر فإنه لا يعاقب عليه.

وقرن عز وجل بين الاستعاذة من الساحر والحاسد، لأن شر كل منهما خارج عن إرادة المسحور والمحسود فلا يعاقبان على ما يحصل لهما بل يؤجران إذا صبرا على ذلك.

وكل من السحر والحسد من شرور شياطين الإنس والجن، كالوسواس، إلا أن الحسد أخص بشياطين الإنس، لأنه يدل على شر النفس وطبعها، ليس هو شيئاً اكتسب

---

(١) البيت للطرماح وهو في «ديوانه» ص٣٤٦، تحقيق عزة حسن، دمشق ١٩٦٨م.

من غيرها، وإن كان كغيره من المعاصي من تزيين الشيطان وتسويله، لكن لو لم تكن النفس خبيثة شريرة ومحلاً لذلك لما حصل الحسد.

أما السحر فإنه إنما يكون باكتساب أمور أخرى كالاستعانة بالأرواح الشيطانية، والتقرب إلى الشيطان وعبادته من دون الله، والسجود لـه، ونحو ذلك.

فائدة أخيـــرة:

لعلك أخي المسلم بعد تدبرك في كلام أهل العلم على هـذه السـور الـثلاث سـورة الإخلاص والمعوذتين اتضح لك ما فيها من الوقاية والحفظ والشفاء بـإذن الله عـز وجـل لأمراض القلوب والأبدان، وخرجـت بشخصية المسـلم الحـق، الـذي يجمـع بـين فعـل الأسباب والتوكل على الله، ولا يخاف بعد ذلك إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يعتمد إلا على الله، ولا يستعيذ إلا بالله. فهذا غاية العزة والسعادة والسؤدد والكرامة، وكما قيل:

سأعيش رغم الداء والأعداء ... كالنســـر فـوق القمة الشماء

النور في جنبي وبين جوانحـي ... فعلام أخشى السير في الظلماء

* * *

تم الفراغ منه في يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان المبارك من عام ١٤٢٧هـ من هجرة المصطفى ﷺ. فالحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً ـ وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس موضوعات المجلد الثالث
تفسير سورة النبأ إلى نهاية تفسير سورة الناس

الموضـــوع	الصفحة
تفسير سورة النبأ	٥
تفسير سورة النازعات	٢٥
تفسير سورة عبس	٤٢
تفسير سورة التكوير	٥٧
تفسير سورة الانفطار	٦٩
تفسير سورة المطففين	٧٩
تفسير سورة الانشقاق	٩٦
تفسير سورة البروج	١٠٧
تفسير سورة الطارق	١٢٢
تفسير سورة الأعلى	١٢٨
تفسير سور الغاشية	١٤١
تفسير سورة الفجر	١٥٢
تفسير سورة البلد	١٦٦
تفسير سورة الشمس	١٧٥
تفسير سورة الليل	١٨٤
تفسير سورة الضحى	١٩٦
تفسير سورة الانشراح	٢٠٨
تفسير سورة التين	٢١٤
تفسير سورة العلق	٢١٩
تفسير سورة القدر	٢٢٦
تفسير سورة البينة	٢٣٣
تفسير سورة الزلزلة	٢٤٣
تفسير سورة العاديات	٢٤٩
تفسير سورة القارعة	٢٥٣
تفسير سورة التكاثر	٢٥٦
تفسير سورة العصر	٢٦٨
وقفة تأمل	٢٧٦

تفسير سورة الهمزة	٢٨١
تفسير سورة الفيل	٢٨٦
تفسير سورة قريش	٢٩١
تفسير سورة الماعون	٢٩٦
تفسير سورة الكوثر	٣٠٢
تفسير سورة الكافرون	٣٠٧
تفسير سورة النصر	٣١٢
فائدة: بم يكون الاستعداد للآخرة	٣٢١
تفسير سورة المسد	٣٣٠
تفسير سورة الإخلاص	٣٣٧
تفسير سورة الفلق	٣٤٧
فائدتان: الفائدة الأولى: أسباب تحريم الحسد	٣٦٧
الفائدة الثانية: الأسباب التي بها يندفع شر الحاسد بإذن الله عز وجل	٣٦٩
تفسير سورة الناس	٣٧٤
وسوسة الشيطان للإنسان على أنواع ودرجات	٣٨٢
فائدة - فيما يعتصم به الإنسان من الشيطان	٣٨٨
فائدة في الفرق بين الموسوس والساحر والحاسد	٣٩٢
فائدة أخيرة	٣٩٣
الفهرس	٣٩٤

الفهارس العامة

أ ـ فهرس السور

ب ـ فهرس الأحاديث والآثار

جـ ـ فهرس الأشعار

أ - فهـرس السـور

١ـ من سورة الحجرات إلى نهاية سورة الحديد في المجلد الأول.

٢ـ من سورة المجادلة إلى نهاية سورة المرسلات في المجلد الثاني.

٣ـ من سورة النبأ إلى نهاية سورة الناس في المجلد الثالث.

ب. فهرس الأحاديث والآثار

الحديث أو الأثر	راوي الحديث أو قائل الأثر	الجزء والصفحة
(أ)		
- آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم..	عبد الله بن مسعود	٣/ ١٣٨
- آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ..	أبو جحيفة عن أبيه	٢/ ١٠
- آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ...	علي بن أبي طالب	٢/ ٥٢
- آية المنافق ثلاث ...	أبو هريرة	٢/ ١٦٥ ٢/ ٤١٨
- أبخل الناس الذي يبخل بالسلام .	أبو هريرة وجابر	١/ ٥٣١ ٢/ ٩٢
- ابدأ بنفسك ثم بمن تعول .	جابر	٢/ ٢٩٥
- ابشري بروح وريحان ورب غير غضبان .	أبو هريرة	١/ ٤٤٨
- أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون ..	جندب بن سفيان	٣/ ١٩٦
- أبغض الحلال إلى الله الطلاق .	عبدالله بن عمر	٢/ ٢٥٦
- أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة ...	عبدالرحمن بن عوف	٣/ ١٩٤
- أتى رسول الله ﷺ فقال إني تظاهرت من امرأتي ...	ابن عباس	٢/ ٢٠
- أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي فذهبت لأخرج...	عبدالله بن عامر بن ربيعة	٢/ ١٦٤
- أتاني جبريل فقال : إن ربي وربك يقول كيف رفعت ذكرك ...	أبو سعيد الخدري	٣/ ٢٠٩
- أتاني جبريل فقال : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ...	جابر وعلي	١/ ٣٦٨
- أتاني ربي الليلة في أحسن صورة .	ابن عباس	١/ ٢٥٠
- أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه ...	جبير بن مطعم	٣/ ١٩٤
- أتت عجوز فقال يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة.	عائشة	١/ ٤١٧
- أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة؟ ...	عبدالله بن مسعود	٢/ ٢٦٩
- أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم..	أبو هريرة	١/ ٥٣ ٢/ ٣٥٧
- أتدرون من السابقون إلى ظل الله عز وجل ؟..	عائشة	١/ ٤٠١

- أتدرون من المفلس ؟ ...	أبو هريرة	٣/ ٨٠
		٣/ ٣٢٤
-أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟..	معاذ	١/ ٥٣٦
- أتريد أن تكون فتاناً يا معاذ ؟ ...	جابر	٣/ ١٢٨
- اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة ...	أبو ذر	٢/ ٣٥١
- اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ...	عبدالله بن عمرو وجابر بن عبدالله	٢/ ٩٣
- اتقوا النار ولو بشق تمرة ...	عدي بن حاتم	٣/ ٢٤٧
- أتلومني على أمر قدّره الله عليَّ قبل أن أخلق ؟ ..	أبو هريرة	٢/ ٥٠٥
- أتيت ابن عباس وهو ينـزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له : قد تُكُلّم في القدر.	عطاء بن أبي رباح	١/ ٣٤١
- أتيت رسول الله ﷺ وقلت: أي الإيمان أفضل؟ قال : خلق حسن .	عمرو بن عبسة	٢/ ٣٥١
- أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر) قال : يقول ابن آدم مالي مالي ...	عبدالله بن الشخير	١/ ٤٦٩
- اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.	أنس	١/ ٥٠٤
- اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في الأنساب والنياحة على الميت .	أبو هريرة وأبو مالك الأشعري	١/ ٣٣ ١/ ٤٢
- اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه ..	عمر	٢/ ٢٩١
- اجتنبوا السبع الموبقات ...	أبو هريرة	١/ ٢٧٢، ٣/ ٢٦٦، ٢٩٦، ٣٦٥
- اجعلتني لله ندًا أو عدلاً ؟ ما شاء الله وحده..	ابن عباس	١/ ١٣
- اجعلتني والله عدلاً ؟ بل ما شاء الله وحده ..	ابن عباس	٢/ ٢٤
- اجلس فقد آذيت وآنيت	جابر بن عبد الله	٢/ ٢٠٣
- أجلّوا الله يغفر لكم ...	أبو الدرداء	١/ ٣٩٥
- أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ..	ابن عمر	١/ ١١٥
- أحب الأعمال إلى الله الخلق الحسن ..		٢/ ٣٥٠
- أحبب حبيبك هونًا ما فعسى أن يكون بغيضك يومًا ما..	علي بن أبي طالب	٢/ ١٤٠
- أحب البلاد إلى الله مساجدها ...	أبو هريرة	٣/ ١١٨

– أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام وأحب الصيام إلى الله صيام داود ...	عبد الله بن عمرو ابن العاص	١/١٥٣
– أحب الكلام إلى الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .	سمرة بن جندب	١/١٣٢ ٣/١١٨
– أحب الناس إلى الله أنفعهم لعياله ..	ابن عمر	٣/١١٨
– أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ..	ابن عمر	٣/٣٠٠
– احتج آدم وموسى فقال موسى : أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ؟ ...	أبو هريرة	١/٣٤٥
– احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز.	أبو هريرة	٢/٩
– الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ..	عمر بن الخطاب وأبو هريرة	١/١١٦، ١٥١، ٥٣٨ ٢/٣٢٦
– احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن ..	أبو هريرة	٣/٣٤٠
– احفظ الله يحفظك .	ابن عباس	١/١١٥ ٣/٣٦٧
– أخذ النبي ﷺ بيدي فنظر إلى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا الغاسق .	عائشة	٣/٣٥٣
– أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر..	محمود بن لبيد	٣/٢٩٩
– أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك.	أبو هريرة	٢/٤١٨
– أدخلوا عبدي الجنة برحمتي قال : بل بعملي..	جابر	١/٢١١، ٢/٤١٦ـ ٤١٧
– ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ..	أبو هريرة	١/١٢٣
– أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم..	أبو سعيد	١/٣٩٣
– إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة ..	أبو هريرة وأبو قتادة	٢/١٩٩
– إذا أقبل الليل فكفوا صبيانكم ..	جابر	٣/٣٥٤
– إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤوا بالعشاء .	عائشة	٣/٢١٢
– إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .	أبو هريرة	٢/٨٤، ٢٤٩
– إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء.	ابن عمر	٣/١٩٨، ٢٨٣
– إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهها ..	ابن عباس	١/٣٦٦
– إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هناك عينين	علي بن أبي طالب	٢/٥٣٩
– إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان ..	جابر بن عبدالله	٣/٣٧٨
– إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فإنه لا يدري ما يكتب من أمنيته..	أبو هريرة	١/٢٦٠

- إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل .	أبو هريرة وأوس	٢/ ٢٠١
- إذا حسدت فاستغفر الله .	حارثة بن النعمان	٣/ ٣٥٨
- إذ حسدت فلا تبغ .	أبو هريرة	٣/ ٣٥٨
- إذا حُضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء .	أبو هريرة	٣/ ١٦٤
- إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك .	عبدالرحمن بن سمرة	٢/ ٢٨٨
- إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ..	صهيب	٢/ ٥١٤
- إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة..	أبو أمامة بن سهل	٣/ ٣٦٦
- (إذا زلزلت) تعدل نصف القرآن .	ابن عباس	٣/ ٢٤٣
- إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس .	أبو هريرة	٢/ ١٨٣
- إذا سمعت الله يقول : (يا أيها الذين آمنوا) فأوعها سمعك ..	عبد الله بن مسعود	١/ ١٠ ٢/ ١٢٦
- إذا غابت – الناقة – حضروا الماء وإذا جاءت حضروا اللبن .	مجاهد	١/ ٣٢٧
إذا قام أحدكم من المجلس ثم رجع إليه فهو أحق به	أبو هريرة	٢/ ٤٣
- إذا قرأ (والمرسلات عرفًا) فقرأ (فبأي حديث ...).	أبو هريرة	٢/ ٥٦١
- إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الثالث إلا بإذنه.	عبد الله بن عمر	٢/ ٣٨
- إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ..	أبو هريرة	١/ ٢١٥، ٢٣٨ ٢/ ٩٥، ٣٤٧
- إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين .	الأشعث بن عبدالله الأعمى	٣/ ٢٥٤
- إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ..	أبو هريرة	٢/ ٤٤
- إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها أبناء الملوك.	ابن عمر	٢/ ٥١٨
إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط .	أبو هريرة	٣/ ٣٧٨
اذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش.	جابر بن عبدالله	٢/ ٣٩١
- اذهبوا فأنتم الطلقاء .	أبو هريرة	٢/ ١٤٢
- أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر .	عبدالله بن عمر	٣/ ٢٣١
- أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه أو ويحبه الناس عليه قال ذلك عاجل بشرى المؤمن.	أبو ذر	١/ ٢٧٨
- أرأيتم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى.	أبو سعيد	١/ ١٢١
- أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا .	عبدالله بن عمرو	٢/ ١٦٥
- ارحم أمتي بأمتي أبو بكر .	انس بن مالك	٣/ ١٩٤

- ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .	عبد الله بن عمرو	١/ ٥٢٠
- أرحنا يا بلال بالصلاة	رجل من أسلم	٢/ ٤٦٤
- أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش .	عبدالله بن مسعود	١/ ٤٤٩
- أريت كأني أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع .	عبد الله بن عمر	١/ ٣٩٣
- أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني صبحها أسجد في ماء وطين.	عبد الله بن أنيس	٣/ ٢٢٨
- (ازدجر) أي : استطير جنونًا .	مجاهد	١/ ٣١٣
- استب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما تحمر عيناه ..	سليمان بن صرد	١/ ٥٢١
- استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس .	سليمان بن صرد	٣/ ٣٨٩
- استعيذوا بالله فإن العين حق .	عائشة	٢/ ٣٨٢
- استقيموا ولن تحصوا .	عائشة وثوبان	٢/ ٢٤٩، ٤١٩، ٤٦١
- أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه.	أبو هريرة	١/ ٤٤٩
- الإسلام علانية والإيمان في القلب .	أنس	١/ ٣٢
- اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة ..	جندب بن سفيان	٣/ ١٩٦
- اشتكت النار إلى ربها فقالت : يارب أكل بعضي بعضاً .	أبو هريرة	٣/ ٢٥٥
- أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .	سعد بن أبي وقاص	٣/ ١٥٩
- اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه.	أنس بن مالك	١/ ٤٠٤ ٢/ ٩٥
- اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه	عبدالله بن مسعود	٣/ ١٩٧
- أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا .	أبو هريرة وحذيفة	٣/ ٢٠٢
- أطاع قليلاً ثم قطعه – قاله في قوله تعالى : ﴿ وأعطى قليلاً وأكدى ﴾ .	ابن عباس	١/ ٢٨١
- أطفال المشركين في الجنة .	ابن عباس	٣/ ٥٩
- أعتقها فإنها مؤمنة .	معاوية بن الحكم السلمي	٢/ ٢٠
- اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه .	أبو سعيد الخدري	٣/ ٢٢٨
- أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ..	أبو هريرة	١/ ٥١٧ ٢/ ٣٧١
- أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة.	أبو هريرة	٣/ ٢٦٩
- أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه .	عبد الله بن عمر	١/ ٤٧٠
- أعطوا السائل ولو جاء على فرس .	زيد بن أسلم	٣/ ٢٠٥

- أعطيت خمساً لم يعطهن احد من الأنبياء قبلي .	جابر بن عبدالله	٣/ ١٩٩، ٣٠٣
-أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك.	أبو هريرة	٣/ ٣٢٢
- اعملوا فكل ميسر لما خلق له فأهل السعادة سوف ييسرون لعمل أهل السعادة .	علي بن أبي طالب	١/ ١٤٦، ٢/ ٤٩٥، ٣/ ١٧٧، ٣١٠
- أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر .	عبدالرحمن بن خَنْبَش	٣/ ٣٥١
- (اغدوا على حرثكم) قال : كان حرثهم عنباً .	مجاهد	٢/ ٣٦٥
- أفتان أنت يا معاذ .	جابر بن عبد الله	٣/ ١٥٢
- افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة .	أبو هريرة وأنس بن مالك	٣/ ٢٣٦
- أفضل الحج العج والثج .	أبو بكر الصديق	٣/ ٨
- أفضل الصدقة جهد المقل .	عبدالله بن حبشي وأبو هريرة وأبو ذر	٢/ ٩٠، ٣١٥
- أفضل الصدقة ما ترك غنى واليد العليا خير من اليد السفلى.	أبو هريرة	٢/ ٢٩٥
- أفضل الكلام أوخير الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .	-	١/ ١٣٢
- أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد.	ابن عباس	٢/ ٣٠٩
- أفلا أكون عبدًا شكورًا .	عائشة	٣/ ٢٠٦
- أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلاً يقرأ (قل هو الله أحد) فقال رسول الله ﷺ وجبت .	أبو هريرة	٣/ ٣٣٨
- (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال : وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين.	عبد الله بن عمر	١/ ٣٠٣
- أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.	أبو هريرة	١/ ٢٩٨، ٣/ ٢٢٥
- اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق .	عبد الله بن عمرو	١/ ٢٤١

		٣/ ٢٢١
- اكتبوا كتابه في سجين .	البراء	٣/ ٨٤
- أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة .	أبو الدرداء	٣/ ١٠٨
- أكثروا من ذكر هاذم اللذات .	أبو هريرة	٣/ ٣٢٣
- أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا ..	أبو هريرة	٢/ ٣٥١
- الا احدثكم بأشقى الناس .	عمار بن ياسر	٣/ ١٨١
- الا اخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة .	أبو الدرداء	١/ ٣٩
- الا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره .	حارثة بنت وهب	٢/ ٣٥٩
- الا أخبركم بخياركم ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال الذين إذا رؤوا ذكر الله .	أسماء بنت يزيد ابن السكن	٢/ ٣٥٨
- الا أخبركم بخير البرية .	أبو هريرة	٣/ ٢٣٩
- الا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس .	عقبة بن عامر	٣/ ٣٤٧
- الا أعلمك كلمات ؟ احفظ الله يحفظك .	ابن عباس	١/ ٣٤٣
- الا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثًا ؟ قالوا : بلى يا رسول الله .	أبو بكرة	١/ ٢٧٢ ٢/ ١٧
- الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم.	أبو الدرداء	٢/ ٢٢١
- الا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وعالم أو متعلم .	أبو هريرة	٣/ ١٨٩
- الا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .	علي بن أبي طالب	٣/ ٢٧٥
- الا إن الله يقول (اقتربت الساعة وانشق القمر) الا وإن الساعة قد اقتربت ألا وإن القمر قد انشق ..	أبو عبدالرحمن السلمي يرويه عن حذيفة	١/ ٣٤٠
- الا إني أوتيت الكتاب ومثله معه .	المقدام بن معد يكرب	١/ ٢٤٢
- إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن .	عبدالله بن خنبش	٣/ ١٢٢
- الا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير	أبو أمامة	٣/ ١٥٠

على أهله .		
الا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها ..	أسامة بن زيد	٣/ ١٤٥
الا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله	النعمان بن بشير	١/ ٣٢، ٢/ ١٦٩، ٣٣٨، ٣/ ٣٦٧
التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ..	عبد الله بن عباس	٣/ ٢٢٩
الظّوا بيا ذا الجلال والإكرام .	ربيعة بن عامر وأنس	١/ ٣٩٥
الذي يوصي بالخمس أفضل من الذي يوصي بالربع	ابن عباس	٣/ ٣٢٦
الم اجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ..	عبد الله بن زيد بن عاصم	٢/ ١٤٠
الم تر آيات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط (قل أعوذ برب الفلق)..	عقبة بن عامر	٣/ ٣٤٧
(الم تر إلى الذين نافقوا) يعني عبد الله بن أبي وأصحابه	ابن عباس	٢/ ١٠٠
(الم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم	..ابن عباس ومجاهد	٢/ ٣٣
أَلَيسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا	قتادة	٢/ ٥٢١
اليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه	أنس بن مالك	٢/ ٣٣٧
اما انا فاقوم وانام واصوم وافطر واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي ..	أنس	١/ ٣٢
اما انا فلا آكل متكئًا	أبو جحيفة	٢/ ٥٣٤
اما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ..	جرير بن عبد الله	١/ ١٢٧
اما إنه منعني من ذلك اني اكره ان املكم ..	عبد الله بن مسعود	٣/ ١٣٣
اما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ..	أبو سعيد الخدري	٣/ ١٣٦
اما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة ..	أنس بن مالك	١/ ١٨
اما علمت ان الإسلام يهدم ما كان قبله ..	عمرو بن العاص	٣/ ١٠٤
اما معاوية فصعلوك لا مال له واما أبو جهم فلا يضع	فاطمة بنت قيس	١/ ٥٥

عصاه عن عاتقه..		
أما هو فقد جاءه اليقين وإني لأرجو له الخير .	أم العلاء امرأة من الأنصار	٢/ ٥٠٠
أما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة ...	أبو مالك	١/ ٤٠٧
أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك .	سعيد بن المسيب عن أبيه	٢/ ١٣١
أمرت أن أسجد على سبعة أعظم ..	ابن عباس	٢/ ٤٥٢
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ..	عبد الله بن عمر	٢/ ١٥٧
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله	جابر بن عبد الله	٣/ ١٤٩ ، ١٦٥، ٣٠٨، ١/ ٥٤٢
أمر الله عز وجل آدم بإخراج بعث النار من ذريته من كل ألف ..	أبو سعيد الخدري	١/ ١٦٥، ٣٠٨، ٥٤٢
أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالاً فقلت اليوم	عمر بن الخطاب	٣/ ١٩٤
أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين تراب ..	المقداد بن الأسود	١/ ٢٧٨
أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة	عقبة بن عامر	١/ ١٣١، ٣/ ٣٤٨
أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأت الآية ﴿ والذين جاؤوا من بعدهم ... ﴾ .	عائشة	٢/ ٩٧
(إنا أعطيناك الكوثر) نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه در مجوف .	عائشة	٣/ ٣٠٣
أنا أغنى الشركاء عن الشرك .	أبو هريرة	٣/ ٢٧١
إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا..	عبد الله بن مسعود	٣/ ١٩٩
أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ..	أبو ذر	٢/ ٣٠١
أن أبا سعيد الخدري ؓ قال له : إني أراك تحب ..	عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة	٣/ ٢٤٥
أن ابنة النبي ﷺ أرسلت إليه أن ابنا لها قبض فرفع إلى	أسامة بن زيد	١/ ٢٨٩

رسول الله ﷺ الصبي..		
أن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض فذكر عمر ذلك لرسول الله ﷺ.	ابن عمر	٢/ ٢٥٦
أن ابن عمر ﷺ مرض فاشتهى عنباً أول ما جاء العنب فأرسلت صفية...	نافع	٢/ ٥٣٠
إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين	أبو بكرة	١/ ٤٣
أن إتيان المرأة في دبرها هي اللوطية الصغرى	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده	١/ ١٨٠
إن أجمع آية في القرآن ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٦٢
إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن .	ابن عمر	١/ ٣٥٠
إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً .	جابر	٢/ ٣٥١
إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ...	عبد الله بن مسعود	١/ ٢٧٦ ٣/ ٤٨، ١٣٥
إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله	أبو هريرة	١/ ٢٢٨
إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ..	ابن عمر	٣/ ٩٠، ٥٣٧ ٢/ ٥١٤،
إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها أشهد رجلين ..	ابن عباس	٢/ ٢٦٠
(إن ارتبتم) أي : إن رأين دمًا وشككن في كونه حيضاً	مجاهد والزهري وابن زيد	٢/ ٢٦٨
أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة	عبد الله بن مسعود	١/ ٥٠٥
أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا	أنس	٢/ ٣٥٢
أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ..	ابن عمر	١/ ٥١٣
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع ..	أبو هريرة	١/ ١٣٦
إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده	٣/ ٣٣٢

إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه	عائشة	١/ ٢٨٣
أن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال : انسب لنا ربك ..	جابر بن عبد الله	٣/ ٣٣٧
أن أعرابيًا نادى النبي ﷺ بصوت جهوري فقال : يا محمد متى الساعة؟	أنس	٢/ ٤٥٧
إن أكثر منافقي أمتي قراؤها .	عبد الله بن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر	١/ ٣١٨
أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ..	حذيفة وأبو موسى	٢/ ١٧١
أن امرأة لقيت عمر بن الخطاب ﷺ وهو يسير مع الناس فاستوقفته..	ابن زيد	٢/ ٧
أن امرأة من جهنية جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إن أمي نذرت أن تحج	ابن عباس	١/ ٢٨٥
أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت يانبي الله الا تحدثني عن حارثة، وكان قتل في بدر ..	أنس بن مالك	٢/ ٢٣٧
أنا مع أمي رائطة بنت سفيان الخزاعية والنبي ﷺ يبايع النسوة ويقول : أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئًا .	عائشة بنت قدامة بن مظعون	٢/ ١٥٩
أن أم الفضل رضي الله عنها سمعته يقرأ (والمرسلات عُرفًا)	ابن عباس	٢/ ٥٤٨
أنا الملك أنا الديان .	جابر وعبد الله بن أنيس	٣/ ٢١٧
إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر	أبو سعيد الخدري	٣/ ١٩٣
إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم .	جبير بن نفير وكثير ابن مرة وعمرو بن الأسود، والمقداد بن معد يكرب وأبوأمامة	١/ ٥٢

	بن الأسود، والمقداد بن معد يكرب وأبو أمامة	
أن الأنصار رضي الله عنهم لما أعز الله الإسلام قال بعضهم لبعض: لو رجعنا....	أبو أيوب الأنصاري	٣/ ٢٧٠
أن الأنصار قالوا: يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض	يزيد بن الأصم	٢/ ٨٨
أن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً .	أبو سعيد	١/ ٤١٨
إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ..	أبو سعيد الخدري	١/ ٥٠٤
أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر	أنس بن مالك	١/ ٣٠٢
إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار ..	النعمان بن بشير	٣/ ١٩٠
أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ...	سهل بن سعيد	٣/ ١٦٠، ٢٩٦
إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ..	أبو هريرة	١/ ٣٨٧
إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن ..	عبادة	١/ ٣٤٣، ٢/ ٣٤
إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر	البراء بن عازب	٣/ ٣٠٦
إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ...	أبو هريرة	٢/ ٤٩٩
أن بني النضير نقضوا العهد فغزاهم رسول الله ﷺ بعد بدر بستة أشهر	عائشة	٢/ ٧٢
أنت الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي .	أبو هريرة	١/ ١٦٣، ٤٩١
إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألمّا .	ابن عباس	١/ ٢٧٢
أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ..	أنس	١/ ٥٤٦
أنتم شهداء الله في أرضه	أنس بن مالك	١/ ١٠٣

أنتم والساعة كهاتين ..		١/ ٣٠١
انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول (ألهاكم التكاثر) يقول ابن	عبد الله بن الشخير	٣./ ٢٥٧
أن التي أسقته العسل هي حفصة	عائشة	٢/ ٢٨٥
أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكيت قال : نعم قال باسم الله ..	أبو سعيد	٢/ ٣٨٢
أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي فقال : أحيانا ...	عائشة	٢/ ٤٦٤
إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات	النعمان بن بشير	١/ ٢٦٨، ٣/ ٢٨٣
إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ..	أبو بكرة	١/ ٥٤
إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا ..	أبو هريرة	١/ ٥٤٦
أنذرتكم النار أنذرتكم النار أنذرتكم النار ..	النعمان بن بشير	٣/ ١٩٠
إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم	عمر	١/ ١٩
أن الرب يظهر لهم في كل جمعة قاله في تفسير قوله (ولدينا مزيد)	أنس بن مالك	١/ ١١٨
أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال:يا رسول الله أي العمل أفضل	عبادة بن الصامت	٢/ ٢٤٠
أن رجلا سأل رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار	أنس بن مالك	٢/ ١٣٠
أن رجلا قال لابن مسعود ﷺ كيف تعرف هذا الحرف (ماء غير ياسن)..	زربن جيش	١/ ٣٥٠
أن رجلاً قال يا رسول الله أقرئني سورة جامعة ..	عبد الله بن عمرو	٣/ ٢٤٣
أن رجلاً قال يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود	أبو هريرة	٣/ ٧١
أن رجلاً قال يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها فماتت ولم توص..	عائشة	١/ ٢٨٤
أن رجلاً قال يا رسول الله إن أمي توفيت وعليها صيام قال : فصم عنها	ابن عباس	١/ ٢٨٥

أن رجلاً قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ ..	عبد الله بن بسر	١/ ١٣٢
أن رجلاً قال يا رسول الله إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر..	ابن عباس	٢/ ٢٠
إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله	الهيثم بن مالك الطائي	١/ ٢١٢
إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى أن تبلغ ما بلغت يهوي بها..	أبو هريرة	٣/ ٢٥٤
إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى	بلال بن الحارث المزني	١/ ١٠٠
إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً	أبو هريرة	١/ ١٨
إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء ..	أبو هريرة	١/ ٤١٨
أن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا يا رسول الله أرأيت ..	عمران بن حصين	٣/ ١٧٧
أن رسول الله ﷺ أخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا ...	معاذ بن جبل	١/ ١٠١
أن رسول الله ﷺ أخذ بيده قال فانطلقنا إلى أم سلمة فقال: هل ..	عكراش بن ذؤيب	١/ ٤٠٨
أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء	أبو هريرة	٣/ ١٠٧
أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقي من العين .	عائشة	٢/ ٣٨٢
أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال : قال الله عز وجل : ابن آدم أنى تعجزني	بسر بن جحاش وجبير بن نفير	٢/ ٥١٦، ٣/ ٧١
أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني	ابن عمر	١/ ٤٧٩
أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية : (وأصحاب اليمين) (وأصحاب الشمال)..	معاذ بن جبل	١/ ٤٢٠
أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع ..	ابن عمر	٢/ ٧٦
أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال : مالي أراكم عزين ؟	جابر بن سمرة	٢/ ٤٢٢
أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يزوره	أنس بن مالك	٣/ ٢٥٧

فقال : طهور ..
أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد .. — عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده — ٢/ ١٤٧
أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع بالنكاح الأول.. — ابن عباس — ٢/ ١٤٧
أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال: ذاك رجل .. — عبد الله بن مسعود — ٢/ ٤٧٧
أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال هي الصلاة — عمران بن حصين — ٣/ ١٥٣
أن رسول الله ﷺ سئل عن العزل فقال : ذلك الوأد الخفي — عائشة — ٣/ ٥٩
أن رسول الله ﷺ قال في الأولاد : فإن فيهم قرة عين — الأشعث بن قيس — ٢/ ٢٤٧
أن رسول الله ﷺ قال : في تسع يبقين أو سبع يبقين — أبو بكرة — ٣/ ٢٣٠
أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين .. — أبو هريرة — ٣/ ٢٣٠
أ ن رسول الله ﷺ قال : في هذه الآية (واليوم الموعود..). — أبو هريرة — ٣/ ١٠٧
أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه : هل تزوجت يا فلان ؟ — أنس بن مالك — ٣/ ٢٤٣
أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: إذا لزمت مضجعك — أم سلمة — ١/ ١٣١
إن رسول الله ﷺ قال لي : إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن — أبي بن كعب — ٣/ ٢٣٣
أن رسول الله ﷺ قرأ بـ (قل يا أيها الكافرون) . — جابر بن عبد الله — ٣/ ٣٠٧
أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر — أبو هريرة — ٣/ ٣٠٧
أن رسول الله ﷺ قرأ يوماً هذه الآية : (ولمن خاف مقام ربه جنتان — أبو الدرداء — ١/ ٣٨٢
أن رسول الله ﷺ قرأ (يوماً يجعل الولدان شيباً) قال ذلك يوم القيامة .. — ابن عباس — ٢/ ٤٧٠
أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ : (سبح اسم ربك الأعلى) قال : سبحان .. — ابن عباس — ٣/ ١٢٩

أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها..	أنس	٢/ ٢٨٥
أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ..	جابر بن عبد الله	٢/ ٣١١
أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم : اللهم رب السموات السبع	أبو هريرةوعائشة	١/ ٤٥٧
أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشراً ويحمد عشراً ..	عائشة	٣/ ٨٣
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج ..	أبو هريرة	٣/ ١٠٧
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة(سبح اسم ربك الأعلى)..	النعمان بن بشير	٣/ ١٢٨
أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد..	العرباض بن سارية	١/ ٤٥٣
أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء	أبو برزة الأسلمي	٣/ ١٣٤
أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات .	عائشة	٢/ ١٥٨
أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن ..	عائشة	٢/ ١٥٢
أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٢٤٣
أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو..	ابن عمر	١/ ٤٤١
أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد في الليل	علي بن أبي طالب	٢/ ٣٦٤
أن رسول الله ﷺ نهى عن الدباء والحنتم والمزفت والنقير	ابن عمر ، وابن عباس	٢/ ٨٣
أن رسول الله ﷺ يقرأ بهما في الركعتين قبل الفجر .	ابن عمر	٣/ ٣٠٧
أن رهطاً من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن وديعة ..	يزيد بن رومان	٢/ ١٠٠
انزع عنك الجبة واغسل أثر الطيب واصنع في عمرتك ..	يعلى بن أمية	١/ ٢٤١
أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ..	واثلة بن الأسقع	٣/ ٢٢٨
أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى ..	عائشة وابن عمر	٣/ ٤٢
أنزل الله فيه الاستثناء في قوله (لا يستوي القاعدون من	البراء بن عازب	٣/ ٤٣

المؤمنين ...) ..		
أنزلوا الناس منازلهم	عائشة	٢/ ٤٥
أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل ..	المسور بن مخرمة	٢/ ٢٦٩
أن سعد بن عبادة استفتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن أمي...	ابن عباس	١/ ٢٨٥
أن سلمة بن صخر ﷺ لما وقع على امرأته في نهار رمضان وهو صائم جاء...	أبو هريرة	١/ ١٢٠، ٣/ ٢٧٠
إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها ..	أبو هريرة	٢/ ٣١١
انشق القمر في زمان رسول الله ﷺ ..	ابن عباس	١/ ٣٠٣
انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين حتى نظروا إليه	عبد الله بن سعود	١/ ٣٠٣
انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين	جبير بن مطعم	١/ ٣٠٤
إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ..	صفية وأنس	٣/ ٣٧٧
أن الصحابة رضي الله عنهم إذا كانوا عند رسول الله ﷺ	قتادة وابن زيد ومقاتل	٢/ ٤١
إن الصدقة على المسكين صدقة ..	سلمان بن عامر الضبي	٣/ ١٧٢
انصر أخاك ظالماً أو مظلومًا ..	أنس	١/ ٣٩، ٢/ ٦٧، ٤١٩
انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار	عبد الله بن عمر	٢/ ٤٥٥
انطلقنا إلى عائشة رضي الله عنها فاستأذنا عليها فقلت : أنبئني بقيام رسول الله ﷺ..	سعد بن هشام	٢/ ٤٦١
إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة ..	أنس	١/ ٤٠٩
انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله..	أبو ذر	١/ ٦١
انظري يا ابنة آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ..	فاطمة بنت قيس	٢/ ٢٥٩
أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة ..	عمرو بن شعيب	١/ ٢٨٤

	عن أبيه عن جده	
إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله	أبو المعلى وأبو سعيد الخدري	٣/ ٣١٣
إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ..	ثوبان	٢/ ٢٦٣
إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل..	البراء بن عازب	٣/ ١٦٤، ٢/ ٤٠٧
أنعت لك الكرسف ..	حمنة بنت جحش	٣/ ٩
إن العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر .	جابر	٣/ ١٥٣
إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ..	أنس بن مالك	١/ ٥٢٨، ٣/ ١٥٩
إن العقبة كؤدود لا يجوزها المثقلون		٣/ ١٧٠
أن عمر بن الخطاب ﵁ دخل المسجد فإذا شباب جالسون فيه فقال : من ينفق عليكم		١/ ٥٤٦
أن عمر بن الخطاب ﵁ سأل عن أبي عبيدة ﵁ فقيل : إنه يلبس ..	عمر بن الخطاب	٢/ ٢٧٤
أن عمر بن الخطاب ﵁ سأله : ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد ؟.	أبو واقد الليثي	١/ ٧٧، ٣٠٠
أن عمر بن الخطاب ﵁ كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول: سبحانك اللهم	عمرو بن ميمون وعبدة	١/ ٢٣٥
إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا	أنس بن مالك	١/ ٢٨٩
أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله فقالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات....		١/ ١٢٩، ٥١٨
أنفق يا ابن آدم ينفق عليك	أبو هريرة	١/ ٢٨٣
أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك .	أسماء	١/ ٤٧٧
إن في أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالاً ونساءً...	سهل بن سعد الساعدي	٢/ ١٩١
إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا	أبو هريرة وأنس	١/ ٤١٤، ٤١٥

يقطعها .	وأبو سعيد وسهل بن سعد	
إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله.	أبو هريرة	١/ ٥٠٦، ٢/ ١٦٦، ٣٩٤
إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة ..	جابر	١/ ١٥٦
إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة .	أنس بن مالك	٢/ ٣١٤
إن قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ الآيات نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة .	ابن عباس	٢/ ٤٠٦
إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أوكدت أن تفسدهم .	معاوية بن أبي سفيان	١/ ٥٢
إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها.	عائشة	٢/ ٤٦٤
أنكر ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص قوله : لأصومن النهار ...	عبد الله بن عمرو	١/ ١٥٣
إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً .	عائشة	٣/ ٥٤
إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس صحوًا..	أبو سعيد وأبو هريرة	٣/ ٨٧
إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر .	جرير بن عبد الله	٢/ ٥١٤، ٥٤٢، ٣/ ٨٨
إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صومًا وصلاة وصدقة .	مطرف بن عبد الله	٢/ ٤٧
إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات ..	عائشة	١/ ٩٠
إن لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة .	عبد الله بن مسعود	٢/ ٣٩٢
إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة.	ابن مسعود	١/ ٩٨
إن للمنافقين علامات يعرفون بها تحيتهم اللعنة وطعامهم نُهبة.	أبو هريرة	٢/ ٢١٢
إن لنفسك عليك حقًا ولزوجك عليك حقًا .	عبد الله بن عمرو	١/ ١٥٣
إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث	عبد الله بن عباس	١/ ٤٩٥

عشرة ..		
إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشًا من كنانة .	واثلة بن الأسقع	٣/ ٢٩٢
إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة .	أبو سعيد الخدري	٣/ ٢٤١
إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم .	أبو هريرة	١/ ٩٧، ٣/ ٣٧٧
إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ..	ابن عباس	١/ ٢٧٢
إن الله تعالى يقول : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ..	أبو هريرة	١/ ١٩٦
إن الله حبس عن مكة الفيل ..	أبو هريرة	٣/ ٢٩٠
إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.	أوس بن أوس	١/ ٨٣
إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها .	ثوبان	٣/ ١٩٩
أن الله عز وجل قال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي..	أبو هريرة	١/ ١١٢
أن الله عز وجل يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه.	ابن عمر	٢/ ٤٢٧، ٣/ ٣١٦
إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ..	أبو ثعلبة الخشني	١/ ٣٢٩
إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض.	عمرو بن العاص	١/ ٥٢٦
إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا .	أبو هريرة	١/ ١٢
إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم .	ابن مسعود	٣/ ١٥٩
إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق بالفي عام .	النعمان بن بشير	٣/ ٣٨٩
إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض.	عبد الله بن عمرو	١/ ٣٤٢، ٢/ ٢٢٧، ٣/ ١٣١
إن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها .	أبو الدرداء	٢/ ٢٢٤
إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه	أبو موسى الأشعري	١/ ٢٥٠

إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى أعمالكم ..	أبو هريرة	١/ ٦١
إن الله لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء ..	ابن عمر	٣/ ١٠٥
إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ..	أبو هريرة	٣/ ٢٠١
إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ..	أنس	١/ ٣٦١، ٣/ ١١٠
إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول		١/ ٢١٥
إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه.	ابن عباس	١/ ٢١٤
إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ..	أبو موسى	١/ ١٩٧، ٢/ ٣٧٦
إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن ..	علي	٢/ ٤٧٧
إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ..	أبو موسى	٢/ ٢٩٩
إن الله يتجلى للمؤمن يضحك يعني في عرصات القيامة .	جابر بن عبد الله	٢/ ٥١٤
إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته .	ابن عمر	٢/ ٢٠٤
إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ..	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وأبو الأحوص عن أبيه	٣/ ٢٠٦
إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين ..	عمر	٢/ ٤٧
إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ..	ابن عمر	٢/ ٢٩٩
أن لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة	عبد الله بن مسعود	٢/ ٣٩٢
إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحداً ..	أبو هريرة	٢/ ١٢٠، ٣/ ١٥٣
أن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر .	أبو هريرة	٢/ ٣٢٦
إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي ..	جبير بن مطعم	٢/ ١٧١
إن لي صبية صغارًا إن ضممهم إليه ضاعوا ..	خولة بنت ثعلبة	٢/ ٨
إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ..	عبد الله بن مسعود	٣/ ١٣٢
إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ..	أبو هريرة	٢/ ٣٥٠
إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال ..	قتادة	٢/ ٣١٩

إنما ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وأنه أتاه هذه المرة في صورته ..	عائشة	١/ ٢٤٥
إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء .	ابن عمر	٣/ ٧٤
إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ..	أبو هريرة	٣/ ٨٦
إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم ..	عائشة	٢/ ٣٥١
إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد..	سهل بن سعد الساعدي	١/ ٤١
إنما النساء شقائق الرجال ..	عائشة	١/ ٢٢٧
إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجرة الجنة ..	كعب بن مالك	١/ ٤٤٩
﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ قال : أما والله ما قالوه بألسنتهم ..	مجاهد وسعيد بن جبير	٢/ ٥٣١
إنما نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٥٢
إنما يخشى الله من عباده العلماء) قال : « الذين يقولون إن الله على كل شيء قدير »	ابن عباس	١/ ٣٤٤
إنما يرحم الله من عباده الرحماء ..	أسامة بن زيد	٣/ ٢٩٨
إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة..	عبد الله بن مسعود	١/ ٣٨٦
أن المراد بـ (أدبار السجود) الركعتان بعد المغرب .	جمع من الصحابة والتابعين	١/ ١٣٠
أن المراد بـ (أدبار السجود) الوتر .	ابن عباس	١/ ١٣٠
أن المراد بقوله : ﴿ وإدبار النجوم ﴾ الركعتان قبل الفجر .	ابن عباس	١/ ٢٣٦
إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه ..	ابن عباس	٢/ ٥٢
إن المشركين قالوا للنبي - ﷺ - انسب لنا ربك.	أبي بن كعب	٣/ ٣٣٧
إن المقسطين عند الله على منابر من نور ..	عبد الله بن عمرو	٢/ ١٤٢، ٤٤٩
إن الملائكة تحدث في العنان بالأمر يكون في الأرض ..	عائشة	٣/ ٣٨٠
إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم .	أبو موسى الأشعري	١/ ٣٩٥

إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا.	جابر	١/ ٥٢٢
إن من أخيركم أحسنكم خلقاً .	عبد الله بن عمرو	٢/ ٣٥١
﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾ قال : يحمل الرجل على قطيعة الرحم..	مجاهد	٢/ ٢٤٥
إن من أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا رجل سأل عن شيء لم يحرم.	سعد بن أبي وقاص	١/ ١٢، ٣٢٩
إن المنافق إذا مرض ثم عوفي كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه ..	عامر الرَّام	١/ ٢٣٣
أن المنافقين قالوا في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ..	عبد الله بن عمر	٣/ ٩٣
إن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه سام عليك ..	ابن عباس	٢/ ٣٥
إن من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن هي النخلة ..	ابن عمر	١/ ٩٠ ، ٣/ ٥٠
أن من قال حين يخرج من بيته بسم الله آمنت بالله ..	أنس بن مالك	٣/ ٣٦٨
أن موسى عليه السلام بكى فقيل : ما يبكيك ؟ فقال : أبكي ...	مالك بن صعصعة	١/ ٤٠٥
أن موسى عليه السلام لما مر به النبي ﷺ ليلة الإسراء وجاوزه بكى..	أنس بن مالك	١/ ٢٥٣
إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم فقالوا يا رسول الله إن ..	أبو هريرة	١/ ٤٣٣
إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ولولا أنا أطفئت بالماء ..	أنس بن مالك	١/ ٤٣٣
أن ناسًا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال:هل ...	أبو سعيد وأبو هريرة	٢/ ٥١٤
إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا وسيخرجون من دين الله أفواجًا ..	جابر بن عبد الله	٣/ ٣١٥

أن الناس يأتون إلى آدم ونوح وغيرهما من الأنبياء كل منهم يقول نفسي نفسي .	أبو هريرة	٣/ ٥٤
أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس فقال رجل:يا رسول الله أنا أعلم لك علمه .	أنس بن مالك	١/ ١٧
أن النبي ﷺ بعث رجلاً في سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ قل..	عائشة	٣/ ٣٣٨
أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس..	عمرو بن العاص	٣/ ١٩٣
أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وكنت السفير بينهما .	أبو رافع	٣/ ٤٥
أن النبي. ﷺ تلا هذه الآية (ذوقوا مس سقر ..)	زرارة	١/ ٣٤١
أن النبي ﷺ حرق نخل بني النضير ..	ابن عمر	٢/ ٧٧
أن النبي ﷺ حرم جاريته فقال الله جل ثناؤه ..	ابن عباس	٢/ ٢٨٧
أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه.	ابن عباس	٣/ ٣٣٠
أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال : كيف تجدك ؟	أنس	١/ ٢٢٠
أن النبي ﷺ سئل أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان لا شك فيه .	عبد الله بن حبشي	٢/ ١٨١
أن النبي ﷺ قال عند ذكر أهل النار:كل جعظري جواظ ..	عبد الله بن عمرو	٢/ ٣٥٩
أن النبي ﷺ قال: كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنًا حقاً.	الحارث بن مالك	١/ ٥٥١
أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر : انشدك عهدك ووعدك.	ابن عباس	١/ ٣٣٧
أن النبي ﷺ قال : (يوم يقوم الناس لرب العالمين) حتى يغيب أحدهم في ..	ابن عمر	٣/ ٨٢
أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما..	عائشة	٣/ ٣٤١، ٣٤٨

أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قومًا لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر..	أنس بن مالك	٣/ ٢٤٩
إن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة ..	ابن عباس	٢/ ١٨٩
أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر (والسماء ذات البروج ..)	جابر بن سمرة	٣/ ١٢٢
أن النبي ﷺ كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة لا إله إلا الله وحده	المغيرة بن شعبة	١/ ١٣١
أن النبي ﷺ لما أمر سلمة بن صخر رضي الله عنه بالتصدق بعرق التمر قال له : أعلى.	أبو هريرة	٢/ ٢٣
أن النبي ﷺ لما تغشاه الموت جعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول :	عائشة	١/ ١٠١
أنه أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله علمني شيئاً أقوله إذا أويت ...	فروة بن نوفل	٣/ ٣٠٧
أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾ ..	صعصعة بن معاوية	٣/ ٢٤٦
أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب .	ابن عباس	١/ ٤٠٦
أنه إذا تعار وانقلب على فراشه ذكر الله ..	أنس بن مالك	١/ ٢٣٥
أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك ..	أبو هريرة	٣/ ١٤٤
أنها فقدت النبي ﷺ فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد ..	عائشة	٣/ ١٧٨
أنها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدرًا وتوفي عنها ...	سبيعة الأسلمية	٢/ ٢٦٨
أنه حين لقي النبي ﷺ وهو جنب قال : فانخنست .	أبو هريرة	٣/ ٦٢
أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يدعو ..	سليمان بن بريدة عن أبيه	٣/ ٣٤١

إن هذا البلد حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة .	ابن عباس	٣/ ٢١٤
إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ..	ابن عباس	٣/ ١٦٦
إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا منه ما تيسر ..	عمر بن الخطاب ، وعبادة بن الصامت وسليمان بن صرد وأبي بن كعب	١/ ٣١٧
أن هذه السورة مع سورة الناس نزلتا في سحر اليهود للنبي ﷺ ..	ابن عباس وعائشة	٣/ ٣٤٧
أنه سأل رسول الله ﷺ عن التوبة النصوح فقال : الندم على الذنب ..	أبي بن كعب	٢/ ٢٩٨
أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ في رمضان.	عبادة بن الصامت	٣/ ٢٣٠
أنه سئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ..	عمران بن حصين	٢/ ٢٦١
أنه سئل كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال : كانت مدًا ..	أنس	٢/ ٤٦١
أنه سئل من أحسن الناس هيئة وأوفاه كيلاً أهل مكة أو المدينة ..	عبد الله بن عمر	٣/ ٧٩
أنه سأل النعمان بن بشير ؓ بمَ كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة.	الضحاك بن قيس	٣/ ١٤١
إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان ..	ابن عباس	٢/ ٥٦
. إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ربي وربك الله ﷺ أنه	ابن عمر	٣/ ٣٥١
إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر . ﷺ أنه	كعب بن مالك	٣/ ٩٠
استأذن ربه في الاستغفار لأمه فلم يأذن له فيه .. ﷺ أنه		٢/ ١٣١
انه ﷺ حين دخل مكة وقف على باب الكعبة ثم قال لا إله إلا الله وحدة ..	ابن عمر	٣/ ٣١٤

أنه ﷺ قال في صلاته يوم الفتح اللهم لا تخزني يوم .	يحيى بن حسان عن رجل من كنانة	٢/ ٣٠٠
أنه ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين .	أم هانئ	٣/ ٣١٣
أنه ﷺ كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده ..	الزبير بن العوام	١/ ١٣١
أنه ﷺ لم يكن يمنعه شيء من قراءة القرآن إلا الجنابة .	علي بن أبي طالب	١/ ٤٤٢
أنه ﷺ ما رأى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .	عائشة	٣/ ٣٥٠
أنه ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً .	جابر	٣/ ١٢٢
أنه ظاهر من زوجته لما دخل رمضان حتى ينسلخ ..	سلمة بن صخر	٢/ ٥
إنه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفاً ..	جابر	١/ ٤١٦
أنه قال في عذاب القبر : فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين..	أنس	١/ ٣٧٣
أنه قال في الكوثر : هو الخير الذي أعطاه الله إياه ..	ابن عباس	٣/ ٣٠٣
أنه قال لرسول الله ﷺ أنطأ في الجنة ؟ قال : نعم ..	أبو هريرة	١/ ٤١٨
أنه قال لرسول الله ﷺ ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ما أطول هذا فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن.	أبو سعيد	٢/ ٤٠٨
أنه قال لرسول ﷺ : هل عندنا مما في صحف إبراهيم ..	أبو ذر	٣/ ١٣٩
أنه قال لعمر بن الخطاب ﷺ من المرأتان اللتان قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عليه ﴾ ..		٢/ ٢٩٠
أنه قال له رجل يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل قال ..	عبد الله بن مسعود	٣/ ٧٩
أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين ..	إبراهيم عن علقمة	٣/ ١٨٤
أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا جاء لا يقومون له ..	أنس	٢/ ٤٤
إنه ليقتص في ذلك اليوم للشاة الجلحاء من الشاة القرناء	أبو هريرة	٣/ ١١
إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ..	ابن عباس	١/ ٥٤

أنه مر بهذه الآية ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ فقال :	ابن عباس	٢/ ٥٢١
أنهم كانوا إذا نكحوا تضرب الجواري بالمزامير ..	جابر	٢/ ٢٠٥
إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة.	عائشة	٢/ ٢٢٣، ٢/ ٣٥١
أنه نادى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد يا محمد إن حمدي لزين ..	الأقرع بن حابس	١/ ٢٢
أنه يعرج به ﷺ من سماء إلى سماء .	أنس بن مالك	٢/ ٣١٦
إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعامًا فلما أكلوا قال : ما تقولون في هذا ...	ابن عباس	٢/ ٤٨٥
إني أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي.	ابن عباس	٢/ ١٢
إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ..	أبو ذر	٢/ ٤٩٥
إني أنا النذير العريان .	أبو موسى	٢/ ٤٢٧
إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا ..	ابن عباس	١/ ٤١٦
إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ..	العرباض بن سارية	٢/ ١٧٢
إني لا أقول إلا حقًا ..	أبو هريرة	١/ ٢٤١
إن يغوث ويعوق ونسرًا كانوا قومًا صالحين من بني آدم.	محمد بن قيس	٢/ ٤٣٧
إني لا أصافح النساء إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة ..	أميمة بنت رقيقة	٢/ ١٥٨
إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ..	أبو هريرة ، وعمران ابن حصين ، وأبو سعيد الخدري	١/ ٤٠٥، ٤١٩، ٣/ ١٩٩
إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرها نصف يوم ..	سعد بن أبي وقاص	٢/ ٤٥٧
إني لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة .	أبو هريرة	٢/ ١٤٢، ٤٤٠
إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها	أبو موسى	٢/ ٢٨٧

خيرًا منها إلا ..		
أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ سام عليك ..	عبد الله بن عمرو	٢/ ٣٥
أن يونس النبي عليه السلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات ..	أنس بن مالك	٢/ ٣٨٠
أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة ..	بريدة	١/ ٤٠٥
أوصاني خليلي بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن ..	أبو هريرة	١/ ١٥٥
أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد ..	أبو سعيد الخدري	١/ ٥٤٧
أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك..	معاذ بن جبل	١/ ١٣١
أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر..	أبو هريرة	١/ ٤١٩ ، ٢/ ٥١٣ ، ٣/ ٥٥
أول سورة أنزلت فيها سجدة (والنجم) قال:فسجد رسول الله ﷺ ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٢٣٨
أول سورة أنزلت هي (اقرأ باسم ربك الذي خلق ...) .	عائشة	٢/ ٤٨٢
أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم.	عائشة	٣/ ٢١٩
أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب ...	عبادة بن الصامت	٢/ ٦٢ ، ٣/ ١٣١
أول ما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في شهر رمضان..	ابن عباس	٢/ ٤٧٥
أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت ..	ابن عباس وأنس	٢/ ١٥
أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير	البراء بن عازب	٣/ ١٢٨
إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.	أبو هريرة	٣/ ٣٥٧
إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم .	عبد الله بن عمرو	٢/ ٢٥٠

إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ..	أبو هريرة	١/ ٥٠، ٢٥٩، ٢٦٤
إياكم والغلو في الدين ..	ابن عباس	٢/ ١٤٢
إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٢٧٣، ٣٤٧، ٣/ ٣٨٤ ،
إياكم والمعاصي إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقًا كان قد ...	عبدالله بن مسعود	٢/ ٣٦٥
أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم ..	أبو بكر	٣/ ٥١
أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم ..	أبو سعيد الخدري	٣/ ٣٣٩
أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ٤٨٠
أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ..	أبو هريرة	٢/ ١٥٧
أيما مؤمن سقى مؤمنًا شربة على ظمأ سقاه الله ..	أبو سعيد الخدري	٣/ ٩٠
الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ...	عمر بن الخطاب	٢/ ٤٧٠
أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام ..	عبد الله بن سلام	١/ ١٥٤
أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون ...	عائشة	٢/ ٤٧٥

(ب)

بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ..	أبو هريرة	٣/ ١١٣
بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب به.	الحسن	١/ ٤٤٤
بئس مطية الرجل زعموا ..	أبو مسعود الأنصاري وحذيفة	٢/ ٢٣٢
الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله	عثمان والنعمان بن بشير	١/ ١٣٢
بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر	عبادة بن الصامت	١/ ٤٧١، ٢/ ١٥٤

واليسر..		
بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا (أن لا يشركن بالله شيئاً ونهانا عن النياحة) .	أم عطية	٢/ ١٥٩
بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم .	أبو هريرة	١/ ٤٤
البخيل من إذا ذكرت عنده لم يصلِّ عليَّ .	علي بن أبي طالب	١/ ٥٣١
البر حُسن الخُلق .	النواس بن سمعان	٢/ ٣٧، ٥٢٦
البر ما أمرت به والتقوى ما نهيت عنه .	ابن عباس	٢/ ٣٧
البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب .	أبو ثعلبة الخشني	٢/ ٣٧، ٥٢٦
بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة .	أنس بن مالك	٢/ ٩٣
بسم الله آمنت بالله توكلت على الله	أنس بن مالك	٣/ ٣٦٧
بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك .	أبو سعيد الخدري وعائشة	٣/ ٣٥٧
بعثت أنا والساعة كهتين وأشار بإصبعيه السبابة والتي تليها .	أبو هريرة	١/ ١٣٤
بعثت أنا والساعة كهتين وقرن بين السبابة والوسطى .	سهل بن سعد	١/ ٣٠١
بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، أو كهتين .	وهب السوائي	١/ ٣٠١
بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له..	ابن عمر	١/ ٥٣٧
بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال : انطلقوا ..	علي بن أبي طالب	٢/ ١٢٤
بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ..	عائشة	٢/ ١٤٢، ٤٣٩
بِمَ تحكم ؟ قال بكتاب الله .	معاذ	١/ ١٢
البيعان بالخيار ما لم يتفرقا .	حكيم بن حزام	٢/ ٢٠٠
بينا رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا ..	أبو هريرة	٢/ ١٤٢
بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة	أنس	٣/ ٣٠٢
بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة فقدمت عير إلى المدينة	جابر	٢/ ٢٠٥

بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ٣١٦
بينما أنا في الحطيم أو قال في الحجر مضطجعًا إذ أتاني آت .	مالك بن صعصعة	٣/ ٢٠٨
بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال الله أكبر ..	ابن عباس	٣/ ٣١٥
بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله هلكت ..	أبو هريرة	٢/ ٧
بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب..	عمر بن الخطاب	١/ ٦٩
بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه (والمرسلات) .	عبد الله بن مسعود	٢/ ٥٤٨

(ت)

تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة..	عائشة	٢/ ٥
تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان .	عائشة	٣/ ٢٣١
تحشرون حفاة عراة غرلاً فقالت امرأة أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض..	ابن عباس	٣/ ٥٤
تحفظوا من الأرض فإنها أمكم ...	ربيعة الجرشي	٣/ ٢٤٥
تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر .	حذيفة بن أسيد الغفاري	٢/ ٧٣
تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم ..	المقداد بن الأسود وعقبة بن عامر	٣/ ٨٣
تراءى الناس الهلال فرأيته فأخبرت النبي ﷺ فصامه وأمر الناس بصيامه.	ابن عمر	١/ ٣٠
تسابق أبو بكر الصديق والفاروق رضي الله عنهما لما دعا النبي ﷺ ...	عمر بن الخطاب	٣/ ٢٦٦
التسبيح بعد الصلاة - يعني : المراد بأدبار السجود ..	ابن عباس	١/ ١٢٩
تصدق أبو بكر بكل ماله وتصدق عمر بنصف ماله .	عمر بن الخطاب	١/ ٤٦٩

تصدق الصديق ﷺ بجميع ماله فقال له رسول الله ﷺ : ما أبقيت ..	عمر بن الخطاب	٢/ ٩١
تعجبون من منـزلة الملائكة من الله ..	أبو هريرة	٣/ ٢٣٩
تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش .	أبو هريرة	١/ ١٠٧، ١٩٠، ٢٥٧، ٥١٠، ٢/ ٢٤٧
تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ..	أبو هريرة	١/ ٦٠، ٢/ ٤٢٨
تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن ..	أبو ذر	٣/ ٣٨٠
تعوذوا بالله من جار السوء في دار المقام .	أبو هريرة	٢/ ٣٠٦
تفسير هذه الآية: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَات ﴾.	ابن عباس	٢/ ٤٦
التقوى : الخوف من الجليل والعمل بالتنـزيل ..	علي	١/ ١٤
تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال ..	أبو هريرة	٣/ ٢٤٤،٩٧
تكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي	أبو هريرة	٢/ ١٦٦
تكون النسم طيرًا يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة	أم هانئ	١/ ٤٤٩
تلك صلاة المنافق ..	أنس بن مالك	٣/ ٢٩٨
التوبة ندم .	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٩٨
التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه ..	عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود	٢/ ٢٩٨
توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير .	عائشة	٣/ ٢٠٣

(ث)

ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم ...	معاذ بن جبل	٣/ ٣٩١
ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ..		٢/ ٣٥٧
ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار	أبو مالك الأشعري	٢/ ٢٧٤

..

ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه....	أبو موسى	١/ ٥٤٧
ثلاثة يضحك الله إليهم الرجل يقوم من الليل ..	أبو سعيد الخدري	٢/ ١٦٦
ثلاث لازمات لأمتي : الطيرة ، والحسد ، وسوء الظن.	حارثة بن النعمان	١/ ٥٠ ، ٢٦٤
ثلاث لا ينجو منهن أحد : الحسد ، والظن ، والطيرة.	أبو هريرة	١/ ٥٠،٢٦٤
ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان ..	أنس	٢/ ٦٧
الثلث والثلث كثير .	سعد بن أبي وقاص	٣/ ٣٢٦
ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلم إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة ..	أنس بن مالك	١/ ٢٤٧
ثم قال الغلام للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به ..	صهيب	٣/ ١١١
ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ٣٠٨

(ج)

جاء ابن مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف فاعرض ..	أنس بن مالك	٣/ ٤٢
جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسال عن الإسلام ..	طلحة بن عبيد الله	٣/ ٣٨٨
جاء أعرابي إلى رسول ﷺ فقال : يا رسول الله علمني عملاً يدخلني..	البراء بن عازب	٣/ ١٧١
جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا ...	عمر بن الخطاب	١/ ٣٩٠
جاءت الأعراب فسألوا رسول الله ﷺ وقالوا:ما خير ما أعطي الناس ..	أسامة بن شريك	٢/ ٣٥١
جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه..	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده	٢/ ١٥٨
جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع النبي ﷺ فأخذ عليها ..	عائشة	٢/ ١٥٦
جاءت اليهود إلى النبي ﷺ منهم كعب بن الأشرف ..	ابن عباس	٣/ ٣٣٧

جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إنا نجد ...	عبد الله بن مسعود	١/ ٢٨٩، ٢/ ٢٢٥
جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده فقال : أفتني في امرأة ولدت ..	أبو سلمة	٢/ ٢٧٠
جاء رجل إلى ابن مسعود ﷺ فقال : قرأت المفصل الليلة في ركعة ..	أبو وائل	٢/ ٤٦٢
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي شين .	البراء بن عازب	١/ ٢٢
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته.	طلحة بن عبيد الله	٢/ ٤٧٥
جاء رجل إلى عبد الله فقال : يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون ...	الأسود بن هلال	٢/ ٩٢
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرًا ؟ قال :	أبو هريرة	١/ ٤٨٥
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد غلب أصحابك اليوم ..	جابر بن عبد الله والبراء بن عازب	٢/ ٤٩٢
جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمون في القدر فنزلت (يوم يسحبون في النار ..) .	أبو هريرة	١/ ٣٤١
جاءه رجل فسأله فأعطاه غنمًا بين جبلين	أنس	١/ ٢٢٨، ٢/ ٤٠٠
جئت رسول الله فبايعته في نسوة من الأنصار ..	سلمى بنت قيس	٢/ ١٥٨
جعل رسول الله ﷺ يتلو عليّ هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ .	أبو ذر	٢/ ٢٦٢
جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين ..	أبو موسى	١/ ٣٨٢، ٢/ ٥١٤
الجنة سجسج كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٤١٥

(ح)

حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومنّ عليهم ..	ابن عمر	٢/ ٧٧

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ..	عمر بن الخطاب	١/ ٤٩٢، ٢/ ١١٠، ٣٩٢
حبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة ..	أنس	٣/ ٣٠٤
حبك إياها أدخلك الجنة .	أنس	٣/ ٣٣٨
حتى يشهد ثلاثة من ذوي الحجا من قومه أن فلاناً قد أصابته جائحة..	قبيصة بن مخارق	١/ ٣١
حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره.	أبو موسى	١/ ٤٦٤
حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ	أبو عبد الرحمن السلمي	١/ ٥
حدثوا الناس بما يعرفون ..	علي بن أبي طالب	٣/ ١٣٣
حد الساحر ضربة بالسيف .	جندب وبريدة	٣/ ٣٦٦
الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم	صهيب وأبي بن كعب وأبي موسى، وكعب ابن عجرة.	١/ ١١٨، ٣٤٩، ٣/ ٨٧ ، ١٨٦
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات .	أنس	١/ ١٨٢، ٢/ ١٧٣، ٣٢٣، ٣/ ١١٢
حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام .	أبو هريرة	٢/ ٢٠١
حقيقة تقوى الله أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ..	طلق بن حبيب	١/ ١٤
حقيقة تقوى الله أن يطاع فلا يعصى ..	عبد الله بن مسعود	١/ ١٤
الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة ...	أبو هريرة	٣/ ٣٨٣
الحمد لله الذي قال : (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل في صلاتهم .	أنس وعطاء بن دينار	٣/ ٢٩٨
الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة	عائشة	٢/ ٥
الحمد لله على كل حال .	ابن عمر	٣/ ١١٠
﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ قال : خيام اللؤلؤ ..	ابن عباس	١/ ٣٩٢

(خ)

خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍ قط ..	أنس بن مالك	٢/ ٣٤٩
خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف .	عائشة	١/ ٥٥،٢/ ٩٢، ١٥٦
خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني ..	عمر بن الخطاب	٢/ ٤٠٥
خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال ..	أبو هريرة	٣/ ٢٦٠
خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها ..	جابر بن عبد الله	١/ ٣٦٠
خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان..	عبادة بن صامت	٣/ ٢٣٠
خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة ..	زيد بن أرقم	٢/ ٢٠٧
خرج النبي ﷺ يومًا مسرورًا فرحًا وهو يضحك وهو يقول: لن يغلب عسر يسرين.	الحسن	٣/ ٢١١
خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها .	عبد الله بن زمعة	٣/ ١٨١
خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الدنيا قد..	عتبة بن غزوان	١/ ٣٠٢
خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ..	عائشة	١/ ١٩٤، ٣٦٢
خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد	أبو هريرة	١/ ٤٥٩،١٢٥
خلق الله سبع سموات وغلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٨٢
خلق الله الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم مما ذكركم ..	عائشة	١/ ١٩٤
خمس مضين : الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام .	عبد الله بن مسعود	١/ ٣٠٤
خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .	عمران بن حصين	٢/ ٩٥
خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه .	أبو هريرة	٣/ ١٦٠
خير الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح ...	أبو هريرة	٢/ ٥٣٠

الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر..	أبو هريرة	٣/ ٢٤٦، ٢٥٠
الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة .	عروة بن الجعد	٣/ ٢٥٠
الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون بابًا من در .	أبو الدرداء	١/ ٣٩٢

(د)

دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء .	الزبير بن العوام	٣/ ٣٥٩
دخلت علي خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية وكانت عند عثمان بن مظعون قالت : فرأى رسول الله ﷺ بذاذة هيئتها ..	عائشة	٢/ ١١
دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة ..	أبو هريرة	٢/ ٢٧٥
دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال : يا أبا أمامة ما لي أراك جالسًا ...	أبو سعيد الخدري	٢/ ١١
دخل رسول الله ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : ما هذا الحبل ؟ ..	أنس بن مالك	١/ ١٥٥
دخل علي رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه ..	عائشة	٢/ ٥٣٣
دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن ..	ابن عباس	٢/ ٤٨٨
الدعاء هو العبادة ..	النعمان بن بشير	١/ ٢٢٠
دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر ..	ابن عباس	٣/ ٢٢٩
دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا لا إلا أن تقطع لإخواننا..	أنس	٢/ ٩١
دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ..		١/ ٢٩
دعوة أخي ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت..	سعد بن أبي وقاص	٢/ ٣٧٩
دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ..	أم الدرداء	١/ ٤١
دعوا لي أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد	أنس	١/ ٤٧٩

دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ..	أم الدرداء	١/ ٤١
دعوا لي أصحابي فو الذي نفسي بيده لو انفقتم مثل أحد	أنس	١/ ٤٧٩
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له .	عائشة	١/ ٢٦٧، ٥١٤، ٣/ ١٣٩، ٢٨٢
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ..	أبو هريرة	١/ ٣٧٠، ٤٤٨، ٣/ ١٠٠، ١٩٨
(ذ)		
(ذات الحبك) : ذات البهاء والجمال والحسن والاستواء..	ابن عباس	١/ ١٤٤
ذكرت الطيرة عند النبي ﷺ فقال : أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً ..	عروة بن عامر	١/ ٣٦٠
(ذو الجلال والإكرام) ذو العظمة والكبرياء ..	ابن عباس	١/ ٣٦٩
الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ..	عائشة	٣/ ٤٦
(ر)		
رأى رسول الله ﷺ جبريل له ستمائة جناح ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٢٤٦
رأى رفرفاً أخضر يسد الأفق ..	ابن مسعود	١/ ٢٤٦
رآه بفؤاده مرتين – في قوله (ولقد رآه نزلة أخرى) ..	ابن عباس	١/ ٢٥١
الراحمون يرحمهم الرحمن ..	عبد الله بن عمرو	٣/ ١٧٣
راس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد.	معاذ بن جبل	١/ ٧٢
راس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والإبرة ..	عكرمة	٣/ ٢٩٩
رايت جبريل له ستمائة جناح ينتشر من ريشه التهاويل ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٢٤٧
رايت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في ..	عبد الله بن عمر	٣/ ١٩٢
رايت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز يقول : قولوا	أبو ربيعة الديلي	٣/ ٣٣٠
رايت النبي ﷺ وهو يطوف بالكعبة ويقول : ما أطيبك وأطيب ريحك ..	ابن عمر	١/ ٥١
رايته يأمر بمكارم الأخلاق ..	أبو ذر عن أخيه	٢/ ٣٥٠
رباط يوم في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من	عثمان بن عفان	٣/ ٢٢٧

المنازل..		
رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ..	سهل بن سعد	٣/ ٢٢٧
رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .	عبد الله بن مسعود	٢/ ٤٣٩ ، ٢٣٤، ٣/ ٣٧٢، ١/ ١٣٧،
رب رجل جالس على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن.	المقدام بن معد يكرب	٢/ ٢٤١
رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم ..	جابر	٢/ ٧٧
ردوا السائل ولو بظلف محرق .	بجيد الأنصاري عن جدته	٣/ ٢٠٥
رضيت لنفسي بما رضي الله به لنفسه ورسوله .	أبو بكر	٣/ ٣٢٦
رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ ...	علي بن أبي طالب	١/ ٢٣، ٢/ ٣٤٨
ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها .	عائشة	١/ ٢٣٧
روي أن سارقاً سرق في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ فأمر عمر ﷺ بقطع يده..		١/ ٣٤٥
(ز)		
زار ﷺ الغلام اليهودي الذي كان يخدمه لما مرض وقعد عند رأسه ..	أنس	٢/ ١٤٢
زعم كنية الكذب .	ابن عمر	٢/ ٢٣٢
زعموا أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له..	عكرمة	٢/ ٤٨٨
(زنيم) قال : الدعي الفاحش اللئيم .	ابن عباس	٢/ ٣٥٩
زينوا أصواتكم بالقرآن .	البراء بن عازب	٢/ ٤٦٢
(س)		
الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله .	أبو هريرة	٣/ ٢٩٧
سأل أعرابي النبي ﷺ وقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال له ﷺ .	طلحة بن عبيد الله	٢/ ٤٧٨
سألت ابن عباس فقلت ما شيء أجده في صدري قال ما	أبو زميل	١/ ٤٥٧

الله ﷺ ليلة الجن...

سألت أبي بن كعب ﷺ فقلت إن أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر.. | أوس بن حذيفة | ١/ ٨

سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن ؟ | رز | ٣/ ٢٢٩

سألت رسول الله ﷺ عن المعوذتين .. | أبي بن كعب | ٣/ ٣٤٨

سألت رسول الله ﷺ قلت : أخبرني عن ليلة القدر .. | أبو ذر | ٣/ ٢٣١

سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك: فقال ﷺ: نور أنى أراه. | أبو ذر | ١/ ٢٥٠

سألت سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال: (يا أيها المدثر). | جابر بن عبد الله | ٢/ ٤٨٢

سألت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة.. | عبد الله بن مسعود | ٢/ ٤١٩

سألت النبي ﷺ فقلت:يا رسول الله هل تحس بالوحي .. | عبد الله بن عمر | ٢/ ٤٦٤

سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان فقال : أن تعبد الله .. | | ١/ ٤٦٤

سئل حمزة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة قال نعم وينكحون.. | حمزة بن حبيب | ١/ ٣٨٦

سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم قال : أكرمهم عند الله أتقاهم .. | أبو هريرة | ١/ ٦١

سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر قال : ذاك نهر أعطانيه الله .. | أنس بن مالك | ١/ ٤١٠

سأل عمر بن الخطاب ﷺ عن رجل فقال : من يعرف فلاناً فقام رجل.. | عمر بن الخطاب | ١/ ٤٧٣

سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله .. | أبو هريرة | ٢/ ١٦٦

سأل النبي ﷺ جبريل بأن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعا ... | ابن عباس | ١/ ٢٤٤

سباب المسلم فسوق وقتاله كفر .. | عبد الله بن مسعود | ١/ ٤٢

سبحان الله لقد قفّ شعري مما قلت : | عائشة | ١/ ٢٤٩

سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٤٢
سبحان الله لقد قفّ شعري مما قلت :	عائشة	١/ ٢٤٩
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ..	أبو هريرة	٢/ ٣٢٦
سبق درهم ألف درهم .	أبو هريرة	١/ ٤٧٨، ٢/ ٣١٥
سبق المفردون ..	أبو هريرة	٢/ ٢٢١
سجدنا مع رسول الله ﷺ في : (إذا السماء انشقت) ...	أبو هريرة	٣/ ١٠٤
سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس .	ابن عباس	١/ ٢٣٨
سحر النبي ﷺ من اليهود فاشتكى لذلك أيامًا ..	زيد بن أرقم	٣/ ٣٦٤
سددوا وقاربوا وأبشروا.	عائشة	٢/ ٢٤٩
سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور	كعب بن مالك	٢/ ٥٣٣
سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيراً .	عائشة	٣/ ٩٩
سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿ أم خلقوا من غير شيء ... ﴾ كاد قلبي أن يطير .	جبير بن مطعم	١/ ٢٢٦
سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا ..	جبير بن مطعم	١/ ١٩٩
سمعت النبي ﷺ يقرأ ﴿والتين والزيتون﴾ في العشاء..	البراء بن عازب	٣/ ٢١٤
سمع الله لمن حمده .	أنس بن مالك	١/ ١٥
﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ قال : وعيد من الله للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ ..	عبد الله بن عباس	١/ ٣٧٣
سورة الحشر نزلت في بني النضير ..	ابن عباس	٢/ ٧١
سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة	أنس بن مالك	٢/ ٣١١

(ش)

الشاهد يوم الجمعة ولمشهود يوم عرفة ..	أبو هريرة	٣/ ١٠٨
شج وجهه وكسرت رباعيته يوم أحد ..	عائشة	١/ ٢٣٤
شجرة تشبه أو كالرجل المسلم	ابن عمر	١/ ٩٠
شر ما في رجل شح هالع وجبن خالع ..	أبو هريرة	٢/ ٤١٥

شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي فقال : طوفي من وراء الناس وأنت راكبة ..	أم سلمة	١/ ١٩٩
الشمس والقمر مكوران يوم القيامة ..	أبو هريرة	٣/ ٥٧
الشمس والقمر نوران في النار يوم القيامة .	أبو هريرة	٣/ ٥٧
الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فقتل .	عمر بن الخطاب	١/ ٥٠٦
شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة .	ابن عباس	٢/ ١٥٩
شهدت مع رسول الله ﷺ مجلسًا وصف فيه الجنة ..	سهل بن سعد	١/ ٤٠٣
شهدت النبي ﷺ وأتاه رجل فقال : أنت رسول الله ..	أبو تميم عن رجل من قومه	٣/ ١٤٨
الشهر هكذا وهكذا أشار بأصابعه العشر مرتين ..	ابن عمر	٢/ ٢٢
شيبتني هود والواقعة والمرسلات ..	ابن عباس	١/ ٣٩٧
الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .	صفية	١/ ٩٠
(ص)		
صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمير على صاحب الشمال ..	الأحنف بن قيس	١/ ٩٩
صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ..	ابن عباس	٢/ ٤٣٧
الصبر نصف الإيمان .		٣/ ٢٧٥
الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً .	عمرو بن عوف المزني	١/ ٤٠
الصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم	علي بن أبي طالب	٣/ ٣٢٧
الصلاة وما ملكت أيمانكم	أنس بن مالك وأم سلمة	٣/ ٣٢٧
الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ..	أبو هريرة	١/ ٢٧٣، ٥١٦
صليت خلف النبي ﷺ الصبح فسمعته يقرأ ﴿ فلا أقسم بالخنس ... ﴾ .	عمرو بن حريث	٣/ ٦٢

صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ فسجد ..	أبو رافع	٣/ ١٠٤
(ض)		
(ضبحًا) أنه حكاه أحْ أحْ .	ابن عباس	٣/ ٢٤٩
ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباء على قبر .	ابن عباس	٢/ ٣١١
ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالاً واحداً وثلاثة وخمسة وسبعة ..	ربعي بن خراش	٢/ ١٢٦
(ط)		
طلب العلم فريضة على كل مسلم .	أنس بن مالك	٢/ ٣٤٦، ٣/ ٢١٩
طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ .	زيد بن أسلم	١/ ١٥٣
(ع)		
﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ قال رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة.	ابن عباس	٢/ ٣٦٠
عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ..	صهيب	١/ ٥٢٩، ٢/ ٢٣٣، ٢٤١، ٣/ ٧٥
عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزًا ..	عبد الله بن عباس	٣/ ١٩٩
عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا ..	أبو أمامة	٣/ ٢٠٣
(عسى) من الله واجبة .	ابن عباس	٢/ ١٤٠، ٢٩١
العظمة إزاري والكبرياء ردائي ..	أبو هريرة وأبو سعيد الخدري	١/ ٣٦٩، ٣/ ١١٨
على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٤٨٧
على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم	جابر	٢/ ٢٠١

الجمعة.

علام يقتل أحدكم أخاه إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه .	أبو أمامة سهل بن حنيف	٢/ ٣٨٢
العلم بالتعلم والحلم بالتحلم .		١/ ٥٢١
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي.	العرباض بن سارية	١/ ١٣ ٢/ ٢٠٠، ٣/ ١٠٥
العين حق ..	ابن عباس وأبو هريرة	٢/ ٣٨١، ٣/ ٣٥٧

(غ)

غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم .	أبو سعيد الخدري	٢/ ٢٠١

(ف)

فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى .	أبو هريرة	٢/ ٤٢٠، ٣/ ٩١
فاعتزل النبي ﷺ نساءه شهراً ..	جابر بن عبد الله	٢/ ٢٢
فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي .	زيد بن ثابت	٢/ ٤٦٤
فإنه لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله عز وجل .	أبو سعيد الخدري	٢/ ٤٩٧
﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول :	ابن عباس	١/ ٣٦٠
فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري قبل السماء ..	جابر بن عبد الله	٢/ ٨٢
(فخانتاهما) قال : ما زنتا أما امرأة نوح فكانت تقول للناس إنه مجنون ..	ابن عباس	٢/ ٣٠٤
فالرجل راع ومسؤول عن رعيته .	ابن عمر	٢/ ٢٩٥
فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ..	مالك بن صعصعة	١/ ٢٠١
فضل الله قريشًا بسبع خلال ..	أم هانئ بنت أبي طالب	٣/ ٢٩١
﴿فطلقوهن لعدتهن ﴾ قال : الطهر من غير جماع .	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٥٧

فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك .	أبو هريرة	٢/ ٢٤٢
فمن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله .	ابن عمر	١/ ٥٢
فمن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه .	أبو هريرة	١/ ٦١
فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله.	عمر بن الخطاب	٢/ ٨٧
فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة .	ابن عباس	٣/ ٧٢
فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع.	أبو هريرة	٣/ ٢٠٨
في الحرام يمين تكفر ..	ابن عباس	٢/ ٢٨٧
في خبر الإسرائيلي الذي عبد الله خمسمائة سنة ...	أبو هريرة	٢/ ٤١٦
في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول .	ابن عباس	١/ ٤٠٨
في دعاء الكرب : لا إله إلا الله رب العرش العظيم .	ابن عباس	٣/ ١١٩
فيَّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة ..	خولة بنت ثعلبة	٢/ ٥
فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ..	أبو هريرة	١/ ٤٠٣، ٢/ ٦٩، ١٨٢، ٣/ ١١٥
﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ قال : فياضتان .	ابن عباس	١/ ٣٩٠
﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ قال : لو قدرتموه لكان خمسين ألف سنة من أيامكم ..	ابن عباس	٢/ ٤٠٨
﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين..	ابن عباس	٢/ ٤٠٨

(ق)

قال آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه .	أبو هريرة	٢/ ١٩٣
قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ..	ابن عباس	١/ ٣،١٩٦/ ٢٢٢
قال أخبرني عن الساعة قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .	أبو هريرة	٢/ ٤٥٧
قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال : لا	أبو هريرة	٢/ ٩١

قالت : يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم ؟ قال نعم.	عائشة	٢/ ٣٨٢
قالت اليهود عليهم لعائن الله – خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع .	قتادة	١/ ١٢٦
قال جبريل : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ..	جابر	٣/ ٩٨
قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ..	سعيد بن جبير	١/ ٤٦٠
قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق ..	أبو هريرة	٢/ ٤٧٨
قال رجل : يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها	أبو هريرة	٢/ ٣٥٣
قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب : إن الله أمرني أن اقرأ عليك .	أنس بن مالك	٣/ ٢٣٣
قال عروة بن مسعود الثقفي يوم صلح الحديبية لما قال له أبو بكر ﷺ امصص بظر اللات ..	مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة	٣/ ١٩٣
قال عمر فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء .	ابن عباس	٢/ ٢٩١
قال ﷺ في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة : فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك .	مالك بن صعصعة	٢/ ٤٩٥
قال ﷺ للرجل الذي سأله يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال: أمك ..	أبو هريرة	٣/ ٥٣
قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ..	أبو هريرة	١/ ٢٠، ١١٩، ٣٩١
قال الله تعالى : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ..	أبو هريرة و أبو سعيد الخدري	١/ ٥٩
قال الله تعالى:كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك..	أبو هريرة	١/ ٩٥، ٣/ ٣٤٥
قال الله عز وجل ادخلوا عبدي الجنة برحمتي قال يا رب بل بعملي ..		٢/ ٤٨٥

قال الله عز وجل : أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني ..	أنس	٥٠٢/٢
قال الله عز وجل : أنفق أنفق عليك .	أبو هريرة	٤٧٧/١
قال لي النبي ﷺ اقرأ علي قلت أقرأ عليك وعليك أنزل ؟	عبد الله بن مسعود	٤٦٩/٢
قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة..	أنس بن مالك	٩١/٢
قال النبي ﷺ : أجيبوه لما قال أبو سفيان يوم أحد مفتخراً : لنا العزى ..	البراء بن عازب	٢٥٥/١
قال النبي ﷺ لحفصة لا تخبري أحداً وإن أم إبراهيم علي حرام ..	ابن عمر	٢٨٤/٢
قال النجاشي : أشهد أنه رسول الله فإنه الذي نجد في الإنجيل .	عبد الله بن مسعود	١٧٢/٢
قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال : دعوة أبي إبراهيم ..	خالد بن معدان	١٧١/٢
قام ﷺ حتى تفطرت قدماه ..	المغيرة بن شعبة وعائشة	١/ ١٢٩، ١٥٤
قبض النبي ﷺ وهو يقول : الصلاة وما ملكت ...	أم سلمة وعلي بن أبي طالب وأنس	٣٩٧/٢
قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته	أم سلمة	٢٦٩/٢
قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه ..	عبد الله بن عمرو بن العاص	٥٢٧/١، ٢٠٤/٣
قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ..	أبو هريرة	٢٢٧/٣
قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال : أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ..	إبراهيم النخعي	١٨٤/٣
قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ .	أسماء بنت أبي بكر	١٤١/٢
قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه .	الحارث بن ضرار	٢٦/١

قدمت عير المدينة ورسول الله ﷺ يخطب ..	جابر بن عبد الله	٢/ ٢٠٥
قدمت قتيلة على ابنتها أسماء ابنة أبي بكر بهدايا ..	عبد الله بن الزبير	٢/ ١٤١
قدم على النبي ﷺ ركب من بني تميم فقال أبو بكر : يا رسول الله أمر عليهم الأقرع بن حابس.	عبد الله بن الزبير	١/ ١٧
قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت اثنتى عشرة ابنة لي في الجاهلية.	خليفة بن حصين	٣/ ٦٠
قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت سيدهم.	ابن عباس	٣/ ٣٠٤
قدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ فقالوا : قاتلتك مضر ولسنا بأقلهم عدداً.	ابن عباس	١/ ٧٤
قدموني قدموني ..	أبو سعيد الخدري	١/ ٤٤٨
قرات على النبي ﷺ : (فهل من مدكر) فقال النبي ﷺ (فهل من مدكر).	عبد الله بن مسعود	١/ ٣١٦
قرأ رسول الله ﷺ : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ثم قال هل تدرون ما قال ربكم ؟ ..	أنس بن مالك	١/ ٣٨٧
قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : أتدرون ما أخبارها ؟..	أبو هريرة	٣/ ٢٤٥
قرأ عمر بن الخطاب (إنما الصدقات للفقراء..) ثم قال: هذه لهؤلاء..	مالك بن أوس بن الحدثان	٢/ ٩٧
قرأ عمر بن الخطاب (عبس وتولى) فلما أتى على هذه الآية (وفاكهة وأباً).	أنس بن مالك	٣/ ٥١
قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى ..	عبد الله بن سلام	٢/ ١٦٣
قلت لرسول الله ﷺ إنا ناساً من أهل المدينة لما انزلت هذه الآية التي في البقرة في عدة النساء ...	أبي بن كعب	٢/ ٢٦٧
قلت لعائشة رضي الله عنها : أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت (ألست تقرأ القرآن ...)	سعد بن هشام	٢/ ٤٧٤

قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان قال الله فيهما (وإن تظاهرا عليه) قال : عائشة وحفصة .	ابن عباس	٢/ ٢٨٤
قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله (حور عين) قال: حور : بيض ..	أم سلمة	٤١٧/١
قلت يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟	عائشة	٢٣٢/٣
قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ..	أبو ذر وأبو أمامة	٥٣٥/١
قلت يا رسول الله من في الجنة قال النبي في الجنة والشهيد في..	حسناء ابنة معاوية ابن الصريمة	٥٩/٣١
قلت يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي السرار..	أبو بكر الصديق	١٧/١
قلت يا نبي الله ما كان بدء أمرك ؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ..	أبو أمامة	١٧٢/٢
قل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح .	معاذ بن عبدالله بن خبيب	٣٤٠/٣
قل اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة .	أبو أمامة	١٦٣/٣
قل اللهم إني أسألك الهدى والسداد .	علي بن أبي طالب	١٧٦/٢
﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً .. ﴾ فأمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلاً ...	ابن عباس	٤٧٥/٢
قوله : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ... ﴾ قال قد مضى ذلك ..	ابن عباس	٣٠٣/١
قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً ..	أبو موسى الأشعري	٢٩٩/٣
قوموا إلى سيدكم ..	أبو سعيد الخدري	٤٣/٢
قيل لأبي بكر ﷺ وهو في مرض الموت هل نظر إليك الطبيب ؟		١١٩/٣
قيل للنبي ﷺ : لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً ...	أنس بن مالك	٣٨/١

(ك)

كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.	عبد الله بن شقيق	٢/ ٤٩٩
كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ..	سليم بن عامر عن أبي أمامة	١/ ٤١٣
كان الإيلاء والظهار طلاق الجاهلية .	سعيد بن جبير	٢/ ١٩
كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب .	عبد الله بن مسعود وعلي وابن عباس	٢/ ١٠٦
كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس .	سلمان	٢/ ٣٠٧
كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون..	عمر بن الخطاب	٢/ ٨٠
كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من غزوة بدر ..	عائشة	٢/ ٧٣
كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشراً .	ابن عباس	٢/ ٤٤٦
كان خلقه القرآن .	عائشة	٢/ ٣٤٩
كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية أنت علي كظهر أمي حرمت عليه ..	ابن عباس	٢/ ١٥
كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٥
كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى)..	عائشة	٢/ ٥٢٠
كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً	أنس بن مالك	٢/ ٣٤٩
كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً . . .	البراء بن عازب	٢/ ٣٤٩
كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً	ثوبان	١/ ١٣٠، ١٥٦
كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ..	جابر بن عبد الله	١/ ٢٩٥
كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره ..	عائشة	٣/ ٢٣١
كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : يا أيها	أبي بن كعب	٣/ ٢٧

الناس اذكروا الله..		
كان رسول الله ﷺ إذا سلم لا يقعد إلا مقدار ما يقول : اللهم أنت السلام..	عائشة	١/ ٣٩٥
كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول: سبحانك اللهم..	أبو سعيد الخدري وعائشة	١/ ٢٣٥
كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية ﴿ ونفس وما سواها﴾ وقف ثم قال : (اللهم آت نفسي تقواها ..)	ابن عباس وأبو هريرة	٣/ ١٧٨
كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يلقى منه شدة ..	ابن عباس	٢/ ٥١١
كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ..	عائشة	٣/ ٣٦٤
كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء إلا قال : سبحان الله وبحمده..	أم سلمة	٣/ ٣١٧
كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس ..	أبو سعيد	٢/ ٣٨٢
كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره ..	عائشة	٣/ ٢٣١
كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ .	علي بن أبي طالب	٣/ ١٢٨
كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين .	بريدة	٢/ ٢٤٦
كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات نحوًا من صلاتكم..	جابر بن سمرة	١/ ٣٩٧
كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام فقال ..	ابن عباس	٣/ ٢٢٣
كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه .	ابن عباس	٢/ ٥١١
كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ..	عائشة وابن عمر	٣/ ٢٣١
كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين ..	ابن عباس	٢/ ٣٨١
كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها.	حفصة	٢/ ٤٦١
كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر ﴿ سبح اسم ربك الأعلى .. ﴾.	ابن عباس	٣/ ١٢٨

كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية آية ..	أم سلمة	٢/ ٤٦٢
كان رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع : ربنا لك الحمد ..	أبو سعيد	٢/ ٣١٢
كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج : من رجل يؤويني	جابر بن عبد الله	٢/ ١٨٦
كان رسول الله ﷺ يقول : نعم السورتان هما تقرؤونهما	عائشة	٣/ ٣٠٧
كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحان الله وبحمده.	عائشة	٣/ ٣١٧
كان ﷺ يقول في الدعاء اللهم اجعلنا شاكرين لنعمتك .	عبد الله بن مسعود	٣/ ٢٠٦
كان ﷺ يقول في دعائه اللهم اغفر خطئي وعمدي وجدي وهزلي ..	أبو موسى الأشعري	٣/ ٣١٩
كان ﷺ يقول : اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً	ابن عباس	٣/ ٨٦
كان ﷺ يمر عليه الشهر والشهران والثلاثة لا يوقد في بيته نار..	عائشة	١/ ٣٥٨
كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول : دعوه فإنه رجل أبتر ..	يزيد بن رومان	٣/ ٣٠٢
كان عبد الله بن عكيم ﷺ لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول ﴿ وجمع فأوعى ﴾ ..		٢/ ٤١٢
كان عمر يحلف على أيمان ثلاث : يقول والله ما أحد أحق بهذا المال..	مالك بن أوس بن الحدثان	٢/ ٩٨
كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ..	ابن عباس	٣/ ٣١٢
كان فرعون أعتى أهل الأرض ..	قتادة	٢/ ٣٠٥
كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه.	ابن عباس	١/ ٢٨٤
كان لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة.	عائشة	١/ ١٥٤
كان الله ولم يكن شيء قبله ..	عمران بن حصين	٣/ ١٣١
كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه ..	عبد الله بن عباس	٢/ ١٦٣

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ..	حذيفة	٢/ ٩٥
كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال : اللهم بك أحيا وأموت ..	حذيفة	٣/ ٤٨
كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة ..	حذيفة	٣/ ٨٦
كان النبي ﷺ ضحكه التبسم .	الحارث بن الحارث بن جزء	١/ ٢٨٨
كان النبي ﷺ قبل نزول هذه السورة وسورة الناس يتعوذ من الجان..	أبو سعيد	٣/ ٣٤٧
كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحنَّ الجذع .		٢/ ١١٥
كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها.	عائشة	٢/ ٢٨٥
كان النبي ﷺ يدعو ويقول : اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ..	عائشة	٣/ ٨٦
كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر الم تنزيل السجد (وهل أتى ..)	أبو هريرة	٢/ ٥٢٢
كان النبي ﷺ يقرأ في الوتر بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ .	ابن عباس	٣/ ٣٠٧
كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر ..	السائب بن يزيد	٢/ ٢٠٠
كانوا يكتبون في صدور وصاياهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به فلان ...		٣/ ٣٢٧
كأني بنساء فهر يطفن بالخزرج تصطك أليتاهن مشركات ..	ابن عباس	١/ ٣٤٢
كان يردد وهو يجود بنفسه الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم .	أم سلمة	٣/ ١٤٩
كان يقول : سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلي .	عائشة	١/ ٤٩
كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج ..	ابن عباس	٢/ ١٤٦

كان يمر على بيوته ﷺ الهلالان والثلاثة لا يوقد فيها نار..	عائشة	٣/ ٢٠٣
الكبر بطر الحق وغمط الناس .	عبد الله بن مسعود	١/ ٣٢٣، ٢/ ٢١٤، ٤٦٨
كبر كبر - قاله لحيصة بن سهل .	سهل بن أبي حثمة	١/ ١٣
الكبرياء ردائي والعظمة إزاري .	أبو هريرة	٢/ ١١٨، ٣١٢
كتب لنا عمر أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر .	جندب	٣/ ٣٦٦
كفارة من اغتبته أن تستغفر له .		١/ ٤٨
كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب .	أبو هريرة	١/ ٨٣، ٣/ ٤٨
كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى .	أبو هريرة	٣/ ١٥٠، ١٩١
كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول : لو أن الله هداني ..	أبو هريرة	٢/ ٢٣٥
الكلب الأسود شيطان .	أبو ذر	٢/ ٦٠، ١٠٥
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس	ابن عمر	١/ ٣٤٢
كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف .. .	أبو هريرة	١/ ٢٧١
كلكم بنو آدم وآدم من خلق من تراب ..	حذيفة	١/ ٦٢
كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن :	أبو هريرة	١/ ١٣٢، ٤٥٢
كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من .	الحسن البصري	١/ ٥٢٦
كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه .	جابر بن عبدالله	٢/ ٥٢٣
كل مولود يولد على الفطرة ..	أبو هريرة	٣/ ١٧٦
كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها .	أبو مالك الأشعري	١/ ٣٠٦، ٢/ ٥٢٣، ٣/ ٢٣، ٩٨، ١٧٩، ١٨٥
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية ..	أبو موسى الأشعري	٢/ ٣٠٩

كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا : فيما استطعتم.	عبد الله بن عمر	٢/ ٢٤٩
كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ..	أنس بن مالك	٢/ ٨٩
كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ تدرون ما هذا ؟	أبو هريرة	٣/ ٢٥٤
كنا مع رسول الله ﷺ فقال : تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ..	عبادة بن الصامت	٢/ ١٥٩
كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من .	جابر بن عبد الله	٢/ ٢٠٧
كنا مع رسول الله ﷺ ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة	أبو جمعة الأنصاري	١/ ٤٧١
كنا نذكر بعض الأمر وأنا حديث عهد بالجاهلية فحلفت باللات والعزى.	سعد بن أبي وقاص	١/ ٢٥٦
كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن لو أن لابن آدم واديين من مال ..	أبي بن كعب	٣/ ٢٥٧
كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل..	أنس	٣/ ١٤٨
كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل	عائشة	٢/ ٤٧٥
كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة ..	عبد الله بن عمرو بن العاص	١/ ٥٤٦
كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول : اللهم قني شح نفسي لا يزيد..	أبو الهياج الأسدي	/ ٩٣
كنت فيمن حضر العقبة الأولى	عبادة بن الصامت	٢/ ١٦٠
كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل	عبد الله بن عمر	١/ ٢٦٦، ٥١٤، ٣/ ١٩٨، ٣٢٢
كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقرأ ﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ﴾ ..	ميمون بن مهران	٣/ ٢٥٨
كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف	أبو الدرداء	٣/ ١٩٣

ثوبه ..		
كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا	عبادة بن الصامت	٢/ ١٦٠
كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير سرف .	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده	٣/ ٢٦٢
﴿ كل يوم هو في شان ﴾ قال : من شانه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين ..	منيب الأزدي وأبو الدرداء وابن عمر	١/ ٣٧١
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ..	شداد بن أوس	١/ ٤٩٢ ، ٥٢٤ ، ٢/ ٣٣٠
كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن ..	أبو سعيد الخدري	١/ ١٠٢، ٤٨٦ ، ٣/ ١٢

(ل)

لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنهم يجعلون لله نداً..	أبو موسى	١/ ١٢٦، ٣/ ٣٤٦
لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير..	عائشة	٢/ ٢٨٨
لا إله إلا الله إن للموت سكرات	عائشة	٣/ ٣٢٧
لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع	علي بن أبي طالب	٣/ ٣٢٦
لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ..	أنس	١/ ٤٠٧
لا تجعلوا بيوتكم قبوراً .	أبو هريرة	٣/ ٣٨٩
لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ..	أبو هريرة	١/ ٥٤
لا تحقرن من المعروف شيئاً ..	أبو ذر	٣/ ٢٤٧
لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي .	عبد الله بن عمر وأبو هريرة	١/ ٢٤٣
لا تحلفوا بآبائكم ...	ابن عمر وعبد الرحمن بن سمرة	٣/ ٢٧٤

لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين ..	أبو هريرة	١/ ١١
لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين	ابن عمر	٣/ ١٥٦
لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها .	عائشة	٢/ ٩٧
لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى ..	أنس بن مالك	١/ ١١٣
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ..	المغيرة بن شعبة	١/ ٤٠٦
لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم ..	زينب بنت أبي سلمة	١/ ٢٧٨
لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس	أبو برزة	٣/ ٢٦١
لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ..	أبو برزة الأسلمي وأبو هريرة	٣/ ٢٦٩
لا تسبوا أصحابي ..	أبو سعيد	١/ ٤٠٤
لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ..	أبو سعيد الخدري	٢/ ٤٤١
لا تظنَنَّ بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً ..	عمر بن الخطاب	١/ ٥١
لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ..	ابن عباس	١/ ١١
لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذّ الشعر ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ٤٦٢
لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ..	معاوية	٢/ ٨٦ ، ٢٩٩
لا توعي فيوعي الله عليك ارضخي ما استطعت .	أسماء بنت أبي بكر	٢/ ٤١٢
لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ٣٤٧، ٤٣١
لا شيء في الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفال ..	أبو هريرة	٢/ ٣٨١
لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان ..	عائشة	٣/ ٢١٢
لا ضرر ولا ضرار ..	عبادة بن الصامت	٢/ ٢٤٩
لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق.	عبد الله بن عمرو	٢/ ٣٨٣
لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار .	ابن عباس	١/ ٢٧٢، ٣٤٧، ٥٢٣، ٣/ ٣٨٤
لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ..	المغيرة بن شعبة	١/ ١٩٦
لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك .	البراء بن عازب	١/ ١٨٩
لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس .	أبو هريرة	١/ ١٣٢

لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم.	سهل بن سعد	٢/ ٣٤٧
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ..	ابن عباس	٢/ ٨٦، ٣/ ٣١٥
لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط .	مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة	١/ ٤٣٦
لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه ..	أنس بن مالك	٣/ ١٠٣
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .	أنس	١/ ٤٦، ٢/ ٩٦، ٣/ ٣٦٨
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ...	علي بن أبي طالب	١/ ٣٤٣
لا يتم بعد احتلام .	علي بن أبي طالب	٢/ ٨١، ٥٣٠، ٣/ ١٦٠، ١٧٢، ٢٩٦
لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً .	أبو هريرة	٢/ ٩٣
لا يجوع أهل بيت عندهم التمر ..	عائشة	١/ ٩٠
لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما .	عبد الله بن عمرو	٢/ ٤٢
لا يخبرني أحد عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.	عبد الله بن مسعود	١/ ٥٢
لا يدخل الجنة قتات ..	حذيفة	٢/ ٢٥٨
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر..	عبد الله بن مسعود	١/ ٤٤
لا يدخل الجنة نمام .	حذيفة	٣/ ٣٣٦
لا يدخل الجنة ولد زنا ..	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢/ ٣٦٠
لا يدخل النار إلا شقي ..	أبو هريرة	٣/ ١٩١
لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى .	عائشة	٢/ ١٧٧
لا يربو لحم من سحت إلا كانت النار أولى به .	كعب بن عجرة	٣/ ٢٨٤
لا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك .	أبو هريرة	٣/ ٣٧٢
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ..	أبو هريرة	١/ ٦٥

لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه .	ابن عباس	٢/ ٢٥٧
لا يقولن أحدكم : اللهم إني أعوذ بك من الفتنة .	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٤٦
لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم .	أبو هريرة	٢/ ٤٢
لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا ..	ابن عمر	٢/ ٤١
لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل : افسحوا ..	جابر بن عبد الله	٢/ ٤٢
لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى .	عبد الله بن عباس	٢/ ٣٨١
لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة ..	أبو هريرة	١/ ٣٥١
لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ..	أبو سعيد الخدري	١/ ٥٤٥
﴿ لتركبن طبقاً عن طبق ﴾ قال حالاً بعد حال .	ابن عباس	٣/ ١٠٣
لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها .	أنس بن مالك	١/ ٣٨٧، ٥١٤
لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض.	أنس بن مالك	٢/ ١٨٢
لعن الله من لعن والديه ..	عبد الله بن عمرو	١/ ٤٥
لعن الله الواشمات والمستوشمات .	عبد الله بن مسعود	٢/ ٨٣
لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود.	أبو موسى	٢/ ٤٦٢
لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً.	٣/ ١٨٩	أبو ذر
لقد حجرت واسعاً .	أبو هريرة	٢/ ٩٤
لقد صدق الله قولك يا زيد لقد صدق الله قولك يا زيد ..	زيد بن أرقم	١/ ٢٢
لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من صنيعكما البارحة	أبو هريرة	٢/ ٩٠
لقد علمنا نبينا ﷺ حتى الخراءة .	سلمان الفارسي	٣/ ١٨٩
لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ، لما قالت حسبك من صفية ..	عائشة	١/ ٥٤
لقيني رسول الله ﷺ فقال لي : يا جابر ما لي أراك منكسراً قلت يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد وترك عيالاً وديناً ..	جابر بن عبد الله	١/ ٢٥١

لقيني النبي ﷺ في بعض طرق المدينة وأنا جنب فانخنست منه .	أبو هريرة	٣/ ٣٧٨
لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر.	ابن عمر	١/ ٣٤٢
للسائل حق وإن جاء على فرس .	علي بن أبي طالب والحسين بن علي	١/ ١٥٧، ٢/ ٤١٦
اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك .	عراك بن مالك	٢/ ٢٠٤
اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً .	ابن عباس	٢/ ٦٨
اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.	عمر بن الخطاب	١/ ٤٤٠
اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا	أنس وأبو سعيد الخدري	٢/ ٨٥
اللهم أعني على غمرات والموت أو سكرات الموت	عائشة	٣/ ٣٢٧
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .	عبد الله بن مسعود	٢/ ١٤٢
اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى	عائشة	٣/ ٣٢٧
اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ..	ابن عمر	١/ ٢٦٧
اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه .	أبو موسى	١/ ٢٥٨
اللهم أنت السلام ومنك السلام ..	ثوبان	٢/ ١١٨
اللهم أنت الصاحب في السفر ..	ابن عمر	١/ ٤٦٣
اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم.	عبد الله بن مسعود	٣/ ٣٧٠
اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع .	أبو هريرة	٣/ ٢٩٣
اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور .	عبد الله بن سرجس	٣/ ١٠١
اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل وعذاب القبر .	زيد بن أرقم	٣/ ١٧٨
اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر .	أبو بكرة	٢/ ٨٥ ، ٣/ ١٧٢
اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا .	عبد الله الزرقي	١/ ٣٤
اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل عالم الغيب والشهادة ...	عائشة	١/ ٨٤
اللهم الرفيق الأعلى .	عائشة	٣/ ١٦٤

اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي..	علي بن أبي طالب	١/ ٢٩٨
لما أراد عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه ..	ابن عباس	٢/ ١٨٧
لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذه ..	أبو هريرة	٢/ ٣٨٠
لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٢٥٢
لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون الحصى ..	عمر بن الخطاب	٢/ ٢٩٠
لما أنزلت هذه الآية قال الرسول ﷺ : لا أدري أمشتركة أم مبهمة ..	أبي بن كعب	٢/ ٢٦٨
لما أنزلت هذه الآية ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا ..	أبو هريرة	٣/ ٧٧
لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال..	عائشة	٢/ ١٤٧
لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب..	أبو هريرة	٣/ ١٩٥
لما خير الله عز وجل نبيه ﷺ بين أن يؤتيه زهرة الحياة الدنيا ..	أبو سعيد الخدري	٣/ ١٩٨
لما زار أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أم أيمن رضي الله عنها بكت ...	أنس بن مالك	٣/ ١٩٧
لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ ..	أنس بن مالك	٣/ ٣٠٢
لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم..	أنس بن مالك	١/ ٥٥
لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض ...	أنس	٣/ ٢٠٩
لما قال أبو سفيان اعل هبل اعل هبل فقال النبي ﷺ : ألا تجيبونه؟	البراء بن عازب	٣/ ١٢٩

لما قدم نبي الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً ..	ابن عباس	٣/ ٧٩
لما كاتب رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو يوم الحديبية على قضية المدة..	المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم	٢/ ١٤٥
لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ ..	عمرو بن سلمة	٣/ ٣١٥
لما نزلت ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال : إنه قد نُعيت إلي نفسي ..	أم حبيبة	٣/ ٣١٢
لما نزلت ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ قال : نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت .	ابن عباس	٣/ ٣١٨
لما نزلت أول ﴿ يا أيها المزمل ﴾ كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان.	ابن عباس	٢/ ٤٦١
لما نزلت ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ اقبلت العوراء أم جميل ..	أسماء بنت أبي بكر	٣/ ٣٣٤
لما نزلت ﴿ ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم ﴾ قال الزبير يا رسول الله فاي نعيم نسأل عنه ..	الزبير بن العوام وأبو هريرة	٣/ ٢٦١
لما نزلت ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال : كلها في صحف إبراهيم وموسى.	ابن عباس	٣/ ١٤٠
لما نزلت ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ قال عمر : أي جمع يهزم ؟	عكرمة	١/ ٣٣٧
لما نزلت على رسول الله ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾قال : اجعلوها في ركوعكم ...	عقبة بن عامر	١/ ٤٥٢، ٣/ ١٢٩
لما نزلت ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب .. ﴾ قال جبريل ..	مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري	٣/ ٢٣٣
لما نزلت هذه الآية ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري ...	عبد الله بن مسعود وجابر بن سمرة	١/ ٤٨٤
لما نزلت هذه الآية ﴿وذرني والمكذبين.﴾قالت: لم يكن إلا يسيراً حتى كانت وقعة بدر..	عائشة	٢/ ٤٦٨
لما نزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول .. ﴾ قال	علي بن أبي طالب	٢/ ٥١

لي النبي ﷺ : ما ترى دينار ؟		
لما نزل رسول الله ﷺ بهم – يعني بني النضير – تحصنوا منه في الحصون ..	يزيد بن رومان	٢/ ٧٧
لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهداً على ركعتي الفجر ..	عائشة	١/ ٢٣٦
لم يلحق بربه حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ..	العرباض بن سارية	٣/ ١٨٩
لم ينزل على أهل النار أشد من هذه ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾.	عبد الله بن عمرو	٣/ ١٦
لن يدخل أحداً عمله الجنة قالوا : ولا أنت يا رسول الله	أبو هريرة	١/ ٢١١، ٢٧٧، ٣٨٢ ٢/ ١٧٩، ٣٩٥، ٤١٦، ٤٨٥، ٥٦٠
لن تروا ربكم حتى تموتوا ..	عبادة بن الصامت	١/ ٢٥٠
لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم ..	أبو ثعلبة	٢/ ٤٥٧
لن يغلب عسر يسرين ..	عمر بن الخطاب	٢/ ٢٧٥
لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها	عمارة بن رؤيبة عن أبيه	٢/ ٥٤٢
لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم .	أبو البحتري الطائي عمن سمع رسول الله ﷺ	٢/ ٣٢٤
لو أن ابن آدم أعطي وادياً من ذهب لا بتغى ثانياً ..	عبد الله بن الزبير وأبي بن كعب	٣/ ٢٠٤
لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل جمجمة أرسلت من السماء ..	عبد الله بن عمرو	٢/ ٣٩٦
لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن ..	محمد بن أبي عميرة وعتبة بن عبد	٣/ ١٦٣
لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق	عمر بن الخطاب	٢/ ٢٦٣، ٣٢٩

الطير .		
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ..	أنس	٣/ ٢٥٩
لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه ..	أنس	٢/ ٢٧٥، ٣/ ٢١١
لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضداً عضداً ..	أبو هريرة	٣/ ٢٢٣
لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم امرأة كلما رأت الماء حملت ولدها ..	ابن عباس	٢/ ٤٣٩
لو كان الإيمان عند الثريا لنا له رجال أو رجل من هؤلاء	أبو هريرة	٢/ ١٩١
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء..	سهل بن سعد	١/ ٢٦٥،٣/ ١٣٩، ١٩٨، ٣٢٢
لو كان لابن آدم واديان من مال لتمنى ثالثاً ..	ابن عباس	٣/ ٢٨٢
لو كتم محمد ﷺ شيئاً مما أوحي إليه من كتاب الله ..	عائشة	٢/ ٤٠٠
لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم ..	عبد الله بن عمرو	٣/ ٢٤٧
لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة كلها لرجح بهم إيمان أبي بكر ..	عمر	٣/ ١٩٥
لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد..	أبو هريرة	١/ ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٧٦
لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ..	أبو هريرة	٢/ ٢٠٣
لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي .	جبير بن مطعم	١/ ٣٠١
ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب ..	الحسن البصري	١/ ٢٦٠
ليس الخبر كالمعاينة .	ابن عباس	١/ ٣٧٩ ، ٢/ ٣٢٢، ٣/ ٣٧ ، ٢٦٠
ليس الشديد بالصرعة ..	أبو هريرة	١/ ٥٢٠
ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس .	أبو هريرة	٢/ ٣١٥ ،٣/ ٢٠٤
ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة .	ابن عباس	٢/ ٥٣٥
ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء فقط ..	ابن عباس	١/ ٣٩٠، ٢/ ٥٢٧،

		٣/ ١١٥
ليس لك عليه نفقة ولا سكنى وأمرها أن تعتد في بيت ..	فاطمة بنت قيس	٢/ ٢٥٩
ليس لنا مثل السوء الذي يعود في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه ..	ابن عباس	١/ ٥٤
ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما ...	أبو هريرة	١/ ١٥٧
ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب .	عبد الله بن مسعود	٢/ ١٥٧
ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به ..	أبو هريرة	٢/ ٤٦٢
ليلة القدر ليلة أربع وعشرين ..	أبو سعيد الخدري وبلال	٣/ ٢٢٨
ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ..	أبو مسعود	٢/ ٤٣
لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم من فحم جهنم ..	أبو هريرة	١/ ٦١

(م)

ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن ..	أبو هريرة	٢/ ٤٦٢، ٣/ ٩٦
ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ١٢١
ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تقى .	عائشة	١/ ٦٢
ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر .	أبو سعيد الخدري	٣/ ٢٧٥
ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك ..	ابن عمر	١/ ٥٥
ما أنا في الدينا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ..	عبدالله بن مسعود	٣/ ٢٦٤
ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.	عبدالله بن مسعود	٣/ ١٣٤
ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ..	أبو هريرة	١/ ٤٤٤

ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل ..	أنس	٣/ ٣٠٣
ما بال أقوام يقولون كذا ويفعلون كذا ..	أبو حميد الساعدي وابن عباس وأنس	١/ ١٦٨
ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ..	ابن عباس	٢/ ١٧٢
ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يومًا ...	أبو هريرة	٣/ ١٢
ما تعوذ متعوذ بمثلهما .	عقبة بن عامر	٣/ ٣٩٠
ما جلس قوم قط في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ..	أبو هريرة	٢/ ٤٤
ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي .	جرير بن عبد الله	٢/ ٣٥٠
ما حفظت ق والقرآن المجيد إلا من في رسول الله ﷺ يخطب.	أم هشام بنت الحارث بن النعمان	١/ ٧٧
ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ...	ابن عمر	٣/ ٣٢٥
ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ..	طلحة بن عبيد الله بن كرز	٣/ ٣٧٨
مازال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ...	ابن عباس	٢/ ١٣٤
مازال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد ..	قتادة	٢/ ١١٠
ما سبق أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه ..	بكر بن عبدالله المزني	٣/ ١٩٥
ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر أو خبز بر ثلاث ليال تباعًا .	عائشة	٣/ ٢٠٣
ما صلى رسول الله ﷺ بعد إذ أنزلت عليه سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) إلا يقول..	عائشة	٣/ ٣١٧
ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة ..	عائشة	٢/ ٣٥٠
ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم .	عبد الرحمن بن سمرة	٣/ ٢٦٦
ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على	أبو الدرداء	٣/ ١٩٤

أفضل من أبي بكر ..		
ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما .	أبو بكر	١/ ١٣٤
ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته .	عبد الله بن سلام	٢/ ٢٠٢
الماعون المعروف .	محمد بن كعب	٣/ ٢٩٩
ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظلة .	ابن عباس	١/ ٣٨٤
ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم..	جابر بن عبدالله	٢/ ٤٩٦
ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله ..	ابن عباس	٢/ ٤٤٢
(ما قطعتم من لينة ..) قال : يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل ..	ابن عباس	٢/ ٧٧
ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (ألم يأن ..) إلا أربع ..	عبدالله بن مسعود	١/ ٤٩٥
ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ..	عائشة	١/ ١٢٩
ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد القيت بين ظهري فلاة من الأرض.	أبو ذر	٣/ ١١٩، ١/ ٤٦١
ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافاناه بها ما خلا أبا بكر ..	أبو هريرة	٣/ ١٩٢
ما لعبدي المؤمن جزاء إذا أخذت حبيبتيه فصبر إلا الجنة ..	أنس بن مالك وأبو هريرة	٣/ ١٦٨
ما لي وللدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها	ابن مسعود ، و ابن عمر وابن عباس	١/ ٦٦٢، ٣/ ٢٢٣، ٤١٥
ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .	أبو هريرة	٣/ ٤٠
ما مُطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين ..	أبو أمامة	١/ ٤٤٤
ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ..	المقدام بن معد يكرب	٣/ ٢٦٣، ٣٩٢

ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته	جابر بن عبدالله وأبو طلحة بن سهل	١/ ٥٧
(المؤمن) أمّن خلقه من أن يظلمهم ..	ابن عباس	٢/ ١١٩
ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر ..	ابن عباس	٣/ ١١٨، ١٥٢
ما من ثلاثة في قرية ولابدو لا تقام فيهم الصلاة ..	أبو الدرداء	٢/ ٦١
ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن .	أبو الدرداء	١/ ٥٢٢، ٢/ ٣٥١
ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها ..	أبو هريرة	٢/ ٣٦٩
ما من صاحب كنزلا لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم ..	أبو هريرة	٢/ ٤٠٨
(المؤمن) صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به ..	ابن زيد	٢/ ١١٩
ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا ..	أنس بن مالك	١/ ٥٠٥
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ..	أبو هريرة	١/ ٣٤٢، ٣٨١
ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ..	عدي بن حاتم	٣/ ٩٨
ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار ..	علي	١/ ٢٣٥، ٣٤٤،٣/ ١٨٧
ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه ..	عبد الله بن مسعود	٣/ ٣٧٧
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا .	أبو موسى	١/ ٤١
ما من يوم غربت فيه شمس إلا وبجنبتيها ملكان يناديان ..	أبو الدرداء	٣/ ١٨٧
ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان ..	أبو هريرة	١/ ٤٧٧
ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر ..	أبو هريرة	٣/ ١٩٢
ما نقص مال من صدقة بل تزده بل تزده .	أبو هريرة	١/ ٢٨١، ٤٧٧
ما هلك مال في بر ولا بحر إلا بسبب منع الزكاة .	عبادة بن الصامت	٢/ ٣٦٩
ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ..	أبو هريرة	١/ ٣٤٥

ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ..	أبو سعيد	٢/ ٤٠٠
(متكئين على رفرف) قال : الرفرف المحابس ..	ابن عباس	١/ ٣٩٣
مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره ..	عمار بن ياسر وأنس	١/ ٤٠٦
مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لي ..	ابن عمر	١/ ٥٤٩
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ..	النعمان بن بشير	١/ ٤١، ٤٦
مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملاً إلى..	أبو موسى	١/ ٥٥٠
مثلي ومثل الساعة كهاتين وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام ..	سهل بن سعد	١/ ٢٩٥
مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: رأيت الجيش ..	أبو موسى الأشعري	١/ ١٨٩، ٢٩٥
مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ويلك قطعت عنق صاحبك ..	أبو بكرة	١/ ٢٧٨
المرء مع من أحب ..	عبد الله بن مسعود	٣/ ٤٠
مرت برسول الله ﷺ جنازة فقال : مستريح ومستراح منه ..	أبو قتادة	١/ ٤٤٨
مر ثلاثة نفر بمجلس النبي ﷺ فوجد أحدهم فرجة فجلس ..	أبو واقد الليثي	٢/ ٤٥
مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ..	ابن عباس	٢/ ٣٥٨، ٣/ ٣٣٦
مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدير راهب قال فناداه يا راهب ..	أبو عمر الجوني	٣/ ١٤٢
مرها فلتصبر ولتحتسب ..	أسامة بن زيد	٣/ ٢٧٣
مروا أبا بكر فليصل بالناس ..	عائشة	٣/ ١٩٤

مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ..	سبرة بن معبد الجهني ، وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده	٢/ ٢٩٥
مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ أصبح من الناس شاكر ومنهم ..	ابن عباس	١/ ٤٤٣
مطل الغني ظلم ..	أبو هريرة	٢/ ٣٦٨
المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى ..	عدي بن حاتم	٢/ ١٦١
المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ..	عبد الله بن عمرو	١/ ٤٠، ٣٤٩
من أبلي بلاءً فذكره فقد شكره ..	جابر	٣/ ٢٠٦
من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه .	أنس بن مالك	٢/ ٤٢٨
من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار	معاوية	٢/ ٤٣
من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته ..	عبدالله بن عمرو	١/ ١٥١، ٥٣٧
من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ..	ابن عباس	٢/ ٢٦٤
من أحب دنياه أضر بآخرته ..	أبو موسى الأشعري	٣/ ١٣٩
من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله ..	ابن عباس	٢/ ٦٧
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ..	عبادة بن الصامت وأبو هريرة وأبو موسى	١/ ٤٥٠
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ..	عبد الرحمن بن أبي ليلى عمن سمع النبي ﷺ	١/ ٤٥٠
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد .	عائشة	٢/ ٢٣٧
من أخبرك ان محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو يعلم الخمس ..	عائشة	١/ ٢٤٨
من أخذ من الأرض شيئاً بغير حق خسف به ..	ابن عمر	٢/ ٢٨٢

من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم فأعطوه ..	ابن عمر	١/ ٥١٩
من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ٩
من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه ..	عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه	٣/ ٢٦٠، ٢٩٤
من أصبح منكم اليوم صائماً قال أبو بكر ﷺ أنا ...	أبو هريرة	٣/ ١٩٤
من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إربٍ منها إرباً منه من النار ..	أبو هريرة	٣/ ١٧١
من أعتق رقبة مسلم فهو فداؤه من النار .	عقبة بن عامر الجهني	٣/ ١٧١
من اغتسل غسل الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة .	أبو هريرة	٢/ ٢٠٠
من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله ..	أبو أيوب الأنصاري	٢/ ٢٠١
من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجاً..	ابن عباس	٢/ ٢٦٣
من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه ..	عائشة	٢/ ١٣٠، ٢٤٨، ٣/ ٢٦٥
من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة ..	أبو هريرة	٣/ ١٩٣
من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة ..	عمران بن حصين	٢/ ٢٦٤
من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ..	أبو هريرة	٢/ ٤٩٧
من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته .	البراء بن عازب	١/ ٥٢
من تعارّ من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله..	عبادة بن الصامت	١/ ٢٣٥
من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً ..	ابن عباس	٢/ ١٩٤
من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده ..	عمر بن الخطاب	١/ ١٥٧
من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك ..	أبو هريرة	١/ ٢٣٦

من جهز غازياً فقد غزا ..	زيد بن خالد	١/ ٤٧٦
من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك .	ابن عمر	٣/ ٢٧٤
من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ..	أبو هريرة	٢/ ٢٨٨
من حلف فقال في حلفه : واللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله ..	أبو هريرة	١/ ٢٥٦
من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ..	أبو هريرة	١/ ٣٨٢، ٢/ ١٧٨
من دخل سوقاً من الأسواق فقال : لا إله إلا الله ...	عمر بن الخطاب	٢/ ٢٠٤
من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه .	أبو هريرة.	١/ ٢٨٤، ٢/ ٣٤٧
من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت له واحبطت عملك .	جندب	١/ ٢٧٥
من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة ..	أبو الدرداء	١/ ٤٦
من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ..	عائشة	٢/ ٣٢٦
من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ..	أبو هريرة	١/ ١٣٠
من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ..	عمر بن الخطاب، وعامر بن ربيعة	١/ ٣٢
من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه	أنس بن مالك	٢/ ٢٢٣
من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ (إذا الشمس كورت).	عبدالله بن عمر	٣/ ٥٧
من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله له به طريقاً من طرق الجنة ..	أبو الدرداء	٢/ ٤٦
من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ..	أبو هريرة	٢/ ٣٤٦
من سمّع الناس بعمله سمّع الله به وحقره وصغره .	ابن عمر	٣/ ٢٩٩
من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ..	جرير بن عبد الله	٢/ ١٠٩

من شاء لا عنته ما نزلت﴿ وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٦٩
من شك في أن أول الحشر ههنا يعني الشام فليتل هذه الآية ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ﴾	ابن عباس	٢/ ٧٢
من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ .	عمار بن ياسر	١/ ١١
من صلى البردين دخل الجنة ..	أبو موسى الأشعري	١/ ١٢٨، ٢/ ٥٤٢
من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك .	البراء بن عازب	٣/ ٣٠٤
من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة .	عائشة	٢/ ٢٨١
من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر ..		١/ ٥٢٧
من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ..	أبو هريرة	٣/ ٣٥٥
من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه ..	أبو هريرة	٢/ ٢٣٦
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ..	عائشة	٢/ ٢٣٧، ٣/ ٢٧٢
من غسّل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ..	أوس بن أوس الثقفي	٢/ ٢٠١
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ..	أبو موسى	١/ ٧١، ٥٣٨، ٢/ ١٢٨، ١٦٥، ٤٧٦
من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم	معقل بن يسار	٢/ ١٢٢
من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ..	أبو هريرة	٣/ ٣٩١
من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه .	أبو هريرة	٣/ ٢٢٧
من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت.	أبو أمامة	١/ ١٣٢
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ..	أبو مسعود الأنصاري	٣/ ٣٩٠
من قرأ (إذا زلزلت) عدلت له بنصف القرآن .		٣/ ٢٤٣

من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها .	عبد الله بن مسعود	١/ ٤٣٨
من قرأ حم المؤمن إلى (إليه المصير) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما ...	أبو هريرة	٣/ ٣٩١
من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً ..	عبد الله بن مسعود	١/ ٣٩٧
من قرأ (قل هو الله أحد) حتى يختمها عشر ..	سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه	٣/ ٣٣٩
من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ..	أبو هريرة	٢/ ٥٢١
من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع شمله وأتته الدنيا ..	أنس بن مالك	١/ ١٩٦، ٢٦٧
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .	أبو هريرة	١/ ١٧٠
من لا يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا .	عبد الله بن عمرو	٣/ ١٧٣
من لا يرحم لا يرحم .	أبو هريرة	٣/ ١٧٣
من لا يشكر الناس لا يشكر الله .	أبو هريرة	١/ ٥١٩، ٣/ ٢٠٦، ٣٠١
من لم يوتر فليس منا .	أبو هريرة	٢/ ٤٧٧
من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه .	عائشة	٢/ ٥٢٨
من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس كان قمناً أن لا تسد حاجته ..	ابن مسعود	٢/ ٢٦٤
من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ..	خولة بنت حكيم	٣/ ٣٥١
من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه ..	أبو هريرة	١/ ٤١
من نوقش الحساب هلك .	عائشة	٢/ ٢٧٨، ٣/ ٩٩، ١٥١
منهو مان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ..	عبد الله بن مسعود	٣/ ٢٢٢
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به .	ابن عباس وأبو هريرة	١/ ١٧٩، ٣٣٢

من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا..	عمرو بن عبسة السلمي	٣/ ١٧١
من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين .	معاوية	٢/ ٣٤٦
(المهيمن) الشهيد .	ابن عباس ومجاهد وقتادة	٢/ ١١٩

(ن)

ناركم التي توقدون عليها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم .	أبو هريرة	٣/ ١٣٦، ٢٥٥
الناس شركاء في ثلاث في الماء والنار والكلأ .	رجل من المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ .	١/ ٤٣٤
الناس كإبل مائة لا يوجد فيها راحلة .	عبد الله بن عمر	١/ ١٦٥، ٣٠٨، ٣/ ٣٨٨
الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملؤوه ...	عقبة بن عامر	١/ ٦٣
النجم ما انبسط على وجه الأرض من النبات .	ابن عباس	١/ ٣٥٥
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ..	أبو هريرة	١/ ٤٠٥، ٢/ ١٩٩
نحن أحق بالشك من إبراهيم .	أبو هريرة	٣/ ٢٦٠
نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة .	ابن عباس	١/ ٣٩١
نزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى .	ابن مسعود	٢/ ٢٥٥
نزلت هذه السورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق ..	ابن عمر	٣/ ٣١٢
نصرت بالرعب مسيرة شهر .	جابر	٢/ ٧٤
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور .	ابن عباس	١/ ١٨٣، ٣٢١، ٢/ ٣٨٦
نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كمثل البعير المقتب	أبو سعيد الخدري	١/ ٣٩١
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ .	ابن عباس	٢/ ٢٣٥، ٣/ ٢٦١

نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل .	ابن عمر	١/ ١٢٨ ، ١٥٤
نعم المال لصالح للرجل الصالح .	عمرو بن العاص	١/ ٥١٠، ٢/ ٢٤٧، ٣/ ٢٦٦
نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه .	أبو هريرة	٣/ ٣٢٣
نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي	مجاهد	٢/ ٥٣
(هـ)		
هذا الحرف (طلح منضود) قال : طلع منضود .	علي	١/ ٤١٤
هل بلغك ما طوبي قال : الله ورسوله أعلم . قال طوبي شجرة في الجنة.	ابن عمر	١/ ٤٠٩
هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟	العباس بن عبد المطلب	٢/ ٣١٦
هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : أصبح من ..	زيد بن خالد	١/ ٤٤٤
هل رأيت ربك ؟ قال : نور أنى أراه .	أبو ذر	٢/ ٣٢٦
هل عندك نسك ؟ قال : ما أقدر عليه فأمره أن يصوم ثلاثة أيام .	كعب بن عجرة	٢/ ٢٣
هلك المتنطعون – قالها ثلاثاً .	عبد الله بن مسعود	١/ ٥٤٦
هو شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه يعني ولد الزنا .	عائشة	٢/ ٣٦٠
هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد	أبو مسعود البدري	٢/ ٣٥٠ ، ٣/ ٢٠٥
(و)		
الوائدة والموؤدة في النار .	سلمة بن يزيد الجعفي	٣/ ٥٩
وأسالك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ..	عمار بن ياسر	٣/ ١٧
واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها .	سعد بن أبي وقاص	١/ ٤٧٦
(والأمر يومئذ لله) والأمر والله اليوم لله ولكنه يومئذٍ لا ينازعه أحد .	قتادة	٣/ ٧٨

وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع .	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٢٧
وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه .	ثوبان	٢/ ٣٦٦
وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ..	البراء بن عازب	٣/ ٢٥
وإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسراً .	ابن عباس	٣/ ٢١١
وأن لا يمس القرآن إلا طاهراً .	عمرو بن حزم	١/ ٤٤٠
وإنما يرحم الله من عباده الرحماء .	أسامة بن زيد	١/ ٥٢٠
وإني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا .	أبو سعيد	١/ ٤٠٥
واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت .	علي بن أبي طالب	٢/ ٣٥٠
الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا ..	بريدة	٢/ ٤٧٧
﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ قراها علي : وتجعلون شكركم أنكم تكذبون.		١/ ٤٤٣
وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري .	ابن عمر	٢/ ٦٣
وجعل رزقي تحت ظل رمحي .	ابن عمر	٣/ ٢٠٢
والخير كله بيديك .	أبو سعيد الخدري	٣/ ٢٢٠
والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن .	أبو سعيد الخدري	٣/ ٣٣٩
والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه ..	أبو سعيد الخدري	٢/ ٥٤٣
والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ...	أبو هريرة وزيد بن خالد	١/ ٢٤٢
والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم مثلاً بمثل .	سهل بن سعد	٣/ ١٠٣
والذي نفسي بيده لتعدل نصف القرآن أو ثلثه .	أبو سعيد الخدري	٣/ ٣٣٩
والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من..	أنس وابن عمر	١/ ٣٠١
والذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ .	عائشة	١/ ١٤
ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من ...	أبو هريرة	١/ ١١٧
(والريحان) وهو ريحانكم هذا .	الحسن	١/ ٣٥٩

﴿ والسماء بنيناهابأيد ﴾ يقول : بقوة .	ابن عباس	١/ ١٨٧
والشر ليس إليك .	علي بن أبي طالب	١/ ١٧٥، ٥١٣ ، ٢/ ٤٤٧، ٣/ ٣٦٢
وضع سلا الجزور على ظهره وهو ساجد .	ابن مسعود	١/ ٢٣٣
﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ قال : كانوا على خدعة من الشيطان ..	قتادة	١/ ٤٩٣
وقت المغرب ما لم يغب الشفق .	عبد الله بن عمرو	٣/ ١٠٢
وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة ..	جابر بن عبد الله	٢/ ٤٢٧
وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ..	أبو هريرة	٣/ ٣٩٠
وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها ...	أبو موسى	٢/ ١٦٥
﴿ وكنتم أزواجاً ثلاثة ﴾ قال : هي التي في سورة فاطر ﴿ ثم أورثنا الكتاب..﴾	ابن عباس	١/ ٤٠١
وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ..	أنس بن مالك	١/ ٤٠
ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا .	ابن عمر	٣/ ٣٨
ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم ..	أبو هريرة	٣/ ٢١
ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً ..	أبو هريرة	٣/ ١٦٣
ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه .	أبو هريرة	١/ ١٥٥، ٥٥١، ٢/ ٢٣٤، ٣/ ٨٦
الولد ثمرة القلوب وإنهم لجبنة مبخلة محزنة .	أبو يعلى العامري	٢/ ٢٤٧
ولد الزنا شر الثلاثة .	أبو هريرة	٢/ ٣٦٠
﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قال : رأى جبريل عليه السلام .	أبو هريرة	١/ ٢٤٧
والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ..	عبد الله بن عدي	٢/ ٨٧، ٣/ ١١٨، ١٦٦
والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة	أبو هريرة	٣/ ٣١٩

والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ..	أبو شريح	١/ ٦٥
والله ما أبكى على دنياكم هذه ..	أبو هريرة	٣/ ٣٢٨
والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا ..	عمرو بن عوف	١/ ٢٦٨، ٢/ ٤١٣، ٥١٣، ٣/ ٣٨، ٢٠٤، ٢٦٢
ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء .	سهل بن سعد	١/ ٥٠٨
وليأت للناس الذي يحب أن يؤتى إليه ..	عبد الله بن عمرو	٣/ ٣٧٣
وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأسع من الصبر .	أبو سعيد الخدري	٣/ ١٧٣
وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه .	أبو هريرة	٢/ ٤٧٨
وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا .	أبو هريرة	١/ ٥٢١
ومن تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً ..	أنس وأبو هريرة	١/ ٢٤٨
﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ يقول : هوى نفسه حيث يتبع هواه ولم يقبل الإيمان .	ابن عباس	٢/ ٢٥١
وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ..	أنس وسهل بن سعد الساعدي	١/ ٢٦٦، ٢/ ٤٨٠
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ..	عبد الله بن مسعود	٣/ ٣٥٠
وهو الفصل ليس بالهزل ..	علي بن أبي طالب	٣/ ١٢٥
ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له..	معاوية بن حيدة عن أبيه	٢/ ٥٢٢،٣/ ٨٤
ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا ..	أبو سعيد	٢/ ٤٩٠، ٣/ ٢٩٨

(ي)

يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية ..	أبو ذر	٣/ ٨١
يا ابن آدم سمعت وعيدًا ثم أوعيت الدنيا .	الحسن البصري	٢/ ٤١٣
يا ابن عابس الا أدلك أو قال الا أخبرك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون ..	ابن عابس الجهني	٣/ ٣٤٨
يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ..	عبيد الله بن عبد الله	٣/ ٣١٢

	بن عتبة	
يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ..	أم سلمة	٢/ ٣٥٢
﴿ يا أيتها النفس المطمئنة .. ﴾ قال نزلت وأبو بكر جالس	ابن عباس	٣/ ١٦٥
﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم..﴾ قال: أول من عمل بها علي بن أبي طالب..	سلمة بن كهيل	٢/ ٥٣
﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم.. ﴾ قال : فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ فأبى أزواجهم ..	ابن عباس	٢/ ٢٤٤
يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّه الجاهلية وتعاظمها بآبائها ..	ابن عمر	١/ ٦٢
يا أيها الناس توبوا إلى الله فوالله إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ..	أبو هريرة والأغر المزني	١/ ٤٩، ٣/ ٣١٩
يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون ..	عائشة	٢/ ٤١٥
يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا ...	أبو هريرة	١/ ٣٢٩
يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام ..	عبد الله بن مسعود	٣/ ، ٣٧ ، ١٦٢، ٢٦٠
يأتي الشيطان أحدكم فيقول:من خلق كذا من خلق كذا؟	أبو هريرة	١/ ٢٨٨، ٣/ ٣٨٢
يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر ..	أبو ثعلبة الخشني	١/ ٤٨٠
يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ من المال أمن حلال أم من حرام .	أبو هريرة	٣/ ٢٨٢
يؤجر الرجل في نفقته كلها إلا في التراب والبناء ..	حارثة بن مضرِّب	٣/ ٢٦٣
يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة ..	حكيم بن حزام	٣/ ٢٨٢
يا خالة : ما كان يعيشكم ؟ قالت الأسودان : التمر والماء	عروة بن الزبير	٣/ ٥٠
يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ..	أنس	١/ ٣٦٩
يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني ..	خولة بنت ثعلبة	٢/ ٨
يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن	سعد بن أبي وقاص	١/ ٦٨

يكبه الله في النار.		
يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة ..	أبو هريرة	٣/ ٢٤٧
يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ..	عائشة	٢/ ٣٤
يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا ..	عائشة	١/ ٣٤٧، ٣/ ٢٤٧، ٣٨٤
يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله ..	عائشة	١/ ٣٥٨
يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ..	أبو ذر	٢/ ٥٥٨، ٣/ ١٨٣
يا عبادي إنما هي أعمالكم احصيها لكم ثم أوفيكم إياها ..	أبو ذر	١/ ٢٨٣
يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا ..	أبو ذر	١/ ١١١
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب ..	أبو ذر	١/ ٥٣٢، ٢/ ١٣٧، ٢٣١
يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ..	عبد الله بن عمرو	١/ ١٢٩، ١٥٤
يا عثمان أرغبت عن سنتي ..	عائشة	١/ ١٥٥
يا عقبة أخرس لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ..	عقبة عامر	٣/ ٣٤٠
يا غلام إني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك ..	عبد الله بن عباس	٢/ ٢٦٣
يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك .	عمر بن أبي سلمة	١/ ٤٠٩
يا معاذ أفتان أنت ؟	جابر بن عبد الله	٣/ ٦٩
يا معشر الأنصار الم اجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ؟	زيد بن عاصم	١/ ٧٥
يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين .	أبو برزة الأسلمي والبراء بن عازب	١/ ٥٤
يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة .	أبو هريرة	٣/ ٢٤٧
يبعث الشيطان سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة	جابر	٢/ ٢٥٦
يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ..	عائشة	٣/ ٥٤

يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ..	أنس بن مالك	٣/ ٢٥٧
(يجعل له مخرجًا) قال : ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ..	ابن عباس	٢/ ٢٦٢
يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ٥٢٠
يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ..	أبو هريرة	٢/ ٢٣٥
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .	ابن عباس	٢/ ١٦
يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر ..	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده	١/ ٣٩٨
يخرج عنق من النار يتكلم يقول : وكلت اليوم بثلاثة ..	أبو سعيد الخدري	١/ ١٠٧
يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ..	أبو موسى	١/ ٤٦٣
يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة ..	ابن عمر	٣/ ١٢٣
يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ..	أبو موسى	٢/ ١٨٤
يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين ..	معاذ بن جبل	١/ ٤١٩
يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ..	ابن عمر	١/ ١٩، ٢/ ٣٩٣ ٣/ ١١٧، ١٥١
يشيب ابن آدم وتبقى معه اثنتان حب الدنيا وطول الأمل	أبو هريرة	٣/ ٢٥٧
يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذ هن بيده اليمنى ..	عبد الله بن عمر	٣/ ٧٨
يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ..	أبو موسى وأبو هريرة	٢/ ٣٩٢
يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء ..	أنس بن مالك	١/ ٤١٨
يقال لآخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً فيها ..	عبد الله بن مسعود	٢/ ٥٣٧
يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل ...	عبد الله بن عمرو	٢/ ٤٦٢
يقرأ القرآن أناس من أمتي لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين ..	أبو سعيد الخدري	٢/ ٢٦٣
يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ...	النعمان بن بشير	٣/ ٥٨
يقول ابن آدم مالي مالي قال : وهل لك يا ابن آدم من	مطرف عن أبيه	٣/ ١٦٨

مالك إلا ..		
يقول العبد : مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث ..	أبو هريرة	٣/ ٢٥٧
يقول الله تعالى : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول:	أخرج... أبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود	١/ ٤٢٠
يقول الله عز وجل : أنى تعجزني ابن آدم وقد خلقتك من مثل ..	بسر بن جحاش القرشي	٢/ ٥٥٣
يقول الله عز وجل : وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ..	عياض بن حمار المجاشعي	٣/ ١٧٧
يقول الله يوم القيامة ابن آدم ما غرك بي ..		٣/ ٧٠
يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ..	أبو سعيد الخدري	٢/ ٣٧٤
يلقى الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أي بعل كنت لك ..	عكرمة	٣/ ٥٤
يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فتقول :قط قط .	أنس بن مالك	١/ ١١٢
ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ..	أبو هريرة ، وأبو سعيد	١/ ١١٨
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر..	أبو هريرة وابن مسعود	١/ ١٥٥، ٢٣٦، ٣٣٢، ٥٠٢، ٢/ ٢٥٢
يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل ..	أنس	٣/ ٢٥٧
يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم ..	أبو سعيد الخدري	١/ ٤٧٩
اليوم الموعود يوم القيامة ..	أبو مالك الأشعري	٣/ ١٠٨

جـ - فهرس الأشعار

أ

الناس من جهة التمثيل أكفاء	أبوهم آدم والأم حواء	علي بن أبي طالب	١/٦٣
فإن يكن لهم من أصلهم نسب	يفاخرون به فالطين والماء		
والدعاوى إذا لم يقيموا عليها	بينات أبناؤها أدعياء		١/٧٣، ٤٧٣
وهبني قلت هذا الصبح ليل	أيعمى العالمون عن الضياء	المتنبي	١/١٦٥
أطلاب النجوم أحلتمونا	على علم أدق من الهباء		١/٢٩٢، ٢/ ٤٥٨
كنوز الأرض لم تصلوا إليها	فكيف وصلتم علم السماء		
سأعيش رغم الداء والأعداء	كالنسر فوق القمة الشماء		١/٥٥١، ٣/٣٩٤
النور في جنبي وبين جوانحي	فعلام أخشى السير في الظلماء		
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمُ	على الهدى لمن استهدى أدلاء	علي	٢/٤٧، ٣٤٧
فعش بعلم ولا تطلب به بدلاً	فالناس موتى وأهل العلم أحياء		
إني بليت بأربع لم يخلقوا	إلا لشدة شقوتي وعنائي		٣/٧٠
إبليس والدنيا ونفسي والهوى	كيف الخلاص وكلهم أعدائي		
إذا خان الأمير وكاتباه	وقاضي الأرض داهن في القضاء	الإمام الشوكاني	٣/٢٨١
فويل ثم ويل ثم ويل	لقاضي الأرض من قاضي السماء		

ب

لو أنصف الدهر كنت أركب	لأني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب		١/١٥
خفافيش أعشاها النهار بضوئه	فصادفها من ظلمة الليل غيهب	ابن مشرف	١/٢٩
وما سمي الإنسان إلا لنسيه	ولا القلب إلا أنه يتقلب		١/٥٨، ٣/٣٧٥
لعمرك ما الإنسان إلا بدينه	فلا تترك التقوى اعتمادا على النسب		١/٦٣، ٣/ ٣٣٢
فقد رفع الإسلام سلمان فارس	وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب		

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل	خلوت ولكن قل علي رقيب	صالح بن عبد القدوس	١١٧/١، ٣٢٨/٢،
ولا تحسبن الله يغفل ساعة	ولا أن ما يُخفى لديه يغيب		٣٩/٣
لقد نقبت في الآفاق حتى	رضيت من الغنيمة بالإياب	امرؤ القيس	١٢٢/١
وكاتبون وما خطت أناملهم	حرفاً وما قرؤوا ما خط في الكتب		٢٠١/١
فما أقرب الآتي وأبعد ما مضى	وهذا غراب البين في الدار ينعب	محمد بن عثيمين	٢٩٦/١
فإن يك بعض هذا اليوم ولى	فإن غداً لناظره قريب		٣٢٦/١
ولو كانت الأخلاق تحوي وراثة لأصبح كل الناس قد ضمهم هوى ولكنها الأقدار كل ميسر	ولم كانت الآراء لا تتشعب كما كان كل الناس قد ضمهم أب لما هو مخلوق له ومقرب		٣٤٤/١
أين المفر والإله الطالب	والأشرم المغلوب ليس الغالب	نفيل بن حبيب	٣٧٥/١، ٢٨٩/٣
لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب	ولا ينال الرضا من طبعه الغضب	عنترة بن شداد	٥٢٢/١
فإن تسألوني بالنساء فإنني إذا شاب رأس المرء أو قل ما له يردن ثراء المال حيث وجدنه	خبير بأدواء النساء طبيب فليس له من ودهن نصيب وشرخ الشباب عندهن عجيب		١٢/٢
عسى الكرب الذي أمسيت فيه	يكون وراءه فرج قريب	هدبة بن خشرم	١٣٩/٢، ٢٩٩
هو الموت ما منه ملاذ ومهرب	متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب	محمد بن عثيمين	١٩٧/٢، ٣٢٢/٣
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت	فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا	أحمد شوقي	٣٥٢/٢
إن الأفاعي وإن لانت ملامسها	عند التقلب في أنيابها العطب		١١٢/٣

ألا طرقت من آخر الليل زينب	عليك سلام هل لما فات مطلب		١٢٢/٣
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه	فكن طالباً في الناس أعلى المراتب	علي بن أبي طالب	١٧٩/٣
وكل الحادثات إذا تناهت	فموصول بها الفرج القريب	علي بن أبي طالب	٢١٢/٣
يسر المرء ما ذهب الليالي	وكان ذهابهن له ذهابا		٢٧٠/٣
فما نحن في دار المنى غير أننا	شغفنا بدنيا تضمحل وتذهب	ابن عثيمين	٣٢٢/٣
فحثوا مطايا الارتحال وشمروا	إلى الله والدار التي ليس تخرب		
من البيض لم تُصد على ظهر لأمة	ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب	نهار بن توسعة	٣٣٣/٣
ت			
لما عفوت ولم أحقد على أحد	أرحت نفسي من هم العداوات	الشافعي	٥٢١/١
وما أدع السفارة بين قومي	وما أمشي بغش إن مشيت		٤٥/٣
ج			
وآفة العقل الهوى فمن علا	على هواه عقله فقد نجا	ابن دريد	٢٦٠/١
شربن بماء البحر ثم ترفعت	متى لجج خضر لهن نئيج	أبو ذؤيب الهذلي	٥٢٧/٢، ٩٢/٣
ولرب نازلة يضيق بها الفتى	ذرعاً وعند الله منها المخرج	إبراهيم بن العباس الصولي	٢١٢/٣
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها	فرجت وكان يظنها لا تفرج		
ح			
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم	إن التشبه بالكرام فلاح		١٥٥/١
الأمر جد وهو غير مزاح	فاعمل لنفسك صالحاً يا صاح	نشوان الحميري	١٩٥/١، ٥٢٤، ٢٣/٣، ١٢٥، ٢٧٦

أخاك أخاك إن من لا أخاله	كساع إلى الهيجا بدون سلاح	الربيع بن ضبع الفزاري	٢/١٣٠، ٤١١، ٣/٥٣
وما الدهر إلا تارتان فمنهما	أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح	العجير السلولي	٣/٩٧
وبوّأت بيتك في معلم كفيت العفاة طلاب القرى	رحيب المباءة والمسرح ونبح الكلاب لمستنبح		٣/١٧٩
والخيل تكدح حين تضبـ	ـح في حياض الموت ضبحا	عنترة	٣/٢٤٩
	د		
فواعجباً كيف يعصى الإلـ وفي كل شيء له آية	ـه أم كيف يجحده الجاحد تدل على أنه واحد		١/١٥٩، ٤٩٩
فدرب الصاعدين كما علمتم	به الأشواك تكثر لا الورود	وليد الأعظمي	١/١٨٣، ٢/١٧٣، ٣٢٣، ٣/١١٢
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويفنى المال والولد		١/٣٦٨، ٤٢٧
وأنت زنيم نيط في أهل هاشم	كما نيط خلف الراكب القدح الفرد	حسان	٢/٣٦٠
الخير يبقى وإن طال الزمان به	والشر أخبث ما أوعيت من زاد	عبيد بن الأبرص	٣/١٠٥
أغرّ عليه للنبوة خاتم وضم الإله اسم النبي إلى اسمه وشق له من اسمه ليجله	من الله من نور يلوح ويشهد إذا قال في الخمس المؤذن أشهد فذو العرش محمود وهذا محمد	حسان بن ثابت	٣/٢١٠
اصبر لكل مصيبة وتجلد واصبر كما صبر الكرام فإنها	واعلم بأن المرء غير مخلد نوب تنوب الآن تفرج من غد	أبو العتاهية	٣/٢١٢
أرى الموت يعتام الكرام ويعتلي	عقيلة مال الفاحش المتشدد		٣/٢٥١
	ر		
أيام كان المسلمون أعزة	في دينهم والعود صلب المكسر		١/٦

أيام كان الدين ملء نفوسهم	وأتوا على كسرى العظيم وقيصر		
فتفرقوا شيعاً فكل مدينة	فيها أمير المؤمنين ومنبر		٤٢/١
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى	إذا حشرجت يوماً وضاق به الصدر	حاتم الطائي	١٠٢/١
ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه فلم يتأخر من أراد تقدماً	لمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا ولم يتقدم من أراد تأخرا	ابن هانئ	١٥٤/١، ٥٢٤، ٤٩٧/٢، ٢٣/٣، ٢٧٦
سوف ترى إذا انجلى الغبار	أفرس تحتك أم حمار		١٥٤/١، ٥٢٤، ٤٩٧/٢، ٢٣/٣، ٢٧٦
فسوفهم فيها وأوعدهم بها	لوقت إجابات الدعا ساعة السحر	يحيى الصرصري	١٥٦/١
والناس في غفلة عما يراد بهم	كأنهم غنم في بيت جزار		٢٩٧/١
الموت باب وكل الناس داخله	ياليت شعري بعد الموت ما الدار		٩/١، ٣٣، ١٧٩/٢
الدار جنة عدن إن عملت بما هما محلان ما للناس غيرهما	يرضي الإله وإن فرطت فالنار فاختر لنفسك ماذا أنت تختار		
لا تحقرن من الذنوب صغيرها إن الصغير ولو تقادم عهده	إن الصغير غداً يعود كبيرا عند الإله مسطر تسطيرا		٣٤٧/١
وإن صخراً لتأتم الهداة به	كأنه علم في رأسه نار	الخنساء	٣٦٧/١، ٤٣٣
وهان على سراة بني لؤي	حريق بالبويرة مستطير	حسان بن ثابت	٧٧/٢
أدام الله ذلك من صنيع ستعلم أينا فيها بنزه	وحرق في نواحيها السعير وتعلم أي أرضينا تضير	أبو سفيان	٧٧/٢
لقد خزيت بغدرتها الحبور وذلك أنهم كفروا برب	كذاك الدهر ذو صرف يدور عظيم أمره أمركبير	كعب بن مالك	٧٨/٢

وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً	وجاءهُمُ من الله النذير		
نذير صادق أدى كتاباً	وآيات مبينة تنير		
وقالوا ما أتيت بأمر صدق	وأنت بمنكر منا جدير		
فقال بلى لقد أديت حقاً	يصدقني به الفهم الخبير		
فمن يتبعه يهدى لكل رشد	ومن يكفر به يجز الكفور		
فلما أشربوا غدراً وكفراً	وجد بهم عن الحق النفور		
أري الله النبي برأي صدق	وكان الله يحكم لا يجور		
فأيده وسلطه عليهم	وكان نصيره نعم النصير		
فغودر منهم كعب صريعاً	فذلت بعد مصرعه النضير		
فذاقوا غب أمرهم وبالاً	وغودر منهم نخل ودور		
عسى فرج يأتي به الله إنه	له كل يوم في خليقته أمر	محمد بن إسماعيل	١٣٩/٢، ٢٢٩
بعلم وحلم ساد في قومه الفتى	وكونك إياه عليك يسير		٣٥٢/٢
يا راقد الليل مسروراً بأوله	إن الحوادث قد يطرقن أسحارا	محمد بن حازم الباهلي	٣٧٥/٢
لا تفرحنّ بليل طاب أوله	فرب آخر ليل أجج النارا		
أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها	وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا	حاتم الطائي	٣٧٤/٢
رموها بأثواب خفاف فلا ترى	لها شبهاً إلا النعام المنفّرا	الشماخ	٤٨٤/٢
بني عمنا هل تذكرون بلاءنا	عليكم إذا ما كان يوم قماطر		٥٣٢/٢
ومن يتهيب صعود الجبال	يعش أبد الدهر بين الحفر	أبو القاسم الشابي	١٨٠/٣
سرنا وساروا إلى بدر لحتفهم	لو يعلمون يقين العلم ما ساروا	حسان بن ثابت	٢٥٩/٣
سبحان من قسم الحظوظ فهذا	يبنى وذاك يبكي الديارا		٣٥٧/٣
كل الحوادث مبداها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر		٣٩٢/٣
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها	فتك السهام بلا قوس ولا وتر		

س			
بضيء كضوء سراج السليـ	ـط لم يجعل الله فيه نحاسا	النابغة الجعدي	٣٧٦/١
حتى إذا الصبح له تنفسا	وانجاب عنها ليلها وعسعسا	علقمة بن قرط	٦٣/٣
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها	إن السفينة لا تجري على اليبس	أبو العتاهية	٢٧٨/٣
ع			
لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى	ولا زاجرات الطير ما الله صانع		٢٢٩/١، ٤٥٨/٢
أبلغ إياداً وخلل في سراتهم	إني أرى الرأي إن لم يعص قد نصعا	لقيط الإيادي	٢٩٥/١
يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيراً	على نسائكم كسرى وما جمعا		
هذا كتابي إليكم والنذير معاً	لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا		
وقد بذلت لكم نصحي بلا دخل	فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا		
وقدّمن فاكهة في الأكل	قبل الطعام لحصول النفع		٤٠٩/١
وما المال والأهلون إلا ودائع	ولابد يوماً أن ترد الودائع		٤٧٧/١
قد نادت الدنيا على نفسها	لو كان في العالم من يسمع		٥١٥/١، ٥١٣/٢، ٢٨٣/٣
كم واثق في العمر أفنيته	وجامع بددت ما يجمع		
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض	على الماء خانته فروج الأصابع		٥١٥/١
ولابد من شكوى إلى ذي مروءة	يواسيك أو يسليك أو يتوجع		١٠/٢
زنيم تداعاه الرجال زيادة	كما زيد في عرض الأديم الأكارع	الخطيم التميمي الجاهلي	٣٦٠/٢
فإني بحمد الله لا ثوب فاجر	لبست ولا من غدرة أتقنع	غيلان بن سلمة الثقفي	٤٨٣/٢
وما الناس إلا عاملان فعامل	يتبر ما يبني وآخر رافع	لبيد	٢٣/٣، ٩٨، ١٧٩

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه	يحور رماداً بعد إذ هو ساطع	لبيد	١٠١/٣
طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع		٢٠١/٣
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع		
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع		
جئت شرفت المدينة	مرحباً يا خير داع		
والوقت أنفس ما عنيت بحفظه	وأراه أسهل ما عليك يضيع		٢٦٩ ،٢٦٤/٣
	ف		
العلم يرفع بيتاً لا عماد له	والجهل يهدم بيت العز والشرف		٣٤٨ ،٤٧/٢
قبيح من الإنسان ينسى عيوبه	ويذكر عيباً في أخيه قد اختفى		٩٤/٣
ولو كان ذا عقل لما عاب غيره	وفيه عيوب لو رآها لما اكتفى		
زعمتم أن إخوتكم قريش	لهم إلف وليس لكم إلاف		٢٩١/٣
	ق		
إذا جاءني يوم القيامة قائد	عنيف وسواق يسوق الفرزدقا	الفرزدق	١٠٣/١
احفظ لسانك أن تقول فتبتلى	إن البلاء موكل بالمنطق	صالح بن عبد القدوس	٢٨١/١
	ك		
وكل يدعي وصلاً بليلى	وليلى لا تقر لهم بذاكا		٨١/٣ ،٧٣/١
هي الدنيا تقول بملء فيها	حذار حذارِ من بطشي وفتكي		٥١٥/١
فلا يغرركم مني ابتسام	فقولي مضحك والفعل مبكي		
تأمل في نبات الأرض وانظر	إلى آثار ما صنع المليك		١٣٢/٣
عيون من لجين شاخصات	بأحداق هي الذهب السبيك		
على كثب الزبرجد شاهدات	بأن الله ليس له شريك		
لا هم إن المرء يمـ	ـنع رحله فامنع حلالك	عبد المطلب	٢٨٩/٣
لا يغلبن صليبهم	ومحالهم غدواً محالك		

ل

المال كالماء إن تحبس سواقيه	يأسن وإن يجر يعذب منه سلسال		٤٧٧/١
فالله أعطاك فابذل من عطيته	فالمال عارية والعمر رحال		
أصون عرضي بمالي لا أدنسه	لا بارك الله بعد العرض بالمال		٤٧٨/١
أحتال للمال إن أودى فأجمعه	ولست للعرض إن أودى بمحتال		
تأمل سطور الكائنات فإنها	من الملك الأعلى إليك رسائل		٤٩٩/١
وقد خط فيها لو تأملت خطها	ألا كل شيء ما خلا الله باطل		
ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا	وأقبح الكفر والإفلاس في الرجل		٥١٠/١
وإني وإن كنت الأخير زمانه	لآت بما لم تستطعه الأوائل	أبو العلاء المعرى	٥٢٩/١
كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ	والماء فوق ظهورها محمول		٥٣٠/١، ١٩٤/٢، ١٧/٣
يا من يرى من البعوض جناحها	في ظلمة الليل البهيم الأليل		١٤/٢
ويرى مناط عروقها في نحرها	والمخ من بين العظام النُّحَّل		
امنن عليّ بتوبة تمحو بها	ما كان مني في الزمان الأول		
يهون علينا أن تصاب جسومنا	وتسلم أعراض لنا وعقول		٣٩/٢
لقد علموا أن ابننا لا مكذب	لدينا ولا يعنى بقول الأباطل	أبو طالب	١١/١
لولا المشقة ساد الناس كلهم	الجود يفقر والإقدام قتال		٧٣/١
وأسلمت نفسي لمن أسلمت	له المزن تحمل عذباً زلالا	زيد بن عمرو بن نفيل	١٤٠/١
وليس يصح في الأفهام شيء	إذا احتاج النهار إلى دليل		١٦٤/١
قد رشحوك لأمر لو فطنت له	فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل	الطغرائي	١٩٥/١، ٥٢٤،

			٣/٢٣، ١٢٥، ٢٧٦
كـأن مشيتها من بيت جارتـــها	مـور السحـــابة لا ريث ولا عجـــل	الأعشى	١/٢٠٤
بميزان عــدل لا يخيس شعـــيرة	له شاهـد من نفسـه غيـر عائـــل	أبو طالب	١/٣٥٦
ألا كـل شيء ما خـلا الله باطـل	وكـل نعيـم لا مـحالة زائـــل	لبيد	١/٣٦٨
كتب الموت على الخلـق فكـــم	فَلَّ مـــن جمـع وأفنـــى من دول	ابن دريد	١/٤٢٧
ولـو نعطـي الخيار لما افترقنـــا	ولكـــن لا خيـار مـع الليـــالي		١/٤٣١
تعلم فليس المرء يولـد عالـــماً وإن كبيـر القـوم لا علم عنـده وإن صغير القـوم إن كان عالـماً	وليس أخـو علـم كمن هـو جاهـل صغيـر إذا التفت عليـه المحافـل كبيـر إذا ردت إليـه المحافـل	الشافعي	٢/٤٧
كـم منزل في الأرض يألفـه الفتى	وحنينـه أبـــداً لأول منـــزل		٢/٨٦
يمارس نفســاً بين جنبيـه كـزة	إذا هـم بالمعـروف قالت له مهـــلا		٢/٩٢
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضـه	فكـل رداء يرتديــه جميـــل	دكين بن رجاء	٢/٤٨٣
أفاطـــم مهـلاً بعض هذا التدلل وإن تك قــد ساءتك مني خليقـة	وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملـــي فسلـي ثيابـــي من ثيابـك تنســل	امرؤ القيس	٢/٤٨٣
لنفسـي أبكي لسـت أبكي لغيرهـا	لنفسي مـن نفسي عـن النـاس شاغـل		٣/٥٥
ألا أصـحت أسماء جاذمة الحبـــل	وضنت علينـا والضنين من البخـــل	البعيث	٣/٦٦
مـا بين طـرفة عين وانتباهتهـا	يبدل الله مـن حـال إلى حـــال		٣/١١٧
ولما رأيت القـــوم لا ود فيهـــمُ وقد صارحونـا بالعـداوة والأذى	وقد قطعـوا كل العـرى والوسائـل وقـد طاوعـوا أمر العـدو المزايـل	أبو طالب	١/٣٥٦، ٣/٢٠٠

وقــد حالفــوا قوماً علينا أظنــةً	يعضــون غيظــاً خلفنــا بالأنامــل		
كذبتـم وبيت الله نُبْزى محمــداً	ولمـــا نطاعــن دونـه ونناضـل		
ونسلمه حتى نصــرع دونــــه	ونذهــــل عن أبنائنــا والحلائــل		
لعمري لقد كلفت وجــداً بأحمـد	وإخـــوته دأب المـحب المواصــل		
فلازال في الـدنيا جمالاً لأهلهـــا	وزينــا لمـــن والاه رب المشاكــل		
فمـن مثله في الناس أيّ مؤمَّـــل	إذا قاسه الحكام عنـــد التفاضـل		
حليم رشيــد عادل غير طائش	يوالــي إلهــاً لـيس عنـه بغافـــل		
فـوالله لـولا أن أجـيء بسبـــة	تـجر علـى أشياخنا فـي المحافـل		
لكننــا اتبعنــاه على كــل حالـة	من الدهــر جداً غيــر قــول التهــازل		
لقد علموا أن ابننــا لا مكــذب	لدينـا ولا يُعنـي بقـــول الأباطـــل		
فأصبح فينـا أحمـــد في أرومـة	تقصــر عنـه ســورة المتطـــاول		
حـدبتُ بنفسي دونـه وحميتـه	ودافعت عنـه بالـذرى والكلاكـــل		
فأيـــده رب العبــاد بنصـــره	وأظهــر ديناً حقـه غيـر باطـــل		
رجــال كرام غيــر ميــل نماهــم	إلـى الخيـر آبـاءُ كـرام المحاصـــل		
فــإن تك كعب من لؤي صقيبـة	فلابــد يومــاً مــرة مــن تزايـــل		
المرء يفــرح بالأيــام يقطعهـــا	وكـــل يـوم يُدنِيـه مـن الأجــــل		٢٧٠/٣
تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت	كمـا استعـان بريح عِشـرق زجِــل	الأعشى	٣٧٧/٣
لقــد زادني حبــاً لنفسي أننــــي	بغيض إلى كـل امرئ غـيـــر طائــل	الطرماح	٣٩٢/٣

م

ومـــن رام العلـــوم بغيــر شيخ	يضــل عـن الصــراط المستقيــم	أبو حيان الأندلسي	١٦/١
وتلتبس الأمـــور عليـه حــتى	يصيــر أضــل من تومــا الحكيــم		
تصــدق بالبنــات علــى أنــاس	يريـــد بـــذاك جنــات النعيــم		
أبي الإســلام لا أب لي ســـواه	إذا افتخـــروا بقيـــس أو تميـــم		٦٣/١، ٣٣٣/٣
وما انتفاع أخي الدنـيا بناظــــره	إذا استوت عنـده الأنـوار والظلــم		٢٤٠/١
حسدوا الفتى إذ لم ينــالوا سعيــه	فالقوم أعـــداء لـه وخصــــوم	أبو الأسود الدؤلي	٣٢٥/١
كضرائــر الحسنــاء قلن لوجهها	حســـداً وبغيـــاً إنــــه لدميــم		

وترى اللبيب محسداً لم يجترم وكذاك من عظمت عليه نعمة	شتم الرجال وعرضه مشتوم حساده سيف عليه صروم		
حُيِّيت من طلل تقادم عهده	أقوى وأقفر بعد أم الهيثم	عنترة بن شداد	٣٣٤/١
لا طيب للعيش ما دامت منغصة	لذاته بادكار الموت والهرم		٥١٢/١
إذا غامرت في شرف مروم	فلا تقنع بما دون النجوم	المتنبي	٥١٦/١
من فاته الزرع في وقت البذار فما	تراه يحصد إلا الهم والندما		٥٢٤/١
قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت	ويبتلي الله بعض القوم بالنعم		٥٢٨/١، ٣٦٣/٢، ١٥٨/٣
وإذا شكوت إلى الأنام فإنما	تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم		١٠/٢
لا تشكونَّ لمخلوق فتورثه	شكوى الجريح إلى الغربان والرخم		١٠/٢
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ولا تجعل الشورى عليك غضاضة	برأي نصيح أو نصيحة حازم فإن الخوافي قوة للقوادم		١٢/٢
رأيت العلم صاحبه كريم وليس يزال يرفعه إلى أن ويتَّبعونه في كل حال فلولا العلم ما سعدت رجال	ولو ولدته آباء لئام يعظم أمره القوم الكرام كراعي الضأن تتبعه السوام ولا عرف الحلال ولا الحرام	الشافعي	٤٧/٢
بلادي وإن جارت علي عزيزة	وأهلي وإن ضنوا علي كرام		٨٧/٢، ٦٥/٣
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه	وإن يرق أسباب السماء بسلم	زهير	١٩٧/٢
إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وعادى محبيه بقول عداته	وصدق ما يعتاده من توهم وأصبح في شك من الليل مظلم		٢٥٢/٢

هل العلم في الإسلام إلا فريضة	وهل أمة سادت بغير التعلم	معروف الرصافي	٣٤٦/٢
لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلا	بصائر أقوام عن المجد نوّم		
فأشرق نور العلم من حجراته	على وجه عصر بالجهالة مظلم		
ودك حصون الجاهلية بالهدى	وقوّض أطناب الضلال المخيم		
فصاحة حسان وخط ابن مقلة	وحكمة لقمان وزهد بن أدهم		٣٤٨/٢
لو اجتمعت في المرء والمرء جاهل	ينادى عليه لايسام بدرهم		
زنيم ليس يعرف من أبوه	بغيّ الأم ذو حسب لئيم		٣٦٠/٢
هي الأيام وقاك الله صولتها	تصول حتى على الآساد في الأجم		٣٦٥/٢
كنا ملوكاً لنا في أرضنا دول	نمنا بها تحت أفنان من النعم		
فأيقظتنا سهام للردى صبب	[illegible]		
فشككت بالرمح الأصم ثيابه	ليس الكريم على القنا بمحرم	عنترة بن شداد	٤٨٤/٢
ستعلم في الحساب إذا التقينا	غداً عند الإله من الملوم	أبو العتاهية	٦/٣
سينقطع التروح عن اناس	من الدنيا وتنقطع الغموم		
والنفس كالطفل إن تمهله شب على	حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم	شرف الدين البوصيري	١٣٦/٣
قل للحسود إذا تنفس طعنة	يا ظالماً وكأنه مظلوم		٣٥٩/٣
إن تغفر اللهم تغفر جماً	وأي عبد لك لا ألما	ابو خراش الهذلي	١٦١/٣
على قدر أهل العزم تأتي العزائم	وتأتي على قدر الكرام المكارم	المتنبي	١٧٩/٣
إذا كنت في نعمة فارعها	فإن المعاصي تزيل النعم	علي	٢٦٥/٣، ٣٥٢
وحافظ عليها بتقوى الإلـ	ـه فإن الإله سريع النقم		
ولن يلبث العصران يوم وليلة	إذا طلبا أن يدركا ما تيمما	حميد بن ثور الهلالي	٢٦٨/٣

ن

ولقد علمت بأن دين محمد	من خير أديان البرية دينا	أبوطالب	١١/١
لولا الملامة أو حذار مسبة	لوجدتني سمحاً بذاك مبينا		

إن المنـايا يطّلعـ	ـن على الأنـاس الآمنـا	ذو جرن الحميري	١/٥٨، ٣/٣٧٤
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم	فطالما استعبد الإنسان إحسان	أبو الفتح البستي	١/١٥١
وإن أساء مسيء فليكن لك في	عروض زلته صفح وغفران		
ببيـنة سـكينـة	تنكـر ولا تُبيـن		١/٣٥٣
لسانـها مقطـوع	ولا فـا دمـوع		
أنهارها في غير أخدود جرت	سبحان ممسكها عن الفيضان	ابن القيم	١/٤١٥، ٤٨٩، ٢/١٨٣، ٣/١١٦، ١٤٤، ٢٤١
من تحتهم تجري كما شاؤوا مفجـ	ـرة رب للنهر من نقصان		
وهو العزيز فلن يرام جنابه	أنى يرام جناب ذي السلطان	ابن القيم	١/٤٥٥، ٢/٦٤
وهو العزيز القاهر الغلاب لم	يغلبه شيء هذه صفتان		
وهو العزيز بقوة هي وصفه	فالعز حينئذ ثلاث معان		
وهي التي كملت له سبحانه	من كل وجه عادم النقصان		
هو أول هو آخر هو ظاهر	هو باطن هي أربع بوزان	ابن القيم	١/٤٥٧
ما قبله شيء كذا ما بعده	شيء تعالى الله ذو السلطان		
شهدت بأن وعد الله حق	وأن النار مثوى الكافرينا	عبد الله بن رواحه	١/٤٦١
وأن العرش فوق الماء طاف	وفوق العرش رب العالمينا		
وتحمله ملائكة شداد	ملائكة الإله مسومينا		
شتان بين الحالتين فإن ترد	جمعاً فما الضدان يجتمعان	ابن القيم	١/٥٢٢، ٢/٦٦، ١١٤، ٢٣٦، ٣٣٧، ٣/١٨٥، ٣١١، ٣٢٥
وهو السميع يرى ويسمع كل ما	في الكون من سر ومن إعلان	ابن القيم	٢/١٤
ولكل صوت منه سمع حاضر	فالسر والإعلان مستويان		
والسمع منه واسع الأصوات لا	يخفى عليه بعيدها والداني		

وهـو البصـير يرى دبيب النمل	تحت الصخـر والصـوان	ابن القيم	٢/١٤
ويرى مجاري القوت فـي أعضائها	ويـرى يـاض عـروقها بعيـان		
ويرى خيانات العيـون بلحظهـا	ويـرى كـذاك تقلب الأجفـان		
وهـو العفـو بعفوه وسع الورى	لـولاه غـار الأرض بـالسكـان	ابن القيم	٢/١٨
قـدم لنفسـك توبـة مرجـوة	قبل الممات وقبل حبس الألسن	محمود الوراق	٣/٢٣
يا سلعة الـرحمن لست رخيصـة	بـل أنت غـاليـة علـى الكسلان	ابن القيم	٢/١٧٩
يا سلعة الـرحمن ليس ينالهـا	فـي الألـف إلا واحـد لا اثنـان		
زيادة المرء في دنيـاه نقصـان	وربحـه غـير محض الخير خسران	أبو الفتح البستي	٢/٢٢٠
وكل وجدان حظ لا ثبـات لـه	فـإن معناه فـي التحقيـق فقـدان		
يا عامراً لخراب الـدهر مجتهـداً	تالله هل لخـراب الـدهر عمـران		
ويا حريصاً على الأموال يجمعهـا	أُنسيت أن سـرور المـال أحـزان		
زع الفؤاد عن الدنيـا وزخرفهـا	فصفوها كـدر والوصـل هجـران		
وكـل كسر فـإن الله يجـبر	ومـا لكسـر قنـاة الـدين جـبران		٢/٢٢١، ٣/٢٧٠
فاشدد يديك بحبـل الله معتصمـاً	فإنـه الركـن إن خانتـك أركـان		٢/٢٤١
مـا للعباد عليـه حـق واجـب	هو أوجـب الأجـر العظيـم الشـان	ابن القيم	٢/٣٢٧
كـلا ولا عمـل لديـه ضائـع	إن كـان بـالإخـلاص والإحسـان		
إن عذبـوا فبعدلـه أو نعمـوا	فبفضلـه والفضـل للمنـان		
وهـو اللطيف بعبـده ولعبـده	واللطـف فـي أوصافـه نوعـان	ابن القيم	٢/٣٢٩
إدراك أسـرار الأمـور بخكمـة	واللطـف عنـد مـواقـع الإحسـان		
ومخلـدات بـاللجين كأنمـا	أعجـازهـن رواكـد الكثبـان		٢/٥٣٦
وإذا خلوت بريبة فـي ظلمـة	والنفـس داعيـة إلـى الطغيـان	صالح بن عبد القدوس	٣/٣٩

فاستحي من نظر الإله وقل لها	إن الذي خلق الظلام يراني		
صُمٌّ إذا سمعوا خيراً ذكرت به	وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا	قعنب بن أم صاحب	٩٦/٣
لا تأمنن عدواً لان جانبه	خشونة الصل عقبى ذلك اللين		١١٢/٣
فهو العلي بذاته سبحانه وهو العلي فكل أنواع العلو له	إذ يستحيل خلاف ذا ببيان فثابتة بلا نكران	ابن القيم	١٣٠/٣
إذا انت لم تعرف لنفسك حقها	هواناً بها كانت على الناس أهونا		١٧٩/٣
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أقبل على النفس فاستكمل فضائلها	لتطلب الربح فيما فيه خسران فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان	أبو الفتح البستي	٢٦٣/٣
دقات قلب المرء قائلة له	إن الحياة دقائق وثوان	أحمد شوقي	٢٦٩/٣
حمدت الله إذ أبصرت طيراً فكل القوم يسأل عن نفيل	وخفت حجارة تلقى علينا كأن علي للحبشان دينا	نفيل بن حبيب	٢٨٩/٣
	هـ		
ما يبلغ الأعداء من جاهل	ما يبلغ الجاهل من نفسه	صالح بن عبد القدوس	٣٨/١
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها	كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه		٢٧٧/١
فتى الفتيان ما بلغوا مداه	ولا يكدي إذا بلغت كداها	الخنساء	٢٨١/١
انظر لتلك الشجرة من ذا الذي أنبتها ذاك هو الله الذي ذو حكمة بالغة	ذات الغصون النضرة وشق منها الثمرة أنعمه منهمرة وقدرة مقتدرة		٤٣١/١
إياك والدنيا الدنية إنها متاع غرور لا يدوم سرورها	هي السحر في تخييله وافترائه وأضغاث حلم خادع ببهائه	ابن مشرّف	٥١٤/١

فمـــن أكرمت يوماً أهانت له غداً	ومـــن أضحكــت قــد آذنت ببكائــه		
ألا إنمــا للمرء من أكبـــر العـــدا	ويحسبهـــا المغـــرور مـــن أصدقائـــه		
وكـــم في كتاب الله من ذكر ذمها	وكـــم ذمهـــا الأخيار مـــن أصفيائه		
فدعهـــا فإن الزهـــد فيهـــا محتم	وإن لـــم يقـــم جـــل الـــورى بأدائـــه		
ومن لم يدعها زاهداً فـــي حياتـــه	ستزهـــد فيـــه النـــاس بعـــد فنائـــه		
وتسكنه بعـــد الشواهـــق حفـــرة	تضيـــق بـــه بعد اتســـاع فضائـــه		
وينساه أهلوه المفـــدّى لديهـــم	وتكسوه ثوب الرخص بعـــد غلائـــه		
وينتهب الـــوارث أموالـــه التـــي	علـــى جمعهـــا قاسى عظـــيم شقائـــه		
هي الحيـــاة فلا يغـــررك ما فيهـــا	من الزخـــارف واحـــذر من دواهيهـــا		٥١٥/١
واجنب سلوكك فيها كل شائنـــة	إن كنت حـــراً فـــإن الـــذل يدنوهـــا		
إليّ فإنـــي ربهـــم ومليكهـــم	لـــن يشتكـــي الملـــوك إلا لـــمولاه	أبو بكر محمد بن محمد ابن رشد البغدادي	٩/٢
ومن لم يذق ذل التعلـــم ساعـــة	تجرع ذل الجهـــل طـــول حياتـــه	الشافعي	٤٨/٢
ومن فاتـــه التعليـــم وقت شبابه	فكبـــر عليـــه أربعـــاً لوفاتـــه		
وذات الفتى والله بالعلـــم والتقـــى	إذا لم يكونـــا لا اعتبـــار لذاتـــه		
بكيت على الأطلال إن لم أقف بها	وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمـــه		٩٢/٢
فهـــن المنايـــا أي واد سلكتـــه	عليهـــا طريقـــي أو علـــيّ طريقهـــا		١٩٧/٢
إذا لم يكـــن عون من الله للفتـــى	فـــأول مـــا يجنـــي عليـــه اجتهـــاده		٢٧١/٢
هـــو البحر من أي النواحي أتيتـــه	فلجته المعـــروف والجـــود ساحلـــه	أبو تمام	٤٠٠/٢، ٢٠٥/٣
تعـــوّد بســـط الكف حتى لو أنـــه	ثناهـــا لقبـــض لم تجبـــه أناملـــه		
ولو لم يكن في كفه غير روحـــه	لجـــاد بهـــا فليتـــق الله سائلـــه		
وقـــد رابني منها صـــدود رأيتـــه	وإعراضهـــا عـــن حاجتـــي وبسورهـــا	توبة بن الحُمَيِّر	٤٩١/٢
العلـــم صيـــد والكتابـــة قيـــده	قيّـــد صيـــودك بالحبـــال الواثقـــة		٢٢١/٣

فمن الحماقة أن تصيد غزالة	وتتركها بين الخلائق طالقة		
تدلي بودي إذا لاقيتني كذباً	وإن أُغيْبْ فأنت الهامز اللمزة	زياد بن الأعجم	٢٨١/٣
نحن إلى أجبال مكة ناقتي	ومن دونها أبواب صنعاء موصدة		٢٨٤/٣
إذا قل مال المرء قل صحابه	وضاقت عليه أرضه وسماؤه	أبو حيان التوحيدي	٢٩٧/٣
وأصبح لا يدري وإن كان حازماً	أقدامه خير له أم وراؤه		
وإن غاب لم يشتق إليه خليله	وإن مات لم يسرر صديقاً بقاؤه		
إن النميمة نار ويك محرقة	ففر عنها وجانب من تعاطاها		٣٣٦/٣
	ى		
ولأنت تفري ما خلقت وبعض الـ	ـقوم يخلق ثم لا يفري	زهير	٥٩/١، ١٢٠/٢
وإني وإن أوعدته أو وعدته	لمخلف إيعادي ومنجز موعدي		١١٥/١
فيالك من آيات حق لو اهتدى	بهن مريد الحق كن هواديا		١٦٢/١
ولكن على تلك القلوب أكنة	فليست وإن أصغت تجيب المناديا		
تعزّ فلا شيء على الأرض باقيا	ولا وزر مما قضى الله واقيا		٣٦٩/١، ٤٢٧
شكوت إلى وكيع سوء حفظي	فأرشدني إلى ترك المعاصي	الشافعي	١٠/٢
وقال اعلم بأن العلم نور	ونور الله لا يؤتاه عاصي		
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما	يظنان كل الظن أن لا تلاقيا	قيس بن الملوح	١٤٠/٢
خل الذنوب صغيرها	وكبيرها فهو التقى	ابن المعتز	١٣/١، ٥٤٨
كن مثل ماشٍ فوق أر	ض الشوك يحذر ما يرى		
لا تحقرن صغيرة	إن الجبال من الحصى		
والناس ألف منهم كواحد	وواحد كالألف إن أمر عنى	ابن دريد	١٦٦/١، ٥٤٢